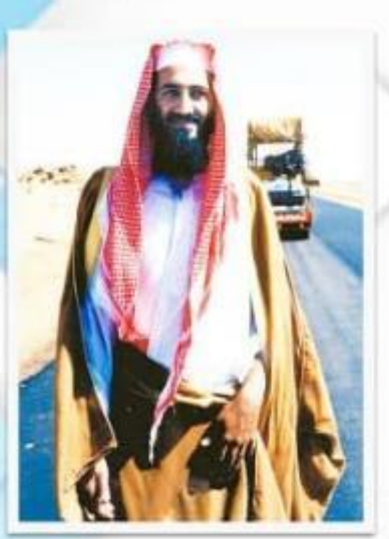
شذرات من تاريخ القاعدة

رواية الشيخ خبيب السوداني







بيت المقدس



1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

شذرات من تاريخ القاعدة

رواية الشيخ/ خبيب السوداني

(إبراهيم أحمد محمود القوصي)

- حفظه الله -



بيت المقدس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء

إلى أمير المؤمنين الملّا عمر – رحمه الله – الذي أعاد كتابة التاريخ، فأحيا به الله مجد هذه الأمّة وعزّها وكرامتها من جديد..

إلى الذي لقّن فقهاء الانبطاح وأئمة الضلال ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول دروسًا في فنون الصمود والعزّةِ والإباء..

إلى الذي ضرب أروع الأمثلة في الوفاء والتضحية والولاء والبراء، فتحدى بمواقفه جيوش الكفر المجتمعين وجبابرته المتغطرسين، وعلّمهم كيف يكون الرجال في ميادين النزال..

إلى من قال لهبل العصر أمريكا لا وألف لا.

إلى أمراء الجهاد وقادته وعلى رأسهم الإمام المجدّد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله..

إلى الذي سعّر هذه الحرب، ونكّس رأس الأمريكيين المتغطرسين؛ فغزاهم في عقر دارهم بعد أن كانوا من الغزو في حصن مكين، وجرّعهم حتوف الردى، وأذاقهم مرارة العذاب، ودوّن في التاريخ خزيهم وعارهم إلى أبد الآبدين..

إلى الذي أعطى كل ما يملك، وفارق كل ما يحب، وبذل كل جهدٍ، واستنفد كل وسعٍ في سبيل نصرة دينه وأمته.

إلى طليعة الأمة المجاهدة، الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء..

إلى أُولئك الرجال الذين هبّوا لنصرة الدِّين يوم قلّ الواقفون..

إلى الـذين بتصـدّيهم لمخططـات الصـليبيين وعملائهـم اليـوم، يقفـون علـى أعظـم ثغور الإسلام..

إلى كل من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

إلى هؤلاء جميعًا أهدي هذا الكتاب.

أخوكم/

خبيب السوداني

(إبراهيم أحمد محمود القوصي)

تمّ بفضل الله وحده يوم الأربعاء 10 محرّم 1443هـ

الموافق 18 أغسطس 2021م

تهنئة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فها هي الإمبراطورية الثالثة أمريكا – وجمعُها – تخرج من أفغانستان ذليلةً صاغرةً كما خرج أسلافها من قبل، وها هو رئيسها يعترف بعظمة لسانه بهزيمته، ويقول: "**الأحداث التي نراها الآن هي إثبات بأنه ما من قوّة عسكرية من شأنها أن تبني الاستقرار في أفغانستان، فهي معروفة بأنها مقبرة الامبراطوريّات**". وها هو الأمين العام لحلف الناتو يعترف بأن انسحابهم من أفغانستان هو أكبر هزيمة في تاريخ الحلف منذ نشأته. فهنيئًا للمسلمين عامّة، ولشعب أفغانستان ولحركة طالبان وعلى رأسهم أمير المؤمنين الشيخ هبة الله زاده وقادته وجنوده الميامين بصفةٍ خاصّة. هنيئًا لكم يا شامة العز في جبين هذه الأمة بهذا النصر العظيم، والفتح المبين، الذي أذهل العالم وكل أرباب السياسة والمراقبين، والذي لم يتحقق بكثرة عدد، ولا بقوّة عدة أو عتاد، لكنّه تحقق بفضل الله وحده، ثمّ بإيمان خالط بشاشة القلوب، وعزيمةٍ وإصرارٍ وهمّةِ رجالٍ تصاغرت أمامها قمم الجبال. رجال عرفوا طبيعة هذا الدين وطبيعة هذا الصراع، فلم يعطوا الدنيّة في دينهم قيد أنملة، وضحّوا في سبيل ذلك تضحيات فاقت كلّ خيال، لذلك حُقّ لكم أيها الأفغان أن تفخروا بأبنائكم في حركة طالبان، فعلى أيديهم بفضل الله وحده قُبرت الإمبراطورية الثالثة في تراب أفغانستان، وعلى أيديهم عادت الإمارة الإسلامية لتحكم بشرع الله ولو كرهت أمريكا وحلفائها، وعلى أيديهم تحققت كلمات أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله عندما قال: "**لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق**". فهنيئًا لكم يا شعب أفغانستان بالطالبان، وهنيئًا للطالبان بكم.

أمّا أنتم يا من تتطاولون على طالبان وأنصارهم بأقذع الأوصاف والألفاظ، لا يسعنا إلّا أن نهديكم هذه الصورة، ونقول لكم: الحقّ ما شهدت به الأعداء، فموتوا بغيظكم، ستكتب شهادتكم ثم تسألون، وأمام ربّ العالمين بإذن الله تلتقي الخصوم، وحينها سيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون.



الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف بأن أفغانستان مقبرة الغزاة

مقدّمة

الحمـد لله ربِّ العـالمين والعاقبـة للمتقـين. والصـلاة والسـلام علـى عبـده ورسـوله وصـفوته مـن خلقـه، وأمينـه علـى وحيـه، الـذي بلّـغ الرسـالة وأدّى الأمانـة وجاهـد في الله حـق جهـاده، نبينـا وإمامنـا وسـيدنا مُحَّد بـن عبـد الله، وعلـى آلـه وأصـحابه ومـن سـلك سـبيله، ودعـا بدعوتـه، ونصـر سـنّته، واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

يقـول الشـيخ أبـو مصـعب السـوري – فـرّج الله كربتـه – متحـدّثاً عـن انـدثار أهـم التجـارب الجهاديـة المسـلحة في النصـف الثـاني مـن القـرن العشـرين: "ولـذلك فقـد انـدثرت معظـم التجـارب الجهاديـة الهامّـة للتيـار الجهـادي، بـل ولعمـوم التجـارب الظـاهرة الجهاديـة دون أن يكتـب عنهـا أصـحابها، وأقصـد مـن قـاموا بهـا أو شـهدوها بأنفسـهم، أو كـانوا علـى احتكـاك حقيقـي وعضـوي بهـم ومعهـم. وفي حـدود علمـي فـإن مـن بـين عشـرات التجـارب الطويلـة الأمـد أو المحـدودة، لم يكتـب أحـد مـن أصـحاب تلـك التجـارب شـيئًا يـذكر، أو لم يصـل علـى الأقـل للانتشـار، وقـد فـات علـى الأمـة وأجيالهـا القادمـة بـذلك دروسًـا بالغـة الأهميـة، وقصصًـا وتفاصـيل أحـداث بالغـة الروعـة والدلالـة مـن تلـك الملاحـم الـتي قـام بهـا الجيـل الأول والثـاني مـن هـذا التيـار الجهـادي، منـذ انطلـق وإلى نهـايات القـرن العشـرين ومطلـع الحـادي والعشـرين، في حـين تطفـل علـى الكتابـة نيابـة عـن أصـحاب التجـارب بعـض الخصـوم، أو بعـض التجـار مـن الصـحفيين، أو بعـض القاعـدين مـن (دونكيشـوتات) الصـحوة الإسلامية من أصحاب الكروش التي تربت تحت برد المكيفات"[1].

بنـاءً علـى هـذه المقدمـة القيّمـة مـن كـلام الشـيخ أبي مصـعب السـوري، أشـهد الله أنّـه كـان قـد حـدثّني في مجمّـع نجـم الجهـاد بجـلال أباد في أواخـر عـام 1996م – بعـد رجـوعي مـن الشيشـان – علـى أن أوثّـق تلـك الأحـداث الـتي شـهدّتها هنـاك. ورغـم قنـاعتي بأهميّـة حـديث الشـيخ أبي مصـعب إلّا أنـني لم أُولّـه أي اهتمـام ولم يحـرّك فيّ سـاكنًا؛ لأني بطبيعـة الحـال لم أجـد نفسـي أهـلًا لهـذا الأمـر. ولما مـرّت السـنون بعـد ذلـك، وتوالـت الأحـداث، واسـتحرّ القتـل في ركـب السـابقين الأولـين مـن أفـراد هـذه المسـيرة الجهاديـة المباركـة " القاعـدة"، بـدأت أستشـعر أهميـة حـديث الشـيخ أبي مصـعب بضـرورة

(1) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

التوثيق لذلك التاريخ المجيد، خوفًا عليه من الضياع والتزييف والتشويه بواسطة قطّاع الطريق، المتخصصين في ذبح الحقيقة وتزوير التاريخ وما أكثرهم.

ومنذ الأيام الأولى التي وطئت فيها أقدامي أرض اليمن في ديسمبر 2014م، كنت أناشد أمير تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب الشيخ أبا بصير (ناصر عبد الكريم الوحيشي)، بأن يوثّق تلك الأيام والسنون التي قضاها قريبًا من الشيخ أسامة كأمينًا لسرّه - رحمهم الله جميعًا - غير أن الرجل كان زاهدًا في خوض غمار هذا الأمر، بحجة أنه لا يُفتى ومالكٌ في المدينة، فقد كان رحمه الله يخشى أن يقدّم أو يؤخر بين يدي إخوة كبار، أقدم منه هجرةً وسابقةً، وعلمًا وتجربةً ما زالوا على قيد الحياة، هم أولى - كما كان يقول - بتولّي هذا الأمر منّه، وعلى رأس هؤلاء الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ أبو مُحَمَّد المصري(2)، والشيخ سيف العدل حفظهم الله جميعًا.

ورغم أنه كان من فضل الله عليّ مرافقة الشيخ أسامة رحمه الله عن قرب لعدّة سنين؛ إلّا أنه لم يدر بخلدي يومًا من الأيام قط أن أدلي بدلوي في هذا الأمر، حتّى وصلتني بتاريخ 3 ذو القعدة 1437هـ رسالة من الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله، جاء في ثناياها ما يلي: "أتمنّى عليكم أن تشاركوا في سلسلة (أيام مع الإمام)، وذلك بإصدار سلسلة فرعية بعنوان (أيام مع الإمام - ذكريات الشيخ خبيب السوداني مع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله)، حتى لا تختلط الحلقات مع الحلقات التي يصدرها السحاب. والله يوفقكم لكل خير".

كذلك كان الإخوة في مؤسسة الملاحم قد طلبوا منّي وألحّوا عليّ كتابة شهادتي وذكرياتي مع جماعة القاعدة بصفة عامة، ومع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله بصفة خاصة، ويعلم الله كم كانت هذه المطالبات والمناشدات — رغم قناعتي بأهميّتها - ثقيلة على نفسي، لأني ببساطة لست

---

(2) قبل الفراغ من هذا الكتاب تلقينا نبأ اغتيال الشيخ أبي محمّد المصري مع ابنته الكبرى (زوجة حمزة بن لادن) على أيدي الموساد اليهودي في إيران. جدير بالذكر أن اغتيال الشيخ أبي مُحَمَّد رحمه الله، تم في يوم 7 أغسطس 2020م، وهو ذات اليوم — بعد اثنين وعشرين عامًا - الذي تم فيه استهداف سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام عام 1998م، ولعل أمريكا أرادت أن ترسل بذلك رسالة تقول فيها أنها لا تنسى ثأرها مهما طال الزمن، وأنها خلف غرمائها حيثما كانوا، لكنا نقول لها، كما قال ربّنا جلّ في علاه: (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ)، فشتّان شتّان بين التاريخين، فأصحابنا قد عجّلوا بأصحابكم إلى جهنّم وبئس المصير، وأنتم - بإذن الله - قد عجّلتم بصاحبنا إلى جنّة عرضها السماوات والأرض، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبّلهم جميعًا في الفردوس الأعلى، اللهم آمين.

من فرسان ذلك الميدان، ورحم الله امرئً عرف قدر نفسه، فما أنا من الذين يخوضون بحار القراءة في بطون الكتب، ناهيك عن الكتابة عن أحداث ووقائع وشخصيات في غاية الأهمّيّة والخطورة غيّرت بفضل الله وحده مجرى التاريخ، لكن مع ضغوط الأخوة وإلحاحهم على هذا الأمر، وخوفًا —كما قال الشيخ أبو مصعب السوري - من أن يتطفل على الكتابة نيابة عن أصحاب التجارب بعض الخصوم، أو بعض التجّار من الصحفيين والقاعدين، استعنت بالله وحده وأمسكت القلم، وبدأت أعصر ذكرياتي عن تلكم الأيام، وخرجت الصورة الأولى لتلك الذكريات في صفحات صحيفة المسرى في سبع حلقات بعنوان "**أيام من مذكراتي**". ويعلم الله كم آلمني وأحرجني ذلك العنوان الكبير الذي اختاره محررو الصحيفة دون مراجعتي، والذي عكس غير المقصود من كتابة تلك المقالات، فأظهرني كأني من أولئك الجهابذة الأعلام، الذين يحبّون أن يُشار إليهم بالبنان وما أنا كذلك، ووالله لو يعلم الناس حالي لقالوا كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "آن لأبي حنيفة أن يمدّ رجليه"[3].

ثم تطور الأمر إلى مشروع كتابٍ عن تاريخ تنظيم القاعدة، بذلت فيه وسعي وقصارى جهدي، فجمعت ونقلت معظم محتواه ممن كَتب في الموضوع مع بعض التصرَف، وأضفت إلى تلك النقول عصارة ذكرياتي مع شيء من التحليل والمقارنة المتواضعة لبعض الأحداث الهامة، وقسّمت فصول الكتاب إلى خمسة فصول تناولت خمس مراحل تبدأ من حضور الشيخ أسامة لباكستان - بعد سماعه لغزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان - حتّى أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مع تغطية طفيفة لبعض العمليات بعد الأحداث. وبفضل لله وحده خرج الكتاب بالصورة التي بين أيديكم، وأسميته: "**شذراتٌ من تاريخِ القاعدة**".

ولا تغطّي صفحات هذا الكتاب مرحلتين من أهم المراحل التاريخية ما زالت رحى أحداثها تدور منذ عقدين من الزمان حتّى هذه اللحظة، وهي الملاحم البطولية التي خاضها رجال القاعدة في أفغانستان - بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر - جنبًا إلى جنبٍ مع إخوانهم الطالبان في

---

(3) قصّة هذه المقولة التي صارت مثلًا هي أن الإمام أبو حنيفة رحمه الله كان جالسًا، فقدم رجلٌ عليه الوقار والهيبة، يوحي مظهره أنه من كبار العلماء، وكان أبو حنيفة مادًا رجله فضمها احترامًا للرجل، واستقبله وأجلسه بجانبه، ثم بدأ الرجل يسأل، قال: يا إمام! متى يفطر الصائم؟ قال: أبو حنيفة إذا غربت الشمس، قال: فإذا لم تغرب إلا نصف الليل؟ فمدد أبو حنيفة رجليه الإثنتين وقال: "آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه".

مواجهة هبل العصر أمريكا، إلى جانب المواجهات العنيفة، والحرب الاستخباراتية القذرة التي واجهتها القاعدة في وزيرستان مع وكيل أمريكا في المنطقة؛ الجيش الباكستاني. كذلك لم تغطّ صفحات هذا الكتاب مرحلة تمدد القاعدة، وانضمام كمٌّ مهمٌّ من الحركات الجهادية ومبايعتها للعمل تحت لوائها في العراق والشام والصومال ومغرب الإسلام، مرورًا بمالي وشبه القارة الهندية.

ومع كلّ ذلك، لا أزعم أن الجزئية المحدودة من المعلومات التي تناولَتْها صفحات هذا الكتاب، تحوي بين دفتيها عشر معشار ذلك التاريخ المجيد، فما هي إلا شذرات، وغيضٌ من فيضٍ لأحداثٍ عظام، وقصصٍ لرجالٍ كرام، هبّوا لنصرة دين الله، يستلذون ويستعذبون التضحية في سبيله يوم قلّ الواقفون، فغيّروا بفضل الله وحده مجرى التاريخ.

اللهم هذا الجهد وعليك التكلان، وإن صفحات هذا الكتاب، كغيرها من جهد البشر فيها الصوابُ والخطأ، والزيادةُ والنقصانُ، فما كان فيها من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اللهم آمين.

الفقير إلى عفو ربه /

خبيب السوداني (إبراهيم أحمد محمود القوصي)

تمهيد

مما لا شك فيه أن في دراسة تاريخ التيار الجهادي، والوقوف على تجارب السابقين من أبنائه في هذا الطريق الجهادي المعاصر، دروسًا عظيمة وتجارب رائعة – بصرف النظر عن صوابها وخطئها – لا بد للجيل الجهادي القادم أن يقف عليها ويدرسها، وأن يهضم خلاصة تجارب أسلافه، والسير على أنوار ما قدّموا فكرًا وتجربةً وقدوةً، ليطور نظريات عمله بالاستفادة وأخذ العظات والعبر منها، والبناء عليها، ومتابعة حمل راية الجهاد في هذه الظروف البالغة الصعوبة، وفي هذه المعركة البالغة الاختلال في موازين القوى، حتى لا يخسر ذلك الجيل دروسًا عظيمة من مسار مجيد، مخضب بدماء آلاف الشهداء، ومعاناة جيلٍ كابد في صراعه مع الطواغيت ومن وراءهم أشد المعاناة، وحتى يكون ذلك الجيل حلقةً طبيعية في هذه السلسلة، التي ترسم مسار القافلة المجيدة نحو حلم الإسلام المنشود في إعادة حكم الله لهذه الأرض، وإقامة خلافته الراشدة على منهاج النبوة إن شاء الله[4].

فالقاعدة مرت بعدة مراحل تاريخية، تخللتها أحداث ووقائع كانت بمثابة نقطة تحول كبيرة في تاريخ الصراع في المنطقة، وكذلك في تحوّل المسار الفكري والمنهجي للمجاهدين، بما فيهم الشيخ أسامة رحمه الله، من الممكن إجمالها كالتالي:

1- مرحلة أفغانستان الأولى وفيها: دخول الروس أفغانستان، وحضور الشيخ أسامة إلى باكستان في 10 يناير 1980م، ونشاطه حتى تأسيس القاعدة في أغسطس 1988م (تسليم التبرّعات، تأسيس مكتب الخدمات وبيت الأنصار، وإنشاء المأسدة، ومعارك جاجي والدروس المستفادة منها "برنامج التدريب").

2- مرحلة تأسيس القاعدة حتى انتقال الجماعة إلى السودان مطلع عام 1992م وفيها: معارك جلال أباد، وهزيمة الاتحاد السوفيتي، والمكر الدولي لمحاربة الجهاد الأفغاني، وبرنامج ما يسمى بمكافحة الإرهاب.

3- مرحلة السودان وما تخللتها من أحداث وفيها: أعمال الشيخ أسامة الاستثمارية في السودان، وأحداث الصومال، واليمن، وعملية محاولة اغتيال الطاغوت المصري السابق الهالك

(4) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

حسني مبارك في أديس أبابا، وغيرها من الأحداث حتى خروج الشيخ من السودان في مايو 1996م.

4- مرحلة أفغانستان الثانية وما تخللتها من أحداث، وتبدأ من وصول الشيخ أسامة - بعد إبعاده من السودان - جلال أباد في أفغانستان، وفيها: إصدار بيان " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، وانتقال الجماعة إلى قندهار، ومشاركة الجماعة القتال مع طالبان، وتأسيس الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والنصارى، وعمليات نيروبي ودار السلام وعملية كول... الخ

5- مرحلة أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما بعدها من عمليات خارجية، وتداعيات الأحداث على طالبان والتجمع الجهادي في أفغانستان، وما صاحب العمليات من شبهات، وأحداث تورا بورا والانسحابات إلى باكستان، وغيرها من الأحداث التي تعجز الكتب والمجلدات عن حصرها، ناهيك عن هذه الصفحات.

المرحلة الأولى:

حضور الشيخ أسامة رحمه الله إلى باكستان، ونشاطه قبل تأسيس القاعدة

استيقظ العالم في صبيحة الرابع والعشرين من ديسمبر عام 1979م، على نبأ غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، فقامت الدنيا ولم تقعد، واشتعلت خطب الجمعة في كل بلاد المسلمين، وأُقيمت المحاضرات والمؤتمرات والمهرجانات، ووزعت المنشورات والمؤلفات والصحف وكل وسائل التعبير والدعاية في أوساط العالم الإسلامي والصحوة، تندد وتشجب وتروج للجهاد الأفغاني، وتنادي أن حيّ على الجهاد ويا خيل الله اركبي[5].

فبعد أن علم الشيخ أسامة بن لادن بالغزو السوفيتي لأفغانستان، سافر رحمه الله – بعد التنسيق مع الجماعة الإسلامية هناك – في رحلة استطلاعية إلى باكستان، وكان حضوره بعد سبعة عشر يومًا فقط من الغزو، فسافر إلى لاهور في 10 يناير 1980م، وذهب إلى أمير الجماعة الإسلامية، وسلمه مبلغًا من المال تبرعًا، وطلب منه أن يقوم بإيصاله لقادة المجاهدين، ووعده أمير الجماعة بذلك. وكان أبرز قادة الجهاد الأفغاني في الساحة آنذاك هم حكمت يار وسيّاف ورباني، الذين لم تكن أسماؤهم غريبة على الشيخ أسامة، حيث أن بعضهم كان ممن يحضر إلى مضافة والده في الحج والمواسم. وحرص الشيخ أسامة أن يبقي أمر تلك الرحلة في البداية طي الكتمان، لأنه لم يكن يعلم توجه النظام السعودي آنذاك تجاه الحدث[6].

يقول الشيخ أسامة بن لادن، رحمه الله: "فمن باب الحديث بالنعمة التي منَّ الله سبحانه وتعالى علينا، وتحريضًا للمؤمنين على هذا الأمر العظيم، فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام 1399هـ، سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في أفغانستان، وذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرة إخواننا المسلمين في أفغانستان، واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن منَّ الله عليّ ودخلت أفغانستان"[7].

---

(5) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

(6) أسد الإسلام مجدد الزمان وقاهر الأمريكان لفارس الزهراني. بتصرّف

(7) مأسدة الأنصار لعصام دراز.

وكـان العـرب الـذين توجهـوا إلى باكسـتان لـدعم المجاهـدين الأفغـان في السـنوات الأولى لغـزو الـروس حـتى عـام 1984م آحـادًا، ربمـا لم يصـل عـددهم إلى عشـرة أو عشـرين، دخـل قليـلٌ مـنهم أفغانسـتان فعليًـا للمشـاركة في الجهـاد، كمـا وصـلها بعـض آحـاد المحسـنين مـن المسـلمين، لتقـديم بعـض العون المادي للمجاهدين الأفغان خلال تلك الفترة[8].

وكـان أول العـرب الـذين كـان لهـم شـرف السـبق في الجهـاد في أفغانسـتان، علـى سـبيل المثـال هـم: الشـيخ أبـو الوليـد المصـري (مصـطفى حامـد) حفظـه الله - كـان قدومـه في بدايـة شـهر يونيـو عـام 1979م قبـل الغـزو السـوفيتي، بصـحبة اثنـين مـن أصـدقائه هـم أحمـد المنيـاوي وإسماعيـل - والشـيخ أسـامة بـن لادن والشـيخ كمـال السـنانيري (زوج أمينـة قطـب أُخـت سـيد قطـب). وفي صـيف عـام 1980م كـان الشـيخ أيمـن الظـواهري حفظـه الله، ضـمن أول ثلاثـة أطبـاء وصـلوا بيشـاور للعمـل الإغـاثي لمسـاعدة المجاهـدين والمهـاجرين الأفغـان، وبقـي هنـاك أربعـة أشـهر ثم عـاد مـرة أخـرى في مـارس عـام 1981م، ومكـث قرابـة شـهرين، اضـطر بعـدها إلى العـودة لمصـر لترتيـب أوضـاعه، لكنـه أعتقـل فـور وصـوله، ولم يـتمكن بعـدها مـن العـودة إلى سـاحة الجهـاد الأفغـاني إلا في منتصـف عـام 1986م.

كـذلك كـان مـن السـابقين لسـاحة الجهـاد في أفغانسـتان الشـيخ عبـد الله عـزام، والشـيخ الـدكتور فضـل (سـيد إمـام)، والشـيخ أبـو سـياف الأردني (فتحـي مُحَمَّد حبيـب)، والشـيخ تمـيم العـدناني، والشـيخ أبـو عبيـدة البنشـيري (علـي أمـين الرشـيدي)، والشـيخ أبـو حفـص الكمنـدان (صـبحي عبـد العزيـز أبـو سـتة الجـوهري)، والشـيخ أحمـد حسـن أبـو الخـير المصـري (عبـد الله رجـب)، وعبـد الله جعفـر الأردني، ووديـع الحـاج[9] (أبـو عبـد الله اللبنـاني)، وعصـام الليـبي، والشـيخ أبـو إبـراهيم العراقـي، والشـيخ أبـو أيوب العراقي وآخرون، رحم الله منهم الأموات، وحفظ من كان منهم على قيد الحياة.

---

(8) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

(9) حاليًا سجين في أمريكا منذ أكثر من عشرين سنة، وحُوكم بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة وتفجير السفارات في نيروبي ودار السلام. نسأل الله الكريم أن يعجّل بفكاك أسره.



الشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) على اليمين، مع سياف أثناء جولته الأولى كرئيس للاتحاد الإسلامي عام 1980م.

الشيخ كمال السنانيري – رحمه الله

وفي بادئ الأمر كان المجاهدون العرب – الذين يأتون للجهاد في أفغانستان في السنين الأولى قبل عام 1984م – ينزلون ضيوفًا في مضافات أحزاب المجاهدين الأفغان المختلفة، ثم يلتحقون بمعسكرات التدريب التابعة لهم، ومن بعدها بجبهاتهم المنتشرة داخل أفغانستان، حيث لم تكن هناك أي بنية تحتية من معسكراتٍ أو مضافاتٍ أو جبهاتٍ خاصة بالعرب.

الجهاد الأفغاني الفرصة الذهبية:

كانت قضية الجهاد الأفغاني آنذاك فرصةً ذهبية، ومنطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها، فاجتمع الجميع على الاتحاد السوفيتي، وكان لكل نيته وأهدافه؛ فاعتبرت الأنظمة العربية والإسلامية الاحتلال الروسي لأفغانستان فرصة مناسبة للتخلص من فائض العنف الذي بدأ يهدد أنظمتها وشرعيتها، وأرادت أمريكا هزيمة الاتحاد السوفيتي والانتصار في الحرب الباردة، بعد أن كال لها الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو ضرباتٍ موجعة في أكثر من مجال، فأوعزوا إلى وكلائهم في البلاد العربية والإسلامية بأن يسمحوا للشباب المجاهدين بأن يتوجهوا إلى أفغانستان. كذلك سمحوا لأجهزة إعلام تلك البلاد في الترويج للجهاد الأفغاني، وفي أن تُفتي مؤسساتها الدينية بأن الجهاد فرض عين في أفغانستان، وفي أن تترك المجال للدعاة والصالحين والأئمة أن

يحرضوا ويشجعوا الشباب على الذهاب إلى هناك، حتى بلغ الأمر أن تخفّض شركة الطيران السعودية ثمن تذكرة الطائرة من بلاد الحرمين إلى باكستان بنسبة 75%، ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخلية[10] لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانستان. كذلك أوعزت أمريكا لباكستان، بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان، وأن تسمح للعرب بحرية الحركة التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب وتقديم الخدمات اللوجستية للجهاد الأفغاني، فنجحت أمريكا في تلك الحرب الباردة، وحققت بكل جدارة تحسد عليها ما أسماه الرئيس الأمريكي السابق نيكسون في كتابه الشهير " نصر بلا حرب"[11].

لكن الحقيقة التي عمِيَ عنها نيكسون هي:

[[ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلًا... ويأتيك بالأخبار من لم تزود]]

فلو قُدّر لحُجُبِ الغيب أن تُكشف لأمريكا، وعلمت أن الدور قادم عليها، وأن الجهاد الأفغاني سيَخرُج من رحمه يومًا من الأيام رجالًا يمرّغون أنفها وكبريائها ورمز عزتها بالتراب، وتكون عملياتهم بفضل الله وحده سببًا رئيسيًا في انهيارها لفكّرت ألف مرّة، ولما خاطرت آنذاك بالإيعاز إلى وكلائها في البلاد العربية والإسلامية، بإعطاء الضوء الأخضر للشباب المجاهدين بأن يتوجهوا إلى أفغانستان، لكن يمكرون ويمكر الله، ولا يحيق المكر السيئ إلّا بأهله، فقد أيقظوا المارد الإسلامي الذي كانوا يخشون قيامه. يقول الشيخ عبد الله عزام في كتابه " الأسئلة والأجوبة الجهادية":

"واحد أمريكي اسمه (شخترمان) قدم تقريرًا سياسيًا للحكومة الأمريكية عن الجهاد الأفغاني قال: "What We Have Done? We Have Awakened The Giant" نحن ماذا فعلنا، لقد أيقظنا العملاق. هنالك كتب الآن توزع في السوق الأمريكية على أن الجهاد الافغاني لن يقف عند حدود جيحون، سيحرك الشعوب الإسلامية وسيقوّض بنيان الاتحاد السوفياتي من داخله، وسيقتحم البرنس مرة ثانية ويدخل فرنسا، ويدخل النمسا، وستعودين يا

---

(10) ملحوظة: هذه التذاكر لم تكن من أمريكا، ولكنها كانت من أموال التبرعات الشعبية لأفغانستان، التي سيطر عليها نظام آل سعود عبر هيئة الإغاثة الإسلامية، والهلال الأحمر السعودي، والهيئة الخيرية التي كانت تابعة لسلمان بن عبد العزيز.

(11) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف

أوروبّا تـدفعين الجزيـة مـرة ثانيـة للمسـلمين، كمـا دفعـتم خمسـة قـرون متتاليـه للدولـة العثمانيـة، وهنـا تضـطر أمريكـا – هكـذا يقـول لهـم، هـذا الرجـل الكاتـب – يقـول لهـم وعنـدها ستضـطر أمريكـا أن تخـوض المعركـة مـع الإسـلام، لـيس في داخـل أفغانسـتان ولافي داخـل الحـدود الإسـلامية، بـل في أواسـط أوروبّا، وعنـدها تنـدم حيـث لا ينفـع النـدم. نيكسـون قـال علـى التلفزيـون الأمريكـي: لقـد حان الوقت أن نتناسى خلافاتنا مع روسيا لنقف أمام الزحف الإسلامي".

الفريضة الغائبة[12]:

وبالـرغم مـن تقـاطع المصـالح بـين المجاهـدين والأنظمـة العربيـة والـولايات المتحـدة؛ إلا أن أجنـدة الجهـاديين كانـت مختلفـة تمامًـا، فقـد رأت الحركـات الجهاديـة أن أفغانسـتان تـوفر فرصـة مناسـبة للقيـام بواجـب الجهـاد " الفريضـة الغائبـة"، ومرحلـة مهمـة للإعـداد والتـدريب مـن أجـل القيـام بالانقضـاض علـى الأنظمـة الحاكمـة في العـالم العـربي. كـذلك أدرك الشـيخ عبـد الله عـزام والشـيخ أسـامة رحمهمـا الله، أن سـاحة أفغانسـتان فرصـة كبـيرة، يجـب أن تسـتغل بأفضـل مـا يمكـن أن تسـتغل بـه، فـلأول مـرة منـذ زمـن بعيـد يُنـاقش أمـر الجهـاد في العلـن، وفي صـفحات الجرائـد، وعلـى شاشـات التلفـزة بعـد أن كـان نسـيًا منسـيًا، فـأدراك الشـيخان – رحمهمـا الله – أن هـذا الضـوء الأخضـر العـالمي لـدعم الجهـاد ضـد الـروس، والتسـهيلات الـتي وافقـت ذلـك لـن تـدوم طـويلًا، وسـتنتهي وتقمـع بانتهـاء المهمـة المطلوبة منها.

وبنـاءً علـى ذلـك بـدأ الشـيخ عبـد الله عـزام – رحمـه الله – يجـوب الأرض مـن باكسـتان إلى أمريكـا، محرضًـا المسـلمين علـى الجهـاد. وكانـت عمليـة الدعايـة الواسـعة آنـذاك الـتي غطـى بهـا الشـيخ عبـد الله عـزام الجهـاد الأفغـاني، شـارحًا لهـذا المصـطلح الـذي كـاد أن ينـدثر في حيـاة المسـلمين، ومجيبًـا لكـل الأسـئلة الفقهيـة المتعلقـة بـه، ومفنّـدًا لكافـة الشـبهات الشـرعية الـتي اعترضـت طريـق الجهـاد في تلـك الفـترة عـبر وسـائله الإعلاميـة المختلفـة – خاصـة كتابيـه "آيات الـرحمن في جهـاد الأفغـان"، وكتـاب "الـدفاع عـن أراضـي المسـلمين أهـم فـروض الأعيـان" الـذي ألفـه عـام 1984م – بجانـب الجـولات الدعائيـة الهامـة الـتي كـان يقـوم بهـا الشـيخ أسـامة بـن لادن في بـلاد الحـرمين، قـد أدت إلى اسـتنفار المجاهـدين العـرب للقتـال في أفغانسـتان، فتقـاطروا بأعـدادٍ كبـيرة ليصـل عـددهم عـدة آلاف، كان أكثرهم من بلاد الحرمين واليمن ومصر.

---

(12) من دعوة المقومة الإسلامية العالمية ومن أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمّد. بتصرّف.

وكان الشيخ عبد الله عزام يقول: "**أريد أن يأتي من كل بلدٍ عربي ولو أربعين مجاهدًا، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد**"، ولقد حصل له – رحمه الله – أكثر مما اشتهى؛ فقد حضر إلى أفغانستان أكثر من أربعين ألف شاب عربي ومسلم غير أفغاني، وتدرب عسكريًا أكثر من نصفهم، وشارك في القتال أكثر من نصف الذي تدربوا، ولم يتجاوز عدد الشهداء ما يزيد عن نسبة زكاة المال 2,5%. فقد كانوا خلال ثماني سنوات زهاء ألف شهيد رحمهم الله تعالى[13].

دخول الشيخ أسامة أفغانستان أول مرة:

كان تردد الشيخ أسامة على الجماعة الإسلامية في لاهور، وعلى الشيخ عبد الله عزام في إسلام أباد، لتسليم التبرعات دوريًا وحثيثًا ومتواصلًا منذ اليوم الأول الذي سافر فيه في 10 يناير 1980م حتى الربع الأول من عام 1984م. وحتى ذلك التاريخ، كان الشيخ أسامة متهيبًا من الدخول إلى أفغانستان، نظرًا لأن نظام آل سعود – بسبب قرب أسرته منهم – كان قد طلب منه رسميًا ألّا يدخل إلى أفغانستان، ويبقى عند المهاجرين في بشاور، لأن الروس لو مسكوه أو أسروه سيكون ذلك دليلًا عليهم أنهم يدعمون المجاهدين ضد الاتحاد السوفيتي، لكن بعد أربع سنوات، وبتشجيعٍ من الشيخ عبد الله عزام لم يبالِ الشيخ أسامة بذلك المنع؛ فكانت زيارته الأولى إلى جاجي في رجب 1404هـ (ابريل 1984م)، وحضر وقتها غارة جوية عنيفة أسفرت عن سقوط طائرات ادعى سيّاف[14]– وكان موجودًا حينها – أنها أربع طائرات من بينها واحدة هيلوكوبتر. وعندما تطوف ذكريات تلك الأيام في ذاكرة الشيخ أسامة، يستعرضها بمرارةٍ كبيرة ويقول: "حتى عام 1404هـ، ظل التهيب من المشاركة الجسدية ماثلًا دائمًا أمام عيني، والأعذار كثيرة في هذا للمثبطين، وإن كان تثبيطهم بحسن ظن، حيث أنهم ألفوا هذا الجو في العالم الإسلامي، وعلى هذا الحال استمرينا للأسف، وأقول للأسف الشديد إلى رجب عام 1404هـ، حيث دخلنا لأول مرة معسكرات القتال والجهاد في الداخل"[15].

---

(13) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

(14) اسمه عبد ربّ الرسول سيّاف، كان آنذاك يرأس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان.

(15) معارك البوّابة الصخرية للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفي حامد). بتصرّف.

وجدير بالذكر أنه قبل ذلك التاريخ بعامٍ وأكثر، كانت هناك مجموعات عربية تقاتل في أفغانستان، ومن أشهرها مجموعة خوست التي ضمت كل من الشيخ أبو الوليد المصري حفظه الله، وعبد الرحمن المصري رحمه الله، وأبو حفص الكمندان رحمه الله، وأحمد حسن أبو الخير المصري رحمه الله، وصخري رحمه الله، ووديع الحاج اللبناني فكّ الله أسره.

وكان الشيخ أسامة – رحمه الله – قد تأثر تأثرًا عظيمًا بما رآه من حال الأفغان، وضعف امكاناتهم، وشدة وجبروت عدوهم، وتبين له عدم كفاية وسائل الوقاية من الغارات خاصة الخنادق والأنفاق، ثم طرق التحرك والإمداد، كذلك من خلال رحلته نحو قلعة تشاوني تبين للشيخ أسامة قلة الذخائر بشكل ملفت، وبعد مقابلته لوفد قادم من ولاية أخرى داخلية تبين للشيخ أيضًا أن نقص الذخائر أكثر فداحةً هناك. أيضًا تبين للشيخ أسامة أن الأموال لاتصل إلى مكانها الصحيح، وإذا أضفنا إلى ذلك نقص الطعام والملابس وكل شيء ذو أهمية للعمل الجهادي، شعر الشيخ أسامة بالذنب وبخطأ طريقته القديمة في ضخ الأموال، بدون متابعة وصولها إلى أهدافها المنشودة لخدمة الجهاد والمجاهدين. فقال واصفًا ذلك الحال: "فوجئت بالوضع متدنيًا جدًا جدًا من ناحية الإمكانيات وفي جميع الأشياء، الأسلحة والطرق والخنادق، واستغفرت الله سبحانه وتعالى العلي العظيم، وشعرت أنني أذنبت بسبب سماعي لبعض الإخوة والمشايخ والأحباب، فلم أدخل إلى الداخل خشية أن يسبب ذلك حرجًا أمنيًا، وشعرت أن هذا التأخير لأربع سنوات لا تكفره إلا شهادةً في سبيل الله"[16].

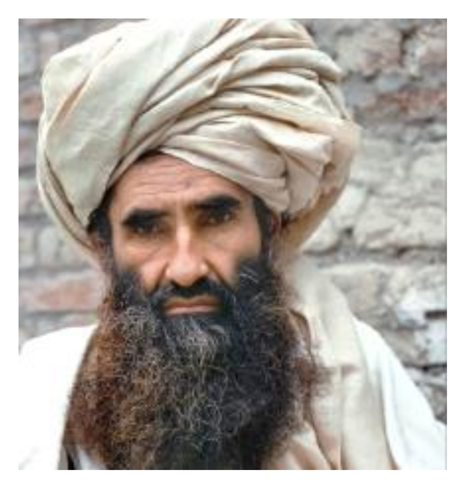
فكرة تأسيس مكتب الخدمات:

كانت المساعدات النقدية والعينية لقضية أفغانستان التي جاد بها المحسنون من العالم الإسلامي وعلى رأسهم الشيخ أسامة، والتي قدمتها بعض الدول وعلى رأسها دول الخليج، تقدر بمئات الملايين من الدولارات، تصبُّ كلها في خزينة الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان الذي يرأسه عبد رب الرسول سياف، وكان حينها يمثل الأمير الشرعي للجهاد الأفغاني، وكانت هناك شكوك كثيرة – تكشّفت فيما بعد – تدور حول نزاهة وأمانة وفساد هذا الرجل بالنسبة لوصول المساعدات إلى مستحقيها بحق، وهم المجاهدون في داخل أفغانستان.

---

(16)معارك البوّابة الصخرية للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفي حامد). بتصرّف.

وكـان الشـيخ جـلال الـدين حقـاني رحمـه الله، قـد جـاء بمشـروعٍ مكتـوب، عرضـه علـى الشـيخين عبـد الله عـزام وأسـامة بـن لادن في موسـم حـج 1404هـ (سـبتمبر 1984م)، يضـمن وصـول المسـاعدات، وتقـديم الخـدمات بواسـطة الإخـوة العـرب، مـن خـلال دخـولهم الجبهـات، ودراسـة الأوضـاع علـى الأرض، ثم تقـديم المسـاعدات والتبرعـات حسـب الاحتياجـات الميدانيـة مباشـرة إلى المجاهـدين، بـدون المـرور علـى قيـادات بشـاور الـتي عجـت بالفسـاد والتـدخل الأجنـبي، والتنـافس علـى الزعامة، وأصبحت عقبة ومانع لوحدة المجاهدين في الداخل(17).



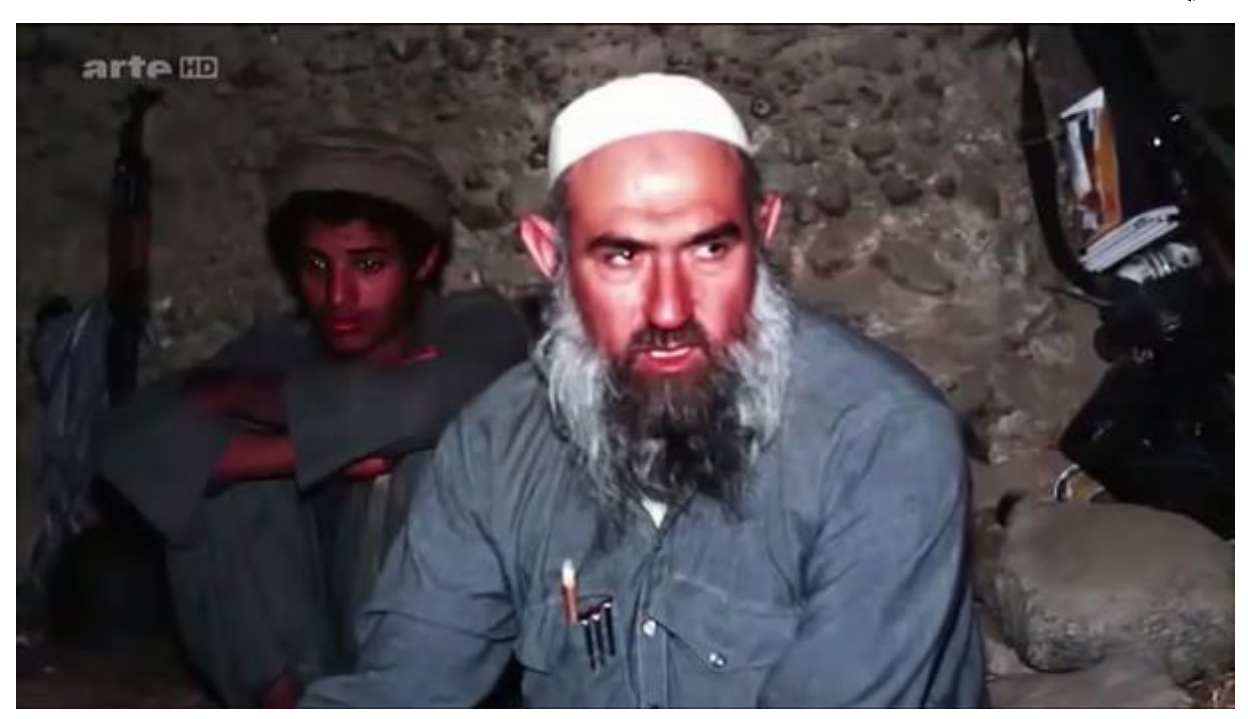
الشيخ جلال الدين حقاني – رحمه الله

وافـق الشـيخان عبـد الله عـزام وأسـامة بـن لادن علـى المشـروع وتحمّسـا لـه، ولكـن بغطـاءٍ شـرعيٍ عـبر سـياف الـذي كـان موجـودًا أيضًـا في مكـة. فهـم سـياف مغـزى المشـروع وأنـه يسـتهدف مكانتـه المهيمنـة علـى السـاحة الأفغانيـة، ولكنـه أسـرع إلى احتوائـه بجعلـه تحـت إشـرافه، علـى أن يكـون تحـت لافتـه "الاتحـاد الإسـلامي لمجاهـدي أفغانسـتان" الـذي يرأسـه، ولتفعيـل هـذا المشـروع سـرعان مـا تأسـس مكتـب الخـدمات بعـد الحـج مباشـرة، وأصـبح هـو المسـتودع الأكـبر لتبرعـات المسـلمين للجهـاد في أفغانسـتان، خاصـة التبرعـات القادمـة مـن بـلاد الحـرمين ودول الخلـيج. وكـان الشـيخ أسـامة قـد تكفـل

(17) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) بتصرف.

سكنًا وتذكرةً ومصروفًا وأسرةً لكل عربي يرغب في التفرغ للعمل في مكتب الخدمات، منذ خروجه من بلده وحتى يعود إليها[18].

وكان المشرف علي مكتب الخدمات هو الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وتشكلت إدارة المكتب من عدة لجان هي اللجنة العسكرية، واللجنة الإدارية، ولجنة التدريب، ولجنة الترحيل (وهي خاصة بترحيل القوافل إلى داخل الأراضي الأفغانية). أيضًا انبثقت من مكتب الخدمات باقي أنشطته التي كان من أهمها تأسيس معسكر التدريب في صدى، وتأسيس مجلة الجهاد، ثم قيام الشيخ عبد الله عزّام بأسفار ورحلات دعائية، ألقى خلالها عشرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشد للجهاد الأفغاني، وحث الشباب على الرحيل إليه، والاستفادة منه، وأداء فريضة الجهاد، وكان باكورة كتبه " آيات الرحمن في جهاد الأفغان " ثم كتاب " الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان " الذي أفتى فيه بفرضية العين على جميع المسلمين من غير ذوي الأعذار، للذهاب للجهاد في أفغانستان.



شيخ المجاهدين عبد الله عزام – رحمه الله

(18) المصدر السابق. بتصرف.

وتأييدًا لتلك الفتوى استطاع الشيخ عبد الله عزام الحصول على أكثر من ثمانين توقيعًا من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي، وعلى رأسهم كبار علماء بلاد الحرمين الشيخ ابن باز رحمه الله، وكذلك من بعض مشايخ الأزهر، وبعض الكبار من علماء ودعاة الإخوان المسلمين من أقطار عديدة، وكذلك من بعض علماء الباكستان وسواهم، وقد لعب هذا الكتاب وتلك الفتوى دورًا مهمًا في عملية التحريض[19].

بدايةً استوعب مكتب الخدمات للعمل كل الإخوة العرب الثلاثين المقيمين في بيشاور. وكان مفهوم الشيخ عبد الله عزام الذي دافع عنه بكل ما يملك من قوة، عن دور العرب الذين يعملون في مكتب الخدمات، هو دعوة الأفغان وتثقيفهم إسلاميًا، وإصلاح ذات البين في حال ظهور منازعات في الجبهات بين أتباع المنظمات الأفغانية، ورفع الروح المعنوية للأفغان بالتواجد الميداني معهم، ومشاركتهم قتاليًا بما تيسر، وكان يرى أن الأفغان أقدر على القتال في بلادهم من العرب، وأنهم ليسوا في حاجة إلى رجالٍ للقتال[20].

ميدانيًا كان نشاط مكتب الخدمات يتمثل في "مشروع الترحيل"، أي نقل كل ما يحتاج له المجاهدون من دعم لوجستي من مهام وعتاد عسكري وتموين إلى مراكزهم داخل أفغانستان في قوافل من البغال عبر المسالك الجبلية. وكانت كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر مكدسةً في منافذ التهريب الحدودي، بدعوى أن الأحزاب لم تسلم لأصحابها أجرة النقل، وهي تكاليف باهظة تصدى لها مكتب الخدمات لحل المشكلة، حيث أقام مراكز في تلك المناطق لوزن الشحنات، ودفع أجرة النقل لأصحاب الدواب، وكثيرًا ما كان يرافق القوافل عدد من الشباب العربي، للإشراف على توزيع معونات المكتب داخل الجبهات[21].

---

(19) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

(20) معارك البوّابة الصخرية. للشيخ أبو الوليد (مصطفى حامد) بتصرّف.

(21) معارك البوّابة الصخرية. للشيخ أبو الوليد (مصطفى حامد) بتصرّف.



قافلة من البغال تنقل المؤن والعتاد العسكري لداخل أفغانستان

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، ينفق شهريًا حوالي نصف مليون روبية باكستانية لمصاريف المكتب فقط، أي حوالي خمسة وعشرين ألف دولار أمريكي. يقول الشيخ الإمام عبد الله عزام – رحمه الله– في وصيّته وهو يتحدث عن مكتب الخدمات: "وأدعو كثيرًا لمن تكفل هذا المكتب بماله الخاص، وهو الأخ أبو عبد الله أسامة بن مُحَّد بن لادن، أدعو الله أن يبارك له في أهله وفي ماله، ونرجو الله أن يكثّر من أمثاله، والله أشهد أني لم أجد له نظيرًا في العالم الإسلامي، فنرجو الله أن يحفظ له دينه وماله وأن يبارك له في حياته"[22].

كانت فكرة مكتب الخدمات خطوة استراتيجية كبيرة، لكن كان عيبها الأساسي هو عدم اهتمامها بدور قتالي للعرب، فالشيخ عبد الله عزام لم يلتفت إلى ذلك الجانب، الأمر الذي سبب له مشاكل في المكتب تجلت في الصراعات الوظيفية، والتناحر والتنافس على الامتيازات. وأصبح المجاهد العربي– إضافةً إلى حالة الفوضى والعجز الاداري في المكتب – تائهًا بين كونه صحفيًا غير مؤهل، وبين كونه موظفًا في هيئة إغاثة يجمع المعلومات عن الجبهات واحتياجاتها، وبين كونه فاعل خير يُصلح بين المجاهدين الأفغان والكومندانات، ويُنشئ لهم معسكرات لإصلاح ذات البين وإماتة الحزبية، كما أدى ذلك أيضًا إلى انفصال الشيخ أسامة فيما بعد، حينما شرع في خوض العمل القتالي بنفسه بعد ذلك بأكثر من عام[23].

(22) أُسامَةُ بن لادِنْ مُجددُ الزمانِ وقَاهِرُ الأمْرِيكَانِ تأليف أبي جندل الأزدي

(23) معارك البوّابة الصخرية للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفي حامد). بتصرّف.

جـدير بالـذكر أنـه فيمـا بعـد، بعـد نجـاح الشـيخ أسـامة في معركـة جـاجي وهزيمـة الكومانـدوز الروسي، اقتنع الشيخ عبد الله عـزام بجدوى مـا ذهـب إليـه الشـيخ أسـامة بضـرورة ممارسـة العـرب للـدور القتالي، واتفقوا معًا على الجمع بين الدعم الخدماتي والعسكري للجهاد الأفغاني.

وفيمـا تبقـى مـن عـام 1984م وطـوال عـام 1985م، لم يكـن الشـيخ أسـامة قـد ألقـى ثقلـه المباشـر علـى السـاحة الأفغانيـة، وربمـا علـل ذلـك بأن مكتـب الخـدمات ونشـاط الشـيخ عبـد الله عـزام يكفيان للهدف المنشود، وهو إيصال الإمدادات العربية إلى المجاهد الأفغاني داخل الجبهات[24].

تأسيس بيت الأنصار في بيشاور عام 1985م[25]:

وكـان مكتـب الخـدمات قـد أسـس بيتـين كمضـافاتٍ للمجاهـدين العـرب في بيشـاور، وسمـي هـذين البيتـين باسـم أول شـهيدين عـربيين في أفغانسـتان، وهمـا "أبـو حمـزة الفلسـطيني وأبـو عثمـان الفلسـطيني" رحمهمـا الله، ثم مـا لبـث بيـت أبي حمـزة أن أغلـق بعـد فـترة وجيـزة، وبقـي بيـت أبي عثمـان، ثم جـاء رجـلٌ مـن الجزيـرة اسمـه فيصـل ثنيّـان، أراد شـق الصـف لحسـاب جهـات أخـرى، فقـام بتأسـيس بيـت آخـر في بيشـاور، جمـع فيـه مـا هـب ودب مـن الـرواد، وأصـبح يـتردد عليـه أنـاس قـد تسـرب التثاقـل إلى نفوسـهم، وخـارت هممهـم، وأخـذ الشـيطان يعـزز في نفوسـهم دوافـع التثبـيط الـتي تشـرّبتها نفوسـهم، ولم تكـن افكـارهم منسـجمة مـع توجهـات المجاهـدين وطموحـاتهم، فـاجتمع حينهـا شمـل المجاهـدين العـرب بقـادتهم الشـيخ عبـد الله عـزام، والشـيخ أسـامة وأبـو الحسـن المـدني (وائـل جليـدان)، واتفـق الثلاثـة علـى استئجار وتمويل بيت واسع عام لكل المجاهدين، وسمّوا ذلك البيت "بيت الأنصار".

كـان البيـت كبـيرًا ومتعـدد المرافـق، ذو سـاحاتٍ واسـعة، وأوكلـت مهمـة إدارتـه للشـيخ عبـد الله عـزام، فوضـع الشـيخ عبـد الله في إدارتـه خـيرة الإخـوة، وهـم الشـيخ أبـو هـاجر العراقـي (ممـدوح محمـود سـالم)[26] – فـك الله أسـره – وأبـو روضـة السـوري – رحمـه الله – وعبـد الله جعفـر "خالـد الاسمـر" الأردني، وأبو سليم السوري، وأبو عبد الله اللبناني (وديع الحاج)، فك الله أسره.

---

(24) معارك البوّابة الصخرية للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرّف.

(25) الفقرة كاملة من كتاب " فرسان الفريضة الغائبة الزرقاوي والجهاد الأفغاني"، لصالح الهامي. بتصرّف.

(26) اعتقل في سبتمبر 1998م في ألمانيا عقب تفجير سفارتي نيروبي ودار السلام، وتم تسليمه للولايات المتحدة في ديسمبر 1998م، حيث حُوكم بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة، حاليًا أسير في سجن ADX Florence الواقع في ولاية كولورادو بأمريكا، نسأل الله أن يعجّل بفكاك أسره.



الشيخ أبو هاجر العراقي

(ممدوح محمود سالم)

فكّ الله أسره



الشيخ عبد الله جعفر

(خالد محمود عبد الوهاب

الأسمر) حفظه الله





أبو عبد الله اللبناني

(وديع الحاج) فكّ الله أسره



بيت الأنصار في بشاور

وكان المجاهدون من مختلف جبهات أفغانستان يجمعهم بيت الانصار، يلتقون في استراحة المجاهدين مع أحبتهم الجرحى، ويتواصلون فيما بينهم، ويتواعدون على اللقاء في الجبهات، وكانت

المشاعر جياشة، يفيض في القلوب الإيمان، فكانت اهتماماتهم جهادية، وأفكارهم عليّة، وتصوراتهم مستقبلية، هممهم تناطح السحاب، يرومون نصرة رب الأرباب في الدفاع عن حرمات الدين وبلاد المسلمين، يتسامر المجاهدون بحديث الشهداء والجبهات، ويتواصون فيما بينهم على طاعة الله ورسوله ولقائهم في الجنة، وكم من مرة تصاحب مجاهدان في بيت الأنصار، فكان فراقهما بالشهادة، وكم من مرة تواعد مجاهدان ثم لم يلتقيا لأجل الجهاد، فقد كان بيت الأنصار ذكرى الراحلين الى الخلود، وموطئ أقدام أفذاذ الرجال والأسود، الذين كانوا يبحثون عن الموت مظانّه، لا تراهم يسمعون عن جبهةٍ ساخنةٍ الا ولّوا شطرها لا يلوون على شيء، حتى أذا ما انتهت عادوا لينطلقوا إلى جبهةٍ أخرى، وهكذا دواليك، أمنيتهم طلب الشهادة وتحقيق رضا الله بعملهم، فكان بيت الأنصار محطة انطلاقة المجاهدين، وزادهم ومدرستهم الإيمانية، ينهلون منه دروس الإيمان والجهاد ليخوضوا غمار الحروب، على بصيرة الشيخ عبد الله عزام، والشيخ تميم العدناني، والشيخ أسامة بن لادن رحمهم الله جميعًا. وبقي المجاهدون على هذا الحال مدة طويلة، يتفيؤون فيها ظلال النفحات المباركة، ويعملون بروح الفريق الواحد.

وبعد سنين من إدارة مجموعة الشيخ عبد الله عزام لبيت الأنصار، تغيرت ادارة البيت واستلمها بعض الشباب من الجزيرة العربية، وكانت أعداد المجاهدين آنذاك قد بدأت في تزايد – خاصة من دول الخليج واليمن – واقترب المجاهدون من بعضهم البعض، وأصبحوا يتجمعون حول جنسياتهم.

وكانت ساحة بيشاور أيضًا تعج بتناقضات فكرية وسياسية، وكانت هناك قضايا ومسائل خلافية، أصبحت تُناقش وتُؤصّل تأصيلًا علميًا وشرعيًا، حسب تصورات بعض المجاهدين، وأدى ذلك إلى وجود حساسيات بين بعضهم البعض، ولم يكن هذا الوضع مقبولًا عند ادارة بيت الأنصار الجديدة، فقد كان النقاش حول بعض المسائل يُمنع الخوض فيه حفاظًا على ذات البين بين المجاهدين المنتسبين للبيت، وأدى ذلك الأمر إلى أن تسير الأمور نحو الاتجاه العنصري والعرقي، مما حدا ببعضهم إلى البحث عن مصادر تمويل أخرى لبيوتهم من محبي الجهاد ومعارفهم في بلادهم، وساهم هذا الأمر في تعدد بيوت المجاهدين العرب حسب جنسياتهم، فأصبح للمجاهدين بيوتٍ كثيرة. فمثلًا كان هناك بيت للجزائريين، وبيت لليبيين، وبيت للعراقيين، وبيت للسودانيين، وبيتان لليمنيين وغيرهم، اضافةً الى بيت الشهداء التابع لمجاهدي أهل الشام، الذي تأسس بدون علم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله.

قرار الشيخ أسامة الإقامة في ساحة أفغانستان:

وبعد أن كثرت عليه الشكاوى من أداء مكتب الخدمات، بات الشيخ أسامة على قناعة كافية بأن أسلوب المساعدات الماضية، التي لا تكاد تبلغ الجبهات غير صحيح؛ فقرر في بدايات عام 1986م أن تكون إقامته دائمة، ليعمل بنفسه ميدانيًا لسد الثغرات القائمة، كذلك قرر الشيخ أسامة – إضافةً إلى دفع الأموال والتبرعات – أن يطور دعمه للجهاد الأفغاني، وذلك بالتوسع في تنظيم العملية الجهادية القتالية. فقرر أن تكون له معسكراته وخطوط إمداده، وأن يقوم بحكم خبرته المتخصصة وتجربته في حفر أنفاق مكة الشهيرة، بمشاريع تنفع المجاهدين، وذلك بإنشاء الطرق في الجبال، وحفر الأنفاق والمخابئ الهائلة لحماية المجاهدين الأفغان من القصف الجوي.

وكانت هذه المشروعات بالتنسيق مع أشقائه في مؤسسة بن لادن الضخمة، الذين ساعدوه مساعدة فعالة بإرسال معدات الحفر والشاحنات والبلدوزرات الضخمة ومولدات الكهرباء إلى داخل أفغانستان، وعن ذلك يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"ازدادت قناعتي بعدما رجعت من زيارة أفغانستان بأهمية الطرق والأنفاق للمجاهدين هناك، الطرق نظرًا لقلتها وضيقها إن وجد منها شيء، والأنفاق حتى يضع المجاهدون أسلحتهم ومستشفياتهم وأماكن راحتهم في الجبال بعيدًا عن قصف الطيران. ولكن وبكل أسف، لم أبدأ الفكرة حتى عارضني الكثير من الناس، وأقصد هنا بالناس الطيبين المحبين للجهاد والإسلام، وذلك لشدة الهالات الملقاة على عقول المسلمين عن الكفار الروس والأمريكان، أنهم قوى عظمى، وأنهم لا يقهرون، وأن لديهم الأجهزة والاستخبارات وما شابه ذلك، وأكثرها مضخّم كثيرًا عن حقيقته، ولو آمن الإنسان بهذا التضخيم لما تحرك، فقيل لي أولًا: كيف ستخرجها من المملكة؟ ثانيًا: كيف ستدخلها إلى باكستان وبأي صفة؟ ثالثًا: المنطقة التي ستعمل فيها (جاجي)، المشهور أن فيها عددًا من غير الموالين للمجاهدين، الذين ينقلون الأسرار للأعداء، وأنت لا تحمل دراجة عادية، هذه الآليات أشبه بالمدرعة، فأول ما تدخل ستأتي الطائرات وتضربها، قلت: والله إذا حدث هذا، فقد أعذرنا إلى الله سبحانه وتعالي، ومن فضل الله، يسر سبحانه وتعالى هذا الأمر كله، من خروجها إلى دخولها وحتى وصولها إلى هنا، أدخلناها باسم المجاهدين عن طريق الهلال الأحمر السعودي"[27].

---

(27)طلقة في سبيل الله للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفي حامد). بتصرّف.

وبالفعل بدأ الشيخ أسامة العمل بنفسه في شق الطرق وحفر الخنادق والكهوف، وكان قد اختار مجموعة لتدريبهم على هذه الأعمال، وكان ذلك في شهر أغسطس عام 1986م، واختاروا موقعًا لهم في منطقة جاجي أطلقوا عليه العرين، وكانت تلك هي البداية.



الشيخ أسامة على البلدوزر يعمل بنفسه في عملية شق الطرق في جبال أفغانستان

قصة مأسدة الأنصار[28]:

وفي حديثٍ طويلٍ أجراه معه الصحفي عصام دراز في أفغانستان وفي جدة، يروي الشيخ أسامة – رحمه الله – قصة النواة الأولى لتنظيم القاعدة؛ مأسدة الأنصار، فقال رحمه الله:

" الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فمن باب الحديث بالنعمة، التي منَّ الله سبحانه وتعالى علينا، وتحريضًا للمؤمنين على هذا الأمر العظيم، فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام 1399هـ، سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في أفغانستان، فذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرة إخواننا المسلمين

(28) القصة مأخوذة من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف.

في أفغانستان، واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن منّ الله عليّ ودخلت أفغانستان، وكان وضع المجاهدين ضعيفًا في العدد والعدة، خاصة مستلزمات القتال، وشعرت بأننا مقصرون في حق إخواننا الأفغان إذا لم نقم بكامل واجبنا نحوهم، وإن أفضل ما يكفر عن هذا التقصير، أن يقتل الفرد وهو يجاهد في سبيل الله".

وعن بداية تكوين المأسدة يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

" لاحظت اهتمام الأفغان وسرورهم بوجود العرب بينهم، وكان الوجود العربي يزيد الأفغان قوةً وإيمانًا، وترتفع معنوياتهم ارتفاعًا كبيرًا، وكان من شدة محبة الأفغان للعرب أنهم كانوا يعاملونهم كضيوف، فلم يكلفوا العرب بأي مهام عسكرية وقتالية، وكان الشباب العربي يتأذى من ذلك لأنهم يريدون العمل كمجاهدين، ولهذا فكرت في إنشاء مكان لاستقبال الإخوة العرب لإعدادهم للقتال، واستأذنت من أمير الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان عام 1404هـ (1984م) في إنشاء معسكر (صدى) في منطقة قريبة من الحدود حتى يتدرب الإخوة، وقد بلغ عدد الإخوة الذين انضموا للمعسكر في ذلك الوقت حوالي مائة أخ، وكان هذا العدد قليل؛ لأن الشباب العربي تربى في بلاده على حياة بعيدة عن العزة الحقيقية بالجهاد والذود عن الدين، وكان كثير من الشباب يعتبر الجهاد نافلة من النوافل وأمر مندوب.

كان ذلك في الصيف، وعندما انتهى الصيف وبدأت الدراسة، إذ بأكثر الإخوة الذين كانوا معنا انصرفوا عائدين إلى أوطانهم يراجعون دراستهم، رغم أن الذين حضروا من خير الإخوة، ولم يبق إلا عدد قليل جدًا دون العشرة أفراد، فمنَّ الله علينا فأنشأنا معسكرًا في منطقة جاجي داخل أفغانستان وذلك للتدريب، وكنا ندرب أنفسنا بالخبرات الموجودة لدينا، واستمر الحال على ذلك وكنا حوالي خمسين فردًا، وتكرر ما حدث في السابق، فمع الشتاء انصرف معظم الموجودين، فلم يكن هناك وعي كامل بأهمية نصرة هذا الدين، وضرورة قتال الكفار حتى يكون الدين كله لله.

بعد ذلك منّ الله علينا في أواخر عام 1406هـ، وأوائل عام 1407هـ (سبتمبر 1986م)، أن عزمنا على البقاء في منطقة جاجي داخل أفغانستان، حتى لو كنا عددًا قليلًا، وكنا في ذلك الوقت أحد عشر شخصًا، معظمنا من المدينة المنورة، مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، أذكر شفيق بن إبراهيم المدني رحمه الله، وطالب عبد العزيز النجار (أبو قتيبة) السوري الحموي المدني،

وأخـونا أسـامة بـن مـلا حيـدر المـدني المعـروف ب (أسـامة ازمـراي)[29]، وأخـونا أبـو معـاذ السـعدي مقـيم في المدينـة وفلسـطيني الأصـل، وأخـونا أبـو رجـاء حسـان الأنصـاري مـن المدينـة أيضًـا، وأخـونا عبـده أحمـد حمـود عثمـان المخـلافي، وأخـونا علـي السـوداني، وأخـونا مُحَمَّد بـن عبـد السـلام المعـروف بأبي أنيس، وأخونا أحمد حسين بخشي من سكان المدينة المنورة.

كنـا أحـد عشـر أخًـا، وكنـا نعمـل في شـق الطـرق وإنشـاء الأنفـاق في بطـن الجبـال وكـذلك المخـابئ، وذلـك لحمايـة المجاهـدين الأفغـان، ولكننـا كلفنـا شـفيق رحمـه الله وأسـامة حيـدر لمتابعـة الأمـور العسـكرية في المنطقـة، وممـا هـو جـدير بالـذكر، أن كـل هـؤلاء الإخـوة كـانوا في حـدود العشـرين مـن العمـر، أكـرمهم الله، كـانوا قـد تركـوا دراسـتهم وحضـروا للجهـاد في سـبيل الله، واسـتمر الحـال في العمـل، وأخـبرنا شـفيق وأسـامة حيـدر بعـد قيـامهم بالاسـتطلاع، أن هنـاك جبـل مشـرف علـى مواقـع العـدو، ويكشـف حصـن تشـاوني الـذي يسـيطر علـى المنطقـة، ويتحصـن بـه الشـيوعيون، ويـتحكم في الـوادي الـذي يعـبر الحـدود إلى باكسـتان، وهـو خـال مـن المجاهـدين. فـزرت هـذه المنطقـة فوجـدت أنها فعـلًا منطقـة خطـيرة وحساسـة جـدًا، فسـألت عـن سـبب عـدم وجـود مجاهـدين في هـذه المنطقـة رغـم أهميتهـا، فقيـل لي إن الشـتاء والثلـوج تقطـع الطـرق، ويتوقـف الإمـداد لكثـرة القصـف علـى تلـك المنطقـة، كـان في نيتنـا أن يكـون لنـا مركـز خـاص بالعـرب ضـمن المراكـز الـتي نقـوم بإنشـائها، ولهـذا قـررنا إنشاء مركز للعرب في هذه المنطقة التي اخترناها، وأطلقنا عليها اسم " مأسدة الأنصار".

وكـان الشـتاء علـى الأبـواب وهـو شـتاء بارد، والثلـوج تمنـع الحركـة تمامًـا. وقـد سـأل الشـيخ أسـامة عـن قـادة المنطقـة للتنسـيق معهـم، واتصـل بقائـد معـروف اسمـه عبـد السـميع، وهـو قائـد معـروف في المنطقـة كـان يحتـل موقعًـا قريبًـا مـن العـدو في المنتصـف تقريبًـا، اقـترح الشـيخ علـى القائـد الأفغـاني عبـد السـميع ألا ينسـحب في الشـتاء ويبقـى مكانـه، وسـوف يـتم إنشـاء ملاجـئ تحميـه مـن الثلـوج، إلا أن القائـد الأفغـاني رفـض، لأن الثلـوج تمنـع وصـول الحيـاة وباقـي الإمـدادات، وعـرض عليـه الشـيخ أسـامة أن يمـده بالمـاء وكافـة الإمـدادات بشـرط ألا يـترك المنطقـة في الشـتاء، وبنـاء علـى ذلـك قـام الشـيخ أسـامة في نصـب أول خيمـة في مأسـدة الأنصـار، وكـان ذلـك يـوم 24 أكتـوبر عـام 1986م

(29) حاليًا أسير في سجون أمريكا، فقد كان من المشاركين مع رمزي يوسف في مخطط البوجينكا، وأسر في ماليزيا في ديسمبر 1995م، وسلّم بعدها إلى أمريكا.

(20 صفر 1407هـ). وكان هذا التاريخ هو تاريخ شراء أول قطعة سلاح من أسواق باكستان، وهو رشاش جرينوف حمله الأخ أزمراي، وهو يعتبر أول يوم في إنشاء مأسدة الأنصار"[30].

" لم يبق إلا ثلاثة إخوة عندما بدأنا العمل، الأخ شفيق، والأخ أسامة ملا حيدر (أزمراي) فكّ الله أسره، وأنا، أما باقي الإخوة فكانوا إما في إجازة أو في أشغال أخرى، وكنا في ذلك الوقت في حاجة ماسة لأي أخ يأتي معنا نظرًا لوحشة المنطقة، وبعدها من المجاهدين الأفغان وقربها من العدو، ولا يمكن أن يتيسر لثلاثة فقط العمل والحراسة في نفس الوقت.

حاول أحد الإخوة أن يثنينا عن العمل وكان في زيارة لنا، فحاول مع الأخ شفيق وأسامة، ولكن منَّ الله علينا بأخين آخرين كانا متوجهين إلى جبهة أخرى داخل أفغانستان، وكان أحدهم اسمه أبو الذهب، مصري من أصل سوداني، فقبل أن يذهب حضر لي وقال: إننا نحب أن نبقى معكم، فسررت بذلك سرورًا عظيمًا، وأثناء تحركنا للعمل في المنطقة التي أخذناها، كان الطريق مكشوفًا وظاهرًا للعدو، فكان العدو يقصف علينا، فكنا ننزل وننتشر من السيارة ثم نتحرك من جديد.

كانت هذه الفترة من أجمل أيام الإنسان، حيث كنا مرابطين بالقرب من العدو، وفي نفس الوقت نقوم بإنشاء الطرق وحفر الخنادق، كنا نعيش في خيمة واحدة، وانضم إلينا الأخ ذبيح من أهل الطائف، واسمه مُحَمَّد بن المبارك، كنا في خيمة واحدة، صلاتنا سويًا، قراراتنا سويًا، أكلنا في نفس المكان، وكنا نتناوب الحراسة، وكنا نشعر بوحشة شديدة لأن المكان مخيف للطرفين للعدو ولنا، وكان الفرد منا لا يستطيع أن يبتعد كثيرًا عن مركز الخيمة، لأنها منطقة غابات موحشة، ناهيك عن قربها من العدو، فاستمرينا على ذلك الحال فترة طويلة، ثم أرهقتنا الحراسة فطلبنا أحد الإخوة، فحضر أخونا صالح الغامدي المعروف بحمزة الغامدي (صالح سعيد آل بطيح)، وازداد العدد فوصل إلى سبعة، ومع ذلك كنا متفائلين ومستبشرين بأن يزيد عددنا، وبالفعل وصل العدد خلال شهرين إلى أربعين أخ.

بعد ذلك جاءنا أخونا أبو حنيفة حسين عجيب، ثم جاء مُحَمَّد الصخري وهو من الناس الذين لم تكن لهم وقفة تردد، رأيته في الحرم النبوي، وكنت عازمًا على السفر ورأيته بعد صلاة الفجر، وكان أبو حنيفة قد أخبرني بأن هناك أحد الإخوة يريد أن يذهب إلى أفغانستان، وأن هذا الأخ

(30) مأسدة الأنصار العرب بأفغانستان. عصام دراز.

يريد أن يكمل دراسته هذا العام ثم يحضر في الصيف، التقيت بالصخري وتكلمت معه بضعة دقائق، فانشرح صدره وعزم على الذهاب معنا غدًا، فعلم واجبه وترك الدراسة والشهادة والدنيا، ومكث معنا حوالي أربع سنوات إلى أن منَّ الله عليه بالاستشهاد في جلال آباد".

وفي سؤال للشيخ أسامة عن كيفية اختيار اسم مأسدة الأنصار؟ قال:

" تشاورنا في تسمية الموقع، فاختار الإخوة عدة أسماء، فانشرح الصدر على اسم المأسدة، وأخذنا هذا الاسم من بيت شعر لأحد الصحابة ﷺ، كان يمدح الرسول ﷺ. يقول بيت الشعر:

[[من سره ضربًا يمعمع بعضه بعضًا... كمعمعة الإباء المحرق

فليأت مأسدة تسن سيوفها... بين المزاد وجذع الخندق]]

رجع أخونا أبو حنيفة لتحريض الشباب، فغاب عنا ثلاثة وعشرين يومًا، رجع بثلاثة وعشرين رجلًا. واستمر العدد في الزيادة، وكنا نشعر بأهمية هذا التجمع، ويسألني الإخوة هنا لماذا تميزتم؟ فإن لذلك التميز أسبابًا كثيرة، حيث أن الأخ يأتي من بلاده والجهاد كده، فتجتمع عليه عدة أمور، منها الجهاد والغربة في اللغة، والغربة في الطقس والتضاريس، لهذا فإن وجوده مع إخوانه يزيده صبرًا".

مواجهات شعبان 1407هـ (أبريل 1987م)[31]:

خلال فترة إنشاء المأسدة، تم إنشاء سبعة غرف بها حوالي سبعين شابًا عربيًا، مستعدين للتضحية والاستشهاد، وهي غرفة القيادة، ومركز بدر، وغرفة الزيكوياك (مدفع مضاد للطائرات)، وغرفة الطائف، ومستودع الأغذية، ومستودع السلاح والمطبخ. وكان الشباب يلحون على الشيخ أسامة في طلب القيام بعمليات عسكرية، وكان الشيخ يحاول أن يهدئهم ويدربهم على الصبر، ويقنعهم بضرورة إنشاء الموقع وإكمال التحصينات أولًا، وكان ذلك في غاية الصعوبة على الشيخ أسامة، وكان أيضًا صعبًا على الشباب، أن يظل يعمل وينشئ الملاجئ والتحصينات سبعة شهور دون عمليات.

(31) من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف.

وفي إحدى المرات عندما بدأت الثلوج في الذوبان، انتهز الشباب فرصة غياب الشيخ أسامة في بيشاور، وكان قد خلّف بعده أميرًا للمأسدة الشيخ أبي هاجر العراقي - فك الله أسره. وتحت إلحاح الشباب لمدة ثلاثة أيام متواصلة، وافق الشيخ أبو هاجر إرضاءً لهم على القيام بعملية صغيرة عبارة عن مناوشة لأحد المواقع، وعن هذا الأمر يقول الشيخ أبو هاجر: "وبعدما ألحوا عليّ طوال ثلاثة أيام حتى دمروني، رضخت آخر الأمر ووافقت أن آخذهم في عملية وتهيأت، وكان الشيخ تميم من أول المتحمسين فسبقنا وهبط إلى تحت، وكأنني سمعت أنهم قالوا بأنه أرسل إلينا خبرًا بأننا سنلتقي في الجنة. كانت عبارة ضحكت منها، فكيف يكون القتال بهذه الطريقة وبهذه البساطة". وكان أبو محمود السوري من المعارضين لهذه العملية، فقال له الشيخ أبو هاجر: "لا تُتعب نفسك يا أبا محمود، إن شاء الله سأمضي معهم وإن كنت أعرف أن هذا العمل خطأ، ولئن يذهبوا معي خيرٌ من أن يذهبوا بدوني". استشهد في هذه المناوشة الأخ أحمد الزهراني، وهو من مدينة الطائف، حيث أصيب بقذيفة هاون، وكان رحمه الله أول شهيد سقط في المأسدة، وكان عمره عشرين سنة.

كان الشيخ أسامة مهتمًا باستكمال تحصينات المأسدة بالشكل الكافي قبل شن أي ضربة قوية ضد العدو، وبعد أن تم له ذلك، بدأ الإخوة يعدون أنفسهم للقيام بضربة كبيرة ضد مواقع العدو في الوادي. وكانت أول عملية يقوم الشباب العربي بتنظيمها وإعدادها في المأسدة، هي عملية 17 شعبان عام 1407هـ الموافق 17 نيسان إبريل عام 1987م. وكان أبو خالد الضابط، وهو من قيادات تنظيم الجهاد، وضابطًا سابقًا في الجيش المصري، هو الذي وضع فكرة العملية الأساسية. وكانت خطة أبو خالد، أن يتم الاستيلاء على موقعين مهمين من مراكز العدو في الوادي، وهما أقرب مركزين للمأسدة، تحت ستار من التمهيد المدفعي، ثم الانسحاب بعد أخذ الغنائم وتدمير الموقعين. وكان الهدف الأساسي من هذه الضربة هو، اكتساب خبرة قتالية عملية، وكان عدد الإخوة المشاركين فيها مائة وعشرين شابًا عربيًا. شارك الشيخ أبو عبيدة البنشيري والشيخ أبو حفص الكمندان في اختيار الهدف، ووضع الترتيبات والتفاصيل للعملية، وكان الشيخ أسامة قد زود الإخوة بعددٍ كافٍ من وحدات اللاسلكي الصغيرة، حتى صار بقدرته أن يوجّه أي مجموعة في أي ناحية في أي وقت، وكانت تلك نقلة نوعية لم تحدث من قبل في الحرب الأفغانية، كذلك زود الشيخ أسامة الإخوة بعدد كافٍ من المناظير القوية، وكان هناك منظار واحد على الأقل للرؤية الليلية، وعلى إثر ذلك، أقام الإخوة لأول مرة شبكة رصد قوية في تلك المنطقة.

قُسمت المجموعات ورُتبت مجموعتين، واحدة لحماية المأسدة من الخلف، وفي نفس الوقت قصف العدو بصواريخ أرض أرض، وكانت هذه المجموعة بقيادة الشيخ أبو برهان السوري. ومجموعة ثانية للقيام بالاقتحام، وكانت بقيادة أبو خالد الضابط المصري. بدأت العملية الساعة السادسة مساء، وكان التخطيط لها قد تم منذ عدة أيام سابقة، لقد كانت تجربة جديدة للعرب. وكان الشيخ عبد الله عزام موجودًا، كذلك الشيخ تميم العدناني، وبدأ الشباب يناوشون البوسطات (المواقع) التي تعتبر خط الدفاع الأول للعدو، ويوقعون فيها الخسائر فترتفع معنوياتهم. ورغم أن هذه العملية كان قد تم الإعداد لها إعدادًا جيدًا لكن الشباب لم يستطيعوا القيام بفتح أي موقع، لأن قائد العملية أبو خالد الضابط المصري كان قد أصيب في بداية العملية، وكذلك أصيب أبو سهل المصري، وقد خرج كلاهما من المعركة حتى نهايتها، كذلك كانت أقرب مجموعة من العدو هي مجموعة شفيق، وكان معه ثمانية مجاهدين عرب عاد بأربعة مصابين منهم. وكان لذلك تأثير كبير على سير العملية، وتولى القيادة رسميًا بعد ذلك الشيخ أبو عبيدة البنشيري، يعاونه الشيخ أبو حفص الكمندان.

لم تحقق العملية أهدافها لعدة أسباب مهمة، فعندما تقررت العملية وحدد موعدها، لم تكن الإمكانيات قد استكملت خاصة الذخائر، فلم تكن الذخيرة قد وصلت إلى كل المجموعات، وذلك لعدم وجود خبرة سابقة، فمثلًا لم تصل إلى مجموعة الإسناد ذخائر كافية، ولهذا لم تبدأ العمل في التوقيت المطلوب لعدم وجود ذخائر، يقول أبو محمود السوري:

"كنت أحد عناصر مجموعات الاقتحام، وتقدمنا وكان مقررًا أن نقوم باقتحام موقع أطلقنا عليه (أم الخنادق). وصلنا إلى مسافة ثلاثين أو أربعين مترًا من مواقع العدو، وفوجئنا بأن العدو متيقظ تمامًا، لأن القصف من جانبنا ومن جانب المجاهدين كان مركزًا على 16 موقعًا للعدو محيطًا بهذه المنطقة، عدا الموقعين المحددين للهجوم عليهما، لهذا كان العدو متيقظًا، وكان من المفروض أن نقوم بالضرب عليه أثناء الهجوم ضربًا مباشرًا، وبمجرد اقترابنا انهمر علينا الرصاص، ولم نتمكن من رفع رؤوسنا حتى حلول الظلام، وقد أصيبت ساقاي في أول لحظة من لحظات الاقتحام وذلك من رشاش جرينوف كان على يسارنا وعلى تبّة مكشوفة، ولم نكن نعرف أن بهذا الموقع رشاش جرينوف، وفوجئنا به يطلق علينا من الجانب الأيسر أثناء تقدمنا، كانت مفاجأة صعبة لنا، وكان ذلك بسبب عدم وجود خبرة، وبعد عدة دقائق من ضرب العدو علينا، أعطيت

لنا الأوامر بالانسحاب لمركز المتقدمة، وكان بهذا المركز الشيخ أسامة، فأصدر أمرًا بالانسحاب خوفًا على حياة الأخوة من الإصابات بعد انكشاف الهجوم، ولم يستطع أحد تنفيذ ذلك إلا بعد حلول الظلام ليكون الانسحاب مستورًا. أيضًا كانت هناك خمس مجموعات مساندة، وصلت منها أربع مجموعات، وتاهت مجموعة لم تصل إلى المأسدة، وظلت مفقودة حتى منتصف الليل. وجرح في المعركة الأخ إدريس من بلاد الحرمين وأنا".

ثم تواصلت العمليات تحت قيادة الشيخ أبو عبيدة البنشيري شهرًا كاملًا، بلغت حتى معركة 17 رمضان تسع عمليات من الاشتباكات والمعارك. كان الهدف من هذه المعارك هو استكمال التدريب الحي على القتال المباشر مع العدو، واستشهد في هذه الفترة الأخ أبو الذهب، حيث سقطت قذيفة هاون بين ثلاثة من الإخوة أثناء عملية رصد، وكذلك أصيب أزمراي، واستسلم في هذه المعارك بسبب شدة القصف الذي وجه إلى موقعهم من قبل المجاهدين، خمسة وأربعين جنديًا وضابطًا، سلموا أنفسهم إلى أحد قادة الحزب الإسلامي التابع لحكمت يار".

وعن مواجهات رمضان في 1407هـ يونيو 1987م يقول الشيخ أسامة رحمه الله[32]:

"كنا قد بدأنا نصل إلى مرحلة كبيرة ومتقدمة من إنشاء المأسدة، وسمعنا في شهر رمضان سنة 1407هـ، أن هناك أخبارًا بتحركات للعدو، ولم تكن المعلومات كافية فقمنا بحفر الخنادق، كنا قد عزمنا على القيام بعملية ضد العدو في 14 رمضان تقريبًا. وكان القائد الأفغاني قلب الدين حكمت يار في المنطقة، كذلك حضر الشيخ سياف وعزمنا على القيام بهجوم يوم 26 رمضان، وبدأنا ضرب المناطق التي تقع أسفل منا، وإذ بالرد يأتي إلينا من مناطق بعيدة براجمات الصواريخ (ب م 21).

استمرت المعركة طويلًا لمدة ثلاثة أسابيع، وكان العدو قد خطط لها، ونحن لم نخطط إلا لمعركة تدوم ليوم واحد، وكان هدف الهجوم تدمير هذه المواقع (المأسدة) وقفل طريق جاجي، وهو من طرق الإمداد الرئيسية لداخل أفغانستان، كي يكسب الجنرالات في الجيش السوفياتي التحدي الذي ضربوه على أنفسهم مع الرئيس غورباتشوف، حين أمرهم بالخروج من أفغانستان بسبب فشل الحملة عليها، فطلب منه الجنرالات منحهم آخر فرصة، ووعدوه بالوصول إلى ممر خيبر الاستراتيجي على الحدود مع باكستان بعد سحق المجاهدين من مرتفعات بكتيا، وأنى لهم ذلك،

---

(32) من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف.

فقد ردهم المجاهدون بفضل الله وحده، بثلةٍ قليلةٍ لا يتجاوزون سبعين شابًا من شباب الثانويات، فقد كان الشاب العربي النحيل الجسم، الصغير السن، برشة واحدة من سلاح البيكا، يطرح ثلاثة أو أربعة من العلوج الروس في القوات الخاصة الكوماندوز، الذين كانت لغة الإشارة في المعركة عندهم بأصوات العصافير والطيور في المنطقة، بل كان الشاب يتفاجأ بظهورهم فجأة أمامه، لا يعرفهم من شدة تمويههم أنفسهم.

لقد كانت معركة عصيبة، شاركت فيها أفضل القوات الروسية، وحوّطوا المنطقة بأحزمة كثيرة من الجنود وبطاريات الصواريخ، لكن الله عز وجل، أبى إلا أن ينصر عباده الموحدين؛ ولتتحقق الآية الكريمة: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾. وقوله جل وعلا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

تفاصيل معركة رمضان كما يرويها الشيخ أسامة رحمه الله:

"كان يوم 29 رمضان حيث بدأ هجوم القوات الروسية والحكومية الأفغانية، وكنا قد علمنا أن القوات المتقدمة عددها حوالي عشرة ألف جندي، منها ثلاثة كتائب روسية، وكذلك قوة كوماندوز روسية، فبدأت الدبابات تتحرك، وانتظرنا حتى اقتربت الدبابات إلى مرمى نيران المجاهدين، فلما دنوا جميعًا بدأنا باسم الله وكبرنا، وأعطينا الإشارة باللاسلكي لجميع المدافع بأن تبدأ الرماية، فبدأ القصف عليهم في وقت واحد، وكنت أتابع القصف من المرصد، وشاهدت القذائف من فضل الله تسقط على الأعداء وتمزقهم.

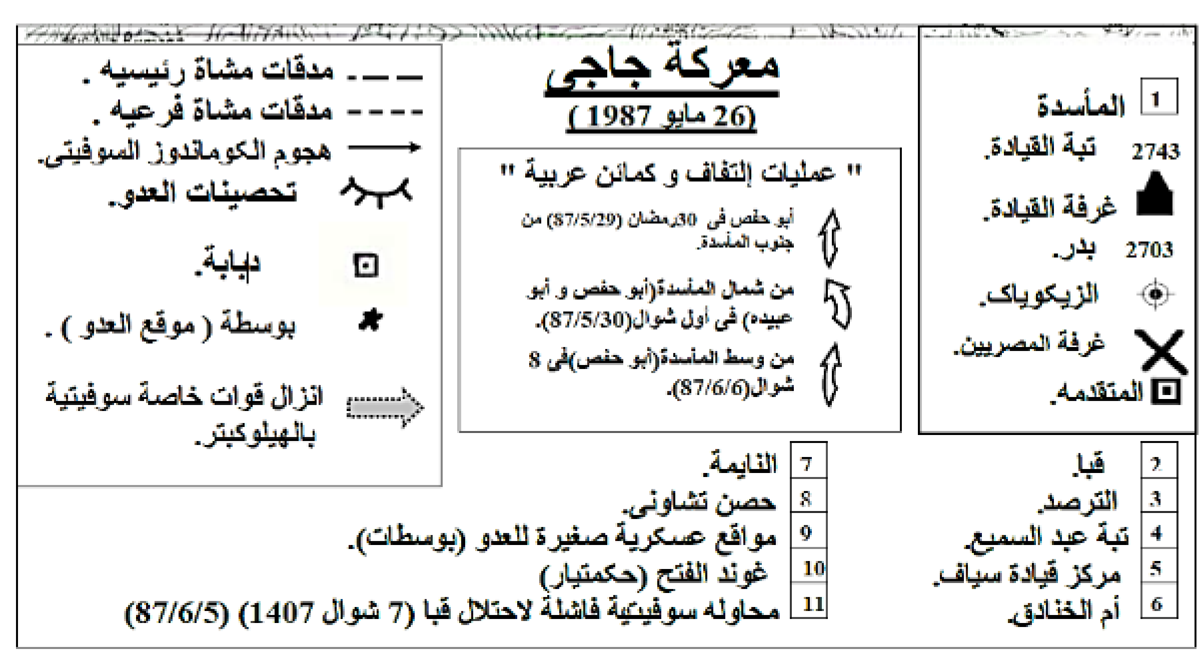
استمر القصف عنيفًا، وكانت الجبال تهتز، ولكن من فضل الله لم يصب أحد من الإخوة بسوء، واستمر هذا الحال إلى المغرب، ورجعت من المرصد والتقيت بالأخ أبو عبيدة البنشيري، وهو من حفظة كتاب الله، ورأينا أن الروس لن يسكتوا على هذه الضربة، وتوقعنا أن يكون القصف أشد في اليوم التالي، وقررنا أن نرجع ثلاثين من الإخوة العرب إلى معسكر خلفي لنا، فقد كنا حوالي سبعين مجاهدًا.

وفي اليوم التالي حدث ما توقعناه، قصف عنيف منذ أول إشراقة للشمس، أصبح عدد الإخوة في المأسدة حوالي أربعين أخ، وكنت مع تسعة من الإخوة في كهف نطلق عليه (المتقدمة)، وكان هذا الكهف صغيرًا لا يتحمل القصف الثقيل، فكانت طائرات العدو تقصف بقنابل زنة ألف رطل، فكانت الجبال تهتز. وكنا قد اتفقنا مع الإخوة على إشارة معينة، وهي إطلاق ثلاث

طلقـات إذا شـعروا بأن هنـاك حصـارًا مـن العـدو للمعسـكر، وإذا بنـا نتلقـى مكالمـة هاتفيـة مـن الأخ سـيف الله المغـربي مـن المرصـد الأيمـن لمركـز بـدر، يقـول إنـه شـاهد مـا يقـارب مـائتي جنـدي مـن الجنـود الـروس، يرتـدون ملابـس القـوات الخاصـة وهـم يتسـللون باتجـاه المعسـكر، فـأعطى الأخ إنـذارًا بالخطـر وهـي ثـلاث طلقـات، فقمـت بإبـلاغ المركـز الرئيسـي للمجاهـدين بأن العـدو يتقـدم لمحاصـرة المعسـكر، وطلبـت مـن الإخـوة حمـل الأسـلحة والتقـدم، وكـانوا تسـعة وأنا العاشـر واحـد مـنهم، رغـم أنهـم سمعـوا أن المتقدمين حوالي مائتين.

لم نكــن عســكريين وكنــا مــدنيين، ولم يــتردد أحــد فتقــدموا أكــرمهم الله، كــل واحــد أخــذ ســلاحه وانطلقنـا إلى الأمـام، كنـا حريصـين علـى أن نأخـذ تبّـه بيننـا وبـين الكفـار، وهـي تبّـه مرتفعـة. وأثنـاء تحركنـا، كنـت أوزع الإخـوة لكـيلا يحـدث التفـاف علينـا أثنـاء تحركنـا، فتركـت الأخ ذبـيح وأبـو سـهل المصـري – رحمـه الله – ومعهـم جهـاز لا سـلكي في مركـز المتقدمـة، ثم الأخ أبـو حنيفـة ومعـه بعـض الإخـوة أرسـلتهم للميمنـة، ثم تقـدمنا حـتى وصـلنا إلى القمـة ولم يبـق إلا ثلاثـة: الأخ خضـر وهـو مـن المنطقـة الشـرقية، والأخ مختـار وهـو أيضًـا مـن المنطقـة الشـرقية، وأنا معهـم وانضـم إلينـا الأخ خالـد كـردي، وكنـت قـد طلبـت منـه أن يحضـر لنـا مـاءً وتمـرًا وطلقـات آر بي جـي زيادة، فـذهب وبقينـا نحـن الثلاثـة، ومـاذا يفعـل ثلاثـة أمـام مـائتي كومانـدوز، ولكـن الله ثبتنـا نحـن الثلاثـة، ولم نشـعر بأي قلـق أو خوف سبحان الله، رغم أن عندي خبرًا مسبقًا بأن هذه القوة تريد أن تأسرني أنا شخصيًا.

توزعنـا علـى قمـة هـذه التبّـه، بحيـث كـان كـل منـا يـرى الآخـر، والمسـافة بـين كـل منـا حـوالي عشـرة أمتـار، وإذا طلبنـا مـددًا مـن الإخـوة يسـتغرق ذلـك حـوالي سـاعة ونصـف لطـول المسـافة. جـاء خضـر وقـال لي إن مختـار سمـع أصـوات الـروس تحـت التبّـه بالقـرب مـنهم بـين الأشـجار يتكلمـون. وكنـا ننتظـر المـدد، ولم يصـل المـدد إلينـا وقـد وصـل الـروس، فطلبـت أن ننضـم جميعًـا ونصـبح علـى القمـة، وفي هـذه اللحظـة انضـم إلينـا خالـد، وأتي أيضًـا أبـو عبيـدة، وكـان أبـو عبيـدة قـد رتـب مجموعـة أخـرى تـذهب من جهة بدر وتتقدم أيضًا لملاقاة القوات المتقدمة.



معركة جاجي 26 مايو 1987م – من كتاب معارك البوّابة الصخرية

تقـدمنا باتجـاه الميسـرة وهـم يتقـدمون مـن الميمنـة، ورأينـاهم أسـفل ميمنتنـا علـى تبّـة تسـمى تبّـة الزهــراني، لأن أحمــد الزهــراني رحمــه الله كــان علــى هــذه التبّــة عنــدما قتــل. في هــذه اللحظــة وهــم يتقـدمون، أخرجنـا القنابـل اليدويـة، وكنـت أول مـن أخـرج القنابـل اليدويـة استعدادًا لرميهـا علـيهم لأننـا كنـا أعلـى مـنهم، فـاقترح الأخ أبـو عبيـدة أن نبتعـد حـتى يصـلوا جميعًـا إلى منطقـة الرمـي، وفجـأة يصـل إلينـا أربعـة إخـوة، ولا واحـد مـنهم يعـرف حقيقـة الموقـف، وأثنـاء سـيرهم باتجاهنـا، سمـع الـروس صـوت أقـدامهم علـى الحشـائش بـين الأشـجار، فتوقفـوا عـن التقـدم وانتبهـوا، فلـم يتوقعـوا أن يكـون في هـذا المكـان مجاهـدين، وكـانوا يتوقعـون أن كـل مـن في المأسـدة قتلـى أو جرحـى نتيجـة القصـف الشـديد لمـدة خمسة أيام متوالية.

عنـدما فـوجئ الـروس بالحركـة انسـحبوا بـبطء دون أن نشـعر بهـم، لقـد فوجئـوا بوجـودنا في هـذه المنطقـة المتقدمـة عـن موقـع المأسـدة، ولم يتوقعـوا أبـدًا وجـود أحـد في هـذا المكـان، وسمعنـاهم يتكلمـون باللاسـلكي (غنمنـا جهـازهم اللاسـلكي هـذا فيمـا بعـد)، وواضـح أنهـم أخـبروا مـدفعيتهم بوجـودنا في هـذه المنطقـة، وكانـت مـدفعيتهم وهـاوناتهم تقـوم بالتمشـيط أمـامهم، وكنـت أحمـل القنبلـة اليدويـة في يـدي منتظـرًا تقـدمهم، فوجـدت أنهـم بـدأوا ينسـحبون إلى الخلـف حـوالي مـائتي مـتر، وفي هـذه اللحظـة انهمـرت علينـا قـذائف الهـاون كـالمطر، هـاونات ثقيلـة، ومـن شـدة القصـف كـان مـن المسـتحيل أن تستطيع أن تتكلم كلمة أو تكمل جملة.

استمر هـذا الحـال مـن القصـف الشـديد المركّـز لمـدة سـاعة تقريبًـا، إلى أن مـنَّ الله علينـا بجـزء مـن دقيقــة بــين القصــف فتحركنــا إلى أول نقطــة في معســكرنا واتخــذنا كمينًــا لهــم، ومــن شــدة وكثافــة القصــف، كــانوا متأكــدين أنــه لا يمكــن أن يكــون هنــاك أي شــخص علــى هــذه التبّــة إلا قتــيلًا أو جريحًـا، فصـعدوا إليهـا مطمئنـين، فمـا أن صـعدوا حـتى بـدأنا الضـرب علـيهم، فقتـل عـدد مـنهم يقينًـا وتراجـع البـاقي إلى الخلـف. واسـتمر الحـال علـى هـذا المنـوال وطلبـوا مسـاعدة الطـيران، وعـاد الطـيران يقصـف بعنـف وشـدة مـع الصـواريخ، وألقـت الطـائرات قـذائف دخـان أتعبـت الإخـوة نفسـيًا، حيـث خشـينا أن تكـون غـازات سـامة، ولكـن كانـت قنابـل دخانيـة، واسـتمر القصـف علينـا شـديدًا فـازداد البأس علينا، فقررنا الانحياز إلى موقع خلفي من شدة القصف.

انحـزنا في الليـل، وبقيـت مجموعـة مـن الإخـوة العـرب والإخـوة الأفغـان وسـط المأسـدة، ولكـن مـن لطـف الله أن وصـل مـدد مـن المجاهـدين الأفغـان، وأطلقـوا علـى قـوة الكومانـدوز الروسـية 35 قذيفـة

آر بي جي متوالية، وكانت قوة الكوماندوز تعتقد أن المعسكر خاليًا إلا من الجرحى، وأعطى ذلك انطباعًا لدى الكوماندوز بأنه لا زالت هناك قوة كبيرة داخل المأسدة، فتوقفوا عن الهجوم وبقوا مكانهم في الليل، وهم يخشون الهجوم على المعسكر، رغم أنه فعلًا لم تكن به قوة كبيرة وهذا من فضل الله. وفي الصباح قسمنا الإخوة إلى مجموعتين، ووصلت المجموعة الأولى إلى المأسدة فعلًا، وكنا نتفقد الطريق والمواقع، والمجموعة الثانية كانت متوقفة في منتصف الطريق، فطلبنا منهم التقدم، وكان العدو مستميتًا في الهجوم على الموقع، فالموقع يعتبر مفتاحًا للمنطقة كلها. اقترح أبو عبيدة أن يذهب هو وثمانية من الإخوة ويلتفون حول القوة الروسية ويهاجمونهم من خلفهم، فقلت لأبي عبيدة أن الميسرة خالية من يبقى فيها؟ وكنت مريضًا في تلك الفترة - والشكوى لله - وكان يصعب عليَّ المشي على الأقدام لمسافة بسيطة، وإذا يفاجئني أبو عبيدة بأن أذهب إلى الميسرة. فنظرت إلى العدو ولم يبقى معي إلا ثلاثة من الأخوة، أخونا مُحَمَّد العتيبي رحمه الله (أبو الوليد)، وأخونا ياسين الكردي، وأخونا أسد الله السندي، في هذه الفترة جاءنا ضيف، وهو الأخ أبو الحسن المدني، وكان في ذلك اليوم ضيفًا، فذهبنا نحن الخمسة إلى جهة الميسرة، كنا محاطين بالعدو، وتحركنا إلى الميسرة والطلقات في بيت النار، وكل واحد منا يده على زناد البندقية، وسرنا إلى أن وصلنا إلى النقطة المتقدمة جهة الميسرة حتى وزعت الأخوة ميمنة وميسرة وهم جميعًا خمسة. فكان أبو عبيدة ومعه آر بي جي في الميمنة، وكانت الميمنة رجلًا واحدًا، والميسرة كانت أخينا أسد الله ومعه جرينوف (رشاش متوسط)، وكان ياسين الكردي ظهرًا لنا، وبقيت أنا في الوسط مع أبي الحسن المدني. فما كدت أنتهي من توزيع الإخوة، وإذا بنا نفاجأ بأن القوة الروسية على مسافة سبعين مترًا من طرف المعسكر من الغرفة المتقدمة، وكنا نحن خلف الغرفة، وبدأ على الفور الاشتباك معهم بالسلاح الخفيف، ووجهنا النيران إليهم، وطلبت من الأخ ياسين كردي ومعه أبو الوليد أن يتقدما ويضربوا في المنطقة اليسرى، حيث رأيتهم، وبدأ الرد علينا بالأسلحة الكلاكوف. وصوت الكلاكوف مميز عن صوت الكلاشنكوف، والكلاكوف معروف أنه تسليح القوات الخاصة الروسية، أما الكلاشنكوف فهو تسليح الجنود الأفغان الشيوعيون.

فوجئت قوة الكوماندوز بوجود مقاومة في أول أيام العيد، فأخزاهم الله وبدأوا ينسحبون إلى الخلف، مجموعة تغطي مجموعة، فطلبت من ياسين وأبو الوليد أن يطلقوا النار خلفهم بمسافة حوالي 150 مترًا، حيث توقعت أن يكونوا قد وصلوا إلى هذه النقطة، وكنت حتى هذه اللحظة

أظـن أن الهجـوم مـن الميسـرة، ولكـن عنـدما صـعدت علـى قمـة التبّـة لأتكلـم باللاسـلكي، فوجئـت بطلقـة آر بي جـي تأتي مـن اتجـاه العـدو مـن المحـور الأوسـط، ومـرت بجـواري وانفجـرت طلقـة الآر بي جـي بالقـرب مـني، ولم يصـبني منهـا أي شـيء، وكـأني قـد رميـت بحفنـةٍ مـن الطـين بفضـل الله سـبحانه وتعـالى. نزلـت بهـدوء وأخـبرت الإخـوة أن العـدو موجـود في المحـور الأوسـط، ولـيس علـى الميسـرة فقـط. في هـذه الأثنـاء، كنـت أحـاول الاتصـال بالمجموعـة الـتي تحركـت للالتفـاف حـول الـروس بقيـادة أبـو عبيـدة، اتصـلت بهـم مـرارًا فلـم تكـن هنـاك أيـة إجابـة، فأصـابني قلـق شـديد علـيهم، وأوقفـت الاتصـال ولكـن تركـت الجهـاز مفتوحًـا، وفي هـذه الأثنـاء بـدأ العـدو مـن جديـد تمشـيط المنطقـة بالهـاونات والصـواريخ، وبـدأ قصـف الطـيران، وكنـا ننـزل في الكهـف، ويظـل أحـدنا بالخـارج ليراقـب المنطقـة خوفًـا مـن تقـدم الـروس، وكنـا نراقـب رمـي المدفعيـة والهـاونات، فـإذا كـان علينـا بالضـبط فكنـا ننـزل في الكهـف، ولكـن إذا ابتعـد قلـيلًا كنـا نصـعد، وهـذه خـبرة جديـدة اكتسـبناها مـن هـذه المعركـة، إذ مـن الممكـن أن يتقـدم العـدو تحـت القصـف، لأنـه يتصـل بالمدفعيـة ويسـتطيع نقـل الضـرب أمامـه إلى مسافة 200 متر أثناء قصف المدفعية والهاونات.

ظللـت في قلـق شـديد علـى الإخـوة الـذين ذهبـوا للالتفـاف، وإذا بصـوت الجهـاز يأتي كالمـاء البـارد علينـا، حيـث نادى الأخ أبـو عبيـدة وقـال: أبـو القعقـاع هـل تسـمعني؟ فأسـرعت نحـو الجهـاز وقلـت: نعـم أسمعـك جيـدًا. فقـال أبـو عبيـدة: "الله أكـبر الله أكـبر، أبشـرك بأننـا قتلنـا الكومانـدوز الـروس، وهـم الآن صرعى تحت أقدامنا الله أكبر".

وانتشـر التكبـير إلى أن وصـل الإخـوة جميعًـا، وانتشـر الخـبر وسـررنا سـرورًا عظيمًـا بفضـل الله، وكـان الإخـوة قـد فاجـأوا الـروس مـن الخلـف، أي مـن المنطقـة الـتي لم يتخيلـوا أن يأتي أحـد منهـا، ولقـد اسـتطاع أخـونا مُحَمَّد العزمـان المعـروف بمختـار، أن يقتـل سـتة مـنهم دفعـة واحـدة[33]. وبـدأ اشـتباك بالرشاشـات والقنابـل اليدويـة، وأدى ذلـك إلى انهيـار معنـويات الكومانـدوز. فكـان عـدد الإخـوة تسـعة أشـخاص فقـط في مواجهـة مـائتي جنـدي، لكـن مـع الرعـب لم يسـتطيعوا تمييـز القـوة، ومـع وجـود الأشـجار والغـابات لم يسـتطيعوا أن يحـددوا عـدد المهـاجمين، فأصـابهم ذعـر شـديد، وقتـل في هـذا

(33) يقول الشيخ سيف العدل: "أخبرني الشيخ أبو حفص رحمه الله وهو ممن شاركوا في عملية الكوماندز بل كان نائب أميرها أبي عبيدة البنشيري رحمه الله أن جميع الاخوة حينما وصل الروس إلى منطقة القتل أطلقوا النار عليهم دفعة واحدة، ومن ضمنهم مختار، ويصعب أن ينسب لأحد أي عدد من القتلى.

الهجوم المفاجئ من الكوماندوز حوالي خمسة وثلاثين جنديًا وضابطًا، وفر الباقي إلى مسافة بعيدة حوالي ثلاثة كيلو مترات. وارتفعت معنويات المجاهدين ليس فقط في منطقتنا، ولكن في كل أنحاء أفغانستان، وكان ذلك فضل من الله على الإخوة". ا. هـ

بعد معركة جاجي اجتمعت قيادات الإخوة العرب في بشاور، لتوزيع الاختصاصات وتنظيم العمل؛ فاختير الشيخ أسامة بن لادن أميرًا عامًا للعرب، واختير الشيخ عبد الله عزام مسئولًا عن معسكر صدى، واختير أبو الحسن المدني "وائل جليدان" مسؤولًا عن الأعمال في بشاور. وكانت هناك لجنة عسكرية تتكون من الشيخ أسامة، والشيخ أبو عبيدة البنشيري، وأبو الحسن المدني، والشيخ أبو هاجر العراقي وعصام الليبي، والشيخ أبو حفص الكمندان[34].



أبو الحسن المدني (وائل جليدان) حفظه الله

(34) خيانة على الطريق. للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفي حامد). بتصرّف.

الدروس المستفادة من معارك مأسدة الأنصار في جاجي:

- التدريب ومعسكرات التدريب:

كان التدريب واحدًا من أهم الموضوعات المتعلقة بالتواجد الجهادي العربي في أفغانستان، وظل بعد انتهاء الحرب أحد أهم نتائجها التي عمل النظام الدولي الجديد وعملائه الصغار على تصفيتها والتخلص منها، وقد نجح فعلًا في تصفية الكثير من الكوادر العربية المدرّبة في أفغانستان، ولكن بعد فوات الأوان، فأحداث العالم الإسلامي في الشيشان والبوسنة والصومال وطاجيكستان، قد أدت إلى تفريخ جيوش مدربة من جنسيات إسلامية وعربية، وكان لخريجي مدرسة أفغانستان الدور الحاسم في ذلك الانتشار، حتى بات من المستحيل على "النظام الدولي" القضاء على مكاسب التدريب والخبرات التي حصل عليها العرب والمسلمون من أفغانستان[35].

وكان معسكر "صدى" الذي يتبع لمكتب الخدمات، هو أول معسكر تأسس للعرب أواخر عام 1984م داخل الأراضي الباكستانية، قرب الحدود مع جاجي. بداية كان المستوى التدريبي بسيطًا، يقتصر على ما توفّر من سلاح، ولم يتحسن إلا بوصول الشيخ أبو برهان السوري[36] رحمه الله، الذي تولى الإشراف على معسكر صدي، وأوصله إلى مستوى تدريبي متقدم، فقد كان ضابطًا في الجيش السوري.

ويروي الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في بعض أشرطته، أن عدد الشباب الذين ثبتوا في معسكر صدى عام 1984م وصل إلي12 مجاهدًا، وتضاعف فقط خلال عام 1985م فوصل إلى 25 مجاهدًا، ثم بلغ مع منتصف عام 1986م أقل من 200 مجاهد بقليل من مختلف الجنسيات، ربما كان معظمهم من بلاد الحرمين ومصر وفلسطين.

وكانت مواجهات شعبان ومواجهات رمضان في جاجي نقطة مهمة في تاريخ المأسدة، ولم تكن لتمر هكذا دون أن يستفيد الإخوة من دروسها، التي كان من أهمها بالإجماع هو أن التدريب

---

(35) خيانة على الطريق. للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفي حامد).

(36) قبل الانتهاء من هذا الكتاب تلقينا نبأ وفاة الشيخ أبو برهان السوري في السودان، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يعلي درجته في الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

العسكري لم يكن كافيًا[37]، ويرجع سبب ذلك لعدم وجود تدريب منظم آنذاك في الساحة، لذلك كان من الضروري الاهتمام والتركيز على تدريب الشباب وإعدادهم إعدادًا جيدًا، فشرع الإخوة تحقيقًا لهذ الأمر في تكوين دورات للمدربين، وكان أحد أسباب ضعف التدريب هم الشباب أنفسهم، فقد كان كثيرٌ منهم يحضر إلى أفغانستان بحماس شديد، ولا يريد إلا تدريبًا بسيطًا في أقصر وقت، وبدون أي تجربة سابقة يدخل جبهات القتال ليقاتل[38].

لذلك بعد معركة جاجي بقليل، كان التركيز على تدريب الشباب وتنمية قدراتهم القتالية، هو الهدف الأسمى للشيخين أسامة بن لادن وعبد الله عزام رحمهما الله، فاتفقوا على استدعاء الشيخ أبو أسامة المصري (عبد العزيز علي)[39] رحمه الله، كي يبدأ برنامجًا تدريبيًا للشباب المزمع عملهم مع الشيخ أسامة في الجبهات، فتأسس معسكر " ورسك " قرب بشاور في أوائل عام 1988م، ولكن سرعان ما قرر الشيخان إغلاق المعسكر بعد دورته الأولى، نتيجة لعدم التزام الشيخ أبو أسامة المصري بشرطٍ مسبق لهما، وهو عدم خوضه في الحديث عن السياسة الداخلية للأحزاب الأفغانية، التي يصف زعمائها دومًا بأنهم مجموعة نصابين لا يريدون الجهاد بل يريدون جمع الأموال، ويسعون فقط للسلطة والزعامة ويكذبون على المسلمين، فقد سببت آراءه الصريحة صدمة مريعة لدى شباب المعسكر، لقوتها وتناقضها الشديد مع ما يقوله الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن، رحمهم الله.

وكان لابد من التضحية بأبي أسامة ومعسكر ورسك، حتى لا ينفر الشباب ويتركوا ساحة الجهاد، كما يرى الشيخان. على كل حال تمكن أبو أسامة من تخريج حوالي خمسة أفراد، هم كل من استطاع الصمود معه في دورته التدريبية العنيفة المرهقة، وقد كان هؤلاء فيما بعد من أهم

---

(37) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: كانت هناك محاولات للتدريب قامت بها مجموعة خوست وكان أحد أطرافها الشيخ أبو حفص الكمندان، حيث حصلوا على بعض التدريبات من خلال متطوعين من الباكستان، كما تواصلوا مع بعض الشركات.

(38) مأسدة الأنصار العرب بأفغانستان. عصام دراز. بتصرّف.

(39) الشيخ عبد العزيز علي، المكنّى بأبي أسامة المصري، أحد كوادر الإخوان المسلمين العسكرية أيام الشيخ حسن البنّا رحمهم الله جميعًا. كان من متطوعي شباب الإخوان المسلمين في فلسطين عام 1948م، وكان يتميّز في صفوفهم بسمعة عالية وهيبة وحزم، وساهم أيضا في مجال التدريب في التجربة الجهادية في سوريا، وخرج منها ناقمًا على الإخوان المسلمين بسبب الفساد الذي إستشرى فيهم وإنحراف قياداتهم، كذلك كان من أوائل المعارضين بشدّة للقيادات الأفغانية الفاسدة، فكان يرى أنهم مجموعة نصابين لا يريدون الجهاد، بل يريدون جمع الأموال، ويسعون فقط للسلطة والزعامة ويكذبون على المسلمين.

المدربين على ساحة العمل العربي الجهادي في أفغانستان، وهذه المساهمة رغم تواضعها، جعلت أبو أسامة أحد مؤسسي التدريب العسكري العربي في أفغانستان[40].

- ما كل حقٍ يُقال في كل وقت ولكل أحد:

جدير بالذكر هنا أن نقف وقفة تأمل نأخذ منها الدروس والعبر من رأي الشيخين عبد الله عزام وأسامة بن لادن رحمهما الله، بأن لا يخوض الشيخ أبو أسامة المصري في الحديث عن السياسة الداخلية للأحزاب الأفغانية، التي يصف زعمائها دومًا بأنهم لصوص وقتله وكذابون، وليس لديهم خلق إسلامي.

فقد يقول قائل إن الشيخ أبو أسامة المصري رحمه الله، كان محقًا في رأيه فلم يمنع؟

صحيح إن الشيخ أبو أسامة كان محقًّا في رأيه – **لكن ما كل حقٍ يُقال في كل وقت ولكل أحد**. لماذا؟ لأنه قد يترتّب عليه مفسدة أكبر من المصلحة المرجوّة. وبناءً على هذه القاعدة اتخذ الشيخان قرارهما، لأنه ليست هناك مصلحة شرعية مرجوّة –كما ظهر للشيخان – يمكن أن تتحقق من إبداء الشيخ أبو أسامة المصري رأيه ذلك أمام شباب قد يكون معظمهم حدثاء عهدٍ ليس بالالتزام بالجهاد فحسب، بل بالالتزام بمبادئ الإسلام نفسه. وبمعنى آخر هل من الممكن إصلاح الأمر بإقصاء أولئك القادة المفسدين من قيادة أحزابهم بمجرّد إبداء الشيخ أبو أسامة لذلك الرأي؟ بالتأكيد الإجابة لا. لكن هناك مفسدة غالب الظن أنها مؤكدة وحتمية التحقق، فقد يتأثّر بعض هؤلاء الشباب بمنطق وحجة أبي أسامة القويّة – المتناقضة بشدّة مع ما يقوله الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن – وينشأ من ذلك شيء من البلبلة والتثبيط المبطّن الغير مقصود – خاصة إذا كان مثل ذلك الرأي من شخصية لها وزنها واحترامها كأبي أسامة المصري رحمه الله – تؤدّي إلى نفور هؤلاء الشباب وتركهم لساحة الجهاد، ورجوعهم إلى بلادهم ليعيشوا مرة أخرى تحت مظلة الطواغيت، الذين لا يقارن كفرهم وردّتهم وفسادهم بأي حال من الأحوال مع فساد هؤلاء القادة.

---

(40) خيانة على الطريق. للشيخ أبو الوليد المصري. بتصرف.

فهل من المصلحة رجوع هؤلاء الشباب إلى بلادهم، وترك دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا بحجة أن قادة الجهاد مفسدين، علما بأن من عقيدة أهل السنَّة والجماعة أن الجهاد في سبيل الله ماضٍ مع البرّ والفاجر.

وكان الشيخ أسامة - رحمه الله – في خطاب له عام 2007م بعنوان "السبيل لإحباط المؤامرات" قد أشار إلى قصّة الشيخ أبو أسامة هذه بقوله:

"ولقد كان لأحد المجاهدين رأيٌ سديد جدًا في هذه القيادات، وكان من كبار السن والقدر، وهو صاحب تجربة طويلة في الحياة مع الناس، وكنا وقتها ننفر من شدة قوله فيهم، وسأحاول أن أوصل بعض قوله إليكم وخلاصته: "أن هؤلاء القادة تُجار تهمهم زعامتهم، ومصالحهم الشخصية مقدمة على القضية"، وكنا لا نصدق كلامه فيهم مما أخَّر إدراكنا للتصور الصحيح للأشخاص والأحداث، و لا يخفى ما يترتب على ذلك من مضارٍ عظام، ثم مع مرور الأيام وتتابع الوقائع بدأت الأمور تتضح وتصدِّق قوله في بعضهم، بل جاءت الأحداث لتؤكد أمورًا ما كنا نتوقعها أبدًا لصغر سننا ولقلة تجربتنا في تلك الأيام، وأمّا اليوم فكلكم قد علم أن تحالف الشمال بقيادة رباني وسياف صاروا أعوانًا ومناصرين لأمريكا ضد المجاهدين في أفغانستان، وكذلك الحال اليوم في العراق، فالحزب الإسلامي وبعض الجماعات المقاتلة تناصر أمريكا على المسلمين، وذلك كفرٌ بواح، وردة صراح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

ثانيًا: تعليقًا على كلام الشيخ أسامة رحمه الله:

لو افترضنا أن الشيخين أسامة وعبد الله عزام رحمهما الله تكشّفت لهما آنذاك تلك الأمور التي تكشّفت للشيخ أبي أسامة، فهل كانت لتغيب عن أذهانهما الحكمة والسياسة الشرعية بأن لا يتكلما على الملأ بأن هؤلاء القادة لصوص وكذابون، وتُجار تهمهم زعامتهم، ومصالحهم الشخصية مقدمة على القضية؟ لا أعتقد ذلك، لعلم الشيخين بأن هذا الأمر وإن كان قد تكشّف لهما – حسب ما افترضنا - ولبعض الخاصّة، إلّا أنه لم يتكشّف بعد لدى عامّة المجاهدين، إضافةً إلى أن هؤلاء القادة في ذلك التاريخ لم يقعوا بعد في الكفرٌ البواح والردّة الصراح - كما هو حالهم اليوم - بل كان لهم وزنهم ومكانتهم، وكان كل المسلمين بصفةٍ عامّة والمجاهدين في ساحة أفغانستان عربهم وعجمهم بصفة أخص، لا تعلم عنهم إلّا كل خير، وتُكنّ لهم كل احترام وتقدير لما قدّموه وبذلوه من تضحيات في جهاد الروس ومن قبلهم حكومات كابل الماركسية العميلة لهم. وبناءً على تلك

المعطيات لو كان الشيخان تكلما عن هذا الأمر على الملأ، فسترعد لكلامهما أُنف الأفغان المجاهدين التابعين لهؤلاء القادة حميّة وعصبيّة، وستوغر صدورهم، وربما ترتّب بناءً على ذلك فساد وفتنة عظيمة بين المجاهدين الأفغان وإخوانهم من العرب.

ولما كان سيّاف يرأس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، وكان هو المستودع الأكبر لتبرعات المسلمين للجهاد في أفغانستان - خاصة التبرعات القادمة من بلاد الحرمين ودول الخليج - لعلّ أقصى ما كان الشيخان أسامة وعبد الله عزام سيفعلانه في ذلك الوقت، هو أن لا تصبُّ تلك الملايين من أموال التبرّعات في خزائن هؤلاء القادة المفسدين، وهذا أخوف ما كانوا يتخوّفون منه، لذلك كانوا يتظاهرون دائمًا بالصلاح.

ومعلوم في السيرة قصة عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق، وذلك عندما بلغ رسول الله ﷺ أنه قال: "أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل... " فأراد عمر رضي الله عنه أن يأذن له رسول الله ليضرب عنقه، فأبى رسول الله ﷺ، وقال لعمر: "فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن مُحمّدا يقتل أصحابه؟". ولما نزل الوحي مؤكّدًا مقولة زعيم النفاق عبد الله بن أبي بن، كان قومه بعد ذلك إذا أحدث الحدث هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه. فقال رسول الله - ﷺ - لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: "كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له آنف (أي لاضطربت وانتفخت واحمرت له أنوفهم حمية وعصبية) لو أمرتها اليوم تقتله لقتلته"، فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله - ﷺ - أعظم بركة من أمري.

لقد كان الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن رحمهما الله، محقّان في قرارهما بالتضحية بالشيخ أبي أسامة المصري ومعسكر ورسك — بالرغم من أن الشيخ أبو أسامة المصري كان من قدامى المجاهدين الأكْفَاء في مجال التدريب — فقد أدركا رحمهما الله، كما ذكرنا سابقًا، أن ساحة أفغانستان فرصة ذهبية كبيرة، يجب أن تستغل بأفضل ما يمكن أن تستغل به، فلأول مرة منذ زمن بعيد يناقش أمر الجهاد في العلن، وفي صفحات الجرائد، وعلى شاشات التلفزة، بعد أن كان نسيًا منسيًا، فأدرك الشيخان رحمهما الله، أن هذا الضوء الأخضر العالمي لدعم الجهاد ضد الروس، والتسهيلات التي وافقت ذلك لن تدوم طويلًا، وستنتهي وتقمع بانتهاء المهمة المطلوبة منها، لذلك كان الشيخان يطمعان ويتطلعان إلى أن يأتي إلى ساحة أفغانستان أكبر عدد ممكن من أبناء

المسلمين، ليتشبّعوا بفكر الجهاد ثم يحملوه بعد ذلك إلى بلدهم. وكان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله يقول: "**أريد أن يأتي من كل بلدٍ عربي ولو أربعين مجاهدًا، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد**".

- تتابع معسكرات التدريب:

بعد معسكر ورسك أسس الإخوة معسكر جاور في منطقة خوست، في قاعدة تابعة للشيخ جلال الدين حقاني، ثم أسسوا مركزًا للتدريب والمناوشات في ليجا، الذي ما لبث أن توقف بعدما أصيب عدد من الشباب أصابات بليغة أثناء إحدى العمليات، ثم افتتحوا في نهاية العام مركزًا تدريبيًا في منطقة " جهاد وال " القريبة من جاور التابعة لحكمتيار، فأقيم هناك بالتتابع أربع معسكرات، هي معسكر الفاروق العام، ومعسكر جهاد وال الخاص بالدورات الخاصة وصناعة الكوادر القيادية، ومعسكر الصديق الخاص بتدريب الإخوة اليمنيين وأصحاب المدد القصيرة، ومعسكر خالد بن الوليد، وكان هناك معسكر أبو الشهيد القطري في منطقة غِني خيل القريبة من جلال أباد. استمرت هذه المعسكرات حتى نهاية الجهاد، ودربت أعدادًا كبيرة من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي والعربي، وقد أعطى ذلك المجهود إمكانات عملية هائلة لتنظيم القاعدة.

لكن المساهمة النوعية الأخطر في مجال التدريب العربي في أفغانستان، جاءت على يد الضابط المصري حيدرة " على مُحَّد أبو السعود"[41]، الذي يحمل الجنسية الأمريكية، وكان جنديًا في الجيش الأمريكي لفترة من حياته المهنية. ففي عام 1988م، وبعد اتصال مع بعض معارفه من العسكريين المصريين العاملين ضمن تنظيم الجهاد[42]، وصل حيدرة إلى بيشاور، وعمل في تدريب

---

(41) جدير بالذكر، أنه بناءً على توجيهات الشيخ أسامة، كان الإخوة قبل وقت كافٍ من عمليات نيروبي ودار السلام، قد نبّهوا جميع الإخوة المتواجدين في كلٍ من أمريكا وبريطانيا ليخرجوا منهما مخافة أن يتم أسرهم بعد العمليات، ولكن لا يغني حذر من قدر، فقد تراخى الإخوة في تنفيذ الأمر، حتى ألقت السلطات الأمريكية القبض عليهم في أعقاب عملية تدمير سفارتي أمريكا في كينيا وتنزانيا، وكان من بينهم الأخ حيدرة والأخ وديع الحاج والأخ إيهاب الملقب بالنووي، وفي بريطانيا أُلق القبض على الشيخ خالد الفوّاز، نسأل الله أن يفك أسرهم جميعًا.

(42) نقلًا عن الشيخ الدكتور أيمن: "كنت أنا وأبو خالد الضابط من قابل حيدرة في نيويورك في بيت الأخ مصطفى شلبي رحمه الله، فقد كان زميلًا في القوات الخاصة لصهر الشيخ أبو خالد الضابط سيد موسى رحمه الله، الذي هاجر مع أبي خالد لباكستان، وبدأ في المشاركة في جاجي وفي المعسكرات بزيارات أولية، ثم توفي في بشاور بسبب آلام في بطنه شخصت أولًا على أنها تيفود، ومع مواصلة الأبحاث تبين أنه يعاني من سرطان في الطحال، وتدهورت صحته، وتوفي لرحمة الله في بشاور، ولما علم حيدرة بقصة سيد موسى تأثر جدًا، وقرر أن يأتي للمشاركة في الجهاد".

كـوادر تنظيمـي الجهـاد المصـري والقاعـدة، ولم يكـن ذلـك حـدثًا عـاديًا، لأن التـدريبات الـتي حقنهـا حيـدرة في هـذين التنظيمـين، والـتي انتشـرت " بالعـدوى " بعـد ذلـك في تنظيمـات بيشـاور العـربي منهـا وغـير العـربي، كانـت قفـزة نوعيـة بكـل المقـاييس، فقـد احتـوت مسـاهمته علـى تـدريبات القـوات الخاصـة الأمريكيـة في حـرب العصـابات، الـتي شـارك حيـدرة في مقاومتهـا ضـمن فـرق الجـيش الأمريكـي في عـدة بلـدان مـن أمريكـا الجنوبيـة[43]. واحتـوت كـذلك علـى عمـل الخـلايا في المـدن (نظـام عمـل أطقـم الخـلايا سـواء مجموعـة القيـادة والمعلومـات والتجهيـز والتنفيـذ في المـدن وفـك الشـفرات، ورسـم الكروكيـات، والتخطـيط لأعمـال خطـف الجواسـيس، وفـك الرهـائن المسـلمين في الغـرف المظلمـة، حيـث يـتم وضـع شـواخص للأعـداء وللأصـدقاء، ويـتم دخـول الغـرف بصـوت التفجـيرات، وكـذلك فـك الرهـائن في الطـائرات والمبـاني العاديـة والعمـارات والسـيارات، وتسـلق المبـاني بالحبـال، والاشـتباك في أصـعب الظـروف وغيرهـا. كـذلك سـاهم حيـدرة في إعطـاء دورة خاصـة في المسدسـات، وكيفيـة التعامـل بالسـلاح في السـيارات والموترسـكلات، والقفـز مـن علـى السـيارات، كـذلك أعطـى دورة جنـرالات حـرب، في كيفيـة إدارة المعـارك الضـخمة بـدأً مـن فصـيلة واحـدة إلى لـواء (قـراءة الخـرائط وكيفيـة توزيـع القـوات المسـلحة علـى الخـرائط العسـكرية، ومعرفـة الرمـوز العسـكرية الشـرقية والغربيـة، وتنظـيم اجـراءات المعركـة، وتنظـيم الكتائـب والسـرايا والفصـائل والجماعـات) كـذلك كانـت هنـاك دورات تخصصـية في حيـاة آباد - بيشـاور[44] يقيمهـا الأخ حيـدرة، وهـي دورة جاسوسـية في كيفيـة جمع المعلومات شارك فيها عدد من الإخوة.

وكـان قـد تـدرب علـى يـد حيـدرة، عـدد مـن أهـم القيـادات العسـكرية لتنظـيم الجهـاد، الـذين دربـوا بـدورهم كـل الكـوادر الميدانيـة لتنظـيم الجهـاد العاملـة في مصـر، وقـد جنـت القاعـدة مـن حيـدرة نفـس الفوائـد والـبرامج التدريبيـة، وحصـلت علـى أفضـل مجموعـة مـن الكـوادر المدربـة كـان لهـم بفضـل الله تعالى دورًا فاعلًا في تدريب عشرات الألوف من المجاهدين في كثير من الساحات الجهادية[45].

(43) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري. بتصرّف.

(44) حي سكني من أحياء بيشاور كان يسكنه كثير من العرب المجاهدين.

(45) خيانة على الطريق - صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري. بتصرف



الأخ علي مُحَمَّد أبو السعود (حيدرة) فكّ الله أسره

وكان أول معسكر شارك فيه حيدرة، هو دورة تدريبية لمدة ثلاثة أشهر في شاهي كوت، ثم سافر وعاد بعد عدة أشهر أو سنة، وأعاد الدورة نفسها مرة أخرى في نفس المكان، وكانت الدورة الأولى خاصة بجماعة الجهاد(46)، وفي الثانية ربما شارك فيها إخوة من القاعدة، ثم شارك في دورة ثالثة في كونر، كان المتدربين فيها من جماعة الجهاد والقاعدة، ثم شارك بعد ذلك في عدة دورات لجماعة الجهاد والقاعدة في جلال آباد وبشاور، وكانت المشاركة الأبرز لحيدرة مع القاعدة في خوست، حيث مكث قرابة أربعة أشهر قدم خلالها سلسلة من الدورات العسكرية، جُمع له فيه أغلب كوادر التنظيم التدريبية والعسكرية، وكان الشيخ سيف العدل مسؤولًا عن هذا المعسكر، ومشرفًا على التدريب، ووقتها كان مصابًا في يده. كذلك شارك حيدرة في تدريب الاخوة في

(46) نقلا عن الشيخ الدكتور أيمن الظواهري: بالنسبة لمعسكرات جماعة الجهاد فبعد الدورات الثلاث الأولى في شاهي كوت وكونر، افتتحت الجماعة ثلاث معسكرات في جلال آباد قرب فرم سي، وهي معسكر بدر، ومعسكر القادسية، ومعسكر القعقاع، وقد كان الهدف منها تدريب المجاهدين للجهاد في مصر، وقد تدرب فيها قرابة مائتي مجاهد، تم جلب معظمهم وإعادتهم لمصر. وكان المشرف على هذه المعسكرات هو الشيخ أبو خالد الضابط (عبد العزيز الجمل) حفظه الله وجزاه خير الجزاء، وشاركه الشيخ مُحَمَّد صلاح (نصر فهمي نصر)، وفتحي (طارق أنور) وأبو مُحَمَّد سالم (زكي عزت زكي) - رحمهم الله - وغيرهم، وكان ممن تخرجوا منها أبو حمزة المهاجر وأبو دجانة الباشا وأبو أيمن المصري وأبو حمزة ربيع -رحمهم الله- وغيرهم.

الخرطـوم، خاصـة مجموعـة الحراسـة الخاصـة بالشـيخ أسـامة رحمـه الله، بعـد ذلـك شـارك مـع القاعـدة في عدة استطلاعات في شرق إفريقيا[47].



الشيخ سيف العدل (مُحَمَّد صلاح الدين زيدان) حفظه الله

الشيخ أبو عطا التونسي (الحبيب شوشان) تقبله الله

الشيخ أبو مصعب السوري (مصطفى بن عبد القادر بن مصطفى ست مريم) فكّ الله أسره



أبو إسلام المصري تقبله الله



الشيخ أبو مُحَمَّد المصري تقبله الله



أنس الليبي تقبله الله



أبو الفرج الليبي فكّ الله أسره

(47) نقلا عن الشيخ الدكتور أيمن الظواهري والشيخ سيف العدل، حفظهما الله.



طلحة السوداني

تقبله الله



عبد الوكيل

تقبله الله



أبو عبد الرحمن المهاجر

تقبله الله



السعدي (أحمد مُحَّد حامد)

تقبله الله



هارون فضل

تقبله الله



الشيخ أبو خالد السوري

تقبّله الله



الشيخ خالد الفوّاز

فكّ الله أسره



خالد المقدسي (سعدوف)

تقبّله الله



أبو الحسن الصعيدي

تقبله الله



الشيخ قاسم الريمي

تقبله الله



الشيخ يوسف العييري

تقبّله الله

القائد عبد العزيز المقرن

(أبو هاجر) تقبّله الله



خالد الحبيب – تقبله الله

بعض من نخبة مدرّبي القاعدة:

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن هنالك العشرات من كوادر تنظيم القاعدة الذين ساهموا في عملية التدريب، لم يرد ذكر أسمائهم في هذا الكتاب، منهم من قضى نحبه رحمهم الله، لم يتسنّ لنا الحصول على صورهم – ومنهم من لا يزال على قيد الحياة، تعمّدنا عدم ذكر أسمائهم لدواعٍ أمنية،

نسأل الله الكريم أن يجزي الجميع عنا وعن المسلمين خير الجزاء لما بذلوه من جهدٍ مقدّرٍ مشكور في مجال التدريب، وإعداد وتحريض أبناء هذه الأمّة على الجهاد في سبيل الله، وتربيتها على معاني العزة و الكرامة، في زمان سادت فيه ثقافة الذلّة و المهانة.

المرحلة الثانية:

مرحلة تأسيس القاعدة حتى انتقال الجماعة إلى السودان

كان المجاهدون العرب قبل تأسيس القاعدة في أغسطس عام 1988م، صفًا واحدًا يجمعهم الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن رحمهما الله، وكان التعاون بين الشيخين وثيقًا جدًا، لكن مع تقدم العمل، وكثرة قدوم الشباب، ومن أجل الهروب من الفوضى، لم تخلو العلاقة بينهما رحمهما الله من بعض الخلافات التكتيكية، في كيفية عمل المجاهدين العرب، هل يندمجون مع الأفغان أم ينفصلون عنهم في العمل الميداني؟ ففي بادئ الأمر كان الشيخ عبد الله عزام يعارض أي تحزب أو تنظيم موحد للعرب، ويرى خدمة الجهاد الأفغاني من خلال اندماج المجاهدين العرب مع الأفغان، لذا اختار الخيار الأول.

أما الشيخ أسامة فقد كان يرى أن النفقات الهائلة الضخمة التي تُنفق في ساحة بيشاور يمكن أن يُستغنى عن الكثير منها، وتُستثمر لصالح المجاهدين داخل أفغانستان، لأنه إذا سقط النظام الشيوعي، فإن الاهتمام بالأمور الأخرى سيأتي تلقائيًا إذا ما قامت الدولة الإسلامية، لذلك أراد الشيخ أسامة أن يركز معظم جهوده على العمل العسكري داخل أفغانستان، وأن يكون للعرب دورًا فاعلًا في العمليات القتالية داخل أفغانستان، ولن يتأتى ذلك الدور إذا كان العرب مشتتين بين أحزاب الأفغان المختلفة، خاصّة وأن كل زعيم حزب كان يسعى لاحتواء العرب، لذا قرر الشيخ أسامة العمل باستقلالية بعيدًا عنهم والتعاون معهم في نفس الوقت، فاختار رحمه الله الخيار الثاني[48].

وبناءً على قناعته تلك أسس الشيخ أسامة مع الشيخ أبو عبيدة البنشيري والشيخ أبو حفص الكمندان وشفيق المدني – رحمهما الله – وآخرون، مأسدة الأنصار في جبال جاجي، لتكون قاعدة تجمع طاقات الشباب العربي القادمين للجهاد، وترفع مستوى التدريب لديهم لقتال الروس.
وفي مقابلته مع تيسير علوني مراسل قناة الجزيرة، سُئل الشيخ أسامة عن القاعدة فقال رحمه الله:

(48) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. فارس الزهراني. بتصرّف.

"هـذا الاسـم قـديمٌ جـدًا، ونشـأ بـدون قصـد منـا، فقـد كـان الأخ أبـو عبيـدة عليـه رحمـة الله البنشـيري، كـوّن معسـكر لتـدريب الشـباب للقتـال ضـد الاتحـاد السـوفيتي البـاغي الغاشـم، الملحـد الإرهـابي حقيقـة للآمنـين. فهـذا المكـان كنـا نسـميه القاعـدة كقاعـدة تـدريب، ثم نما هـذا الاسـم، أمـا نحن فغير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة ونحن جزء لا يتجزأ منها"[49].

جـدير بالـذكر أنـه بعـد نجـاح الشـيخ أسـامة في معركـة جـاجي وهزيمـة الكومانـدوز الروسـي، اقتنـع الشـيخ عبـد الله عـزام بجـدوى مـا ذهـب إليـه الشـيخ أسـامة بضـرورة ممارسـة العـرب للـدور القتـالي، وبنـاءً عليـه اتفقـوا معًـا علـى الجمـع بـين الـدعم الخـدماتي والعسـكري والإنسـاني التشـاركي والمسـتقل علـى التـوازي، وتم توجيـه هـذا الـدعم وفـق السياسـات الـتي كانـت محـل إجمـاع بـين قـادة المقاومـة الأفغانيـة، مـع السـعي الحثيـث والجـاد لتوحيـد صـفوفهم، والتحـذير الشـديد مـن المشـاركة في صـراعاتهم. فالـذي اسـتقر عليـه مشـروع الإمـامين عـزام وبـن لادن بعـد بـروز مؤشـرات الانكفـاء الروسـي وتقهقـر الاتحـاد السـوفيتي، هـو عسـكرة الأمـة الإسـلامية كلهـا للتحـرر مـن الهيمنـة الكفريـة العالميـة سـواء أكانـت شـرقية أم غربية[50].

البداية الفعلية للقاعدة:

كانـت البدايـة الفعليـة لعمـل القاعـدة بالتحديـد في سـنة 1988م، حيـث لاحـظ الشـيخ أسـامة – رحمـه الله – مـع توسـع فكـرة الجهـاد وزيادة الأعبـاء واحتـدام المعـارك، أن حركـة المجاهـدين العـرب قـدومًا وذهـابًا والتحاقًـا بالجبهـات، بـل وحـتى كثـرة الإصـابات والاستشـهاد قـد ازدادت دون أن يكـون لديـه سـجل عـن هـذه الحركـة، وكـان نقـص هـذه المعلومـات سـببًا لإحـراج الشـيخ أسـامة في أحـايين كثـيرة، لعـدم تـوفّر إجـابات مـع بعـض العوائـل – خاصـة أولئـك القـادمين مـن بـلاد الحـرمين واليـمن – الـتي تسـأل عـن أبنائهـا بالهـاتف، أو مـن خـلال إرسـال منـدوب عنهـا للتعـرف علـى مصـير عضـو العائلة الذي التحق بالشيخ أسامة.

واسـتدراكًا لهـذا الخطـأ الإداري قـرر الشـيخ أسـامة رحمـه الله، ترتيـب سـجلات للإخـوة المجاهـدين العـرب، توثـق لحـالات الوصـول والشـهداء والجرحـى، ووُسّـعت الفكـرة لتشـمل تفاصـيل كاملـة عـن كـل

---

(49) مقابلة الشيخ أسامة رحمه الله مع تيسير علّوني في الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(50) مقال في مجلة أمة واحدة العدد الخامس بعنوان: "عالمية الجهاد في منظور الشيخين عزام وبن لادن" للكاتب: خطاب الهاشمي. بتصرف.

مـن وصـل أفغانسـتان بترتيـب مـن مجموعـة الشـيخ أسـامة، فرتبـت السـجلات بحيـث تتضـمن تاريـخ وصـول الشـخص، والتحاقـه ببيـت الأنصـار، ثم تفاصـيل التحاقـه بمعسـكرات التـدريب، ومـن ثمّ التحاقـه بالجبهـات. وأصـبحت السـجلات مثـل الإدارة المسـتقلة، وكـان لا بـد مـن إطـلاق اسـم عليهـا لتعريفهـا داخليًـا، وهنـا اتفـق الشـيخ أسـامة رحمـه الله مـع معاونيـه أن يسـموها سـجل القاعـدة، علـى أسـاس أن القاعـدة تتضـمن كـل التركيبـة المؤلفـة مـن بيـت الأنصـار، ومعسـكرات التـدريب والجبهات[51].

البيعات والعهود:

تطـور الأمـر بعـد ذلـك ليبـدأ مـيلاد القاعـدة رسميًـا في أغسـطس عـام 1988م، وذلـك عنـدما بـدأ الشـيخ أسـامة يأخـذ العهـود والبيعـات مـن الشـباب علـى السـمع والطاعـة لمـن يريـد أن يخـدم الجهـاد، والبقـاء معـه لـدعم قضـايا الجهـاد وتنظيماتـه في أمـاكن عديـدة. ولم تكـن تلـك البيعـات مقصـورةً علـى شـباب بـلاد الحـرمين، أو علـى العـرب فقـط دون غـيرهم مـن الجنسـيّات الأخـرى، إنمـا كانـت تشـمل العرب والعجم من جميع دول العام.

وبالـرغم مـن أن الـدورات التدريبيـة كانـت تقـدّم لعشـرات الآلاف مـن المجاهـدين، إلا أن جـزءًا فقـط مـن هـؤلاء يـتم اختيـارهم ومفـاتحتهم حـول الانضـمام للتنظـيم، بعـد أن تـتم تـزكيتهم مـن إدارة المعسـكر - وفـق معطيـات دقيقـة كثـيرة - بعـد الانتهـاء مـن الـدورة التأسيسـية الـتي كانـت مـدتها 45 يومًـا. وكـان هـذا الإجـراء كفـيلًا لـيس فقـط بمنـع الاخـتراق، نظـرًا لأن العضـوية فيـه لا يأخـذها الفـرد مـتى شـاء، وإنمـا تُمـنح مـن القيـادة، فكـان تنظـيم القاعـدة يقـوم بتجنيـد زبـدة النخبـة مـن الفعاليـات الجهاديـة، فقـد كـانوا يحرصـون علـى انتقـاء المجاهـدين المـؤهلين، ممـا انعكـس إيجـابًا علـى العمـل الجهـادي لتنظـيم القاعـدة، فقـد كـان يهمهـم أن يُخرّجـوا رجـالًا يعتمـد علـيهم في الشـدائد، لـذا كانـت عـدة مجاهـدي القاعـدة تتمثـل في الصـبر واليقـين، لـذلك تـرى رجـل القاعـدة يتحمـل مـالا يتحمـل غـيره، فهـو يصـبر في موقعـه حـتى تأتيـه الأوامـر بالتقـدم او التـأخر، فقـد كـانوا يشـعرون انهـم لبنـة في بنـاء الجهـاد، وفقهـوا حـديث رسـول الله ﷺ: (طُـوبَى لِعَبْـدٍ آخِـذٍ بِعِنَـانِ فَرَسِـهِ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ، أَشْـعَثَ رَأْسُـهُ، مُغْبَـرَّةٍ

---

(51) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. فارس الزهراني. بتصرّف.

قَـدَمَاهُ، إِنْ كَـانَ فِي الحِرَاسَـةِ، كَـانَ فِي الحِرَاسَـةِ، وَإِنْ كَـانَ فِي السَّـاقَةِ كَـانَ فِي السَّـاقَةِ) كـذلك كـانوا يتمثلون حديث رسول الله ﷺ في طاعة الامير ومياسرة الشريك[52].

فكرة القاعدة:

كغيرها من الجماعات الجهادية الأخرى لم تكن القاعدة – منذ اليوم الأول الذي تأسست فيه – قطرية التوجّه، بل كانت عالمية في توجهها وعالميةً في أفرادها. فالشيخ أسامة رحمه الله، لم يرد أن يكون الجهاد ردة فعل مجردة، خال من أي فكر يقوده وينظمه، ولم يرد أن يكون الجهاد محدودًا في حدود سايكس بيكو، فقد كان يريد أن تكون للمجاهدين[53] قوات تدخل سريع ضاربة منظمة، كلما سمعوا هيعة أو فزعة طاروا لنجدة المسلمين ولو كانوا في الصين، وحسب تصور القاعدة فإن مشروع الجهاد الإسلامي لا يتوقف عند حدود بلد أو دولة، إنما يتعداها ليشمل الأرض كل الأرض، لتتحرر من عبادة العباد الى عبادة الله وحده، فهذه هي فكرة القاعدة وانطلاقتها من أفغانستان، فأفغانستان إنما هي مرحلة في الطريق، وزاد يتزود بها المرء في طريقه الشاق والطويل. وقد أعلن الشيخ أسامة ذلك الهدف فقال: "ونحن بهذا الجهاد لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة لتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي لتدريبهم، حتى يكونوا بإذن الله نواة الجيش الإسلامي مع إخوانهم المجاهدين في أفغانستان لتحرير باقي أراضي المسلمين"[54].

وهكذا كانت القاعدة بحق، عبارة عن جيش صغير، تروضت نفوسهم على طاعة الأمير، والعمل المنظم بصبر وتؤدة، ودخول المعارك ضمن برامج تحت إشراف رجال كان فكرهم أشمل ونفوسهم أوسع، لقد كانوا يعملون للمستقبل، ويخططون لما هو أبعد من أفغانستان، ويعدون أنفسهم لمراحل قادمة، ومع ذلك فإن قيادة القاعدة، كانت دائمًا متواجدة في أرض المعركة وفي المناطق الساخنة، يتواجدون ليصهروا أنفسهم، ويقوموا بتقوية بنيانهم طلبًا لمرضاة الله، ودفعًا

---

(52) دمج بين كتاب أسامة بن لادن مجدد الزمان لفارس الزهراني، وكتاب فرسان الفريضة الغائبة لصالح الهامي. بتصرّف.

(53) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: يقول الشيخ أسامة رحمه الله: "وجدت أن عددًا كبيرًا يعني بالجانب الإغاثي، فلما لا نقوم بعمل هيئة إغاثية عسكرية ينصب جل اهتمامها على تقديم الخدمات العسكرية من تدريب وقتال". ثم تشاور مع إخوانه القدامى بالساحة حيث رفض الفكرة عدد منهم واعتبرها جماعة جديدة، ورحب بالفكرة عدد آخر هم من قامت القاعدة عليهم لاحقًا. وهكذا نشأت القاعدة كهيئة إغاثة تعني بالجانب العسكري فقط.

(54) تنظيم القاعدة. النشأة – الخلفية الفكرية – الامتداد. للكاتب سعيد علي عبيد الجمحي. بتصرّف.

للكافرين عن احتلال أراضي المسلمين، فقد كان الشيخ اسامة - رحمه الله - يتوقع الشهادة في كل مرة، فهو في أتون المعركة، وكم من مرة ظن نفسه شهيدًا ثم ينقذه الله من موت محقق ليؤخره الى قدره وأجله المسمى[55].

لجان القاعدة الإدارية:

كانت القاعدة تدير أعمالها من خلال لجان إدارية عديدة، فكانت هناك اللجنة العسكرية، وتشرف على معسكرات التدريب وجبهات القتال والعمليات الخارجية، ويرأسها الشيخ أبو حفص الكمندان رحمه الله، واللجنة الأمنية ويرأسها الشيخ سيف العدل حفظه الله، واللجنة المالية وشئون الأفراد ويرأسها الشيخ سعيد (مصطفى أحمد عثمان أبو اليزيد) رحمه الله، واللجنة الشرعية وكان يرأسها آنذاك "أبو إبراهيم المصري"، ثم خلفه في السودان الشيخ أبو حفص الموريتاني حفظه الله.

كذلك كانت هنالك لجنة إعلامية مصغّرة مهمتها متابعة الأخبار والأحداث الجارية في العالم ثم تفريغها في نشرة إخبارية مطبوعة، وتوزيعها بعد ذلك على المضافات والجبهات والمراكز. وكانت المضافة الخاصة بأفراد القاعدة في بيشاور تسمّى بيت السلام، وكان هناك في بيشاور بيت المعهد الشرعي، ويتواجد فيه الأخ الإداري للتنظيم، المسئول عن تنظيم حركة أفراد القاعدة من وإلى بالتنسيق مع أُمراء اللجان، فمنذ أن يبايع الأخ على برنامج القاعدة بعد التخرج من المعسكر، يتم توزيعه على اللجان حسب تخصصه ومؤهلاته وقدراته.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، يكفل المئات من الإخوة المتزوجين من القاعدة وغير القاعدة بكفالاتٍ شهرية، وكانت مساكنهم تستأجر وتؤسس على نفقته، كذلك كانت هناك مساعدات شهرية ثابتة، يقدمها الشيخ أسامة لغير المتزوجين من أفراد القاعدة، وكان دعمه العسكري بالذخائر والسلاح والتموين بالغذاء يشمل معسكرات التدريب، وجبهات القتال في خوست وجرديز وجلال أباد، كذلك كان ينفق، ويقدم دعمه، ويتعاون على البر والتقوى مع كل الجماعات الجهادية القطرية الأخرى الموجودة في الساحة، وكان رحمه الله أيضًا يساهم في دفع قيمة تذاكر السفر بالطائرة ذهابًا وإيابًا لكثير من الإخوة، ويساهم أيضًا في دفع نفقات علاج الجرحى في المستشفيات الخاصة خارج باكستان، وكان رحمه الله يساهم أيضًا في دفع الديات، ويساهم حتى في نفقات زواج الإخوة، وفي نفقات الحج لمن أراد.

---

(55) فرسان الفريضة الغائبة لصالح الهامي. بتصرّف.

قصة أبو إبراهيم المصري:

كان هذا الرجل محسوبًا على مشايخ العلم في بيشاور، وكان هو المسئول الشرعي لتنظيم القاعدة، وكانت له مؤلفات ورسائل وكتيبات صغيرة في فضل الجهاد والرباط والشهادة وإلى غير ذلك، وكانت كتبه توزع في بيوت المجاهدين، وتزخر بها المراكز في جبهات القتال، وكانت له دروسًا ومواعظ يلقيها أحيانًا في بيوت القاعدة وبيت الأنصار وغيرهما. وكان من ضمن الذين هاجروا إلى السودان في أوائل التسعينات، ثم غادره إلى اليمن تقريبًا عام 1994م.

وذات مرة في اليمن عرض هذا الرجل خدماته على جهاز الأمن السياسي؛ فقدّم لهم ملفًا كاملًا عن رؤيته في كيفية القضاء على تنظيم القاعدة، وكان آنذاك كثيرٌ من العاملين في الجهاز ينتمون إلى حزب الإصلاح، فسرّب أحدهم الملف إلى الإخوة فقاموا بأسره، وكانوا على وشك أن يقتلوه، غير أنهم أطلقوا سراحه لاعتباراتٍ أخرى ثم ولّى بعدها هاربًا إلى مصر، وهناك ظهر في أحد الفضائيات يتباهى في مقابلة معه بأنه كان رجل مخابرات بامتياز، نسأل الله العافية والثبات.

وهنا قد يتخوّف الكثير من الناس، ويحجمون عن الدخول في برنامج القاعدة بقولهم: "إذا كان رجلٌ مثل هذا وصل إلى أن يكون المسؤول الشرعي لجماعتكم؛ فأنتم إذن جماعة مخترقة حتى النخاع".

ولهؤلاء نقول: ألم تقرؤوا قول الله عزّ وجل ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فإذا كان في المدينة مع رسول الله ﷺ منافقون وصفهم الله بأنهم مردة في النفاق، ومع ذلك لا يعلمهم رسول الله ﷺ، فكيف بمن دونه من الناس.

ومعلوم عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه معاييره الشديدة في اختيار ولاته، فكان لا يختار إلّا القوي الأمين، التقي الورع القائم على حدود الله، ورغم ذلك كان في عمّاله واحد من المنافقين. فقد ذكر ابن الأثير في كتابه " أسد الغابة في معرفة الصحابة " أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان قد سأل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين – أعلمه بهم رسول الله ﷺ – فقال: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ " فقال حذيفة: نعم واحد، قال: من هو؟ قال: لا أذكره، قال حذيفة: فعزله، كأنما دل عليه.

فإذا كانت خير القرون لم تخلو من المنافقين، أيُتصور بعد ذلك في هذا الزمان أن تكون جماعة مطاردةٌ ومحاربةٌ من كل الدول، وكل شياطين الإنس والجن، خالٍ صفها من المنافقين؟

يقول الشيخ الشهيد سيّد قطب - تقبّله الله - في الظلال معلّقًا على قصة عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق، بعد أن أنزل الله في شأنه سورة المنافقون:

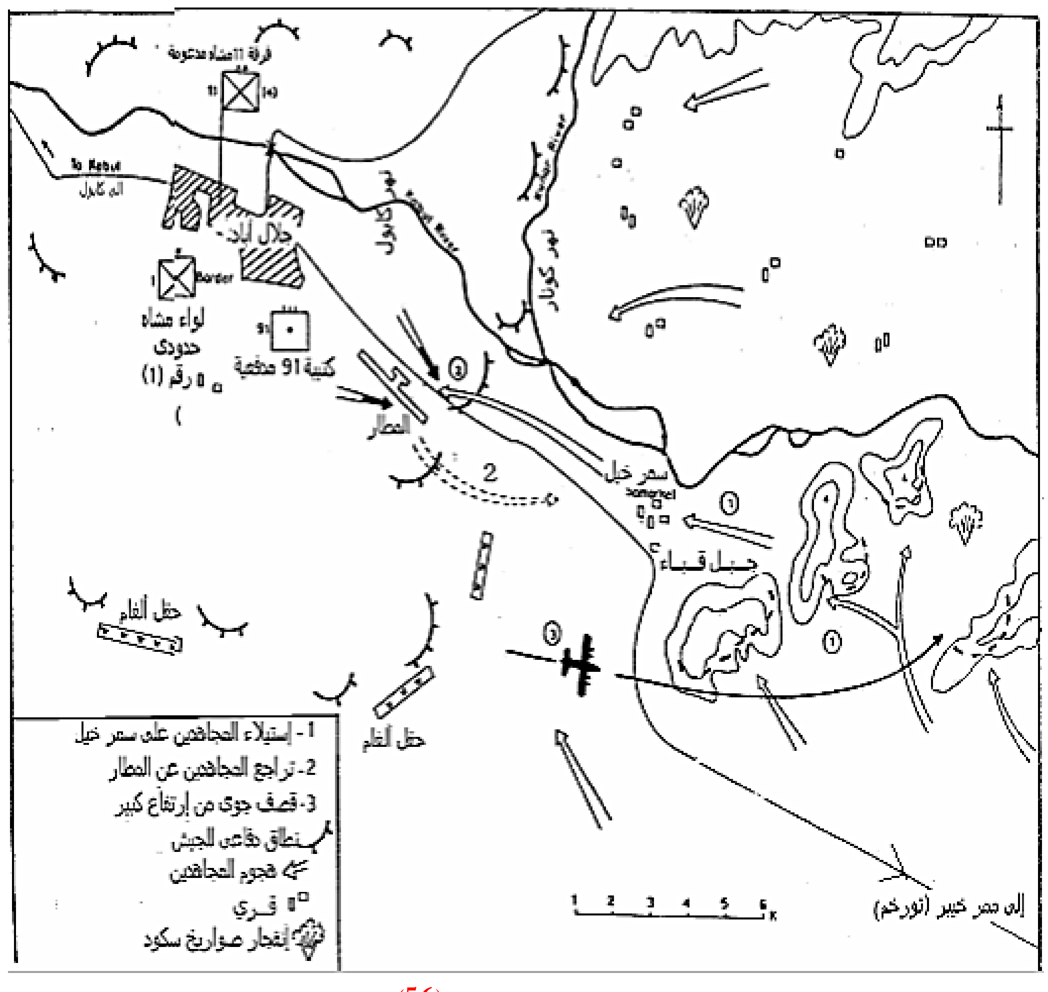
" فهذا هو الصف المسلم يندس فيه المنافقون، ويعيشون فيه - في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قرابة عشر سنوات، والرسول - ﷺ - لا يخرجهم من الصف، ولا يعرِّفهم الله له بأسمائهم وأعيانهم إلا قبيل وفاته. وإن كان يعرفهم في لحن القول، بالالتواء والمداورة. ويعرفهم بسيماهم وما يبدو فيها من آثار الانفعالات والانطباعات. ذلك كي لا يكل الله قلوب الناس للناس. فالقلوب له وحده، وهو الذي يعلم ما فيها ويحاسب عليه، فأما الناس فلهم ظاهر الأمر كي لا يأخذوا الناس بالظنة، وكي لا يقضوا في أمورهم بالفراسة! وحتى حينما عرَّف الله نبيه - ﷺ - بالنفر الذين ظلوا على نفاقهم إلى أواخر حياته، فإنه لم يطردهم من الجماعة وهم يُظهرون الإسلام ويؤدون فرائضه. إنما عرِفهم وعرّف بهم واحدًا فقط من رجاله هو حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ولم يشع ذلك بين المسلمين. حتى أن عمر - رضي الله عنه - كان يأتي حذيفة ليطمئن منه على نفسه أن الرسول - ﷺ - لم يسمه له من المنافقين! وكان حذيفة يقول له: يا عمر لست منهم. ولا يزيد!

وكان رسول الله - ﷺ - قد أمر ألا يصلي على أحد منهم مات أبدا. فكان أصحابه يعرفون عندما يرون الرسول لا يصلي على ميت. فلما قُبض - ﷺ - كان حذيفة لا يصلي على من عرف أنه منهم. وكان عمر لا ينهض للصلاة على ميت حتى ينظر. فإن رأى حذيفة هناك علم أنه ليس من المجموعة وإلا لم يصل هو الآخر ولم يقل شيئا! وهكذا كانت تجري الأحداث - كما يرسمها القدر - لحكمتها ولغايتها، للتربية والعبرة وبناء الأخلاق والنظم والآداب". ا. هـ

معارك جلال أباد:

من المعارك الكبيرة - بعد معركة جاجي - التي شاركت فيها القاعدة بعد تأسيسها بقيادة الشيخ أسامة، كانت معارك جلال أباد في صيف 1989م، ويروي الشيخ أسامة رحمه الله، أحداث هجوم القوات الشيوعية الحكومية الذي استهدف مواقع العرب، فقال رحمه الله:

"كانـت معـارك جـلال أباد هـي أول وأكـبر معركـة يخوضـها المجاهـدون العـرب علـى المـدن، وكـان الاخـتلاف بـين معـارك جـلال أباد والمعـارك الأخـرى في أفغانسـتان، في أن المعـارك السـابقة كانـت علـى مراكـز وقـلاع للعـدو، أمـا جـلال أباد فهـي إحـدى المـدن الرئيسـية الكـبرى في أفغانسـتان، بـل هـي أقـرب مدينـة إلى العاصـمة كابـل، ولم يكـن هنـاك خيـار في معـارك جـلال أباد، فبعـد سـقوط عـدد مـن المواقـع حـول المدينـة، وسـقوط حصـونهم في يـد المجاهـدين - حـتى وصـلت قـوات المجاهـدين الأفغـان إلى مطـار جـلال أباد - اسـتمات العـدو في الـدفاع عـن المدينـة، وأمـام ذلـك إذا تركـت كـل هـذا ورجعـت فأنـك ستخسـر كـل المعركـة، ولهـذا بـدأت معركـة طويلـة اسـتمرت بعنـف شـديد لعـدة أشـهر متواصلة، أخذ فيها الإخوة خبرات كبيرة، لم تتيسر لهم من قبل في أي معارك سابقة.



معارك جلال أباد(56)

(56) الخارطة من كتاب صليب في سماء قندهار

كـان عنـدنا حـول جـلال أباد 18 مركـزًا للعـرب (مأسـدة الأنصـار) وكـان مـن الصـعب أن تـدير معركـة طويلـة لعـدة أشـهر، وأن تكـون القـوة في حالـة شـد مسـتمرة، فأنـت محتـاج لإمـداد وتمـوين مسـتمر، ومحتـاج لـذخائر في الوقـت المناسـب، وصـواريخ لراجمـات الصـواريخ، كـذلك تم تكـوين أجهـزة لإخـلاء الجرحـى والقتلـى، نرجـو مـن الله أن يكونـوا شـهداء، وكـذلك تواجـد إخـوة في المرصـد بصـفة مسـتمرة، لرصـد أي حركـة مـن العـدو لتوجيـه النـيران إليهـا، وازدادت خـبرات الإخـوة في اسـتخدام الصـواريخ والهـاونات والمدفعيـة، وقـد اسـتخدموا الخـرائط في القصـف، حيـث يـتم تحديـد المسـافة واتجـاه الهـدف والقصـف عليـه بواسـطة الإحـداثيات حسـب الاصـطلاح العسـكري. وأمـام هـذه التجربـة الجديـدة ظهـرت معـادن الإخـوة العـرب، فثبتـوا وصـبروا وهـذا أمـر لـيس بالسـهل؛ أن تبقـى مشـدودًا طيلة هذه الأشهر وفي قتال متواصل.

وقـد كـان الإخـوة بفضـل الله، مـن أقـدر المجموعـات علـى سـرعة الحركـة، وذلـك لتـوفر وسـائل النقـل والأسـلحة والـذخائر، وزعنـا السـيارات علـى الكومنـدانات، كـذلك وزعنـا مجموعـات القتـال، فكانـت هنـاك مجموعـة اقتحـام مـع الكومنـدان خالـد، وهـو مـن أشـهر القـادة الأفغـان في جـلال أباد، وقـد فُـتح كثـير مـن المواقـع علـى يـد هـذا القائـد. وكانـت مجموعـة الإخـوة العـرب مـن أبـرز المجموعـات، وفي بعـض العمليـات كـان معظـم مجموعـة الاقتحـام مـن الشـباب العـرب، وكـان هـو الأفغـاني الوحيـد، لأن معظـم المجاهـدين التـابعين لـه قـد استشـهدوا في معـارك سـابقة، كـذلك انضـمت مجموعـة مـن المجاهـدين العـرب إلى الكومنـدان سـازنور، وقـد فـتح الله سـبحانه وتعـالى علـى أيـديهم بمشـاركة الشـباب العـربي مراكـز عديـدة، منهـا مجموعـة تبـاب (فركنـد)، والـتي أطلـق عليهـا مركـز سـراقة ومركـز صـخري، وقـد غـنم الإخـوة العـرب مـدافع الميـدان الثقيلـة بعيـدة المـدى، وكـذلك بعـض الـدبابات والمـدرعات، وقـد تم تـدريب الإخـوة علـى جميـع هـذه الأسـلحة ومنهـا الـدبابات، وقـد اسـتخدم الإخـوة العـرب الـدبابات في الهجـوم الأخـير الـذي قامـت بـه القـوات الشـيوعية ضـد مواقـع العـرب، وغنمـوا في هـذه المعـارك دبابات جديدة"[57].

(57) مأسدة الأنصار–– عصام دراز



القائد الشهيد كمندان خالد – تقبله الله

قصة الانحياز في معارك جلال أباد كما يرويها الشيخ أسامة رحمه الله(58):

"كان يوم 10 ذي الحجة سنة 1409هـ (الموافق 3 يوليو سنة 1989م)، حيث قام العدو بهجوم ضخم على مواقعنا، وكان هدف هذا الهجوم هو تدمير مواقع الإخوة العرب وحصارهم وأسرهم أحياء، وكان سبب ذلك أن الإخوة العرب، كانت قد توفرت لهم كميات كبيرة من الذخائر، اشتريناها من أسواق السلاح في باكستان. لقد اشترينا حوالي ثلاثين شاحنة وقمنا بتخزينها، ولهذا تيسر القيام بقصف شديد ومنظم ضد تجمعات الجيش الأفغاني حول جلال أباد، ففي أحد الأيام، وصلت لنا أخبار عن وجود تجمعات كبيرة لقوات العدو، فقمنا بقصف هذه التجمعات لمدة ثلاثة أيام على التوالي، قتل فيها 70 رجلًا من الهنود، وكانت حكومة كابل قد أحضرت قوات هندية، لتسد النقص الكبير في الجيش الأفغاني الحكومي بعد خروج الجيش الروسي، هذا مع العلم بوجود حوالي عشرين ألف روسي في أفغانستان حتى بعد الانسحاب.

وحدث نقص لدى قوات المجاهدين الأفغان في الذخائر، لهذا كانت الذخيرة التي لدينا وسيلة للضغط، وقمنا بقصف مستمر طوال ثلاثة أسابيع على النقاط الحساسة للعدو، حتى شعرت القوات الحكومية أن مواقع العرب مصدر إزعاج شديد لهم، فاستمر الطيران في ضرب مواقع مدافع الميدان دّي سي [DC]، وضرب راجمات الصواريخ التي معنا، وكانت راجمتين، وعندما لم ينجح العدو في إسكات مدفعيتنا بضرب الطيران والصواريخ، قام بقصف مواقعنا بصواريخ سكود. ومن

---

(58) القصة من كتاب مأسدة الأنصار العرب – عصام دراز.

المعروف أن صواريخ سكود صواريخ متوسطة المدى تطلق على المدن، ولكنها استخدمت ضدنا وضد مواقع راجمات الصواريخ، وعندما فشلوا في ذلك كلفوا قوة ضخمة بالقيام بهجوم كبير على مواقعنا، وتولى قيادة هذه القوة رجل اسمه (رحيمي)، ونائبه قائد اسمه إسماعيل، وتعهدوا لنجيب بأن يصلوا بهجومهم إلى منطقة (طورخم)، وهي نقطة على الحدود بين باكستان وأفغانستان، والمسافة بينها وبين جلال آباد حوالي تسعون كيلو مترًا، وتقع على الطريق البري الرئيسي الذي يربط بين كابل – جلال آباد – بيشاور في باكستان.

بدأ الهجوم يوم 3 يوليو 1989م، وكانت معركة شديدة، وكانت أخطر معركة خاضها الشباب العربي بعد معركة (جاجي رمضان سنة 1407هـ)، إلا أنها أصعب لأن المناطق المحيطة بجلال أباد مناطق سهول، والسهول هي أرض المدرعات، بينما المناطق الجبيلة لا تقاتل فيها المدرعات بكفاءة.

بدأ الهجوم بإرسال قوة تشغل ميسرتنا، فاتصلت بنا قوة الميسرة بعد الفجر وقالت إن هناك دبابات تتقدم للهجوم علينا، أرسلوا لنا بعض المدد، فأرسلنا لهم سيارتين وفيها مدد من السلاح والرجال. واتصلت بنا القوة الموجودة بالميمنة وقالت إن هناك مجموعة أخرى من الدبابات تتقدم نحونا، وكانت الميمنة قرب مطار جلال أباد، والمسافة بين مركز القيادة والميمنة حوالي خمسة كيلو مترات، فطلبوا مدد، وطلبوا قصف القوات المتقدمة بالصواريخ، فحولنا راجمة صواريخ في اتجاه الميمنة، وراجمة صواريخ تجاه الميسرة. وكان بين الميمنة والميسرة بعض النقاط فاتصلوا بنا وطلبوا المدد، فأرسلنا إليهم بعض الأسلحة والقوة الاحتياطية التي كانت في المركز الرئيسي، وكان كل ذلك خدعة من العدو حتى يهجم على مركز القيادة الرئيسي، فتقدمت إلينا كتيبة مدرعة حوالي 27 دبابة، وكان الطيران في هذه الفترة يقصف المنطقة قصفًا شديدًا، وبعد صلاة الفجر كانوا قد أطلقوا سبعة صواريخ سكود. وكان اختيارهم ليوم الهجوم ذكيًا، لأنه كان أول أيام عيد الأضحى، وهم يعرفون طبيعة المجاهد الأفغاني، حيث أنه يغيب عن أهله طول العام، ولهذا يحرص على قضاء العيد مع أهله.



الشيخ أسامة رحمه الله، يرافقه أبو أيوب العراقي أثناء معارك جلال أباد

تقدم العدو نحونا وكنا في المعسكر حوالي ثلاثين أخًا أو أقل، وهجمت علينا 27 دبابة، فكان موقفًا صعبًا جدًا، وكنا من قبل أرسلنا القوة الاحتياطية إلى الميمنة والميسرة، والغريب أن الدبابة الوحيدة التي كانت معنا قد نقلناها إلى قرب الطريق الرئيسي، خوفًا من أن يتقدم العدو من الطريق الرئيسي، أما الدبابة الثانية وكانت (T 62) كنا قد أرسلناها إلى أقصى الميسرة. فتقدموا نحونا وما كان في أيدي القوة الباقية في مركز القيادة مدافع آر بي جي، حيث أصيب أحد رماة الآر بي جي، وأكرمه الله وأرجو أن يتقبله شهيدًا، ولم يبق في النهاية سوى مدفع 75 ملم مضاد للدبابات، أخذ المدفع شفيق المدني ونصبه وحده (طاقم المدفع في الحرب خمسة أفراد[59]. فقام شفيق بإطلاق النيران من المدفع 75 ملم وحده. وإطلاق النار من المدفع أصعب من الأسلحة الأخرى المضادة للدبابات الصاروخية، إذ لابد من وضع القذيفة في بيت النار وإطلاقها، ثم تفريغ طرف القذيفة الفارغ ثم إعادة التعبئة.

---

(59) المدافع الصغيرة فردين أو ثلاثة فقط.



الهجوم المعاكس للشيوعيين على مراكز المجاهدين في جبهة جلال أباد. من كتاب الحماقة الكبرى، للشيخ مصطفى حامد.

لقـد كـان واضـحًا مـن إصـرار العـدو علـى محاصـرة الموقـع وتطويقـه، رغبـتهم في الإيقـاع بالمجاهـدين العـرب أسـرى، ولم تكـن هنـاك مقاومـة فعالـة بالأسـلحة المضـادة للـدبابات الآر بي جـي، فمـدى الآر بي جـي لا يزيـد عـن 300 مـتر، ولهـذا كانـت تطلـق الـدبابات نيرانهـا علينـا وهـي مطمئنـة علـى مسـافة كبـيرة، ولهـذا قلـت للإخـوة لا تطلقـوا الآر بي جـي إلا بعـد وصـول الـدبابات إلى مسـافة 300 مـتر، وعنـد وصـول الـدبابات لهـذه المسـافة، أطلـق الإخـوة القـذائف، إلا أنهـا لم تكـن مـؤثرة أمـام 27 دبابـة متقدمـة، وقـد أصـيب أحـد رمـاة الآر بي جـي مـن لغـم كـان مزروعًـا مـن قبـل، كانـت الـدبابات لا زالـت تتقـدم نحـونا، وفعـلًا وصـلت إلى أول تبّـه مـن تبـاب المركـز الرئيسـي، وهـي تبّـه صـخرية وكانـت هذه التبّه هي أول موقع لنا باتجاه العدو.

بـدأ شـفيق – رحمـه الله – يضـرب علـيهم بالمـدفع 75 ملـم، وكانـت الـدبابات علـى مسـافة 400 مـتر فقـط منـا، وكانـت تضـرب علينـا بمـدفعيتها الأساسـية بالإضـافة إلى الرشاشـات، كـانوا يمشـطون المنطقـة تمشـيطًا شـديدًا بالنـيران، تـوزع الإخـوة العـرب عنـدما تقـدمت بعـض المـدرعات في الـوادي القريـب، الـذي يفصـل بـين التبّتـين في موقعنـا، ونـزل الجنـود مـن المـدرعات وبـدأوا في الصـعود إلينـا، فقمنـا بإطـلاق نـيران مـدفع رشـاش ثقيـل جرينـوف، واسـتمر الأمـر علـى هـذا النحـو حـوالي أربـع سـاعات وهـي مـدة خياليـة. أمامـك 27 دبابـة، ونحـن لا نملـك إلا مـدفعًا واحـدًا يسـتخدمه فـردٌ واحـد، ورغـم هـذا أنـزل الله في قلـوبهم الرعـب، وأمـام ذلـك قـررنا التحـرّف للقتـال، والنـزول مـن هـذا الموقـع إلى منطقـة خلفيـة قريبـة، كثـيرة الأشـجار والتبـاب، وهـي نقطـة ضـعف للـدبابات، وطلبنـا مـن جميـع النقـاط أن يتحركـوا إلى هـذه المنطقـة، وهـي جهـة (ثمـر خيـل)، وتم إبـلاغ المجاهـدين الأفغـان بالوضـع. تقـدم العـدو إلى موقعنـا لاحتلالـه، وبفضـل مـن الله لم يكـن بـه أحـد، فقـد استشـهد شـفيق وهـو علـى مدفعـه بـنفس الهيئـة الـتي تمناهـا وعلـى نفـس الصـفة[60]، ونرجـو مـن الله سـبحانه وتعـالى أن يقبلـه مـن الشـهداء. لقـد كـان شـفيق – رحمـه الله – أحـد الثلاثـة الـذين مـن الله علـيهم بتأسـيس المأسدة، لقد تأثرت جدًا باستشهاد شفيق.

(60) كان شفيق المدني رحمه الله يتمنى ألّا يكون له قبر في الأرض، وعندما كان يواجه الدبّابات، أصابته قذيفة مباشرة فتمزّق جسده ولم يوجد له أثر.

عندما انتقلنا إلى المنطقة الجديدة تقدم العدو بجرأة وتم صد الهجوم طيلة هذه الأيام، وكذلك قاوم الإخوة الذين كانوا على الطريق الرئيسي هذا إلى أن جاء اليوم العاشر، وكان يوماً حارًا جدًا، درجة الحرارة وصلت فيه إلى 54 درجة مئوية في منطقة جلال أباد، عندما تقدموا قمنا بهجوم معاكس قبل المغرب بساعة، واستطاع أخونا يعقوب البحر أن يدمر دبابة بمدفع 82 ملم، وتم تدمير دبابة أخرى، حيث أطلق عليها أحد المجاهدين صاروخ ميلان، واستمرت الاشتباكات إلى منتصف الليل.

قام الإخوة بعد الفجر بتفقد مواقع العدو، فإذا بهم يجدون ثماني دبابات سليمة تركها العدو وهرب، فصعد إليها أخونا صالح الغامدي المعروف باسم حمزة، ومعه أمير الفتح وهو مصري، وكانوا مدربين من قبل على الدبابات، فتبادلوا إطلاق النار مع العدو، واستطاعوا أن يحصلوا على دبابة من العدو بعد أن تبادلوا النيران، وقادها الأخ حمزة إلى موقع (الزهراني). كانت خسائر العدو كبيرة، فقد تم تدمير 42 دبابة بين غنائم ومدمرة، كان منها أكثر من 20 دبابة غنائم، كان نصيب العرب منها خمس دبابات غنيمة، منها دبابتان ت 62، وكانت هذه المعارك نهاية لسلسة معارك جلال آباد، التي سقط فيها من الشهداء العرب ما يفوق عدد الذين استشهدوا طوال سنوات الحرب في أفغانستان، نسأل الله أن يتقبلهم شهداء"[61].

فتح مدينة خوست:

كذلك شاركت القاعدة في عملية فتح مدينة خوست. وكان للقاعدة نصيب مقدّر من المشاركة في الحصار المحكم على المدينة - قبل فتحها - في منطقة البتلون. ولإحكام السيطرة بالكامل برًا وجوًا على المدينة، كان الشيخ أبو وليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله قد جاء بفكرة إغلاق مطار خوست القديم الّذي كان بمثابة شريان الحياة، ومصدر الإمداد الوحيد بالمؤن والذخائر لجيش الحكومة المحاصر في المدينة.

وكانت خطّة العمل التي جاء بها الشيخ أبو وليد هي تخصيص راجمة صواريخ واحدة لكل قطاعٍ محددٍ من مدرج المطار، أي محاولة اصطياد طائرات النقل المحمّلة بالمؤن والذخائر وذلك بقصف مدرج المطار بصواريخ الكاتيوشا في الوقت الذي تغامر فيه طائرات العدو بالنزول ليلًا لتفريغ حُمُولتها. وكانت القاعدة قد ساهمت في توفير راجمة صواريخ كاتيوشا (12 سبطانة) - من

(61) مأسدة الأنصار - عصام دراز.

مجموع خمس راجمات – مع طاقمها من الإخوة، وقذائفها التي بلغت 1200 قذيفة. وبفضل الله وحده ثمّ بجهود الشيخ أبي وليد أُغلق المطار القديم نهائيًا في سبتمبر 1990م، بعد شهرٍ واحدٍ من بدء العمليات دُمّرت خلاله أربعة عشر طائرة.

وبعد ستة أشهر من إغلاق المطار القديم، سارعت حامية خوست بافتتاح مطار جديد غير أنّ الشيخ أبو وليد كان له بالمرصاد، فعندما بدأت عمليات فتح مدينة خوست في أول رمضان من عام 1411هـ الموافق 17/ مارس 1991م، شاركت القاعدة مرّةً أخرى تحت قيادة الشيخ أبي وليد في شلّ حركة المطار الجديد. وبنفس طريقة العمل الأولى تم تدمير ست أو سبع طائرات استهلكت فيها حوالي 1400 قذيفة، وكان إغلاق هذا المطار أحد الأسباب الرئيسية التي سرّعت في سقوط مدينة خوست بعد أسبوعين فقط من بدء العمليات، والفضل في ذلك يرجع لله وحده ثمّ للشيخ أبي وليد المصري، الذي كان له نصيب الأسد في التخطيط والإعداد والسهر حتى الفجر بمنظاره الليلي مترصّدًا لنزول الطائرات، ثمّ إعطائه الأمر بالرماية لطواقم الراجمات بشفرته المعهودة "يا خيل الله اركبي".

بداية وأسباب تحول المسار الفكري والمنهجي في تاريخ الصراع للشيخ أسامة رحمه الله[62]:

قبل أن يتوجه إلى أفغانستان، كان الشيخ أسامة رحمه الله – بحكم التزامه وتديّنه منذ نعومة أظفاره قد تعلّم من أبيه حبّ الجهاد وحبّ البذل والإنفاق في سبيل الله، فقد كان يَحكي عن أبيه رحمه الله[63]، أنه كان يحتفظ بخمسة ملايين دولار لنصرة المهدي عليه السلام، ويعتبر هذا المبلغ ضخمًا جدًا في الخمسينات وستّينات القرن الماضي. كذلك كان والد الشيخ أسامة قد شرّفه الله بما لم يُشرّف به أحد من المقاولين، وذلك بتوسعة المسجدين المكّي والنبوي في المدينة المنورة. وكان رحمه الله قد جعل ربحه من المشروع ريالًا واحدًا فقط فوق التكلفة، ثم لما علم أن الحكومة الأردنية قد أنزلت مناقصة لترميم قبة الصخرة، جمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة بدون أرباح حتى يضمن رسو المناقصة عليه، وكان من فضل الله عليه أنه كان يصلي أحيانًا في المساجد

---

(62) الفقرة كاملة من كتاب دعوة المقومة الإسلامية العالمية. أبو مصعب السوري. بتصرّف.

(63) توفي والد الشيخ أسامة محمّد بن عوض بن لادن في حادث تحطّم طائرة عام 1970م، وكان عمر الشيخ أسامة آنذاك عشر سنين، رحمهم الله جميعاً.

الثلاثة في يوم واحد. ولا غرابة بعد ذلك أن يكون الشيخ أسامة ذلك الشبل من ذاك الأسد، رحمهم الله جميعًا.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، عندما حضر أوّل مرةٍ للجهاد في أفغانستان، يحمل منهج وبصمات فكر الصحوة الإسلامية في بلاد الحرمين، وهي مزيجٌ من فكر الإخوان المسلمين والسرورية. وكان هو وعموم المجاهدين من بلاد الحرمين، يدينون بشرعية نظام آل سعود، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون على فسقهم وظلمهم، ويكنون احترامًا شديدًا للعلماء الرسميين في هيئة كبار العلماء ويلتزمون بفتاويهم.

وكانت الصحوة الجهادية قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات، تكبدت فيها ضحايا كثيرة، ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي، وكانت البوابة الأفغانية التي فُتحت للجهاد أمام الصحوة الإسلامية عمومًا والجهادية خصوصًا، قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان، ولم يكن بين أولئك الجهاديين، وبين أولئك الأخوة حملة فكر الإخوان والسرورية ومنهم الشيخ أسامة، من قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإسلام المتفق عليها، والعمل على نصرة الجهاد الأفغاني، وكان التناقض المنهجي، والاختلاف في الفكر الجهادي، وفهم الواقع، ومنطلقات السياسة الشرعية، جليًا بينهم كجهاديين.

وبصفةٍ عامّة، يمكن القول بأن محطة أفغانستان كانت نقطة تحول كبيرة بالنسبة للجماعات الجهادية التي اختلطت فكريًا مع بعضها البعض، وتعرفت على قضايا المسلمين المختلفة، وأصبح الهم مشترك، والنضج أكبر، والرؤية أوضح بعض الشيء، فقد كانت بيشاور المدينة الباكستانية الحدودية مع أفغانستان، قد تحولت إلى جامعة حقيقية لكافة مدارس وتيارات وتنظيمات وجماعات الصحوة العربية والإسلامية تقريبًا.

وخلال سنوات ازدهار ذلك الجمع ما بين عامي 1986 و1992م، أصبحت بيشاور ميدانًا لتلاقي كل الأفكار والمناهج والطروحات التي كانت تسود الصحوة الإسلامية، من دعوية وإصلاحية وسياسية وجهادية، وحتى من الكتل الشاذة التكفيرية الغالية فكريًا، ولعب الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية المصريان، دورًا بارزًا ومؤثرًا في الفكر الجهادي، كما كان لحضور بعض طلاب العلم، وبعض الدعاة السلفيين، وبعض السروريين من بلاد الحرمين

وغيرها، دورًا في ترويج فكر الحاكمية والولاء والبراء، وعموميات الفكر الجهادي في الأوساط العربية والأعجمية التي أمّت الجهاد الأفغاني، كما أدى حضور بعض تراث التجربة الجهادية في سوريا، في الساحة – ومنها كتاب الشيخ أبي مصعب السوري فك الله أسره – عن تاريخ التجربة السورية ودروسها، دورًا فكريًا ساهم في المواجهة الفكرية للتيار الجهادي، التي بدأت تترك بصماتها على التجمع العربي.



الشيخ أبو مصعب السوري (مصطفى بن عبد القادر بن مصطفى ست مريم)

فكّ الله أسره

وشيئًا فشيئًا، وباعتبار جهادية الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهادي من تألق واتساع، ولنصاعة الحق وشيوع منهج أتباع الدليل، بدأ الفكر الجهادي يسيطر على ساحة التجمع العربي، وبدأ يكتسب أكثرية الساحة، حيث اقتنع آلاف الشباب القادمين من معظم بلاد العالم الإسلامي بالفكر الجهادي، وبدأت تتبلور وتتكامل مدرسة جهادية جديدة في التيار الجهادي، أطلق على مجموع مكوناتها فيما بعد، ما عرف بظاهرة (الأفغان العرب)[64].

فالذي حصل مع الوقت أن الشيخ أسامة رحمه الله، بسبب التأثير والاحتكاك بينه وبين أولئك الجهاديين تدرج في القناعة، وهضم الفكر الجهادي وتقبله، ثم تبناه ثم صار أحد رموزه. وبالتحديد يمكن القول أنّ هناك عاملين أساسيين كانا قد تسببا في توقيت التغير الفكري والمنهجي لدى الشيخ أسامة، والذي انعكس موقفًا وتوجهًا عليه، وعلى القاعدة ضد أمريكا فيما بعد، وهما حسب الأهمية:

(64) دعوة المقومة الإسلامية العالمية. أبو مصعب السوري. بتصرّف.

1- أن القاعدة قد بُنيت على جهود وكوادر من تنظيم الجهاد المصري، وكوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى، الذين ساهموا في التدريب على سبيل التعاون على البر والتقوى، ولم يكن بعض هؤلاء أعضاءً في القاعدة، فقاموا ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء والحاكمية، وغيرها من أمور السياسة الشرعية وفقه الواقع في تلك المعسكرات، حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين، فأثر هؤلاء مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة القاعدة الشبابية، ثم مع الوقت انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة رحمه الله.

2- موقف حكومة آل سعود ومؤسساتها الحاكمة وعلمائها الرسميين من تداعيات حرب الخليج بحجة تحرير الكويت عام 1991م، ووجود القوات الأمريكية في بلاد الحرمين، فإن ما تبع ذلك من تحولات، كشفت للشيخ أسامة حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جزيرة العرب، وعمق نفاق المؤسسات الدينية الرسمية، وفهم بحكم إدراكه للواقع وذكائه الحاد أبعاد أهداف الوجود الأمريكي، وضخامة المؤامرات الصليبية التي اعتمدت على الأطراف السابقة في وصول جيوشها إلى المنطقة، وإضفاء الشرعية على هذا الوجود الدائم.

ولم يكن للشيخ أسامة، منذ أن قرر الاستقرار في أفغانستان، ومباشرة العمل القتالي الميداني سنة 1986م، حتى هزيمة الاتحاد السوفيتي في معركة رمضان 1407هـ، سوى هدفين مركزيين هما:

1- هدف عام يتمثل في المشاركة في الجهاد الأفغاني، والعمل على تحرير أفغانستان، وإقامة دولة إسلامية شرعية فيها تكون منطلقًا لإقامة شرع الله في الأرض، وملاذًا آمنًا وقاعدةً خلفية للجهاد ضد مختلف أعداء الله. ولم يكن للقاعدة في هذه المرحلة أي نشاط جهادي خارج أفغانستان يذكر، سوى محاولة جريئة لاغتيال ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه طعنًا بالسكين في منفاه بروما عام 1991م، قام بها المجاهد أبو عبد الله البرتغالي بعد انتحاله لشخصية صحفي.

2- هدف خاص يتمثل بمشروع جهادي يكون اليمن الجنوبي الشيوعي ساحته، وقد باشر ذلك في سنة 1989-1990م، فقد كانت معطيات التحرك الجهادي ضد الحكم الشيوعي في اليمن الجنوبي قبل الوحدة جاهزة، فسعى الشيخ أسامة إلى بعض مشايخ اليمن، وكبار دعاتها من السلفية وعلى رأسهم الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي)، وإلى الإخوان وزعمائهم، وبذل أموالًا

طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل على المشروع، لكن معظم أولئك خذلوه، واستطاع علي عبد الله صالح أن يستميلهم، ويسند إليهم المناصب، ويمنحهم العطاءات والنفوذ والتسهيلات.

مكاسب التيار الجهادي في أفغانستان:

كان المجاهدون قد أثبتوا أنفسهم في تحويل مجريات الأحداث العالمية، وذلك بعد أن أسفر الجهاد الأفغاني على أرض أفغانستان عن نصرٍ مذهل، أجبر الروس على جر أذيال الخيبة والهزيمة، والانسحاب من أفغانستان بعد عشر سنوات من القتال في فبراير عام 1989م، متكبدين عشرات آلاف من القتلى والجرحى، وتاركين وراءهم أشلاء أكثر من خمسين ألف آلية عسكرية، فضلًا عن حطام مئات الطائرات. كذلك كانت أفغانستان نقطة تحول كبيرة، حققت فيها الجماعات الجهادية مكاسب كثيرة منها[65]:

1- كانت خطورة وجود الشباب المسلم - وخاصة العربي - في ساحة الجهاد الأفغاني هي في تحويل قضية أفغانستان من قضية إقليمية محلية، إلى قضية إسلامية عالمية تشارك فيها الأمة كلها، فكان المكسب الأكبر للتيار الجهادي من تلك التجربة هو عولمة التيار الجهادي فكريًا وحركيًا، وتبادل الخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة، ثم انتشار ذلك في مختلف أقطار الدنيا، فأحيا هؤلاء الشباب بالقتال في أفغانستان وكشمير والبوسنة والشيشان فريضةً غائبة حُرمت منها الأمة زمنًا طويلًا. فكان ذلك الجهاد دورة تدريبية في غاية الخطورة لإعداد الشباب المسلم المجاهد، لخوض معركته المنتظرة مع القوة العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن؛ أمريكا.

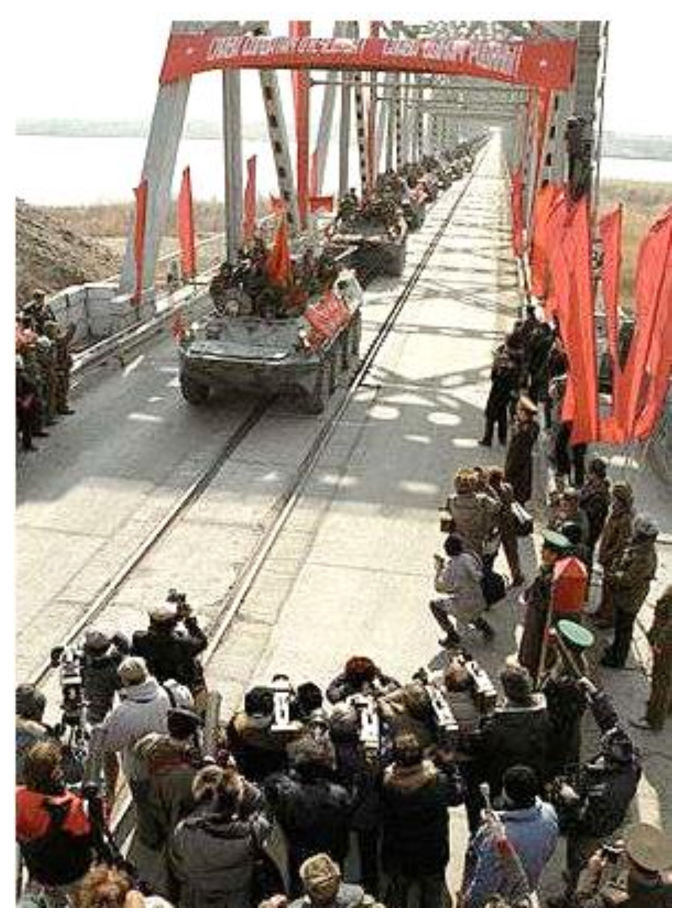
2- حطمت معارك الجهاد في أفغانستان في أذهان الشباب المسلم المجاهد وهم القوة العظمى، حيث تحطم الاتحاد السوفيتي، وفرت فلوله هاربة من أفغانستان أمام أعين الشباب المسلم وبمشاركته، فما عادوا يهابونها، ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية الحاكمة في بلادنا، وكان هذا من أجمل ثمرات ذلك الانتصار التاريخي الكبير.

3- كانت ساحة أفغانستان - خاصةً بعد انسحاب الروس - نموذجًا عمليًا على جهاد الحكام العملاء المتحالفين مع أعداء الإسلام الخارجيين، فقد كان نجيب الله في أفغانستان أحد النماذج المتكررة لحكام البلاد الإسلامية، فهو يصلي ويصوم ويحج، وفي نفس الوقت يمنع الحكم

---

(65) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. أبو مصعب السوري. بتصرّف.

بالإسلام، ويتحالف مع أعداء الإسلام، ويدخلهم لبلاده، ويبطش بالمسلمين الذين يعملون لإقامة الدين، فإذا كان جهاد نجيب ونظامه متعينًا، فجهاد كل من على شاكلته متعين كذلك(66).



انسحاب القوات الروسية الغازية من أفغانستان في 15 فبراير 1989م

سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا:

ولعل أكثر شيء يؤسف عليه في تلك المرحلة – رغم المكاسب التي تحققت – هو ضياع فرصة ذهبية كبيرة كانت الآمال معلّقةً عليها لإقامة دولة إسلامية في أفغانستان، غير أنّ سياسات المكر التي يجيد لعبتها الأعداء، ومنها ثقافة سايكس بيكو التي تجذّرت في أغلب الحركات الجهادية، حالت دون تحقيق هذه الفرصة. وعن هذا الأمر تحدث متحسّرًا الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله فقال:

---

(66) الفقرات 1-2-3 من كتاب فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

" وكانت الفرصة جيدة جدًا لإقامة دولة قوية، بعيدًا عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضعٍ وفي انشراحٍ وتعاون غير عادي، كان الوضع يسمح بقوة، أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية، لا باعتبارات قطرية وقومية، وللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة، وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله، ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين؛ **أن اغتنموا هذه الفرصة**، ولكن لا حياة لمن تنادي، **شُغل الناس، وسُحبوا باعتباراتٍ أرضية، وباعتباراتٍ قطرية، وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصيًا دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة، ولم يتحرك الناس للاستفادة منها"**[67].

(67) توجيهات منهجية. للشيخ أسامة بن لادن.

شبهات حول دعم أمريكا للجهاد والمجاهدين في أفغانستان[68]:

وهنا يجب الإشارة إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربي والأمريكي خاصة، والإعلام التابع لهم في بلاد العالم العربي والإسلامي، حيث يجب توضيح حقيقتهما للناس عامة، وللإسلاميين والجهاديين وجمهورهم خاصة، وهما:

1- دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني.

2- شبهة عمالة المجاهدين العرب، ومن شارك في الجهاد الأفغاني من الإسلاميين لأمريكا وارتباطهم ب (CIA) خلال تلك القضية، كما يزعم اليوم الإعلام الغربي وأتباعه:

دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني:

سعى الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله التي يسيطر عليها اليهود والصليبيون المتصهينون، إلى التصوير بأن انتصار الجهاد الأفغاني كان مجرد نجاح للسياسة الأمريكية وبرامج (CIA) في أفغانستان، وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حدٍ كبير، فقد عملوا على ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدءًا من أفلام (رامبو في أفغانستان)، وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات، ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان (المجاهدين!) معهم، وركب الخيل، وقاد المدرعات، وحلق في السماء بالهليكوبتر الروسية، وجُرح مرارًا ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة، واستطاع أن يمطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكية بسيل من الحِكَم والدعايات السخيفة، وأوصل في النهاية الرسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين، ونصرتها للمظلومين، وحرصها على مساعدة المسلمين، ودورها الرئيسي في انتصار الأفغان، الذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا.

كما ركز الإعلام الأمريكي مستخفًا بعقول من صدّقه على دور صواريخ (ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المعركة عندما بدأت تتساقط الطائرات الروسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المجاهدين إلى انتصارهم، علمًا أن الأعداد المحدودة من صواريخ (ستنغر) الأمريكية، قد دخلت أفغانستان قبيل انسحاب الروس بقليل، ولم يسقط بها إلا عدد محدود من الطائرات.

---

(68) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

ويا ترى ما هو دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكرية، وقتل أكثر من ثلاثين ألف جندي روسي، وأكثر من مائة وخمسين ألف من المليشيات الشيوعية الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليات خلال جهاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، ابتدأ قبل الغزو الروسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المجاهدين.

شبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا وارتباطهم ب (CIA) خلال الجهاد الأفغاني:

وهناك كذبة أخرى وجدت طريقًا إلى عقول ملايين السذّج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة على أنها حقيقة، مفادها أن المخابرات الأمريكية (CIA)، هي التي صنعت (الأفغان العرب) وزعماءهم من أمثال الشيخ أسامة بن لادن، والشيخ عبد الله عزام، من أجل تدمير الاتحاد السوفيتي، وان هذه الصنائع انقلبت عليها اليوم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حكام بلاد العرب والمسلمين، وأن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب، هي إفراز للجهاد الأفغاني، وبالتالي صنيعة الاستخبارات الأمريكية، وقد خرجت عن الطوق.

وحقيقة الأمر هي، أن التيار الجهادي العربي المعاصر هو وليد الصحوة الإسلامية التي نشأت مطلع الثلاثينات، فقامت على إثرها كثير من التجارب الجهادية ما بين مطلع الستينات ومطلع الثمانينات، أي قبل الجهاد الأفغاني بعشرين سنة، بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان الجهاد العربي في أفغانستان، هم من بقايا وكوادر ورموز وشيوخ التيار الجهادي العربي، فالشيخ عبد الله عزام من رموز وقدماء المجاهدين في فلسطين، والشيخ أسامة بن لادن تربي في الصحوة الإسلامية، ودعم أكثر من حركة للجهاد في بلاد العرب، وساهم في دعم الجهاد في سوريا مطلع الثمانينات، قبل أن يتوجه إلى أفغانستان. وكذلك فإن كثيرًا من الكوادر الذين يصعب حصرهم هنا من المدربين، والقادة الميدانين الأوائل الذين حملوا مهمة إنشاء المعسكرات، وإقامة البنية الأساسية للجهاد العربي في أفغانستان، كانوا من كوادر تنظيمات الجهاد العربية، ولاسيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن وغيرها، وهم الذين كانوا نواة التجمع العربي الذين تولوا العمل في مجالات التدريب، والإعلام، والعمل العسكري، والعمل الإغاثي الميداني، إلى أن تقاطر المجاهدون من البلاد العربية والإسلامية، وتزايد الجمع الذي ابتدأ بكوكبةٍ صغيرة سنة 1984م، فتصاعد ليبلغ زهاء أربعين ألفًا من المجاهدين العرب مع مطلع التسعينات.

وفي معرض ردّه لمراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل، عما تردده وسائل الإعلام العالمية " بأنكم كنتم على صلة، أو أن الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد"، قال الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله:

" فالأمريكان يكذبون إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام، ونحن نتحداهم ليبرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالة علينا وعلى المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن أي اتفاق، وإنما كنا نحن نقوم بالواجب لنصرة الإسلام في أفغانستان، وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية، فعندما قاتل المسلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شديدًا بين الروم والفرس وكان دائمًا، ولا يمكن لعاقل أن يقول، إن المسلمين عندما بدأوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني قتلك الروم، وهو واجب عليك كان يفرح الفرس، لكن بعدما أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدأوا بالفرس، فتقاطع المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام، ولنا محاضرات بفضل الله سبحانه وتعالى منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بوجوب مقاطعة البضائع الأمريكية، وبوجوب ضرب القوات الأمريكية، وبوجوب ضرب الاقتصاد الأمريكي، منذ أكثر من 12 سنة".

المكر الدولي على الجهاد والمجاهدين:

كان الخوف الأكبر لدي أعداء الإسلام أن ينتصر الإسلام في أفغانستان، ويثبت الجهاد جدواه في تغيير الواقع المظلم للمسلمين، لهذا كان لا بد من إفشال التجربة الأفغانية الجهادية، وكان لا بد من تشريد وتدمير وتصفية العرب، الذين تأثروا بالتجربة وأثّروا فيها، وكان أول ضحايا تلك المرحلة، هو اغتيال الرئيس الباكستاني ضياء الحق في 17 أغسطس 1988م، ومن بعده بعام ونيف، اغتيل إمام المجاهدين الشيخ عبد الله عزام مع اثنين من أبنائه رحمهم الله، بتفجير سيارته في بيشاور في 24 نوفمبر 1989م، وهو في طريقه إلى مسجد سبع الليل كي يؤم صلاة الجمعة.

ولما بدأ المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابول، وبدأت تتساقط المدن الرئيسية في أيديهم، توجه المخطط الأمريكي الغربي في منحيين اثنين تجاه تلك الساحة، الأول أفغاني والثاني عربي[69]:

1- ففي الاتجاه الأفغاني، كان برنامج الأمريكان وأعوانهم، وعلى رأسهم حكومة باكستان ونظام آل سعود ومصر، الحيلولة دون قيام حكومة للمجاهدين تعلن دولة إسلامية، وتحكم بالشريعة، وتنهض بإعمار أفغانستان. وكانت الخطة المقررة لهذا البرنامج هي افتعال مرحلة من الحرب الأهلية، تستهلك المخزون الاستراتيجي من السلاح، ومئات آلاف الكوادر المقاتلة من قيادات وأعضاء المنظمات الجهادية في أفغانستان، وهذا ما نفذوه خلال (1992-1996م).

2- وفي الاتجاه العربي، هبت رياح تلك العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا، ونفذتها باكستان، وتابعتها الدول العربية والأوربية بُعيد سقوط الاتحاد السوفييتي، لتطال ذلك الجمع المبارك من المجاهدين العرب، فأخرجت الشريحة الأكبر منهم إلى بلادهم، لتواجه المطاردات الأمنية والتحقيقات والسجون بتهمة الانتماء لجماعات جهادية مسلحة... وشردت الحملة من لا يستطيع العودة إلى بلاده في أقطار الدنيا كلاجئين، أو في بلدان عربية أخرى لا تطالهم فيها أيدي حكوماتهم، وخفضت ذلك الجمع من عشرات الآلاف، إلى بضعة مئات من المطاردين المختفين في باكستان. ا. هـ

(69) كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلًا:

لقد فقه أعداء الله منذ أمدٍ بعيدٍ نقطة ضعف هذه الأمة، وهي في اختلافها وتنازعها وتفرّق كلماتها، لقد فقهوا أن النتيجة الحتمية لهذه الأدواء هي الفشل الذريع مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، لذلك كل سياساتهم وخططهم ومكرهم لاستئصال شأفة المجاهدين، ولإفشال ثمرة الجهاد في كل ساحاته، تصبّ كلها في بث الفرقة والاختلف والنزاع بين صفوف المجاهدين.

وحريٌ بنا في هذا المقام حتى نفقه خطورة هذا الأمر، أن نعقد على سبيل المثال من الواقع مقارنتين نستشف منهما العظات والعبر، وهما ألى أين يؤول الجهاد والمجاهدين في حالة الفرقة والاختلف والنزاع، وكيف تكون الصورة في حالة الوحدة والاعتصام بحبل الله المتين.

المقارنة الأولى من بلاد الشام:

أولًا: معلوم أن النظام الدولي الصهيوصليبي قد مكث عشرات السنين يخطط ويمكر لتأمين دويلة اليهود وحمايتها عبر حكومات دول الطوق العميلة (مصر - سوريا - الأردن - لبنان)، ومن ناحيةٍ أخرى عبر إفساد شعوب تلك الدول بشتى صنوف الرذيلة من خمر وزنا وفنون خليعة وعري واختلاط، حتى لا يكن لديها أي نخوة أو غَيْرة على الدين فضلًا عن التفكير في تحرير المقدّسات.

لكن جعل الله تدميرهم في تدبيرهم، فقد أدّت سياسة "الأسد أو نحرق البلد" التي اتبعها النظام السوري في قمع المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بشيء من الحرية، إلى أن يعود الشعب السوري إلى ربّه ودينه، ويحمل السلاح دفاعًا عن نفسه وعرضه، وشيئًا فشيئًا في سنوات قلائل ظهرت جماعات جهادية دقّت عملياتها النوعية أبواب دمشق، ووطئت أقدامها القنيطرة على مرمى حجرٍ من اليهود، فكانت هذه الجماعات الجهادية تقاتل في الشام وأعينها مصوبة إلى بيت المقدس، وحينها جنّ جنون الأعداء، الذين لم يتوقّعوا أن تتسارع الأمور بهذه الوتيرة.

ثانيًا: لقد نفر إلى بلاد الشام لقتال النظام النصيري عشرات الألوف من الشباب، منهم المئات من دول أوروبا وأمريكا واستراليا، وأخوف ما كانت تخاف منه أمريكا والدول الغربية بصفة عامّة، هو ذلك التجمّع الغير مسبوق من حاملي جنسيّات تلك الدول في تلك البؤرة الجهادية.

فإذا كان تسعة عشر شابًا من خارج أمريكا فعلوا فيها ما فعلوا، وإذا كان العالم أجمع قد شهد كيف أثخنت عمليات الجهاد الفردي التي قام بها بعض مواطني هذه الدول الذين تأثّروا بما يحدث

لإخـوانهم المسـلمين في بـلاد الشـام وغيرهـا ولم تطـأ أقـدامهم سـاحات الجهـاد قـط، فكيـف إذا رجـع العشـرات إن لم يكـن المئـات مـن رعـايا تلـك الـدول إلى بلادهـم ممـن تشـبّع فكـرهم بالجهـاد، وتـدربوا تـدريبًا عاليًـا، وكسـروا حـاجز الخـوف بخوضـهم معـارك في غايـة الشراسـة مـع النظـام النصـيري. كيـف إذا رجـع هـؤلاء إلى بلادهـم وهـم قـد رأوا بأمّ أعيـنهم تواطـؤ حكومـاتهم في حروبهـا الصـليبية – المسـماة بمكافحـة الإرهـاب – علـى المسـلمين في أفغانسـتان، والعـراق، والـيمن والصـومال وغيرهمـا. وكيـف إذا علمنـا أن الكثـير مـن هـؤلاء الشـباب كـانوا يتبعـون لجبهـة النصـرة قبـل أن تتنصـل مـن بيعتهـا للقاعـدة بحجّـة فـك الارتبـاط. بـدون شـك سـتكون لعمليـاتهم النوعيّـة بعـدًا كبـيرًا في تغيـير مجـريات الأحـداث، وفي تغيير سياسات بلادهم، وما تفجيرات بالي ومدريد ولندن عنّا ببعيد.

ولعـل هـذان السـببان الرئيسـان جعـلا أعـداء الله يتحركـون نحـو أقصـر الطـرق وأسـرعها لإفشـال التجربـة الجهاديـة في بـلاد الشـام، وذلـك بغـرس بـذور الخـلاف والنـزاع، وتطبيـق سياسـة **فـرّق تسـد** بـين فصائل المجاهدين المختلفة.

وكمـا توجـه المخطـط الأمريكـي الغـربي – كمـا مـا مـرّ بنـا – لإفشـال الجهـاد الأفغـاني الأول في منحيـين اثنـين، كـذلك توجـه نفـس المخطـط لإفشـال الجهـاد في الشـام في منحيـين اثنـين، الأول شـامي، والثـاني تنـاول وضـع المقـاتلين الأجانـب –كمـا سمّـوهم – الـذين جـاءوا لنصـرة إخـوانهم في بـلاد الشام:

1- ففـي الاتجـاه الشـامي، اختلـق الأعـداء عشـرات الجماعـات والتنظيمـات والجيـوش القوميـة والعلمانيـة والديموقراطيـة، ودُعمـت هـذه الجماعـات مـن دول إقليميـة ودوليـة بشـتّى أنـواع الـدعم المـادي والعسـكري، مـن أجـل هـدف واحـد فقـط هـو: الحيلولـة دون قيـام أي مشـروع لإقامـة دولـة إسـلامية تحكـم بالشـريعة، وذلـك بالتصـدي للجماعـات الجهاديـة، وخاصـة ذات التوجـه العـالمي (القاعـدة) تحـت ذريعـة مكافحـة الإرهـاب، إضـافة إلى التضـييق علـى الجماعـات القطريـة الأخـرى وإجبارهـا – تحـت ضـغط الواقـع – علـى أن تضـغط علـى جماعـة القاعـدة بـترك توجههـا العـالمي، إمـا بالعمـل تحـت راية الجماعات القطرية، أو ترك الساحة والخروج منها ليكون أفرادها عرضة للاعتقال والقصف.

وللأسـف الشـديد بـدلًا مـن أن تأخـذ تلـك الجماعـات الجهاديـة القطريـة العظـات والعـبر مـن تجربـة أفغانسـتان الأولى فتضـع خلافاتهـا جانبًـا، وتتوحـد علـى أقـل تقـدير علـى هـدف واحـد هـو إسـقاط النظـام، دبّ النـزاع فيمـا بينهـا، حـتى أدى في بعـض الأحـايين إلى حمـل السـلاح وإراقـة الـدماء، ولا

حـول ولا قـوّة إلا بالله. وفي المقابـل تكالـب الشـيعة الـروافض مـن كـل بقـاع الـدنيا، وتوحـدوا علـى هـدفٍ واحـد فقـط، هـو قتـال تلـك الجماعـات "التكفيريـة" كمـا يزعمـون، وكانـت النتيجـة الحتميـة، والسـنّة القدريـة الـتي لا تتبـدل ولا تتحـول هـي: ﴿وَلَا تَنَـازَعُوا فَتَفْشَـلُوا وَتَـذْهَبَ رِيحُكُـمْ﴾. فـأين هـي الجماعـات الجهاديـة الشـاميّة اليـوم، الـتي كـان نفوذهـا بالأمـس يبسـط الأمـن والسـلام في أغلـب ربـوع الشام الحبيب؟

2- وفيمـا يخـص المقـاتلين الأجانـب الـذين يقـاتلون في بـلاد الشـام، هبّـت رياح العاصـفة الأمنيـة الـتي نظمتهـا أمريكـا، ونفـذتها ومـا زالـت تنفّـذها جميـع الـدول لملاحقـتهم تحـت ذريعـة مكافحـة الإرهـاب. وكـان مجلـس الأمـن قـد عقـد في نـوفمبر 2014م، جلسـة اسـتثنائية طارئـة برئاسـة الـرئيس الأمريكـي[70] أوبامـا، لمناقشـة وضـع المقـاتلين الأجانـب في العـراق والشـام، وكـان المجلـس قـد اتخـذ القـرار رقـم 2178 الـذي يلـزم جميـع الـدول باتخـاذ تـدابير وقائيـة وعقابيـة، تصـل إلى حـد الحرمـان مـن المواطنة، لمنع رعاياها من المشاركة في القتال في بلاد الشام.

المقارنة الثانية: أمّا كيف تكون الصورة في حالة الوحدة والاعتصام.

يقـول الشـيخ أسـامة في خطابـه الـذي ألقـاه بمناسـبة مـرور سـنة علـى بـدء الحـرب الصـليبية الأمريكيـة: "إذا كـان مـن المسَّـلم بـه **أن النـزاع والاخـتلاف مـن أهـم دواعـي الفشـل وذهـاب الـريح الـذي تعـاني منـه أمتنـا اليـوم**، فـإن مـن **المُسَّـلم بـه كـذلك أن الوحـدة والاجتمـاع والاعتصـام بحبـل الله هي مفتاح النصر والظفر، وباب السيادة والقيادة**".

وخـير دليـلٍ علـى هـذا الكـلام مـن واقعنـا اليـوم هـو قصّـة حركـة طالبـان الـتي شـارف عمرهـا – منـذ قيامهـا عـام 1994م – علـى الثلاثـة عقـود، وكـل يـوم يمـر عليهـا تـزداد فيـه بفضـل الله قـوة إلى قـوة، وعـزة إلى عـزة. وسـيمر علينـا في الصـفحات القادمـة تفصـيلًا عـن كيـف نشـأت الحركـة، ومـا يهمّنـا هنـا في هـذا المقـام هـو أن حركـة طالبـان منـذ اليـوم الأول الـذي قامـت فيـه **كانـت حركـة معتصـمةً بحبـل الله، موحّـدةً في قيادتهـا وكلمتهـا وأهـدافها، لـذلك صـاحبها التوفيـق والسّـداد ومعيّـة الله في كـل خطوة من خطواتها.**

(70) جدير بالذكر أن الرئيس الأمريكي لا يتولّى رئاسة جلسات مجلس الأمن إلّا في حالات استثنائية طارئة جدًا، وهذه هي المرّة الثانية أو الثالثة في تاريخ أمريكا التي يتولّى فيها رئيس أمريكي رئاسة تلك الجلسة لمناقشة وضع المقاتلين الأجانب في بلاد الشام.

فعندما أخلص الملا عمر نيّته لله، وعزم على تغيير المنكر ومحاربة المفسدين، استعان بالله وحده وتوكل عليه التوكل المحض، فجمع حوله عدد يسير من الصالحين، وفتح الله عليه البلاد وقلوب العباد، وخلال سنتين فقط وبفضل الله وحده، دحرت حركة طالبان أحزاب الفساد والشقاق والنفاق مجتمعين، ودانت كل ولايات البلاد الشرقية والغربية والجنوبية للملّا عمر، وبايعه 1500 من العلماء ونصبوه أميرًا للمؤمنين، وحتى بداية الحرب الصليبية في أكتوبر 2001م، كانت كل ولايات أفغانستان تحت سيطرت حركة طالبان عدا ولايتين فقط هما ولايتي بدخشان وبنشير.

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر شاءت إرادة العليم الحكيم أن تأتي أمريكا بقضها وقضيضها، وأقبلت بفخرها وخيلائها تحادّ الله ورسوله، فتصدّى لها – مستعينين بالله ومعتصمين بحبله – أسود الشرى، وأبطال التوحيد من الطالبان وأنصارهم، وعلى مدى تسعة عشر عامًا كاملة فُتحت أبواب جهنّم على جنود الصليب. وبفضل الله وحده لم تستطع أمريكا وخمسين دولة من حلفائها، بما يملكون من أسراب الطائرات والبارجات والصواريخ البالستية والميزانيات المليارية أن يحققوا نصرًا عسكريًا حاسمًا على حركة طالبان، ولم يستطيعوا كذلك بما يملكون من أجهزة الاستخبارات وسياسات المكر التي يُجيدون لعبتها إفشال الجهاد –كما نجحوا في الجهاد الأول – وذلك ببث الفرقة والاختلاف والنزاع بينهم بغرض شقّ صفّهم، ولما يئست أمريكا من تحقيق أيّ الأمرين اضطرت أخيرًا أن ترضخ ذليلة صاغرة على الجلوس وجهًا لوجه مع من كانت بالأمس تصنّفهم بأنهم إرهابيين وقتلة، وتوقع معهم في 28 فبراير 2020م اتفاق الدوحة التاريخي الذي قضي بخروجها وجميع حلفائها من أفغانستان.

الخطة الدولية لمحاربة التيار الجهادي أو ما يسمى بمكافحة الإرهاب(71):

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد وضعت الإدارات الأمريكية المتوالية – بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) – خطة متكاملة لمواجهة التيار الجهادي، اصطلح عليها " بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهاب"، فتتابعت المؤتمرات الأمنية الإقليمية والدولية خلال ذلك العقد بمعدلٍ لا يقل عن مؤتمرٍ أو أكثر كل ستة أشهر لتحقيق ذلك الغرض. فتطرق مؤتمر مدريد للسلام بين العرب واليهود من أجل التطبيع عام 1991م لمسألة الإرهاب، وتفرّغ مؤتمر شرم الشيخ عام 1994م، ومؤتمر شنغهاي ودايتون عام 1995م لنفس المسألة، وتتابعت من بعد ذلك عشرات

---

(71) من كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

المؤتمرات العالمية إلى الآن، وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكية كل هذه المؤتمرات، بما فيها الخاصة بدول المتوسط، وكذلك إسرائيل ومعظم الدول العربية، وتتابعت مؤتمرات وزراء الداخلية العرب في تونس، ولعب نظام آل سعود ووزير داخليته نايف بن عبد العزيز، المتحمس بشراسة لمكافحة الإرهاب، دورًا بارزًا في هذا الأمر، ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

1- تجفيف المنابع المالية:

وقد تضمنت هذه الخطة فرض رقابة صارمة على الموارد المالية للحركات الجهادية والأصولية، التي تصفها أمريكا وأذيالها من حكام المسلمين بأنها (إرهابية)، واتخذت قرارات وإجراءات لمراجعة الأرصدة في البنوك، ومراقبة الحوالات البنكية، ومصارف الزكاة، وأعمال اللجان الخيرية، والمؤسسات الإنسانية الإسلامية، واتخذت قرارات لمصادرة أموال، ومراقبة حسابات وتجميد أرصدة، أدخلت معظم الحركات الجهادية في حالة من الضائقة الشديدة، وقلصت مواردها لحد كبير.

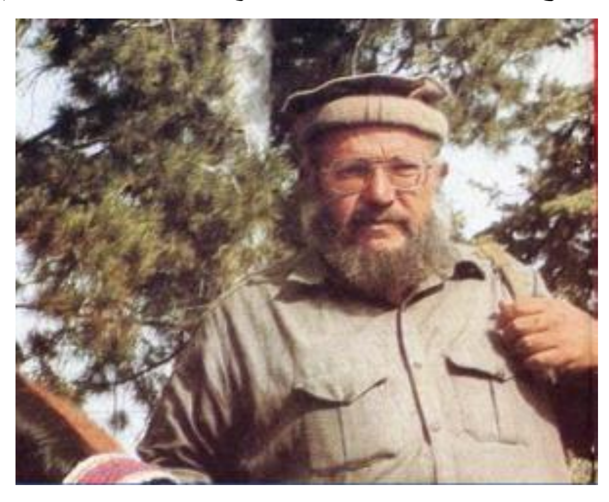
2- استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر:

افتتحت أمريكا هذه السياسة باغتيال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في 24 نوفمبر 1989م، وكان قد سبقه حادثة وفاة الشيخ تميم العدناني في أمريكا في ظروف غامضة، وكانت هناك محاولة لاغتيال الشيخ أسامة رحمه الله في بيشاور عام 1991م، ثم اغتيل واختطف عدد من قيادات الجهاد المصري والجماعة الإسلامية من بعض الدول، ثم اغتيل الشيخ أنور شعبان أمير المجاهدين العرب في البوسنة، واختطف أمير الجماعة الإسلامية الشيخ طلعت فؤاد قاسم من كرواتيا حيث كان لاجئًا في الدانمارك، ونقلته مروحية أمريكية إلى سفينة في المتوسط حيث اختطف إلى مصر، ثم اعتقل الشيخ عمر عبد الرحمن في أمريكا، ولفقت له تهم مضحكة ليحكم بالسجن أكثر من 200 سنة.





الشيخ عبد الله عزام شهيدًا مع ابنيه مُحَمَّد وإبراهيم



الشيخ تميم العدناني – رحمه الله

وطالت الحملة كوادر جهادية في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسواها، وطال السجن حتى علماء ورموز تؤدي دعوتهم إلى إحياء الجهاد بصورة غير مباشرة في الدول العربية، فاعتقل الشيخ علي بلحاج في الجزائر، واعتقل الشيخ سفر الحوالي، والشيخ سلمان العودة، ونحو عشرة آخرين من كبار علماء الصحوة في بلاد الحرمين، واختُطف جهاديون من دول متعددة من اذربيجان وتايلند والفلبينن، وبعض الدول العربية وباكستان، وأُودعوا السجون أو لفهم المصير الغامض.

3–اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة:

فقد تبادلت الدول العربية والإسلامية فيما بينها كثيرًا من المعتقلين الجهاديين، الذين سلموا إلى المصير المجهول في بلادهم، بل ارتكبت بعض الدول الغربية التي تزعم احترام تلك القوانين والحقوق مثل هذه الأعمال، وسلمت إخوة أبرياء مع أسرهم في بعض الأحيان إلى بلادهم.

4- إلغاء الملاذات الآمنة:

كـان أول مـن أعلـن هـذا الإجـراء بهـذه الصـيغة الـرئيس كلينتـون سـنة 1995م، حيـث ابتـدأت حملـة مطـاردات أمنيـة للجهـاديين في أوربا ومختلـف دول العـالم. وكـان معظـم كـوادر الأفغـان العـرب والتيـار الجهـادي قـد توزعـوا في بعـض الـبلاد الأوربيـة كلاجئـين، أو اسـتقروا في السـودان والـيمن أو إيـران وتركيـا، واسـتقر بعـض الجهـاديين مـن شمـال أفريقيـا في سـوريا والأردن، فيمـا بقـي الـبعض في باكستان والقليل منهم في أفغانستان.

ابتـدأت حملـة الضـغط الأمريكيـة منـذ عهـد كلينتـون تحـت هـذا العنـوان، فطُـرد الشـيخ أسـامة بـن لادن، والجهـاديون المصـريون والليبيـون ومعظـم البـاقين مـن السـودان، وسـلمت الحكومـة السـودانية بزعامـة البشـير والـترابي أخـوة ليبيـين إلى بلـدهم ليعـدموا، وطـردت الـيمن الجهـاديين تحـت تهديـد اعتقـال نسـائهم، وتوسـطت قيـادات إسـلامية وقبليـة واتفقـوا مـع الحكومـة اليمنيـة علـى طـرد الإخـوة بنسـائهم وأطفـالهم، وقبضـت سـوريا والأردن وتركيـا علـى أخـوة جهـاديين وسـلمتهم لـبلادهم وفـر البـاقون، أمـا حـرب البلقـان فقـد تـدخل الـرئيس الأمريكـي بـل كلنتـون بنفسـه لإبـرام اتفاقيـة دايتـون بـين الأطـراف المتنازعـة، ليـتم فـرض الشـروط الأمريكيـة للسـلام، والـتي كـان مـن أهمهـا، طـرد المجاهـدين العـرب مـن البوسـنة والهرسـك، وهكـذا ضـاقت علـى المجاهـدين الأرض بمـا رحبـت منـذ عـام 1995م ومـا تلاهـا من أعوام.

5- نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي:

فقـد عُقـدت الاتفاقيـات الأمنيـة الدوليـة ذات التفاصـيل العمليـة المعقـدة، ووُضـعت بـرامج لمتابعـة الاتصـالات الروتينيـة، وربـط أجهـزة الاسـتخبارات علـى مسـتوى المعلومـات والاتصـالات بخطـط تعـاون عالية الكفاءة.

6- التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب:

فقـد قامـت الـدول الغربيـة وأمريكـا بتعـديل الكثـير مـن تشـريعاتها، وسـن قـوانين أسـوأ مـن القـوانين العرفيـة المعمـول بهـا في العـالم الثالـث، لتصـفية مجـالات اللجـوء السياسـي وحقـوق الأجانـب، وتوسـيع قوانين مكافحة الإرهاب، حتى شملت بريطانيا وفرنسا والدول الإسكندنافية.

7- الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين وعزلهم:

وتزامنًا مع هذه الحملة الأمنية والعسكرية، انطلقت معها جنبًا إلى جنب حملة إعلامية ودعائية لتشويه الجهاديين ومبادئهم وممارساتهم، بغرض عزلهم عن جماهيرهم، وإظهارهم على أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء، ومتشددون دينيون لا يحملون رسالة التسامح والحوار إلى آخر التهم. وقد لعبت المؤسسات الدينية الرسمية المتحالفة مع الحكومات في بلاد العرب والمسلمين أخبث الأدوار، وزودت هذه الحملة العالمية بأفتك أسلحتها.

أتواصَوْا به (تعليقًا على الخطة الدولية لمكافحة الإرهاب):

لو تأمّلنا في سيرة رسولنا الكريم، وفي قصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتمّ التسليم لعلمنا أن النظام الدولي الجديد لم يبتدع ويأتي بجديد فيما يسمّى بخطّة مكافحة الإرهاب، فكل سياساته وسياسات أسلافه الأوّلين في هذا المجال هي نفس السياسات، كلها تصبّ في خانة الصدّ عن سبيل الله، والاختلاف فقط في المسمّيات والألفاظ والشخصيّات، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

فسياسة تجفيف المنابع هي التي عبّر عنها الله تعالى بقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾. وسياسة استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر عبّر عنها الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾. وسياسة اتفاقيات التسليم عبّرت عنها قريش بمحاولاتها اليائسة بشتّى الطرق مع أبي طالب ليسلّم لهم رسول الله الذي عاب دينهم وسبّ آلهتهم ليقتلوه.

وبالنسبة لإلغاء الملاذات الآمنة، فقد كانت أخوف ما تخاف منه قريش أن يحل رسول الله صلى الله عليه وسلّم على حي من العرب، فيغلب عليهم بحسن حديثه وحلاوة منطقه حتى يتابعوه، ومن ثَمّ يسير بهم إليهم، لذلك لما قرع خبر بيعة العقبة آذان قريش احتجّوا لزعماء الخزرج احتجاجًا مبطّنًا بالتهديد بالحرب إن هم آووا رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقالوا لهم: "يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيٍ من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم".

وفيما يخصّ التعاون الأمني جاء في السيرة أن قريشًا حاولت التودد إلى النجاشي ملك الحبشة برشوته ورشوة بطارقته على أن يسلّم لهم المسلمين المستجيرين بجواره، ومعلوم في السيرة كذلك قصة غزوة الأحزاب، وكيف أن اليهود هم من ألّبوا قريشًا وغطفان وحزّبوا قبائل العرب في جيشٍ

عرمرمٍ –أشبه ما يكون اليوم بقوّات التحالف الدولي التي تقودها أمريكا – لقتال الرسول صلى الله عليه وسلّم.

أمّا ما يخصّ الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين وعزلهم فقد جاء في كتب السيرة؛ أن كفار قريش لما دنى موسم الحج، اجتمعوا للتشاور في الكيفية التي يحيلون بها بين النبي ﷺ وبين عرض دعوته على الوافدين على مكة من الحجيج، فأرادوا أن تتوحد كلمتهم في شأن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا تكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فقال الوليد بن المغيرة: "أجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا"، فطلبوا منه أن يشير عليهم برأيه ويدلي معهم بدلوه، فرد الأمر إليهم ليستمع هو ما يقولون، قالوا: "نقول كاهن"، قال: "لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا سجعهم"، قالوا: "فنقول: مجنون"، قال: "ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته"، قالوا: "فنقول شاعر"، قال: "ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر"، قالوا: "فنقول ساحر"، قال: "ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم"، قالوا: "فما نقول؟"، قال: "إن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء أخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته"، فعلى هذا اتفقت كلمتهم وتفرق جمعهم وانعقد عزمهم فتفرقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره.

وهكذا يستمر المكر العالمي والنظام الدولي بقيادة أمريكا لإجهاض اي محاولة جادة من أبناء هذه الأمة، لإقامة مشروع جهادي ناجح، تكون ثمرته دولة إسلامية، ونظام إسلامي على أنقاض هذه الأنظمة العلمانية المرتبطة بالنظام العالمي العلماني، ولكن هذه المحاولات، والمكر من أعداء الله مآله الفشل والهزيمة، ولايزال في هذه الامة طائفة ظاهرة على الحق، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها، كما اخبرنا بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ). وفي رواية: (لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ) رواهما مسلم.

أحوال المجاهدين بعد تنفيذ توصيات ما يسمى بمكافحة الإرهاب[72]:

وهكذا انتقل التيار الجهادي إلى مرحلة جديدة - استمرت من عام 1992-1996م - يمكن أن نسميها ب (مرحلة الشتات والملاذات الآمنة المؤقتة)، فعاد الآلاف من المجاهدين (الأفغان العرب) إلى بلادهم، مثل بلاد الحرمين ودول الخليج واليمن وموريتانيا والأردن وغيرها، وبدلًا من أن يرحب بهم كأبطال ومجاهدين، وجد أولئك الشباب أنفسهم غرباء في أوطانهم التي فتحت لهم أبواب المعتقلات، وجلسات التحقيق والسجون لمدد غير محدودة، ووجهت لهم التهم، ولم يسلم من ذلك إلا بعض البلدان ممن لم تقابل أولئك المجاهدين بهذه الطريقة.

وأما الذين لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم، فقد أصبحوا مطاردين أمنيًا، وتشتتوا في أصقاع المعمورة ما بين لاجئ أو مهاجر أو متخفٍ أو أسيرٍ أو قتيل، أو مجاهد حمل السلاح لجبهة أخرى من ثغور الإسلام، أو يائس يحاول أن ينخرط في حياة الناس العادية، بعد أن رأى شراسة العداء، وشدة المطاردة ضد المجاهدين، وتوزع هذا الجمع الطيب في ملاذات أمنة مختلفة كان من أهمها:

1- أوربا والدول الغربية:

وذلك عبر فرص اللجوء السياسي في دول الاتحاد الأوربي، كبريطانيا التي أمّتها كتلة كبيرة تضم كوادر رئيسية من المجاهدين العرب، والتيار الجهادي من مختلف الجنسيات.

2- بلاد أخرى:

لا تشكل خطورة أمنية - قبل استحكام التنسيق الأمني العربي والإقليمي والدولي- على الجهاديين من بلدان عربية أخرى ولو كانوا مطاردين في بلادهم في حينها، وأهم تلك البلاد اليمن وتركيا وسوريا.

3- البوسنة والشيشان وغيرهما:

فقد وافق إقفال بوابات الجهاد في أفغانستان اشتعال الجهاد في عدد من البلاد الإسلامية، مما أوجد ساحات جهادية جديدة في طاجيكستان والبوسنة والفلبين والشيشان والجزائر وكشمير والصومال وأريتريا، وأمّ هذه الساحات آلاف الشباب المجاهد من البلاد العربية وبعض الإسلامية،

---

(72) من كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

كـان في طليعـتهم بعـض الجهـاديين الـذين خرجـوا مـن سـاحة أفغانسـتان، وعلـى رأسـهم القائـد الشـهيد خطاب – رحمه الله – وبعض رفاقه من الأفغان العرب.

4- السودان:

كـذلك كـان السـودان في الفـترة مـا بـين 1991-1996م نفَسًـا رحمانيًـا، ومـلاذًا آمنًـا لـبعض الجماعـات الجهاديـة، ولكثـير مـن الإخـوة الـذين لم يسـتطيعوا خوفًـا مـن المطـاردة والاعتقـال الرجـوع إلى دولهـم البوليسـية. وكـان السـودان بعـد أن سـيطرت الحركـة الإسـلامية علـى مقاليـد السـلطة، قـد فـتح باب الـدخول إليـه بـدون فيـزا لكـل العـرب، فانتقـل كـمّ مهـم مـن الجهـاديين إلى هنـاك، كـان في مقـدّمتهم الشـيخ أسـامة بـن لادن رحمـه الله، وقيـاديو وأفـراد تنظـيم القاعـدة، وقيـادات وأفـراد تنظيمـات الجهـاد، والجماعـة الإسـلامية في مصـر، والجماعـة الإسـلامية المقاتلـة في ليبيـا، وكـذلك جـاء جهـاديون من جنسيات أخرى.

قصة الإقامة الجبرية للشيخ أسامة في بلاد الحرمين ومنعه من السفر ما بين عامي 1989 –1991م[73]:

كان الشيخ أسامة – بعد نجاح انقلاب البشير– قد زار السودان في الربع الأخير من عام 1989م وأسس أول شركاته هناك، وهي شركة وادي العقيق، ثم رجع بعدها إلى المملكة لإنهاء بعض الأمور، لكن هذه العودة لم تكن كسابقاتها، فقد علم الشيخ بعد فترة من وصوله أنه ممنوع من السفر؛ فظن أن السبب هو الانسحاب الروسي وتفاهم القوى العظمى والمملكة تبعا لذلك، لكن الحقيقة والسبب الرئيسي في منعه من السفر كانت غير ذلك، وهي أن الشيخ أسامة **كان قد استأنس مسألة الجهاد لذات الجهاد، وليس لمجرد استغلال فرصة تقاطع مصالح مع الحكومات والقوى العظمى.**

فالشيخ أسامة كان قد أسس تنظيم القاعدة لمواصلة الجهاد بعد أفغانستان، وكان قد بدأ يخطط لفتح جبهة ضد اليمن الشيوعي الجنوبي بحركة جهادية تنطلق من المملكة واليمن الشمالي، ولا تكاد تخلو محاضرة أو ندوة من ندواته إلا ويؤكد فيها خطته وعزمه على تحرير اليمن الجنوبي بعد أفغانستان من قبضة الحكومة الماركسية. ولم يكن حكام المملكة مهتمين فقط بالإحراج الدبلوماسي لأمر من هذا القبيل، لكن الذي همهم هو **أن هذا التوجه من قبل الشيخ أسامة، كان دليلًا على أن الرجل بدأ يتصرف تصرف المسؤول الذي يحمل همّ قضية،** وتضايق الحكام بشكل كبير حين تكلم علنًا عن خطورة النظام العراقي، وتنبأ بأنه سيغزو الخليج في محاضرات معلنة ومسجلة، في وقت كان النظام العراقي من أقوى أصدقاء المملكة.

عندها لم تكتف وزارة الداخلية بمنعه من السفر، بل وَجَّهت إليه تحذيرًا رسميًا بعدم ممارسة أي نشاط علني، وأنه ربما يعتقل أو يوضع تحت الإقامة الجبرية إن لم ينصع للتوجيهات. ورغم التوجّه العدائي من قبل الدولة تجاهه؛ فقد بادر الشيخ أسامة بكتابة نصيحة للدولة سُلّمت عن طريق أحد إخوانه للأمير أحمد بن عبد العزيز، تضمنت الرسالة نصائح عامة وخاصة، العامة عن المطالبة بإصلاح شامل، والخاصة كانت تكرارًا لتوقعاته بأطماع صدام حسين في المنطقة، وضرورة الاستعداد لها.

---

(73) القصة من كتاب أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. بتصرّف.

وما أن سمع الشيخ أسامة بغزو الكويت في الأخبار، حتى تصرف بطريقة تدل على أنه يشعر بجزء كبير من المسؤولية، فبادر بكتابة رسالة أخرى إلى الدولة، يعرض فيها وجهة نظره حول الطريقة المثلى لحماية البلد من الخطر العراقي، بمجموعة اقتراحات حول السبيل الأمثل لتعبئة الأمة ضد هذا الخطر، ومن ثم السبيل الأمثل عمليًا لمواجهته، وأضاف لهذه الاقتراحات عرضًا بجلب كل المجاهدين العرب الذين يستمعون له، للمساهمة في عملية الدفاع عن أرض الحرمين. سلمت الرسالة بنفس الطريقة التي سلمت فيها الرسالة الأولى، وكان رد فعل الدولة هو وعد بالنظر في الأمر.

وكان الشيخ أسامة – رحمه الله – يتوقع أن النظام سيطلب منه المساهمة بشيء ما في عملية الدفاع عن البلد، ظنًا منه أن النظام رغم مخالفاته الشرعية، ما زالت عنده غيرة على البلد، ورغبة في حمايته، لكن بدلًا من أن تستعين الدولة بالعرض الذي قدمه الشيخ لها، بادرت بقرار كان السبب الرئيسي في أكبر تحول في حياة الشيخ أسامة، وهو إعلان استدعاء القوات الأمريكية تحت ذريعة تحرير الكويت.

وتحدث الشيخ أسامة واصفًا لحظة سماعه خبر قرار استدعاء القوات الأمريكية، بأنها أكبر صدمة في حياته، لأنها بتقديره، المرة الأولى منذ البعثة النبوية التي يهيمن فيها الكفار على جزيرة العرب بقواتهم العسكرية، وصُدم كذلك لأن القوات الأمريكية لم تدخل باحتلال، أو رغم أنف الحكام، بل دخلت بطلب منهم(74)، وتم تسليم جزيرة العرب على طبق من ذهب لهم، ثم مباركة ذلك بفتوى دينية إجماعيه صارمة قاطعة، أن هذه القوات جاءت للدفاع عن حياض الإسلام، وأن الذي يضايقها يعتبر محاربًا لله، مفسدًا في الأرض، يقتل أو يصلب أو تقطع يده ورجله من خلاف. وبعد هذا التطور الخطير، شعر الشيخ أسامة بالإحباط والقلق على مستقبل الجزيرة، وأيقن أن مخاطبة المسؤولين بالخطابات والمذكرات أسلوب عديم الجدوى، ولا بد أن يفكر بأسلوبٍ بديل. وعلى إثر ذلك تحرك الشيخ أسامة باتجاهين:

الاتجاه الأول: استخراج فتوى بوجوب الإعداد للقتال على كل مسلم، وخاصة أهل الجزيرة، وأفتى الشيخ بن عثيمين فعلًا بتلك الفتوى، فاستخدمها الشيخ أسامة في تشجيع الشباب من

(74) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: "الصحيح أنه لم يكن هناك طلب من حاكم الرياض بل العكس صحيح، فقد قال الشيخ أسامة أن بوش الأب قال للملك فهد نحن قادمون. رضي الملك أو لم يرض. وتم تسويق المسألة على أنه بطلب من الملك".

جديد في الذهاب لأفغانستان والتدرب هناك، واستجاب لدعواه تلك عدد كبير من الشباب، توجهوا فعلًا لأفغانستان.

الاتجاه الثاني: محاولة جمع أكبر عدد من العلماء في مؤسسة شرعية مستقلة، غير مؤسسة هيئة كبار العلماء، حتى تكون مرجعًا للناس، بعد أن تحولت الهيئة في نظره لمجرد أداة بيد الدولة بعد فتوى استدعاء القوات الأمريكية.

ورغم أن حركة الشيخ أسامة كانت مقيدة في وضع يشبه الإقامة الجبرية، إلا أنه استطاع إنجاز شيء مما أراد إنجازه، وخاصة الاتجاه الأول، لكن محاولاته في جمع العلماء بتجمع مستقل لم يحالفها النجاح، أولًا لصعوبة حركته بسبب القيود التي عليه، وثانيًا لأن العلماء بما فيهم من علماء شباب، لم يستوعبوا بعد فكرة المؤسسات المستقلة.

ولم يكن الشيخ أسامة ملتزمًا بالتقييد المفروض عليه، حيث ألقى عددًا من المحاضرات، وعقد عددًا كبيرًا من الاجتماعات مع العلماء والدعاة والناشطين في مجال الدعوة، ولم يكن ذلك مقبولًا لدى السلطات، ولذلك استُدعي أكثر من مرة، ووجهت له تحذيرات شديدة بوجوب الالتزام بتجميد نشاطه، ومن أجل تخويفه، أرسلت السلطة مفرزة من الحرس الوطني في جدة لاقتحام مزرعته الواقعة في ضواحي جدة، وتفتيشها بشكل فجائي، حيث لم يكن موجودًا فيها بنفسه لحظة الاقتحام، وقامت المفرزة باعتقال بعض العمال في المزرعة — أُطلق سراحهم بعد ذلك - وكتابة محضر عما وجدته فيها، وتصوير كامل للمزرعة ومخازنها ومرافقها بالفيديو، وعندما أُخبر الشيخ أسامة بالحادث، غضب غضبًا شديدًا وكتب رسالة احتجاج شديدة للأمير عبد الله، واستغرب الشيخ أسامة حين ورده رد من الأمير عبد الله، ينفي فيه علمه بالحادث ويعد بمعاقبة المسؤول عنه.



الشيخ أسامة رحمه الله في إحدى محاضراته التوعوية بوجوب الإعداد للقتال لحماية بلاد الحرمين من أطماع صدّام حسين

مضت الأيام على الشيخ أسامة في ذلك الوضع الذي لا يحتمله، فلقد تعود على النشاط والجهاد والحركة، وإذا به يجد نفسه في وضع الإقامة الجبرية، والأمر الآخر الذي لم يكن يتحمله هو وجود هذه القوات الصليبية المقيمة في جزيرة العرب. كان تراكم هذه الأحداث، سواء على مستوى البلد أو على الشيخ أسامة شخصيًا، سببًا في التفكير جديًا بمغادرة البلد، ولم يكن هروبه أمرًا سهلًا فهو شخصية معروفة، وبيته تحت الحراسة الدائمة، ولذلك فكر الشيخ أسامة بطريقة أقرب للأسلوب الطبيعي، وهو ما حصل بنجاح.

وكان أحد إخوة الشيخ أسامة مقربًا من الأمير أحمد بن عبد العزيز، نائب وزير الداخلية. تحدث الشيخ أسامة مع أخيه شارحًا له أن لديه التزامات مالية كثيرة في باكستان ومناطق أخرى، وحقوقًا ينبغي أن تدفع لأصحابها، وحقوقًا له ينبغي استخلاصها، وأنه لا يمكن أن يحل هذه الإشكالات وكيل، لأن بعضها قائم على الثقة والعلاقة الشخصية جدًا.

اقتنع أخوه بالفكرة، ووعد بشرح ذلك للأمير أحمد، وكان الأمير نايف على وشك أخذ إجازة، فانتظر أخوه إجازة نايف وتحدث مع الأمير أحمد، واستطاع إقناعه بإعادة الجواز والسماح للشيخ بالسفر. وافق الأمير أحمد وسمح للشيخ أسامة بسفريّة واحدة فقط، وكلف الجهات الأمنية بمتابعته، وهكذا تمكن الشيخ أسامة من مغادرة البلد بشكل طبيعي. وحينما وصل الشيخ أسامة

إلى مدينة بيشاور في أبريل عام 1991م، كان أول عمل قام به هو كتابة رسالة اعتذار رقيقة لأخيه، يخبره أنه لا يخطط للعودة، وأنه سيسبب حرجًا له أمام الأمير نايف، واعتذر له بأن الثمن غال يستحق اللجوء لمثل هذا الأسلوب.

صادف قدوم الشيخ أسامة هناك، انهيار النظام الشيوعي، وبداية التناحر بين الفصائل الأفغانية؛ فكان أول إجراء اتخذه للتعامل مع القضية، هو إصدار توجيه للشباب العرب بعدم التورط في الصراع الدائر، وكف أيديهم عن الدماء، ورفض الميل لأي جهة من الجهات. الإجراء الثاني الذي اتخذه هو الدخول بقوة في محاولة إصلاح بين الفصائل، فبقي الشيخ أسامة في مدينة بيشاور عدة أشهر مستمرًا في محاولاته حل الخلاف، لكن جهوده مع الأسف لم تحرز نتيجة تذكر، وتبين له بعد فشل متكرر، إلى أنه وصل إلى طريق مسدود.

محاولة اغتيال الشيخ أسامة في بيشاور:

وخلال بقاء الشيخ أسامة في مدينة بيشاور، كان هناك – تنفيذًا للمخطط الدولي بتصفية رموز الجهاد – تعاونًا وثيقًا بين مخابرات النظام السعودي بقيادة تركي الفيصل وبين المخابرات الباكستانية لقتله أو اختطافه، لكن بفضل الله وحده، باءت كل تلك المحاولات بالفشل، فقد كان المتعاطفون معه في جهاز الأمن الباكستاني يعجلون له بتسريب المعلومة فيأخذ حذره.

بعد ذلك أيقن الشيخ أسامة أن وجوده في باكستان لن يكون آمنًا بسبب التعاون الأمني بين النظامين السعودي والباكستاني، وسيستمرون بمحاولات خطفه أو اغتياله، وبعد تدارس الوضع مع عدد من المقربين له، قرر البحث عن مكان آخر يقدم فيه نفعًا للإسلام بدلًا من أفغانستان، وكان سعيد الحظ الذي تشرّف بأن تطأ أقدام الشيخ المباركة أرضه هو السودان، فرتّب له الإخوة السفر سرًا إلى هناك، بطائرة خاصة لأحد أصدقائه المقربين من رجال الأعمال في بلاد الحرمين.

وكان الإخوة في التنظيم قبل الذهاب إلى السودان، ينوون آنذاك الاستقرار في باكستان، فشرعوا كمرحلة أولى بعد موافقة الباكستانيين، في بناء ثلاثين بيتًا لسكن الإخوة في منطقة "بابي" في بيشاور، لكن لم يشأ الله لهذا الأمر أن يتم، فقد كانت الأسباب المذكورة أعلاه، سببًا في تغيير الإخوة مسار بوصلتهم إلى السودان.

المرحلة الثالثة: مرحلة السودان وما تخللتها من أحداث حتى خروج الشيخ أسامة من السودان في مايو 1996م:

الأحوال في السودان بعد وصول حكومة البشير للسلطة:

كانت الحركة الإسلامية في السودان قد وصلت إلى سدة الحكم في يونيو 1989م، بعد قيامها بانقلاب عسكري بقيادة البشير ورفاقه على حكومة الصادق المهدي، وأرادت الحركة آنذاك النهوض بالسودان، وتطبيق الشريعة، لكن المؤامرات الأمريكية أنهكتها بدعم حركة التمرد المسلحة جنوب السودان، التي جعلت أهم دوافعها وأهدافها لقتال حكومة البشير، هي إسقاط قوانين الشريعة.

وكان بعض من رموز الحركة الإسلامية في السودان، قد تواصلوا - بعد انقلاب الرئيس البشير - بالشيخ أسامة رحمه الله، ونقلوا له رغبة قيادتهم الصادقة نحو توجّههم الإسلامي، كذلك سمع الشيخ أسامة الكثير عن السودان ممن حوله، ومن بعض الإسلاميين هنا وهناك، الذين بدأوا يتحدثون عن حماس السودان للإسلام، وحرص قيادته على تطبيق الشريعة الإسلامية رغم المؤامرات الدولية التي تحاك ضدهم، وبناءً على ذلك قام الشيخ أسامة برحلة استكشافية للسودان في سبتمبر عام 1989م، والتقى بالمسؤولين في السودان، وسمع منهم وعزم على مد جسور التعاون معهم على البر والتقوى، من خلال تبرعه بعمل طريق "الدّمازين الكُرمُك" على نفقته الخاصة.

وكان ما يسمى بالجيش الشعبي لتحرير السودان [SPLA] بقيادة الصليبي جون جارانج، هو الذي يقاتل حكومات السودان المتعاقبة منذ عام 1983م، من منطلق عقائدي صليبي بحت، فقد كانوا يعتقدون أن الشماليين العرب المسلمين، محتلون للسودان الأفريقي الأصل، وكانوا يطالبون بعلمانية الدولة، وإسقاط ما أسموه بقوانين سبتمبر 83م، وهي ذات القوانين الشرعية التي كانت تطبق في المحاكم بعد إعلان الرئيس جعفر نميري لتطبيق الشريعة الإسلامية في سبتمبر عام 1983م.



الصليبي جون جارانج – لعنه الله

وكـان الجيش الشعبي ينشـط في موسـم الخريـف في المنـاطق الحدوديـة مـع أثيوبيـا الـتي كانـت تدعمـه، وينطلـق مـن أراضـيها، ويـدخل المـدن والقـرى في تلـك المنـاطق، ويعيـث فيهـا فسـادًا بقتـل أهلهـا المسـلمين، وهتـك الأعـراض، واسـتباحة حرمـة المسـاجد، وتقطيـع المصـاحف واسـتخدامها كـأوراق تنظيـف عنـد قضـاء الحاجـة، وكـان جـيش الحكومـة يعجـز في الحفـاظ علـى تلـك المنـاطق والـدفاع عـن النـاس لبعـدها، وثانيًـا لصـعوبة حركـة آليّاتـه وعدّتـه العسـكرية في فصـل الأمطـار الغزيـر، بسـبب كثافـة الطمي (الطين)، الذي يعيق أي حركة للآليات في تلك المناطق.

وتعـاونًا علـى الـبر والتقـوى، تـبرع الشـيخ أسـامة رحمـه الله علـى نفقتـه الخاصـة، بعمـل طريـق طولـه حـوالي 120 كلـم، يـربط تلـك المنـاطق النائيـة بمدينـة "الـدمازين"، الـتي توجـد فيهـا حاميـة عسـكرية كبـيرة، ويوجـد فيهـا أيضًـا سـد الرصـيرص الـذي يمـد الخرطـوم بالكهـرباء. فكـان الهـدف مـن هـذا الطريـق، أن يـتمكن الجـيش السـوداني مـن خـلال الحركـة السـريعة لـه ولآلياتـه، مـن بسـط نفـوذه وسيطرته لحماية السكان في حال حدوث أي اعتداء من قبل جيش النصارى.

ولمتابعـة إنشـاء الطريـق والعمـل فيـه، أسـس الشـيخ أسـامة في السـودان في الربـع الأخـير مـن عـام 1989م، أُولى شـركاته، وهـي شـركة وادي العقيـق، وكـان مـن يـدير الشـركة في الخرطـوم في تلـك الفـترة بعض الإخوة المجاهدين من شباب أفغانستان وهم:

1- أبو الزبير المدني – المنشد المعروف – رحمه الله.

2- أبـو أُنـيس (محمد بـن عبـد السـلام)، مـن بـلاد الحـرمين أحـد العشـرة الـذين ثبتـوا مـع الشـيخ أسامة في منطقة جاجي داخل أفغانستان عام 1986م.

3- أبو همام المحاسب، من بلاد الحرمين.

4- أبو الحسن السوداني.

وكان المهندس المشرف على عمل الطريق هو الأخ أبو معاذ السعدي الفلسطيني، وكان أيضًا من العشرة الذين ثبتوا مع الشيخ أسامة في منطقة جاجي داخل أفغانستان عام 1986م.

وصول الشيخ إلى السودان:

كانت حكومة البشير – بحكم توجهها آنذاك نحو الإسلام - قد فتحت أبواب السودان لكل العرب الراغبين في الدخول إلى أراضيه بدون فيزا، الأمر الذي سهل توافد كثير من الجماعات الجهادية، التي وجدت من السودان متنفسًا وملاذًا آمنًا لها، بعد المضايقات والملاحقات في باكستان وغيرها. وكان تنظيم القاعدة هو أوّل التنظيمات الجهادية التي جاءت إلى السودان، ولحق به بعد ذلك الكثير من قيادات وأفراد الجماعات الجهادية التي كانت موجودة في ساحة بيشاور. فجاء تنظيم الجهاد المصري بقيادة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، وجاءت الجماعة الإسلامية المصرية بقيادة الشيخ رفاعي طه رحمه الله، والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، والجماعة الإسلامية الجزائرية المسلحة، وكانت هناك أيضًا بحكم الجوار مع السودان حركة الجهاد الإسلامي الأريتيري بشقيها (جناح شيخ عرفة، وجناح الشيخ أبي سهيل، رحمه الله)، وغيرهم من الجماعات الجهادية القطرية الأخرى.

بعد وصول الشيخ أسامة السودان، واستقراره في حي الرياض بالخرطوم، شرع في تسجيل وتأسيس عدد من الشركات الاستثمارية، فتأسست شركة الهجرة الهندسية المتخصصة في شق الطرق وبناء الجسور، وتأسست شركة الثمار المباركة المتخصصة في الاستثمار الزراعي، وتأسست شركة طابا التجارية المتخصصة في الأعمال التجارية من تصدير واستيراد، وتأسست شركة قدرات للنقل. وكانت شركة وادي العقيق هي الشركة الأم التي تشرف على كل هذه الشركات، وكان مديرها هو الشيخ أبو إبراهيم العراقي حفظه الله، ورئيس مجلس إدارتها هو الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

ومع بدايات عام 1992م بدأ الإخوة أفراد القاعدة يتوافدون تباعًا من باكستان، وقامت الشركة باستئجار بنايات وبيوت لسكن العوائل ومضافات للعزاب، وبعد ذلك جلس الشيخ أسامة رحمه الله مع كل الإخوة، لتنويرهم بالمرحلة الجديدة في السودان، وهي بناء قاعدة اقتصادية قوية، تؤمّن استمرار العائدات المالية، لضمان إِستمرارية العمل الجهادي، فقد كان الشيخ يتوقع أنه

سيأتي عليه يومٌ يقوم فيه النظام في بلاد الحرمين بتجميد أمواله، وهذا ما حدث بالضبط، فقد أصدر نظام آل سعود في أواخر عام 1992م قرارًا يقضي بذلك.

تم توزيع الشباب على الشركات كل حسب تخصصه ودراسته، وما يستطيع أن يجيد ويحسن من عمل، فكان بين الإخوة المهندسين في شتى التخصصات، الميكانيكية والمدنية والزراعية، وكان بينهم المحاسبون والسائقون والبناؤون والحدادون والنجارون والمزارعون... الخ.

جدير بالذكر أن بعض الإخوة كانوا قد اجتمعوا بالشيخ أسامة وانتقدوه على بقائه في السودان، ودعمه لحكومة البشير بحجّة أنهم لا يطبّقون الشريعة، وأن هناك كثيرٌ من المظاهر التي تخالف الشريعة ووو... الخ، فقال لهم الشيخ أسامة رحمه الله، " جيئوا بخارطة العالم، وابحثوا عن بقعة أرض يُطبّق فيها الإسلام زيادة على ما عليه الحال في السودان واحد في المئة وأنا أذهب إليها".

وكان الشيخ أسامة في ردّه على هؤلاء الإخوة يعتمد على فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية – تتناول موضوع الجهاد في حالة الاستضعاف، وعدم وجود دولة للمسلمين – تقول: "تبحث عن أقرب فئة للإسلام ذات شوكة وتقاتل معها". فكان الشيخ أسامة يرى أن السودان يتعرض لمؤامرة دولية تكالبت عليه فيها اليهود والنصارى بحجّة توجه حكومته للإسلام، كذلك كان الشيخ أسامة يرى أن السودان يمثّل بعدًا استراتيجيًا هامّاً لبلاد الحرمين، فما بين شواطئه ومكة المكرمة حفظها الله أقل من 280 كيلو متر، وكان يقول إذا سقطت السودان في يد هذا الصليبي المتعصب قرنق، فسيكون بإمكانه – لا قدّر الله – أن يضرب أو يهدد مكة بالصواريخ البسيطة ذات المدى 280 كيلو متر. وكان رحمه الله، يرى أننا كمسلمين مأمورين بأن نتعاون على البر والتقوى، وأوجب البر والواجبات بعد الإيمان هي دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، ولا يشترط لذلك شرط.

إضافة إلى ذلك كان الشيخ أسامة يرى أن السودان في تلك الفترة كان ملاذًا آمنًا ونفَسًا رحمانيًا هيئه الله سبحانه وتعالى بعد أن بدأت الأحوال تسوء في باكستان تنفيذًا للمخطط الدولي الذي بدأت تمارسه الحكومة الباكستانية بتصفية الجهاد ورموزه كما سبق ذكره.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله قد أولى اهتمامًا كبيرًا بطلب العلم الشرعي، فأحضر ثلاثة من كبار علماء موريتانيا، أحدهم كان متخصصًا في علوم القراءات، وآخر في الفقه، والثالث كان متخصصًا في اللغة العربية، كذلك اختارت اللجنة الشرعية بالجماعة عشرة من الإخوة، أرسلتهم

إلى موريتانيا لطلب العلم الشرعي، كان منهم الشيخ أبو ياسر المصري، والشيخ عطيّة الله الليبي رحمه الله، والأخ عبد الحق الليبي[75] رحمه الله، والاخ أبو سهل الليبي، وعبد الحميد الليبي، وابن مسعود التشادي.

كان السودان نوعًا ما، نقلة نوعية كبيرة لكل الإخوة، إذ بين عشيةٍ وضحاها انتقل الإخوة من الوسط العسكري الميداني المتنوع بين جبهات القتال ومعسكرات التدريب وبيوت خدمات المجاهدين، إلى الوسط المدني للعمل في شركات استثمارية مدنية، لكن الشباب كانوا يحتسبون أنه من كان في الساقة كان في الساقة، ومن كان في الحراسة كان في الحراسة؛ فأقبلوا على العمل في تلك الشركات بهذه الروح الإيمانية العالية، ولم يبقَ من أفراد التنظيم في ساحة أفغانستان، إلا عدد يسير من الإخوة المدرِّبين العاملين في معسكرات التدريب - الفاروق وجهاد وال - فقد ظلت أبوابها مفتوحة للتدريب، تحت أمرة أبي عطا التونسي رحمه الله، وإشراف أبي الفرج الليبي فكّ الله أسره.

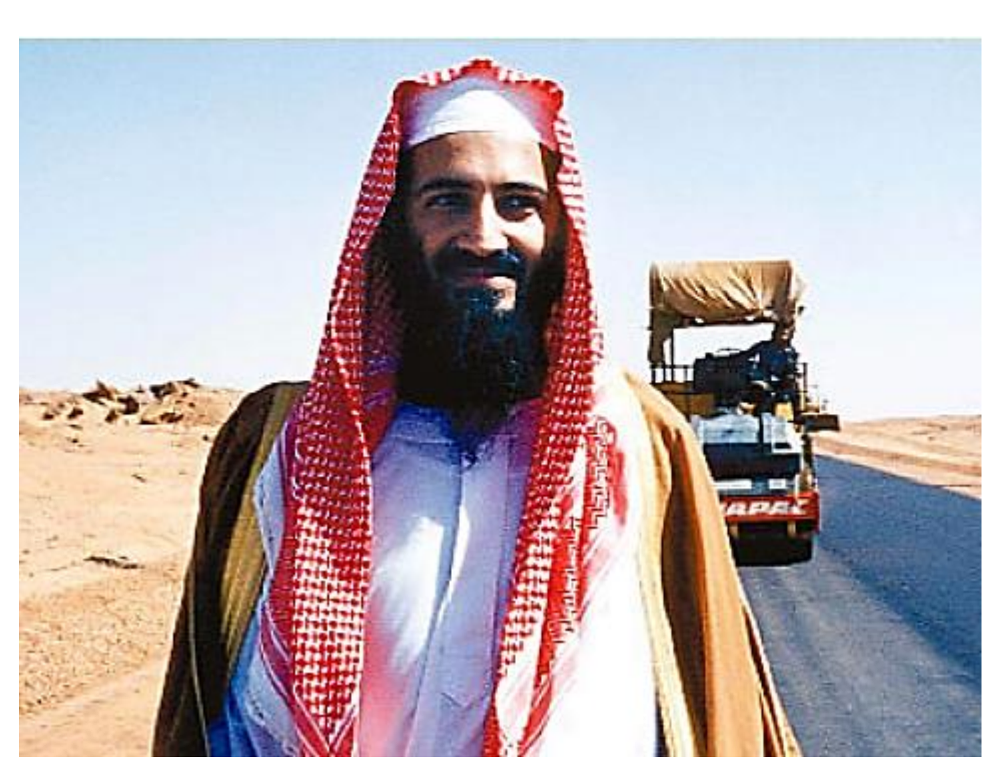
بدأ العمل في السودان بدايات طيبة، فدخلت شركة الهجرة الهندسية في عقد مع الحكومة لعمل طريق التحدي، وكان طول الطريق 270 كم، ويربط العاصمة الخرطوم مع مدينة عطبرة في الشمال، وكانت قيمة العقد حوالي 30 مليون دولار. وكان الشيخ أسامة يرجو ويتوقع الكثير من العائدات المالية، لو قدّر للعمل أن يستمر لسنوات طويلة، لأن العمل الاستثماري الكبير، وخاصة الزراعي يؤتي أكله بعد سنوات، نسبة لأن مصاريفه التشغيلية في بدايات العمل تكون كبيرة جدًا، فمثلًا كانت شركة الثمار المباركة تملك في منطقة الدمازين 100,000 فدان مطري، أي 420 مليون متر مربع. ولتقريب الصورة تعادل (60 كيلو في 7 كيلو)، أرض بكر لم تزرع من قبل، فكان على الشركة أن تستصلح تلك الأرض، وذلك بنظافتها بقطع الأشجار المنتشرة بكثافة في المنطقة، كذلك امتلكت الشركة عشرات الآلاف من الأفدنة في منطقة القاش، التي تعتبر من أخصب الأراضي الزراعية على مستوى العالم، إذ بسقيةٍ واحدةٍ فقط، تزرع الأرض ثلاث مرات في الموسم، وكان على الشركة أيضًا تنظيف هذه الأراضي، المتشبّعة بأشجار المسكيت (السيسبان)، وذلك بقطعها من على عمق 25 سم، ثمّ حرق جذورها حتى لا تنبت مرة أخرى. وكان الشيخ أسامة رحمه الله مغرمًا بتلك الأرض العالية الخصوبة، وكان رحمه الله يتطلّع إلى استثمار كل دلتا

---

(75) صهر الشيخ مصطفى أبو اليزيد.

القـاش، البـالغ مسـاحتها أكثـر مـن 700.000 ألـف فـدان، لكـن الأحـداث المتسـارعة لم تمهلـه لتحقيق ما تطلع إليه.

وكانـت أكـبر مشـكلة واجهـت أعمـال الشـيخ أسـامة في السـودان، هـي مشـكلة تـدهور العملـة السـودانية، فقـد كانـت في انخفـاض مسـتمر لقيمتهـا مقابـل الـدولار، وفي أغلـب الأوقـات لم تكـن وزارة الماليـة تـدفع للشـيخ أسـامة عائـدات الطريـق بالـدولار نقـدًا حسـب العقـد المتّفـق عليـه، بـل كانـت تعطيـه مقابـل أموالـه المسـتحقة الـدفع، كميـات كبـيرة مـن السـكر مـن شـركة سـكر كنانـة، ثم تقـوم شـركة طـابا التجاريـة بتسـويقه في السـوق المحلـي بالـدولار، ثم تحـوّل المبـالغ بعـد ذلـك في حسـاب شـركة الهجـرة، وأحيـانًا كانـت الحكومـة تسـدد مـا عليهـا مـن التزامـات بالجنيـه السـوداني، حيـث كانـت شـركة طـابا التجاريـة تشـتري بهـذه المبـالغ كميـات ضـخمة مـن السمسـم في الموسـم، وبعـد غربلتـه وإعـادة تعبئتـه بمـا يوافـق مواصـفات الصـادر، تقـوم بتصـديره مـرة أخـرى بالـدولار. وفي إحـدى المـرات باعـت الحكومـة - كدفعـة مـن الأمـوال المسـتحقة الـدفع — مدبغـة جلـود لشـركة الهجـرة بثمانيـة مليـون دولار. ورغـم أن مـدير شـركة الهجـرة كـان معارضًـا لتلـك الصـفقة نسـبةً لأن ثمـن المدبغـة الـذي وضـعته الحكومـة كان أكثر من قيمتها، إلا أن الشيخ أسامة رحمه الله وافق عليها.



الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله في جولة تفقّدية لطريق التحدي بالسودان



الشيخان أبو إبراهيم العراقي وأسامة بن لادن في حفل افتتاح طريق التحدّي الخرطوم – عطبرة

وهكذا كان تعامل الشيخ أسامة – رحمه الله – مع حكومة البشير تعاملًا فيه كثير من السماحة والصبر والنفس الطويل في استرداد مستحقاته؛ فقد كان رحمه الله، يحتسب أنه يدعم ويقدم خدمة لبلد مسلم، يستفيد منها المسلمون، حتى ولو كان ذلك على حساب خسارته المادية، فلم يكن أبدًا يرى أنها خسارة.

كذلك كان الشيخ أسامة ينظر إلى الأمور بنظرة شمولية ثاقبة، ولا يركز كثيرًا على مسألة الربح والخسارة مع الحكومة بل كان يتألفها، ويعلم يقينًا أنه يومًا بعد يوم، تزداد الضغوط الدولية والإقليمية عليها من دول الجوار والاستكبار بسبب توجهها، وبسبب تواجد التنظيم ونشاطه هنا وهناك، وكذلك الجماعات الجهادية الأخرى. فمثلًا بسبب تواجد جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية المصريتان في السودان، ونشاطهما في مصر انطلاقًا من السودان، ساءت العلاقة كثيرًا

بين البلدين، وكادت أن تؤدي إلى الحرب، إذ حشدت الحكومة المصرية جيشها على الحدود، واقتطعت مثلث حلايب وشلاتين من السودان، في محاولة لاستفزازه وجره لميدان الحرب، خاصة بعد محاولة اغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك في أديس أبابا عام 1995م، التي اتهم فيها مبارك السودان اتهامًا مباشرًا، بأنهم دعموا ويسروا تلك المحاولة. كذلك بسبب وجود الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة في السودان، كان القذافي يقدم بقوة كافة أشكال الدعم العسكري والمادي لحركة قرنق الصليبية التي تقاتل الحكومة في الجنوب.

محاولة اغتيال الشيخ أسامة في السودان:

كانت هذه المحاولة في أوائل عام 1993م، وقام بها ثلاثة من الغلاة التكفيريين، سودانيان وثالث ليبي يدعى الخُليفي. وكان هؤلاء الثلاثة قد استولوا على الأسلحة التي نفذوا بها عمليّتهم من أحد مراكز الشرطة النائية في الخرطوم، وذلك بعد مهاجمة أفرادها ببندقية تطلق سهامًا من بعد، قام بصناعتها يدويًا أحد السودانيَّين المهاجمين إذ كانت مهنته حداد. وكان هؤلاء الغلاة قد هاجموا يوم الجمعة في مدينة أم درمان مسجدًا لجماعة أنصار السنة - كان يؤمّه آنذاك نائب رئيس الجماعة الشيخ أبو زيد مُحَمَّد حمزة - وفتحوا النار عشوائيًا على من كان متواجدًا في المسجد، فسقط من أفراد الجماعة ثمانية عشر قتيلًا - رحمهم الله جميعًا - إضافة إلى عشرات الجرحى، ثم لاذ المهاجمون بالفرار.

وفي اليوم التالي للهجوم على المسجد، عبر المهاجمون إلى الخرطوم وتوجّهوا نحو حي الرياض، حيث يسكن الشيخ أسامة رحمه الله. وكان هؤلاء الخوارج، قد رصدوا حركة خروج ودخول الشيخ من وإلى المضافة، إذ كان من عادته كل يوم الخروج مشيًا على الأقدام من بيته المجاور للمضافة - بينهم 30 مترًا - الساعة الخامسة عصرًا، يرافقه في العادة واحد أو اثنين من حرّاسه، وهم عبد الهادي الأردني، وأبو خليل المدني رحمهما الله، وشاء الله في ذلك اليوم وفي تلك الساعة بالتحديد - قبل أن يخرج الشيخ أسامة — أن استوقفه ابنه عبد الله عند الباب الخارجي لبيتهم، يجادله حول موضوع الكهرباء.

وكان الشيخ أسامة آنذاك، متفقًا مع ابنه عبد الرحمن، بأن يقوم صباح كل يوم بسحب فيوزات الكهرباء عن البيت، الذي كان مكونًا من ثلاثة طوابق. واستمر عبد الرحمن على ذلك المنوال لمدة ستة أو سبعة أشهر كاملة، وأهله لا يعلمون شيئًا. وكان الشيخ أسامة في تلك الأيام كثيرًا ما

يتعهد الإخوة وأهله وأبنائه ببرامج ودروس عن الزهد في الدنيا، وكان يعتبر الكهرباء – لغير ضرورة – أساس الترف والركون إلى الدنيا؛ فهي سلاح ذو حدين كثيرًا ما يستخدم في الشر، والأمثلة في ذلك لا حصر لها.

وأثناء ما كان عبد الله يناقش أباه عند الباب حول موضوع الكهرباء وصل المهاجمون المضافة، فأوقفوا سيارتهم وترجلوا منها، ودخل منهم اثنان المضافة، وبقي واحد في الخارج. وبمجرد دخول الاثنين إلى حديقة المضافة، بدأوا بإطلاق النار على من كان متواجدًا في الحديقة وكانوا أربعة إخوة، هم الشيخ أبو علي الحارثي – رحمه الله – أُصيب بطلقة في فخذه، وأصيب الشيخ غزوان الحضرمي بثلاث طلقات في بطنه، وكانت الإصابة الأخطر، وأصيب الشيخ عبد الرحيم اليمني – رحمه الله – بطلقة اخترقت ساعِده، وأصيب الأخ أبو اليسر التونسي بطلقة في أعلى فخذه، بعدها دخل المهاجمون إلى داخل المضافة يبحثون عن الشيخ أسامة، لكنهم خرجوا سريعًا حيث لم يجدوا بفضل الله ما كانوا يصبون إليه.



الشيخ أبو علي الحارثي

(قائد سالم سنيان الحارثي)

رحمه الله



الشيخ عبد الرحيم

(إبراهيم بن مبخوت الوصابي)

رحمه الله



الشيخ أبو خليل المدني

رحمه الله

وكان الذي في الخارج يطلق النار على أصحاب الحراسة الذين كانوا خارج بيت الشيخ ينتظرون خروجه ليرافقوه إلى المضافة، وبعد خروج الاثنين الذين كانوا داخل المضافة، أخذ أبو

خليل المدني – وكان وقتها في المضافة – ساترًا خلف الباب وبدأ يطلق عليهم من مسدسه لكنه لم يصب أي أحد منهم، إذ تعطل مسدسه وانسحب سريعًا إلى داخل المضافة. استقل بعد ذلك المهاجمون سيارتهم واتجهوا يمينًا بعد أول شارع، وكان في نهاية ذلك الشارع بيت لأحد رموز المعارضة السودانية، يسكنه مجموعة من الأمن السوداني انتبهوا على أصوات الرصاص، وتواصلوا مع زملائهم من الأمن الذين كانوا يحرسون بيت الشيخ أسامة، فعلموا منهم القصة، وشاهدوا سيارة المسلحين متجهة نحوهم ببطء، فأخذوا أماكنهم خلف سور البيت، وعندما قربت منهم السيارة وكانت في مرمى نيرانهم، فتحوا عليها النار فسقط السودانيان قتلى، وجُرح الليبي جرحًا بليغًا، أُخذ بعدها للمستشفى العسكري، حيث تمت معالجته وبعد شفائه قدم للمحاكمة، وحكم عليه بالقصاص قتلًا ونفذ فيه الحكم.

الأعمال التي قامت بها القاعدة انطلاقًا من السودان:

إضافة الى النشاط الاقتصادي الذي قامت به القاعدة في السودان، كانت هناك نشاطات عسكرية وأعمال سياسية يمكن إجمالها في:

1- أحداث الصومال.

2- أحداث الجزائر.

3- حرب الفاكسات.

4- الأحداث في اليمن.

5- أحداث الشيشان.

6- عملية اغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك في أديس أبابا.

1- أحداث الصومال:

كان قدوم القوات الصليبية إلى بلاد الحرمين عام 1991م بحجة تحرير الكويت، نقطة تحوّل رئيسية خلّفت زلزالًا عنيفًا أصاب الأمة بأسرها، وقسّمها أفقيًا ورأسيًا ليس على خلفية احتلال العراق للكويت، بل على مشروعية وجود قوات غربية صليبية في أرض الحرمين والاستعانة بها. وبموجب ذلك كانت القاعدة قد اتخذت في جلسات سرية في بيشاور عام 1991م، استراتيجية مواجهة أمريكا، وهيأ الله للتنظيم تلك الفرصة في الصومال.

وكانت الصومال – بعد إقالة سياد بري آخر رئيس للصومال عام 1991م بواسطة تحالف قبلي مدعوم من أثيوبيا – قد دخلت في حروب أهلية طاحنة بين قبائلها المختلفة صراعًا على السلطة، ونتج عن تلك الحروب دمارًا شاملًا لكل مؤسسات الدولة، أدى في النهاية لحدوث مجاعة أودت بحياة أكثر من 300.000 صومالي. وعلى ضوء تلك الأحداث أرادت أمريكا احتلال الصومال لتحقيق مآربها في المنطقة، ولشرعنة تواجدها اتخذ مجلس الأمن القرار رقم 794 القاضي بإرسال قوات أممية بقيادة أمريكا لإعادة الاستقرار في الصومال تحت مسمى إعادة الأمل، ودخلت هذه القوات الصومال بتاريخ 1992/12/5م.

وكانت هناك حركة إسلامية سلفية دعوية أسمها الاتحاد الإسلامي، انتشرت في كل مكان في الصومال، واستطاعت عن طريق الدعوة والتربية أن تجمع كل طاقات القبائل وأبنائها في صفٍ واحد – بما فيهم قبائل الأوجادين(76) الواقعة تحت الاحتلال في أثيوبيا – وفرضت نفسها في الساحة، واختفت مظاهر الفساد، وكانت الحركة مرشحة لتحل محل الحكومة.

وفي بادئ الأمر – قبل قدوم القوات الأممية – لم تكن حركة الاتحاد الإسلامي حركة مسلحة، لكن مع كثرة الاستفزازات من قبل قوات الجنرال عيديد والمحتلين الإثيوبيين، ومع عودة كثير من الشباب الصوماليين الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني وتأثروا به وأثّروا في بعض قيادات الحركة بنشر الوعي الجهادي، كوسيلة لدفع صيال الأعداء من الغزاة الإثيوبيين والمفسدين وجنرالات الحروب، حملت الحركة السلاح، فكانت تقاتل الجنرال عيديد في الجنوب دفاعًا عن نفسها، وفي الشمال دخلت الحركة في حروب طاحنة مع الرئيس المزعوم الديكتاتور عبد الله يوسف المدعوم من قبل إثيوبيا، وكان شباب الاتحاد قد تمكنوا من أسره مع بعض ضباطه، ولما حانت لحظة الحساب تدخل شباب قبيلته لفكّ أسره، وغضب الإخوة الأوجادينيين الذين تواجدوا في شمال الصومال لنصرة الدين وتوحيد صفوف المسلمين، وعلى إثر ذلك التصرّف، انسحبوا من حركة الاتحاد الإسلامي الأم، وأسسوا حزب الاتحاد الإسلامي الأوجاديني، وتمكن عبد الله يوسف بعدها من طرد المجاهدين من عاصمة بوت لاند بوساسوا بمساندة من قبيلته، وخسر المجاهدون المعارك في

(76) قبيلة الأوجادين قبيلة كبيرة جدًا، تسكن في جنوب الصومال من كسمايو إلى بلدة كيامبوني، وتسكن في شمال شرق كينيا وكذلك أواسط وجنوب أثيوبيا.

الشمال بسبب الاختلافات القبلية، وأصبحت هناك عدة تجمعات إسلامية، في الشمال والجنوب والوسط والغرب[77].

وفي بدايات عام 1992م، جاء وفد إلى الخرطوم من علماء الصومال، كان على رأسهم أمير حركة الاتحاد الإسلامي الشيخ حسن طاهر أويس، والشيخ حسن تركي، وكان قد سبقهم اثنان[78] من القيادات الشابة المؤسسة لحركة الاتحاد، للتنسيق مع الشيخ أسامة على لقائه بمشايخ الحركة. جلس هؤلاء المشايخ مع الشيخ أسامة، وتدارسوا حول الأوضاع في الصومال، واتفقوا معه على فتح معسكرات تدريب للصوماليين تحت إشراف القاعدة. وعلى الفور سارع التنظيم بإرسال طليعة أولى من الإخوة – تحركت من جيبوتي – لاستطلاع الأوضاع هناك، كان على رأسهم الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أبو مهدي العولقي (يسلم باراسين) رحمهما الله جميعًا، وآخرون. وكانت هناك طليعة أخرى من الإخوة تحركت من السودان، كان من بينهم الأخ أبو تراب الكيني، وأبو طلحة السوداني – رحمهم الله – وأبو هريرة الصومالي، وأبو يوسف الصومالي، وأبو أحمد الراجي اليمني، وآخرون، وكان ذلك في الأشهر الأولى من عام 1992م قبل وصول قوات الأمم المتحدة إلى الصومال.

وكان مجلس شورى الاتحاد الإسلامي – بعد دخول القوات الدولية الصومال بقيادة أمريكا – قد اتخذ قرارًا عجيبًا يقضي بعدم مواجهة القوات الغازية، ودفن أسلحتها وبيعها بحجة أنهم في المرحلة المكية مرحلة الدعوة، وكانت معظم هذه القيادات قد طلبت العِلم في بلاد الحرمين، وكان من تداعيات هذا القرار أن رجع كل قيادي في الحركة إلى قبيلته واحتمى بها، ونتج عن ذلك تفكك حركة الاتحاد الإسلامي إلى مجموعات إسلامية صغيرة منتشرة هنا وهناك، وبفضل الله، كان هناك بعض من شيوخ الاتحاد، وعلى رأسهم الشيخ حسن طاهر والشيخ حسن تركي والشيخ عبد الله سهل، الغيورين على دينهم وبلدهم، رفضوا دفن أسلحتهم وآثروا مواجهة المحتلين، وبالتعاون مع رجال القاعدة كونوا جيشًا مسلحًا من آلاف الشباب الجهاديين، الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل في القيام بتنفيذ الكثير من العمليات الميدانية.

---

(77) الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.

(78) أحدهم كان عبد السلام رحمه الله وهو قائد حركة الاتحاد الاسلامي الاوجاديني، والثاني نحتفظ بعدم ذكر اسمه لدواع أمنه.

ولدفع العدو الصائل، وتفويت الفرصة على الأمريكان لتقسيم البلد ونهب ثرواته، ومحاولة تكوين نواة لمعارضة كل المخططات الأمريكية في المنطقة، ولأهمية الصومال الاستراتيجية (من ناحية موقعه وإشرافه على باب المندب، وقربه من جزيرة العرب بؤرة الصراع في المنطقة)، قررت قيادة القاعدة انتهاز الفرصة، وذلك بجعل الصومال من أهم أولوياتها للمرحلة القادمة، بهدف استنزاف أمريكا اقتصاديًا وبشريًا ومعنويًا، واستنفرت لهذه المهمة كل جهازها العسكري، وبسرية تامة تدافعت على أعلى المستويات، كوادر التنظيم من الإخوة العسكريين المدرِّبين إلى الصومال، من أفغانستان والسودان لتدريب الشباب الصوماليين.

بعد أن دخل الإخوة المدربين الصومال انقسموا إلى مجموعتين، مجموعة للتدريب في منطقة الأوجادين الواقعة تحت الاحتلال الأثيوبي، ومجموعة للتدريب في الصومال لمواجهة الاحتلال الأمريكي. وكانت مجموعة الأوجادين متكونة من أبو إسلام المصري، وهو أمير المجموعة تقبله الله، أبو خالد الحبيب تقبله الله، سعدوف (خالد المقدسي) تقبله الله، عبد الصبور المصري تقبله الله، وهارون فضل القمري تقبله الله وآخرون. أما مجموعة الصومال، فكان المسئول عنها الأخ خالد الفواز – فكّ الله أسره – وتضمّ كل من الأخ عبد الوكيل المصري تقبله الله، الأخ مُحَمَّد عودة فكّ الله أسره، الأخ شعيب المصري (السعدي) تقبله الله، والأخ أبو الحسن الصعيدي تقبله الله، وآخرون[79].

وكان من أصعب ما واجهه الإخوة في الصومال وشرق أفريقيا، هو السفر إلى الأوجادين في ظل أوضاع شديدة الصعوبة، بينت لنا مدى الصبر والعزيمة، والروح المعنوية الإيمانية العالية التي تحلى بها أولئك الإخوة، ونفسح المجال هنا لهارون فضل، ليحدثنا من مذكّراته عن تلك الصعوبات التي واجهوها أثناء سفرهم إلى هناك، يقول هارون فضل:

"السفر إلى جبال الأوجادين في أوضاع غير أمنة، وبدون أن نكون على علم بالمنطقة، كانت تشكل تحديًا واضحًا لنا، وهذا من أصعب ما واجهنا في عملنا في شرق أفريقيا. ففي أول يوم من رمضان تحركنا بشاحنة وعددنا ثمانية مدربين عرب، وكان العدد الإجمالي للمجاهدين في هذه الرحلة أكثر من ستين فرد، وتحركنا إلى منطقة الحدود، وكانت نقطة التجمع تبعد 70 كم عن

(79) الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.

مدينة لوق، وبدأنا نربط أمتعتنا على ظهور الجمال، واكتفى كل واحد منا بسلاحه الشخصي والزمزمية والجعبة التي تحتوي على ثلاثة مخازن وقنبلتين، ولم يتمكن الشيخ عبد الله سهل من السفر معنا لكبر سنه، وتوكلنا على الله وبدأنا الرحلة المجهولة. صدقني يا أخي، أصعب شيء أن تتجه إلى منطقة ليس لك أدنى فكرة عنها، كل ما كنا نعرفه أننا نريد الوصول إلى قلب الأوجادين، والمسافة تقدر ب 500 كم، واضطررنا طبعًا إلى الافطار أثناء السفر، وكانت رحلة طويلة وشاقة وموفقة، والحمد الله تعلمنا فيها الكثير والكثير، بالذات الصبر والتحمل والتعرف على الآخرين.

وكان لدى الشباب الصومالي انطباع خاطئ عنا لكوننا غرباء، فقد ظنوا أننا لن نصمد يوم واحد، لأننا لسنا بدو وهم نشأوا في البادية، فبعضهم يمشى 1000كم في أسبوعين فقط، والسر في ذلك أنهم رعاة مواشي يتجولون ولا يسكنون في منطقة واحدة، ولكننا أثبتنا لهم أننا كوادر، وكنا نعلم ما سنواجهه من المتاعب في هذه الرحلة الشاقة، ولأسباب أمنية، طوّلنا المسافة لذلك تأخرنا في الوصول، فقد اضطررنا إلى عمل لفات طويلة، وترك الطريق المألوف لنتجنب الوقوع في كمائن القوات التيجراوية. وفي العشرة الأولى من رمضان كنا نمشي طوال النهار، فإذا زالت الشمس وضعنا أغراضنا واسترحنا، وكان الطعام الأساسي هو حليب النوق، وكنا ننحر الجمال في بعض الأحيان أو نذبح الأغنام، لم نكن نملك غير اللبن واللحم، وأصعب شيء واجهنا في السفر كان نقص المياه، في بعض الأحيان كنا نمشي اليوم كله بسبب أن المنطقة خالية من المياه.

وكان معنا أكثر من دليل يتناوبون فيما بينهم، حسب المنطقة، وأيضًا حملنا معنا خرائط تساعدنا على معرفة الآبار، ولكن الطبيعة غير الواقع فقد كانت الخرائط قديمة، فبعض الأحيان كنا نصل إلى البئر لنجده قد اختفى تمامًا ولا أثر له، وهكذا كنا نتحرك بعد صلاة الفجر مباشرة ولا نستريح إلا مع صلاة الظهر، ويمكن القول إننا كنا نقطع 40 كم في اليوم الواحد، وأحيانًا أقل من ذلك حسب ظروف المنطقة أهي صحراوية، أم غابات استوائية من السافانا، أم هي من غابات الشوك المنتشرة في شرق أفريقيا؟ كنا نمشي ولا نقابل أي إنسان، والغريب هي تلك الخطوط الطويلة التي لا نهاية لها، وهي خطوط جيولوجيا مستقيمة بشكل منظم وتتجه شمالًا، وهذه الخطوط رسمت من قبل شركات غربية أثناء بحثها عن المعادن في الأراضي الصومالية. وأحيانًا نفاجأ بأعرابي يمشى لوحده، وليس معه سوى خنجره وبراد الشاي أو الحليب، وكنا نستغرب من هؤلاء،

فالمنطقة كلها خطيرة، فهي غابات للحيوانات المتوحشة، ولم نكن ننام الليل حتى نشعل النيران لطرد الأسود والفهود والنمور والذئاب التي كانت تتعقبنا في كل الرحلة.

كانت الرحلة سياحية ولكن من الدرجة الأولى، وصدق رسول الله ﷺ: "سياحة أمتي الجهاد". أما متعة الرحلة فكانت في الصيد، وكنت أتولى الصيد بسبب أنني قناص، فأصيد الغزلان التي تملأ الغابات، فهي ثروة لا تقدر بثمن فقد كانت كثيرة جدًا. وكان الأخ سيف الإسلام وهو الأمير، قد أعطاني الإذن الكامل في الحركة، فلازمت الشباب في المقدمة، وهم المفرزة الاستطلاعية والعيون العارفين بالمنطقة، فكنا نصل إلى الآبار ب 15 دقيقة قبل وصول بقية المجموعة. وفور وصولنا لأي نقطة استراحة يتم استطلاعها بسرعة، وأخذ أحسن المواقع الدفاعية وتجهيز الحراسات، وكنا نتناوب في عملية تأمين المجموعة، لأن هدفنا الرئيسي الوصول إلى قلب الأوجادين، وليس الاشتباك مع القوات التيجراوية، وهكذا كنا حذرين جدًا، وأحيانًا كنا نجلس يومين في نقطة واحدة لا نتحرك بسبب تواجد دوريات عسكرية، وكنا ننتظر الإشارات من العيون لنتحرك من جديد. أما في الأيام الأخيرة من الرحلة، فكنا نستيقظ في منتصف الليل ونبدأ بالسير إلى الفجر، ثم نكمّن ونستريح في النهار، وبعد العشاء نبدأ بالسير من جديد لتفادي عيون الأعداء، فكلما اقتربنا من العمق، كلما كثر التواجد الحكومي.

وكان أمير المجموعة الصومالية هو الأخ عبد الواحد، وهو ضابط استطلاع سابق في الجيش الصومالي، ويعرف المنطقة حق المعرفة، كنا نستخدم البوصلات والخرائط في التحرك، أما هو وباقي المرشدين فقد استخدموا الأشجار والعلامات الطبيعية في الحركة. أما خالد الحبيب وسليمان (سعدوف)، فقد وجدا بعض الصعوبات في الحركة في الليالي الغير مقمرة، لأنهما يضعان نظارات طبّية. وفي العموم لم نجد صعوبات أمنية أثناء السفر، أما المشاكل الأخرى مثل فقدان الماء ومرض بعض الشباب وانقطاع الحليب والسكر منا، كانت كلها تتكرر من فترة لفترة. وللعلم فإن الشاي أهم شيء عند الرجل الصومالي المسافر، ولا يهمه غير الشاي والسكر فقط، فممكن أن ينقطع عنا كل شيء، ولكن الشاي والسكر سوف نتمكن من شراءها من أي مقهى، وإن كانت تحت جذع شجرة.

وحتى نتجنّب ضربة الشمس والجفاف، كنا نضع السكر في الماء ونستخدمه عند الحاجة، ولم يكن حظنا جيدًا في كل الأوقات، فأحيانًا نجد مياه حالية نظيفة، فنشرب ونغتسل ونملئ الجراكن

التي معنا، وأحيانًا كنا نجد مياه شبه مالحة، أو كبريتية سوداء تفوح منها رائحة كريهة، ولكن ليس لدينا خيار فكنا نشربها، ونطبخ بها لنتجنّب الموت في الصحراء، وكنا نزاحم القرود في المياه، حيث نشرب من نفس العين أو المستنقع المستخدم من قبل القرود والسباع. أما الأسود والوحوش فقد رافقتنا طوال السفر، فكنا نجد آثار الفيلة، ونسمع أصوات الأسود وهي تقترب، وكذلك الذئاب الشرسة، ولم نكن نبالي بها لأن كل واحد منا في مهمته، فالحيوانات لها مهمتها في التواجد ونحن كذلك، وهن من مخلوقات الله ونحن كذلك، ولم تكن هذه الحيوانات لتؤذي المجاهدين أبدًا.

ومر علينا يوم من أصعب الأيام في السفر كله، وسمي بيوم عبد الصبور الصعيدي (أبو صهيب). كنّا قد تحركنا من بعد صلاة الفجر، على أمل أن نجد المياه في الموعد المحدد وهي الساعة العاشرة صباحًا، ولكننا عندما وصلنا في الوادي لم نتمكن من إيجاد العين، فقد اختفى بسبب السيول ووجدنا الوادي جاف تمامًا.

وكان من عادتنا إذا اقتربنا من الآبار أن نشرب ما عندنا من الاحتياط في الزمزميات، وبعد أن شربنا تبين لنا أنه لا أثر للماء في المنطقة، وهكذا لم ننزل الأغراض من على الجمال، بل تقدمنا للأمام على أمل أن نجد بئر آخر قريب، وزالت الشمس، وبدأنا نشعر بالضعف والتعب، فقد كنا في صحراء قاحلة لا يوجد فيها أي أثر للحياة، ولم نكن نملك سوى مياه العلاج (الجلوكوز)، وبعض المياه على الجمال، واستمرينا في الرحلة حتى غربت الشمس عنا ولم نصل إلى أي بئر، ولم نجد أي أثر للماء، وبدأنا ننكت على بعضنا ونصبر أنفسنا بأحلام وقصص من الخيال، وكما تعلمون، فإن الشباب المصري يجيد الفكاهة، ولا تفوته الفرص حتى في الشدائد، فبدأوا ينكتون.

وكان معنا أخ دليل اسمه علي، فكلما سئل عن البئر يجيب بكلمة " أفر ساعة " يعني بعد أربعة ساعات، ويشير بأصبع السبابة للأمام، ليجعلك تصدق أن البئر قريب جدًا، وهكذا كنا نفرح لأننا في خلال أربع ساعات سنجد الماء، ولكن من الصباح إلى بعد صلاة العشاء ونحن نمشي، لا أربع ساعات ولا أي منطقة قريبة، فكنا نضحك كثيرًا وننكت، والشباب يسألونه " يا علي أين البئر؟"، ثم يجيبون أنفسهم على السؤال " أفر ساعة"، وفعلًا لقد تعبنا ذلك اليوم ولكن كان يوم النكت.

وكنت أستغرب كيف استطاع صحابة مُحَمَّد ﷺ، قطع الصحراء إلى المدينة المنورة في أحلك الظروف، وهذا الأخ الصومالي سمي بعد الرحلة " علي أفر ساعة"، وقد استشهد رحمه الله وتقبله

مـن الشـهداء آمـين. وبعـد السـاعة التاسـعة لـيلًا، وأثنـاء السـير في الظـلام، وبـلا وجـود أثـر للمـاء، وفجـأة وقـع الأخ عبـد الصـبور الصـعيدي، وهكـذا سمـي بيـوم عبـد الصـبور، ولا أخفـي أننـا حـزنّا لوقوعـه، ولكننـا في نفـس الوقـت وجـدنا سـببًا للاسـتراحة، فقـد كنـا منهكـين، ولم نكـن مسـتعدين للمشـي مـن جديـد، وهكـذا تمـت الاسـتراحة وبـدون فـك الجمـال، وأذكـر بأن الـدكتور حمـدي (أبـو عبيـدة المصـري)، أحضـر لنـا جـالونًا كـان يحـوي ثـلاث لـترات مـن المـاء، وتخيـل يا أخـي كيـف شـربناه، أولًا يأخـذ أحـدنا نفـس عميـق وعميـق جـدًا، ثم نشـرب قليـل مـن المـاء قـدر غطـاء الجـالون فقـط، تخيـل ذلـك يا أخـي، وكنـا نتـذكر صـحابة رسـول الله ﷺ أثنـاء رحلـة تبـوك، وكـذلك الرسـول ﷺ أثنـاء هجرته، فليس هناك جهاد بدون جهد وتعب.

نمنـا قلـيلا ثم بـدأنا بالرحلـة في السـاعة الثالثـة صـباحًا قبـل الفجـر بفـترة، وسـرنا إلى أن دخـل وقـت صـلاة الفجـر، وأثنـاء الاسـتراحة والتجهيـز للصـلاة، غفـوت وشـعرت بالنعـاس، وفي هـذه اللحظـات القصـيرة العجيبـة أكـرمني الله، فقـد رأيـت في المنـام وجوهًـا طيبـة تقـدم لي ميـاه كثـيرة، وأخـذت مـنهم وبـدأت أشـرب حـتى رويـت، ثم فقـت مـن نـومي لأجـد بطـني ممتلئـة فعـلًا وذهـب عـني الظمـأ، ولم أخـبر أحـد بمـا رأيتـه إلا الأخ الأمـير، فقـد استبشـر كثـيرًا وأخـبرني بأنـه رزق سـيق إليّ، وقمـت نشـيطًا، وبعـد الصـلاة تحركنـا إلى البئـر المزعـوم، وقـال لنـا الأخ علـي كعادتـه أنـه بعـد أربـع سـاعات سـنكون هنـاك، واستبشرنا واجتهدنا في السير.

وفي السـاعة العاشـرة تمامًـا، كنـا قـد وصـلنا إلى الـوادي الجديـد، وبـدأنا نبحـث عـن أي أثـر للعـين والبئـر الجديـد، والحمـد لله فقـد وجـدنا عـين واحـدة فقـط، وبالكـاد أن نخـرج منـه قـدر كـأس مـن المـاء كـل بضـع دقـائق، واستبشـرنا ونظفنـا البئـر، ووضـعنا راحلتنـا ونحـرنا جمـلًا لإرجـاع بعـض السـوائل، وتمكنـا مـن الاسـتراحة ليـومٍ واحـد، حيـث نمنـا هنـاك إلى اليـوم الثـاني، وكـان يومًـا مشـهود، ولم نكـن متعـودين علـى أكـل لحـوم الإبـل، ولكـن الطبيعـة والظـروف علمتنـا كـل شـيء، والعجيـب أن الصـوماليين يفضـلون أكـل لحومهـا وهـي نصـف ناضـجة، وكنـا نجـد صـعوبة في المضـغ، ويكثـر هنـا التنكيـت مـن قبـل الشـباب، فـأخونا عبـد السـلام الراجـي، كـان ينكّـت مـع المصـرين، ويقـول لهـم " أعطـني قلـيلًا لأتأكـد هـل جـاهزة أم لا؟ " يقصـد قطعـة اللحـم، وكنـا نمـوت مـن الضـحك، فهـو لا يريد أن يتأكد بل يريد أكلها.

أثناء الرحلة، لم نـر سـوى قـريتين فقـط، وهـي عبـارة عـن عشـش مـن القـش، ولا أثـر لأي تمـدن ألبتّـة. كانـت القريـة الأولى تسـمى قريـة الملـح، فهـي في وادي الملـح " غـود عسـبو"، فلمـا وصـلنا للـوادي لأول مـرة فرحنـا جـدًا، لأن الميـاه جـذبتنا بقـوة جريانهـا وبياضـها، ثم تبـين لنـا أنهـا مالحـة أشـد مـن البحـر، وسـبحان خـالق السـماوات والأرض، فمـن المعـروف أن الأوجـادين لا بحـر فيهـا، ولكـن الله يفعـل مـا يشـاء، وسـط الصـحراء ميـاه مالحـة تجـري كالأنهـار، إنـه مـن معجـزات الله في الخلـق، ﴿إِنَّ فِي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْـتِلَافِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَـابِ﴾. أمـا أصـحاب الـوادي فيستغلونه لتصنيع الملح. وعنـدما اقتربنـا مـن القريـة، كانـت هنـاك سيارة لانـد روفـر للجيش، ولما سمعوا بقـدومنا هربـت مـن القريـة، لأن البـدو كـانوا ينقلـون الأخبـار بسـرعة الـبرق، وهـم في نقـل الأخبـار أسـرع مـن الأنترنـت. أمـا القريـة الثانيـة فهـي قريـة " أباقـرو" الـتي تحـاذي وادي شـبيلي، وهـو مـن أشـهر الأنهار في الصومال، والقرية الصغيرة تقع بين مدينة إيمي وعاصمة الأوجادين غُودي.

وكـان مـن الواجـب أن نقطـع النهـر في الأوقـات الـتي تـنخفض فيهـا الميـاه، وعنـدما وصـلنا القريـة تمكنـتُ مـن دخولهـا لوحـدي دون الشـباب العـرب، بسـبب بشـرتي وقـربي للـون الصـومالي، واشـترينا مـن سـوقها بعـض السـكر والمكرونـة، وهـي الطعـام الأساسـي للصـوماليين، وبعـض الخضـروات مثـل البنـدورة الصـغيرة، واشـتريت بسـكويت أبـو ولـد اليمـني، وكنـت أشـعر بأنـني دخلـت إلى متجـر خمسـة نجـوم، رغـم أن السـوق عبـارة عـن عشـش، ولا يوجـد في السـوق شـيء سـوى مـا ذكـرت، واشـترينا مـن ضـفة النهـر بعـض السـمك الحلـو، وعـبرنا عـن طريـق حبـل قـوي مربـوط بشـجرة مـن كـلا طـرفي النهـر، لأن التيـار قـوي جـدًا، ولم يكـن الجـيش التيجـراوي متواجـد في القريـة، فهـم يتمركـزون في المـدن فقـط، ولـديهم دوريات منتظمـة، وتبعـد قريـة أباقـرو 90 كـم عـن المعسـكر المجهـول في منطقـة كَارِيشِـيْغوت. وبعد يومين وصلنا إلى المعسكر، وكانت قد مرت علينا أربع وعشرين يومًا من رمضان المبارك.

وبمـا أن الـبرنامج الرئيسـي لتواجـد القاعـدة في الصـومال كـان التـدريب، فسـوف نقـف هنـا بشـيء مـن الإسـهاب - بتصـرف طفيـف - مـن كتـاب هـارون فضـل، علـى تفاصـيل الـبرنامج التـدريبي، لنـرى كيـف قـام شـباب القاعـدة بـواجبهم علـى أكمـل وجـه، في ظـروف بالغـة التعقيـد والصـعوبة، وخرّجـوا في نهايـة المطـاف رجـالًا واصـلوا المسـيرة، وتصـدّوا ومـا زالـوا يتصـدّون بكـل شمـوخ لكـل المطـامع والمخططات الإثيوبية، والإمبريالية الأمريكية في المنطقة.

شُيّد المعسكر في منطقة تسمى "كاريشيغوت"، أي الكهف الجبلي بالصومالية، وكان المجموع الكامل للمتدربين أكثر من 300 شخص، 150 منهم يتدربون و150 الآخر يقومون بالحراسة على قمم الجبال، وتم توزيع الشباب إلى مجموعات حسب أعمارهم على ستّة مدربين هم، الدكتور حمدي، عبد الصبور، خالد الحبيب، سليمان (سعدوف)، عبد السلام اليمني، وبقي الأمير ونائبه بدون مجموعات للتنظيم والإدارة. سميّت المجاميع بأسماء الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، فكانت هناك مجموعة أبوبكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان بن عفان، علي بن ابي طالب، أبو عبيدة بن الجراح ﷺ أجمعين.

قُسّمت الدورة التدريبية إلى مرحلتين: مرحلة أولى تأسيسية، يتدرب فيها الشباب على مختلف المهارات بشكل تأسيسي ومدتها 45 يومًا، ثم بعد ذلك تليها مرحلة التخصصات لمدة 15 يومًا، وبعدها يتم توزيع الشباب على تخصصاتهم، ثم تشكل الفصائل المقاتلة.

بدايةً كانت التدريبات شاقة في مراحلها الأولى، لأن كل شيء كان جديدًا لدى الشباب، وكانت هناك صعوبة في الترجمة، لذلك خصص لكل مجموعة أخ مترجم، وسُلّم لكل متدرب دفتر وقلم، وكان التدريس يتم في عشش، ولم يكن هناك أي سبورات، وكان الوضع أشبه بالجنون، فقد كان بعض المتدربين أمّيًا لم يمسك قلمًا في حياته، ويحتاجون إلى وقت أطول لإيصال المعلومة، لذلك في آنٍ واحد، عمل الإخوة المدرّبين كمدربين عسكرين، ومدرسين عاديين يساعدون في محو الأمية. وكان هناك ملفًا دراسيًا لكل أخ لتقييم المستويات في كل المواد وهي: الأسلحة الخفيفة، المتفجرات، البيكا والأيش كي، الأربي جي، والرياضة والانضباط – لأنها مادة مهمة في المرحلة التأسيسية – وكذلك التقييم الشرعي والأخلاقي لكل شاب.

وبعد الانتهاء من المرحلة التأسيسية، كان الشباب يستريحون ليومين، يتم خلالها فرز التقارير الخاصة بالشباب، ثمّ توزيعهم على التخصصات حسب قدراتهم كما هو مبين في الملف الشخصي لكل متدرّب. وكانت الدورة التخصصية تشمل الأسلحة الخفيفة، القناصة، والأربي جي، الرشاشات الثقيلة، المتفجرات والهندسة العسكرية، الاسعافات الأولية، الهاون الطبوغرافيا والاستطلاع.

وكانت المرحلة الثانية بالتدريبات التخصصية تبدأ بالرياضة الشاقة المركزة، وبعد الفطور يتم عمل الجمع العسكري الكبير والتأكد من المجموعات، وبعد أخذ التمام تنتقل كل مجموعة مع

مـدربها إلى سـاحة التـدريب، حيـث يقـوم المـدرب بتعلـيم الشـباب كـل شـيء يخـص السـلاح المـراد التخصص عليه، وذلك لإعطائهم الثقة أثناء المواجهة والاعتماد على أنفسهم.

ومثالًا لهذه الجهود المباركة، يتحدث الأخ هارون فضل عن جهوده في التدريب فقال:

"تم عمـل كـل مـا في المسـتطاع مـن جعـل الـدورة الأولي نموذجًـا طيبًـا وناجحًـا لمسـتقبل الحركـة الإسـلامية في اثيوبيـا، أمـا أنا فكـان علـيّ تـدريب 12 شـابًا علـى تخصصـين، القناصـة والمضـادات للمـدرعات (الآر بي جـي 7 و2)، وكنـت أوزع أوقـاتي بـين المجمـوعتين في الصـباح والمسـاء، وطـورت مـنهج التـدريب المخصـص للقنـاص لتشـمل 4 أسـلحة رئيسـية، هـي القناصـة الروسـية المشـهورة الـدراكانوف، والسـلاح الألمـاني الفعـال الجـي 3، وكـذلك السـلاح الروسـي ذوي السـبطانة الطويلـة السـيمينوف، والأف إن فـال البلجيكـي، والسـبب هـو أننـا لا نمتلـك غـير هـذه الأسـلحة، وكـان مـن واجبي أن أتعامل مع الواقع حيث لم نملك مناظير.

وكـان بـرنامج التـدريب عـال جـدًا، فقـد علمـتهم النظـري أولًا، بـدءًا مـن الفـك والتركيـب الكامـل، بمـا فيـه مجموعـات الـزناد الحساسـة، وأخـيرًا يـتم تعصـيب العينـين، ثم الفـك والتركيـب بسـرعة، ومعرفـة عيـوب السـلاح وكيفيـة التصـليح، والتأكـد مـن أن كـل الشـباب السـتّة قـد تمكنـوا مـن فهـم الحركـة الميكانيكيـة للأسـلحة، والعيـوب والمميـزات وكيفيـة تصـليح السـلاح، وبعـد ذلـك نبـدأ بالتـدريبات العمليـة الـتي تركـز علـى حسـاب المسـافات بالطـرق التقليديـة، وكيفيـة اختيـار المواقـع في المـدن والغـابات والمنـاطق المفتوحـة والجبـال، والتعامـل مـع المنظـار بالنظـري، وكيفيـة معرفـة الشخصـيات المهمـة بالرتـب العسـكرية، وكيفيـة التمويـه بحيـث لا يُكشـف القنـاص، وتحمّـل الظـروف الطبيعـة والأجـواء سـواء في منطقـة صـحراوية أو غابيـة أو ثلجيـة، كيـف يمـوه نفسـه حسـب المنطقـة، واللـون المختـار للتمويـه، ثم بعـد ذلـك يـتم ركلجـة سـلاح القنـاص، وبعـد ذلـك نبـدأ بالرمـايات المكثفـة علـى عـدة مسـافات، بـدأ مـن 20مـتر إلى أن تصـل إلى 400 مـتر بـدون منظـار، وقـد تمكنّـا أيضًـا مـن دراسـة انحـراف كـل عـين قنـاص، والتأكـد مـن أنـه يعلـم انحرافـه، وكيـف يتعامـل مـع هـذا الانحـراف، وأيضًـا تـتم الرمايـة بالأوضـاع كلهـا، واقفًـا وجالسًـا ومنبطحًـا، وفي كـل الأحـوال يجـب أن يسـند القنـاص سـلاحه ويـربط يـده بسـلاحه، ويركّـز في انتظـار ظهـور الهـدف، ويـتم تعليمـه كيـف يصـبر وينتظـر لسـاعات طويلـة حـتى يظهر الهدف.

وكـذلك تم تعلـيم الشـباب كيفيـة التعامـل مـع الأهـداف المتحركـة، وقيـاس مسـافة السـبق، والتعامـل مـع الأهـداف العاليـة والمنخفضـة بقيـاس درجـات الحـرارة والـرياح، وتمكنـا أيضًـا مـن تـدريب القناصـين علـى كيفيـة التعامـل مـع الأهـداف أثنـاء الليـل، وكنـت أحـتفظ بنتـائج رمـايات الإخـوة بمختلـف المسـافات. والشـيء المميـز أن القنـاص سـوف يتخـرج بسـلاحه ولـن يتركـه أبـدًا، حيـث يصـبح سـلاح التدريب هو سلاحه الشخصي وهذا أمر مهم، لأنهم قد حفظوا كل تفاصيل أسلحتهم.

أمـا الشـيء الممتـع في تخصصـات القناصـة هـو الصـيد، فقـد ابتكـرنا مشـاريع حقيقيـة، حيـث يتعامـل القنـاص مـع أهـداف حيـة وبـزمن محـدد، وكنـت أكلـف الشـباب بإحضـار الغـزلان للمعسـكر في مـدّة محـددة وبرصاصـة واحـدة فقـط، ويعاقـب كـل قنـاص عنـدما يرمـي ولا يصـيب، فكـان بعضـهم يرجع فارغ اليدين، ولكن معافى من العقاب.

وقبـل انتهـاء الـدورة بيـوم، نعمـل مشـروع حقيقـي لكـل قنـاص، ويتركـز الامتحـان علـى كيفيـة اختيـار المواقـع والتمويـه، والتأكـد مـن الهـدف، والصـبر في الانتظـار، والرمايـة علـى بعـد أكثـر مـن 300 مـتر بـدون منظـار. وكـان المشـروع كـالآتي: أجمـع شـباب القناصـة وأريهـم الأهـداف، ثم أكتـب علـى كـل شـاخص اسـم قنـاص، ويكـون الشـاخص كامـل طبعًـا، ويجـب إصـابة الهـدف في الأمـاكن القاتلـة مثـل الـرأس أو الصـدر، أو القلـب أو الرقبـة، أعـني أنـه يجـب أن تكـون الإصـابة قاتلـة. ولكـل قنـاص ثـلاث طلقـات فقـط، وعنـدما يبـدأ التمـرين يختفـي كـل قنـاص بمفـرده، ويختـار موقعـه ويحصـنه ويمـوه نفسـه وينظـف سـلاحه، وينتظـر ظهـور الشـاخص الخـاص بـه، ويـتم إنـزال الشـاخص بعـد 5 دقـائق فقـط مـن ظهـوره. وكانـت التمرينـات تبـدأ في الصـباح وتنتهـي في الليـل حيـث الرمـايات الليليـة، وبعـد ذلـك يـتم تكلـيفهم بالمشـاريع الحقيقيـة في صـيد الغـزلان، لازدياد ثقـتهم وليتمكنـوا مـن معرفـة أسلحتهم أكثر فأكثر.

أمـا شـباب الآر بي جـي؛ فقـد كانـت التـدريبات النظريـة مهمـة جـدًا ليتمكنـوا مـن معرفـة كيفيـة ضـبط وركلجـة المنظـار مـع القـاذف، وحسـاب مسـافة السـبق، والـتمكن مـن معرفـة أسـرار منظـار الأربي جـي في قيـاس المسـافات، وأيضًـا كنـا نركـز علـى نقـاط ضـعف الـدبابات، ونجحنـا في التـدريبات النظريـة حيـث الفـك والتركيـب للقـاذف (مجموعـة الـزناد) والقذيفـة، بـدءًا مـن الحشـوة الدافعـة، إلى الصـاعق المتفجـر الموجـود في مقدمـة الصـاروخ، وتمكنـا مـن تفهـيم الشـباب نظريـة قذيفـة الأربي جـي المعقـدة، وكيـف تنفجـر القذيفـة إذا اصـطدمت بالهـدف، وكيـف تنفجـر في الهـواء عنـد عـدم الاصـطدام. وهنـاك

تعقيدات حيث الصاعق الأول والصاعق الثاني والصاعق التأخيري، وما إلى ذلك من ألغاز سلاح الآر بي جي 7، بعد ذلك يتم دراسة المنظار، وقياس مسافات السبق، وتحديد مسافة الهدف.

وبعد الانتهاء من التدريبات النظرية في الكتب، ننتقل إلى ساحات الرماية، حيث نركز على التمارين البدنية، وحمل السلاح، والتنقل والركض به، وكيفية التنسيق مع سلاح الاسناد البيكا والأيش كي، وكيف يتمكن الرامي من اسناد مجموعة الاقتحام، والتعامل مع الفرد المساعد له. وبما أننا لا نملك الكثير، فكنا نصنع أشكالًا لمباني أو لدبابات بالخشب، ثم نزينها بالشوالات ليتمكن الرامي من رؤية الهدف من بعيد، وبعد كل هذه المجهودات البدنية المستمرة تتم الرماية على الأهداف، ويخصص لكل أخ قذيفتين.

وبعد اسبوعين إلى ثلاثة أسابيع من التدريبات التخصصية، نجتمع في الإدارة من جديد لعملية الفرز حسب التخصص، ويتم تشكيل الفصيلة، وتمكنّا في الدورة الأولي من تشكيل ثلاث فصائل دعم، ويوجد في كل فصيلة 30 شاب كوماندوز متخصص في الأسلحة الخفيفة، وهم المشاة، وخبيرين في الهندسة العسكرية والمتفجرات، وممرضان للفصيلة، واثنين من القناصة، وأخَوين في الاستطلاع والطبوغرافيا، وقائد الفصيلة ونائبه، وأخَوين للرشاش الثقيل حيث الاسناد، وأخَوين في سلاح المضادات للدروع (الآر بي جي)، وهناك أخ للاتصالات، وهكذا يكون المجموع الكامل للفصيلة المدعمة 45 أخ، ويسحب في كل دورة أخ متخصص لكي يصبح مدرب، فمثلا بالنسبة لتخصص القناصة والآر بي جي، أخرجنا شابًا ليكون مدرِّبًا في هذا المجال، وكذلك هناك مدربين في الأسلحة الخفيفة، وكذلك البيكا والهاون والمتفجرات، فبعد التخصصات والعمل الجماعي، أصبح لدينا أيضًا ستّة مدربين جدد من الصوماليين.

أما التدريبات التجميعية، فكان الذي يتولّى أمرها هو الأمير سيف الإسلام ونائبه الأخ أبو قتيبة، ونقوم نحن بمباشرة العمليات التكتيكية الميدانية، مثل الكمائن والغارات والانسحابات والتّسلّلات، ويتدرب كل قائد فصيلة على مهمته، ويركز على إعطاء الأوامر، وكيفية دراسة الخرائط والمعلومات التي أرسلت إليه من قبل الاستطلاع، والتعامل مع أمراء المجموعات، حيث كل مجموعة فيها عشرة أفراد من المشاة، وكيف يتم استخدام سلاح الدعم، إن كان متفجرات أو اسعافات أو اسناد بالهاون أو بالبيكا أثناء المعارك، ومتى يستخدم الآر بي جي والقناصة، وتستغرق هذه المناورات العسكرية فترة عشرة أيام تقريبًا، حتى نتأكد من انسجام الفصيلة مع

بعضها وقبول أمر الواقع، ويتدربون على المهارات والتكتيكات، وكيفية التنسيق بين الفصائل الثلاث.

والحمد لله تخرجت السرية الأولى من شباب الأوجادين مكونة من ثلاث فصائل مدعمة، وقائد السرية ونائبه، وقد تمكن الأخ سيف بحكمته من مراعاة الناحية القبلية في اختيار قادة الفصائل والسرايا، فكما نعلم فإن القبيلة في الصومال تلعب دور رئيسي، والموضوع شديد الحساسية، ولا مانع شرعي في تقسيم المجموعات على رايات قبليّة، فقد رأينا في كل غزوات النبي ﷺ، أن الرايات كانت تخصص لقبائل معينة، وهكذا كان قادة السرايا من الأوجادينيين، وبعض قادة الفصائل من شباب مقديشو من قبيلة عيديد.

وبعد عيد الأضحى المبارك تم عمل حفل التخرج، وقد انتشر الخبر في أنحاء المدن الأوجادينية، من عاصمتها غودي إلى إيمي إلى جيجيكا ودقحبور ودير داوا، وقد تحركت هذه السرية في مهامها الجديدة، وهي قتال القوات التيجراوية، وكنا نسمع بأخبارها السارة، فكانت المعارك تدور بشكل جيد، ودُحرت تلك القوات من بعض القرى بفعل الغارات المباغتة والكمائن، وكان لرجال الهندسة العسكرية والقناصة بطولات كثيرة، فهم الذين يبدئون المعارك بقتل سائقي الشاحنات المحملة بالمدافع، إما بالقنص أو بتفجيرها عن بعد، ثم بعد ذلك تتم مهاجمة القافلة، وكنا نجد أخبارهم أول بأول عبر اللاسلكي، بعد ذلك تم استدعاء السرية للمعسكر لحراستنا، حيث ستبدأ الدورة الثانية.

واصل الإخوة برنامج التدريب بوجود المدربين الجدد، فتم توزيع المجموعات الجديدة وبدأت الدورة الثانية، ومن بعدها الثالثة وكان الهدف الأساسي في هذه الفترة، هو تخريج كتيبة أوجادينية مدعمة، تستطيع أن تواصل النضال والجهاد لفترة طويلة، وكذلك تخريج 18 مدربًا صوماليًا، وقد فرح الشيخ أبو حفص بالنتائج الأولية، ولم يتوقع أن يرى ما أنجز في خلال ثلاثة أشهر.

أما بالنسبة لخلية التدريب الثانية داخل الصومال، فكان الاتحاد الاسلامي قد وافق على فتح معسكر للتدريب في عارمو بالقرب من لوق، لكن قيادة الاتحاد اختلفت مع الشباب، بخصوص قتال القوات الأجنبية، ولما أراد الأخ حمد (خالد الفواز) أن ينفرد بالشباب المتدربين، لجأت قيادة الاتحاد إلى سحبهم من المعسكر، ولما جاء الاخ سيف العدل وحل مكان حمد، ازدادت الأمور سوءًا وأصبح هناك سوء تفاهم، فقد شعر الصوماليون أن الإخوة العرب يريدوا التدخل في قراراتهم

وهـذا مـالم يتقبلـوه، وازدادت الخلافـات بيـنهم، واضـطر الشـيخ أبـو حفـص إلى التـدخل لفـض النـزاع، فـتم الاتفـاق علـى إقامـة دورة عسـكرية لإخـراج سـرية صـومالية و6 مـدربين جـدد، وألّا يتـدخل الشباب في اتخاذ أي قرار بشأن مهاجمة القوات الأجنبية البعيدة.

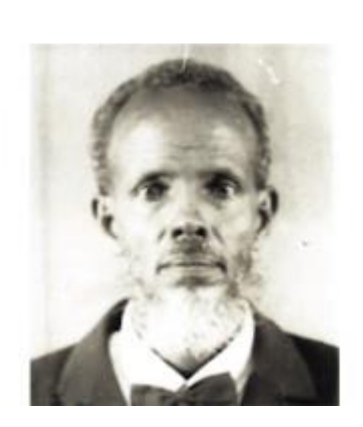
وبـدأت مرحلـة جديـدة مـن العلاقـات، وتحـرّك المـدربين فـورًا إلى المعسـكر، واشـترك في العمـل كـل مـن أبـو مُحَمَّد المصـري، وأبـو عمـير الباكسـتاني، وأمـير الفـتح وأبـو عبيـدة الموريتـاني، وابـو الحسـن الصـعيدي، وأخ بحـريني، بالإضـافة إلى بعـض مـن كـان في خليـة الأوجـادين، الـذين كـانوا قـد غـادروا بعـد اكتمـال الـدورة الثانيـة وهـم، سيـف الإسـلام، والـدكتور حمـدي، وهـارون فضـل، وسـليمان، وخالـد الحبيـب، وأبـو قتيبـة، وتمـت الـدورة بـنفس خطـة الأوجـادين، فقـد تمكنـوا في خـلال شـهرين مـن تخريج السرية وستّة مدربين متمرسين.

وكانـت هنـاك ترتيبـات لمواجهـة الأمريكـان مـع شـباب الاتحـاد الاسـلامي فـرع مقديشـو بزعامـة الشـيخ حسـن طـاهر أويـس، والشـيخ عبـد الله سـهل رحمـه الله، وترتيبـات مـع الأوجـادينيين مـن منطقـة جنـوب الصـومال بزعامـة الشـيخ حسـن تركـي، وكانـت هنـاك خليـة سِـرّية للعمـل داخـل مقديشـو بقيـادة الأخ أبـو عبـد الـرحمن المهـاجر المتخصـص في المتفجـرات، وكـان معـه الاخ أبـو الحسـن الصـعيدي وآخـرون، ثم قـرر الشـيخ أبـو حفـص ارسـال الأخ أبـو مُحَمَّد المصـري ليكـون مسـؤولًا عـن خليـة مقديشـو، فقـد كانـت هـي خـط النـار الأول في الصـومال، كـذلك طلـب الشـيخ أبـو حفـص مـن الأخ هارون فضل اللحاق بأبي مُحَمَّد للعمل بخلية مقديشو.



الشيخ حسن طاهر أويس

حفظه الله



الشيخ حسن تركي

رحمه الله



الشيخ عبد الله أحمد سهل

رحمه الله

وكانت هناك مجموعات سرّية من الصوماليين تابعة للشيخ عبد الله سهل، موزعة داخل مقديشو تعمل في عدة ميادين، وهي التي تتعامل مع العبوات المزروعة في الشوارع. ولما كان هارون فضل أشبه بالصوماليين، كانت مهمته الجديدة هي النزول في شوارع مقديشو لجمع المعلومات، وبالفعل استطاع الأخ هارون فضل رحمه الله، جمع كم هائل من المعلومات عن تجمعات القوات الأمريكية في مطار مقديشو، وكذلك تصوير تجمعاتهم الكبيرة في الثكنات أثناء الاستراحة، وأوقات تناول الطعام داخل الميناء، وكان ذلك يتم بالتعاون مع طرف ثاني، كان بحكم عمله كنائب مدير لإحدى الشركات، يستطيع دخول الميناء والتغلغل وسط الأمريكان. كذلك عمل هارون فضل رحمه الله مسحًا ميدانيًا لفندق صحافي العالمية، الموجود في الكيلومتر أَفر، والذي كان ينزل فيه الجنرالات الأمريكان، وعناصر السي آي أيه، وصحفيين من الدول الغربية.

كان الهدف الرئيسي من العمليات العسكرية في الصومال، هو التركيز على ضرب الأمريكان وآلياتهم دون غيرهم من قوات التحالف الأخرى، وعن هذا الأمر يقول هارون فضل في كتابه الحرب على الإسلام:

" والله إن القوافل الدولية، كانت تتحرك وفيها قوات آل سعود في الأمام لحماية القافلة الأمريكية، ومن وراءها الكويتية أو الإماراتية، وفي الوسط تختبئ القوات الأمريكية، ولكن كان الموت دائمًا برفقتهم، لم نكن نستخدم السيارات المفخخة طبعًا، كانت هناك التفجيرات عن بعد، أو زرع العبوات في الطرق التي تستخدمها القوات الأمريكية فقط، وكان الشعب الصومالي الذي لم يكن يعلم هذه الأساليب، يستغرب ويقول: "لماذا الأمريكان دون غيرهم، والله هذا غضب من الله عليهم". ا. هـ

ولعل من أبرز العمليات التي قام بتنفيذها المجاهدون الصوماليون بالتعاون مع إخوانهم في القاعدة، ما عرف بعملية الميناء، التي قتل فيها 18 جنديًا أمريكيًا، كذلك أسقطت قوات الجنرال عيديد طائرتين هيلوكوبتر (بلاك هوك)، إثر محاولة فاشلة حاولت فيها القوات الأمريكية أسر الجنرال عيديد، وقتل في العملية أحد الطيارين، وسحل في شوارع مقديشو، بينما أُسر آخر.





عملية سحل الطيّار الأمريكي في شوارع مقديشو

الطيار الأسير

وكانت هذه العمليات سببًا مباشرًا في أن يدرك الأمريكان سريعًا أنهم قد دخلوا مستنقعًا مشابهًا لدخول الروس في أفغانستان، فهم يواجهون شعبًا بأكمله وليس جنرالات حروب كما كانوا يدّعون، لذلك ما أن بلغت خسائرهم الثمانون قتيلًا حتى اتخذ الرئيس الأمريكي كلنتون في 1994/3/31م، قرارًا بانسحاب القوات الأمريكية، وكان ذلك القرار بمثابة إعلان بهزيمة أمريكا في الصومال.

ولم يغادر الإخوة الصومال، حتى خلّفوا وراءهم رجالًا من أبناء الصومال، شامخين شموخ الجبال أمام المطامع والمخططات الإمبريالية في المنطقة. وفي إحدى خطبه في شأن الصومال، قال الشيخ أسامة – رحمه الله – متحدثًا عن قتال القوى العظمى:

"بعد حرب الخليج الثانية، أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا 13 ألفًا من أبناء المسلمين هناك ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أُسْدُ الإسلام من العرب الأفغان، فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض، فمرَّغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحدٌ على أحد، فلله الحمد والمنَّة"[80].

إضافةً إلى النشاط العسكري في منطقة شرق أفريقيا، كان للإخوة عمل اِستثماري كبير في كينيا، يشرف عليه الشيخ الشهيد أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، فقد كان يريد توسيع استثمارات القاعدة في كينيا وتنزانيا، فكان يشرف على شركة لاستيراد السيّارات من الخليج، كذلك قام بعمل دراسات جدوى لشراء مناجم أحجار كريمة في المنطقة، ولكن لم يشأ الله لهذا الأمر أن يتم حيث توفاه الله غرقًا في بحيرة فكتوريا بعد انقلاب الباخرة[81] التي كان عليها رحمه الله. كذلك كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، يسعى لتواجد خلية في المنطقة لزعزعت مشاريع اليهود في اثيوبيا وكينيا واوغندا وتنزانيا، كذلك كان قد جهّز خلية لجمع المعلومات، استطاعت جمع الكثير منها عن التواجد الفرنسي العسكري في جيبوتي، وكذلك التواجد الأمريكي في الخليج واليمن وشرق أفريقيا.

2- أحداث الجزائر:

كانت الأحوال الاقتصادية السيئة التي مرّت بها الجزائر نهاية الثمانينات قد أفرزت ما كان يسمّى آنذاك ب (مظاهرات الخبز)، وأوشك الحال حينها على الانفجار، فلجأ الرئيس الجزائري (الشاذلي بن جديد) إلى علاج الأوضاع بطرح سياسة الانفتاح، وإعلان ترخيص تشكيل الأحزاب السياسية والدعوة إلى انتخابات ديمقراطية حرة.

وكان بعض دعاة الصحوة الإسلامية التي كانت مقموعة بشدة منذ استقلال البلاد عام 1963م قد استغل هذه البادرة، فأعلن الشيخ عباسي مدني تشكيل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وكانت تضم تجمعًا عريضًا من الشعب يضم كافة الساعين إلى المشروع السياسي الإسلامي.

---

(80) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(81) غرق الشيخ أبو عبيدة البنشيري رحمه الله في بحيرة فيكتوريا بكينيا يوم 21 مايو 1996م، فقد كان أحد الركاب الذين يقلهم القارب بوكوفا موانزا الذي انقلب عندما كان يقل 480 راكبًا. وكان سبب غرق المركب الحمولة الزائدة.

وكانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد فازت في انتخابات البلدية، وفازت كذلك بأغلبية ساحقة في الانتخابات البرلمانية التي جرت في 26 ديسمبر 1991م، وكانت على وشك الفوز بأغلبية ساحقة في الدورة الثانية التي تؤهلها للفوز في منافسات الرئاسة، غير أن الرياح جرت بما لم تشتهيه الجبهة، فقرر جنرالات الجيش الموالين لفرنسا في مطلع يناير 1992م الاستيلاء على السلطة، وإلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية، وإعلان حالة الطوارئ، وشن حملة كبيرة من الاعتقالات شملت القيادات العليا لجبهة الإنقاذ، وعلى رأسهم الشيخان عباسي مدني رحمه الله، ونائبه علي بلحاج حفظه الله، وعشرات آلاف من الإسلاميين.

وكانت ردّة الفعل الطبيعية لأنصار الجبهة أن رحّب أكثرهم بنداءات جهاد السلطات العسكرية التي قطعت عليهم الطريق إلى حصاد نتيجة فوزهم، فلاذ الآلاف من الشباب بالجبال، وبدأوا يبحثون عن السلاح ويعدون لمواجهة الحكومة العسكرية.

وكانت أبرز الخلايا الجهادية المسلحة التي بدأت تقاتل الحكومة، قد توحدت في مايو 1994م مع (الجماعة الإسلامية المسلحة) تحت قيادة أبو عبد الله أحمد رحمه الله، وكانت تلك هي الفترة الذهبية للجهاد في الجزائر، حيث كان المجاهدون آنذاك قد سيطروا على معظم أرجاء البلاد، وكانوا يقومون بعمليات اغتيال جريئة لرموز النظام في وضح النهار في المدن وخاصّة في الجزائر العاصمة، وكانت تلك الانتصارات تبشّر بقرب قيام دولة إسلامية هناك.

وكانت آمال عموم المجاهدين آنذاك معلّقة كثيرًا على الجزائر نسبة لما يمثله موقعها الاستراتيجي من بُعدٍ سيكون له تأثير كبير على المد الجهادي شرقًا وغرباً وجنوبًا في دول المنطقة إذا نجح المجاهدون بالفعل في السيطرة على مقاليد البلاد. لهذه الأسباب وغيرها كان تنظيم القاعدة قد أرسل عام 1993م اثنين من أفراده هم الشيخ عطية الله الليبي رحمه الله، وآخر جزائري حفظه الله، لدراسة الأوضاع في الجزائر، ومكثا هناك عدّة أشهر. كذلك كان الشيخ أسامة رحمه الله في تلك الفترة على تواصلٍ مستمر مع مندوب الجماعة الإسلامية المسلّحة المتواجد في الخرطوم، ومما سمعته كذلك – ولست متأكدًا من صحّته – أن الشيخ أسامة كان قد دعم الجماعة الإسلامية بالسلاح – قبل انحرافها – الذي كان يهرّب لها من السودان عبر الصحراء الليبية.

غير أن الرياح لم تلبث أن جرت بما تشتهيه السفن، فقتل في ظروف غامضة بعد ستة أشهر من توليه أمير الجماعة الإسلامية المسلحة الشيخ أبو عبد الله أحمد رحمه الله، وتولى القيادة بعده

جمال زيتوني المكنّى (أبو عبد الرحمن أمين)، وفي أواخر عهده ظهرت بوادر الانحراف والغلو، حيث ارتفعت لهجة تكفير الشرائح المدنية التي لا علاقة لها بالسلطة وتوعدها بالقتل، مثل باعة الجرائد، والأساتذة والطلاب، والعمال، والتجرؤ على إصدار فتاوى تستحل قتل نساء وأطفال وأسر العاملين في أجهزة الدولة... الخ، وكان عنتر الزوابري الذي تولّى بعد الزيتوني شر خلف لشر سلف، حيث ارتكبت في عهده كثير من المجازر والمذابح التي حدثت في تلك الفترة في الجزائر.

مما لا شك فيه أن التجربة الجهادية في الجزائر مطلع التسعينات تجربة ثرّة زاخرة بالدروس والعبر، يضيق المجال عن حصرها في هذه العجالة، ولمن أراد التفصيل والمزيد عليه بالرجوع إلى كتاب دعوة المقاومة الإسلامية للشيخ أبي مصعب السوري فكّ الله أسره، وكتاب التجربة الجزائرية للشيخ عطية الله الليبي رحمه الله.

3- حرب الفاكسات:

ومن الأعمال التي قام بها الشيخ أسامة رحمه الله انطلاقًا من السودان ما سمي آنذاك بحرب الفاكسات. وكانت حكومة البشير قد تحفّظت في موقفها من حرب الخليج الثانية، إذ كانت ترفض الطريقة التي عولجت بها المشكلة – أي الاستعانة بالأمريكان لتحرير الكويت – وترى أن العرب قادرين فيما بينهم على حل مشاكلهم بأنفسهم، وبسبب ذلك الموقف دخلت حكومة البشير في عداء مفتوح مع حكام الخليج، وعلى رأسهم آل سعود الذين قاموا كرد فعل لموقفها بدعم جيش النصارى في الجنوب بالسلاح والتموين، واستغل الشيخ أسامة تلك الفرصة، وبالتشاور مع مجلس الشورى، تم تكوين هيئة تسمى، هيئة النصيحة والإصلاح مقرها في لندن.

كان الهدف من هذه الهيئة هو التركيز على تبيين الخطر الداهم الذي تمثله السياسات الأمريكية في المنطقة، وتواطؤ النظام السعودي والهيئات الدينية الرسمية الذي ساعد في تنفيذ هذه السياسات. كذلك كانت الهيئة تهدف إلى إسقاط شرعية آل سعود، وذلك بفضح ممارساتهم وفسادهم، وكشف سرقاتهم لثروات البلاد، وعمالتهم وموالاتهم لليهود والنصارى، وسماحهم للصليبيين باستباحة بلاد الحرمين، وأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، بناء على أدلة وأمثلة كثيرة كتفشي الربا وغيرها... الخ.

وكانت الآلية لفضح تلك الممارسات عن طريق البيانات، وذلك بصياغتها صياغة في غاية الإحكام في السودان، وتدعيمها بالأدلّة والوثائق التي كانت تسرّب للشيخ أسامة من أعلى

المستويات من داخل دواوين المملكة، ثم إرسال تلك البيانات بعد ذلك بالفاكس – بعد توقيع الشيخ أسامة عليها – إلى مكتب الهيئة في لندن، ثم تقوم الهيئة بإعادة إرسال المئات من هذه البيانات بالفاكس إلى أصحاب الشأن والصالحين والغيورين والمثقفين وأساتذة الجامعات والتجار، وكل شرائح المجتمع في بلاد الحرمين. وكان الذي يتولّى إرسال هذه البيانات من لندن هو الأخ خالد الفواز(82)، فك الله أسره.



الشيخ خالد الفوّاز – فكّ الله أسره

ومن البيانات المهمة التي صدّرها الشيخ أسامة من السودان، الرسالة التي أرسلها للشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – يذكّره فيها بواجبه تجاه الدين وتجاه الأمة، وينبّهه إلى مسئوليته العظيمة في وقت انتعش فيه الباطل، وعربد المبطلون المضلون، ووئد الحق، وسجن الدعاة، وأُسكت المصلحون، وأن كل ذلك لم يتم فقط بعلمٍ منه وسكوتٍ، بل مُرر على ظهر فتاواه ومواقفه. ومن أمثلة ذلك تأوله وتسويغه للملك فهد لبس الصليب، وفتواه المتعسفة التي أهملت قيود الاستعانة وضوابط الضرورة المعتبرة، فبررت احتلال قوات التحالف الصليبية واليهودية للبلاد بحجة تحرير الكويت، كذلك نصيحته التي أصدرها بإيعاز من النظام السعودي، عندما دارت الدائرة على الشيوعيين في اليمن، تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مسلمين!! موهمة

(82) جدير بالذكر أن الإخوة قبل تنفيذ عمليتي نيروبي ودار السلام بوقت كافٍ، كانوا قد أرسلوا للشيخ خالد الفوّاز يطلبون منه مغادرة بريطانيا، لكن لا يغني حذر من قدر، فقد تأخر الشيخ خالد في الخروج إلى أن القت السلطات البريطانية القبض عليه في يوم 28 سبتمبر من العام 1998 بناء على طلب أمريكي عقب اتهامه بالضلوع في تفجير السفارتين الأمريكيتين في أفريقيا. وظل الشيخ خالد الفواز أسيرًا في سجون بريطانيا حتى سلُم أخيرًا لأمريكا في أكتوبر 2012م.

أن الشيوعيين مسلمون يجب حقن دماءهم، ويتساءل الشيخ أسامة: "متى كان الشيوعيون مسلمين؟ ألستم أنتم الذين أفتيتم سابقًا بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان، أم أن هناك فرقًا بين الشيوعيين اليمنيين والشيوعيين الأفغان؟ فهل ضاعت مفاهيم العقيدة وضوابط التوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟". كذلك فتواه التي استصدرها منه النظام، وسوّغت له البطش والتنكيل بالمشايخ والدعاة وشباب الأمة، كذلك تعرض الشيخ أسامة إلى الفتوى التي أشاد بها وصفق لها رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه، والتي تبيح السلام مطلقًا مع اليهود، فقال رحمه الله: "وكأنكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين لقوات الاحتلال اليهودية والصليبية، حتى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة، بإضفائكم الشرعية على صكوك الاستسلام التي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العرب مع اليهود. إن هذا الكلام خطير كبير، وطامة عامة لما فيه من التدليس على الناس والتلبيس على الأمة من عدة جوانب منها:

إن العدو اليهودي الحالي ليس عدوًا مستقرًا في بلاده الأصلية، محاربًا من الخارج حتى يجوز معه الصلح، بل هو عدو صائل مفسد للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، ولا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم"... ويختم الشيخ أسامة ذلك البيان بنصيحته للشيخ عبد العزيز فقال: "إن إشفاقنا البالغ على حال الأمة والعلماء من أمثالكم، هو الذي دفعنا لتذكيركم، فإننا نربأ بكم وبأمثالكم عن أن يستغلكم النظام الحاكم هذا الاستغلال الفظيع، ويرمي بكم في وجه كل داعية ومصلح، ويُسكت بفتاواكم ومواقفكم كل كلمة حق ودعوة صدق... فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة، الذين أعلنوا الحرب علي الله ورسوله".

وكان أكثر تلك البيانات خطورة وتأثيرًا على النظام السعودي، بيانًا بعنوان: "رسالة مفتوحة للملك فهد، بخصوص التعديلات الوزارية الأخيرة " يقول عنه الشيخ أسامة رحمه الله:

" هذا البيان أحسب أنه من أكثر البيانات تأثيرًا على وكيل أمريكا في الرياض، فقد وضع النقاط على الحروف، ووضح نفاقه وعمالته وعبثه بمقدرات الأمة وأموالها العامة، كما كان له تأثيرات إيجابية كبيرة على تنظيم القاعدة، رغم أنه كان هو السبب الرئيسي المباشر لإخراجنا من

السـودان[83]، كـرد فعـل مـن حـاكم الـرياض عليـه، فقـد اضـطره البيـان أن يتنـازل عـن كبريائـه، ويصـطلح مـع الخرطـوم بعـد قطيعـة دامـت خمـس سـنوات، فشـلت كـل محـاولات السـودان لإنهائهـا دون جـدوى، إلى أن صـدر هـذا البيـان، فاتصـل وزيـر داخليـة الـرياض بنفسـه مباشـرة بنظـيره السـوداني، وطلـب لقـاءً عـاجلًا، وفي اللقـاء قـال لنظـيره: اعتـبروا كـل المشـاكل الـتي بيننـا قـد انتهـت إذا أوقفـتم هـذه البيانات، وهو يشير إلى البيان المذكور على طاولته". ا. هـ[84]

وبفضـل الله آتـت هـذه البيـانات ثمارهـا وأُكلهـا في بـلاد الحـرمين آنـذاك، فقـد فضـحت وعـرت نظـام آل سـعود، وجـن جنـون الملـك، واسـتخدم كـل أسـاليب الترغيـب والترهيـب مـع الحكومـة السـودانية لتسـليم الشـيخ أسـامة، لكـنهم رفضـوا واكتفـوا بأن طلبـوا مـن الشـيخ أسـامة التوقـف عـن إصدار البيانات، وكان قد صدر منها ثمانية عشر بيان.

إحدى محاولات النظام السعودي لترغيب الشيخ أسامة للعودة إلى بلاد الحرمين:

وكـان مـن محـاولات الملـك فهـد لترغيـب الشـيخ أسـامة للعـودة إلى بـلاد الحـرمين، أن أرسـل لـه ذات مـرة في بدايـة عـام 1994م، بعـض إخوانـه – بمـا فـيهم أخـوه الأكـبر بكـر بـن لادن، ومعهـم والـدة الشـيخ – بطـائرتهم الخاصـة ثـلاث مـرات في يـوم واحـد، عرضـوا فيهـا علـى الشـيخ أسـامة – والعـرض مـن الملـك– العودة إلى المملكـة مقابـل العفـو عنـه، وإرجـاع كـل أموالـه وأرصـدته الـتي كانـت قـد جمـدت في أواخـر عـام 1992م، إضـافة إلى جـواز سـفره وبطاقتـه، وممارسـة حياتـه بشـكل طبيعـي، غـير أن الجبـل الأشـم لم تكـن لتحركـه أو تزحزحـه العواصـف فـرفض العـرض، ومـا كـان مـن طواغيـت آل سـعود إلا أن سـحبوا منـه الجنسـية، وأصـدروا بيـانًا مـزورًا باسـم عائلـة بـن لادن، يتـبرؤون فيـه مـن أخـيهم أسامة، وكانوا قد تعرضوا للتهديد إذا أعطوا أي إشارة أن هذا البيان مكذوبٌ عليهم.

وبالطبـع لم تحـرك كـل تلـك الإجـراءات مـن الشـيخ أسـامة شـعرة، وأُجـزم أنـه كـان يـردد حسـبنا الله ونعـم الوكيـل، فهكـذا عهـدناه، وهكـذا كـان يعلّمنـا ويوجّهنـا عنـدما تضـيق الأمـور، كـان يقـول أكثـروا

---

(83) أعتقد أن " القشّة التي قصمت ظهر البعير" بإبعاد الشيخ أسامة من السودان هي كنز المعلومات القيّمة التي أدلى بها المدعو جمال الفضل للأمريكان بعد تسليمه نفسه إليهم أواخر عام 1995م، والتي بناءً عليها شكّل الأمريكان وحدة متابعة بن لادن في يناير 1996م، وتم التضييق المباشر من أمريكا على السودان بعد أن فشلت كل الضغوط الإقليمية عليه من دول الجوار، وخاصة من النظام السعودي لتسليم أو إبعاد الشيخ أسامة من السودان. وفي الصفحات القادمة مزيدًا من التفصيل عن قصّة جمال الفضل.

(84) وثائق أبوت أباد الدفعة الرابعة.

ورددوا من حسبنا الله ونعم الوكيل. وعن هذا الأمر يقول الشيخ أسامة: "إن الأمريكان يساومننا على السكوت، فأمريكا وبعض عملائها في المنطقة ساوموني أكثر من عشرات مرات على السكوت عل هذا اللسان الصغير، أُسكت ونرجع لك الجواز ونرجع لك أموالك ونرجع لك بطاقة الهوية لكي أسكت، وهؤلاء يظنون أن الناس يعيشون في هذه الدنيا من أجل الدنيا، ونسوا أنه لا معني لوجودنا إن لم نسع لنيل رضوان الله سبحانه وتعالي".

4- الأحداث في اليمن:

كما أسلفنا من قبل، كان الشيخ أسامة — منذ أن استقرّ به الحال في أفغانستان – قد بدأ يخطط لفتح جبهة ضد النظام الاشتراكي في اليمن الجنوبي بحركة جهادية تنطلق من بلاد الحرمين واليمن الشمالي، وحينها لا تكاد تخلو محاضرة أو ندوة من ندواته، إلا وكان يؤكد فيها خطته وعزمه على تحرير اليمن الجنوبي بعد أفغانستان من قبضة الحكومة الماركسية. وتحقيقًا لهذا الأمر، كان الشيخ أسامة قد اختار عام 1988م بعض الإخوة من اليمن الجنوبي ليتلقّوا مزيدًا من التدريب والدورات العسكرية الخاصّة استعدادًا لنزولهم لليمن الجنوبي. كذلك كانت القاعدة قد افتتحت في أفغانستان معسكر الصدّيق الخاص بتدريب وإعداد الإخوة اليمنيين وبالتحديد الجنوبيين، وكان أمير ذلك المعسكر هو الأخ صالح الجرو رحمه الله، المكنّى ب (ابن عمر الحضرمي).

وكان الاتحاد السوفيتي بعد هزيمته في أفغانستان وانسحابه منها في فبراير 1989م، قد توقف عن دعم اليمن الجنوبي، وتخلي عن تحفّظاته بشأن الوحدة مع اليمن الشمالي. وبناءً على ذلك وإضافة إلى عوامل داخلية وخارجية أخرى، رأت قيادة الحزب الاشتراكي في اليمن الجنوبي الدخول في مشروع وحدة مع اليمن الشمالي فرصة للبقاء في السلطة، وعليه مضت في ذلك المشروع، وأُعلنت رسميًا الوحدة بين شطري اليمن في مايو 1990م.

وبالرغم من أن مشروع تلك الوحدة كان صوريًّا في شكله وفارغًا من مضمونه إلّا أنه – على هامش الحريّة الذي صاحبها – كان متنفسًا كبيرًا للمسلمين في اليمن الجنوبي، وبخاصّة للجهاديين العائدين من أفغانستان، الذين استغلّوا الفرصة وبدئوا – من خلال الدروس والخطب في المساجد – بدعوة الناس بصورة علنية إلى الرجوع إلى الدين، وإلى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحريضهم على الجهاد في سبيل الله.

وكـان الشـيخ أسـامة قـد بعـث بعـض الإخـوة إلى الـيمن لتحـريض النـاس علـى الجهـاد، وإعـداد العـدّة لقتـال الشـيوعيين في الجنـوب، وكـان مـن بـين هـؤلاء الإخـوة الشـيخ أبـو مهـدي العـولقي (يسـلم با راسـين) تقبّلـه الله، والأخ صـالح الجـرو (ابـن عمـر الحضـرمي) رحمـه الله، وآخـرون. كـذلك كـان للشـيخ أبـو فيصـل الرازحـي حفظـه الله، والشـيخ أبـو الغيـث الحديـدي، والشـيخ عـوض با نجّـار، والشـيخ سـعيد با طـرفي رحمهـم الله جميعًـا دورًا بارزًا في عمليـة التحـريض. وكـان الشـيخ أبـو مهـدي تقبّلـه الله قـد نصـب خيمـةً أمـام بيتـه في وادي يشـبُم وبـدأ يـدعوا النـاس للجهـاد في سـبيل الله، ويحرّضـهم علـى قتـال الاشـتراكيين. وشـيئًا فشـيئًا كانـت كلمـات أبـو مهـدي المـؤثّرة تسـتقطب حولـه الشـباب الـذين بـدأت أعـدادهم في تزايـد يومًـا بعـد يـوم. وفي بادئ الأمـر كـان الاشـتراكيون — علـى هـامش الحريّـة الـتي سـادت أجـواء الوحـدة – يغضّـون علـى مضـض طـرفهم عـن ممارسـات الشـباب الدعويـة، لكـنهم كـانوا يقومـون باسـتحداث الكثـير مـن نقـاط التفتـيش الـتي كانـت تضـيّق الحركـة علـى الشباب.

كـذلك كـان الشـيخ أسـامة رحمـه الله، حـريص علـى توسـيع دائـرة المشـاركة في قتـال الاشـتراكيين، فقـام بـدعم الكثـير مـن مشـايخ القبائـل، ومشـايخ المراكـز الدعويـة بالمـال والعتـاد والسـيّارات والسـلاح ليقومـوا بـواجبهم في دفـع صيال الشـيوعيين. وكـان الشـيخ أسـامة قـد اتخـذ مـن مزرعتـه في جِـدّة مركـزًا لتجميـع كـل مـا يفيـد ويـدعم الجهـاد مـن آليـات ثقيلـة وسـيارات ومـواد غذائيـة، وإرسـالها بعـد ذلـك للشباب ولمشايخ القبائل في اليمن.

وكانـت معطيـات التحـرك الجهـادي – بعـد الوحـدة – ضـد الحكـم الشـيوعي في الـيمن الجنـوبي قـد اكتملـت، فكثـير مـن اليمنيـين الشـماليين مـن الإسـلاميين والقبائـل والتجـار الحضـارم الكبـار كـانوا يكنـون عـداء شـديدًا للاشـتراكيين، ويؤيـدون ويـدعمون التحـرك الجهـادي للقضـاء علـى الشـيوعية في الـبلاد، كـذلك أدى رجـوع عـدد كبـير مـن المجاهـدين اليمنيـين الجنـوبيين الـذين شـاركوا في الجهـاد الأفغاني إلى التسريع من وتيرة ذلك الحراك الجهادي.



علي عبد الله صالح مع رئيس اليمن الجنوبي علي سالم البيض في 30 نوفمبر 1989م خلال التوقيع على اتفاقية الوحدة



الشيخ طارق الفضلي

وكانت استراتيجية الشباب في بادئ الأمر قد توجّهت إلى تصفية أئمّة الكفر من الشيوعيين، فكانت هناك ما بين عامي 1991م – 1994م موجة من الاغتيالات لعشراتٍ من رموز وكوادر النظام الاشتراكي، شاركت فيها القاعدة بناءً على التوجيهات الصادرة من الشيخ أسامة عندما كان في السودان، وشارك في هذه الموجة بجانب الجهاديين بعض من رجال القبائل الناقمين على الاشتراكيين، فقام الشباب في اليمن الجنوبي بتصفية ما يقارب المئة[85] شخصية من رموز وكوادر النظام الاشتراكي. وكان العمل يتم بسرية تامة بدون أي إعلان، الأمر الذي دفع حكومة الجنوب بقيادة علي سالم البيض، باتهام حكومة الشمال آنذاك، بأنها هي التي تقوم بتنفيذ تلك الاغتيالات، فساءت العلاقة بينهما إلى درجة شديدة جدًا، وكانت هذه الاغتيالات أحد أهم الأسباب التي دفعت حكومة الجنوب إلى اتخاذ قرار الانفصال عن الشمال، وكان هذا القرار بمثابة الصاعق الذي أشعل فتيل الحرب الشاملة في 20 مايو 1994م بين شطري اليمن الجنوبي والشمالي.

---

(85) توثّق (الويكي بيديا) أنه تم اغتيال 158 سياسي من جنوب اليمن في الفترة مابين 1991 – 1993م.

وبجانب موجة الاغتيالات التي نفّذها الشباب والتي أدّت إلى تفاقم الأوضاع في الجنوب، كذلك كان المخطط له أن تشتعل عدة جبهات جهادية في عدّة محافظات في آن واحد، فكان من المفترض أن تكون هناك ثورة جهادية بقيادة الشيخ أبو مهدي العولقي تنطلق من وادي يشبُم في محافظة شبوة، وثورة أخرى بقيادة الشيخ طارق الفضلي تنطلق من جبال المراقشة في محافظة أبين، غير أن الرياح لم تجري بما تشتهيه السفن، فقبل أن تكتمل استعدادات وتجهيزات الإخوة للمواجهة حدث أن اشتبك بعض المجاهدين المهرّبين للسلاح مع نقطة تفتيش للاشتراكيين بالقرب من وادي يشبُم، وعلى إثر ذلك صعد المجاهدون المتواجدين في وادي يشبُم إلى أعالي الجبال في كور العوالق، وكان عددهم يقارب المئة، وحاصر الحزب الاشتراكي منطقة الصعيد من كل الاتجاهات ونصب عليها المدافع وراجمات الصواريخ، والدبّابات وكان على وشك أن يحرق المنطقة بما فيها لولا لطف الله.

وكان الرئيس اليمني علي عبد الله صالح يخشى أن تتفاقم الأمور وتصبح خارج السيطرة، فكون لجنة من وزارة الدفاع إضافة إلى بعض الوسطاء والوجهاء من العوالق لتهدئة الأمور، وبعد التشاور كان الإخوة قد أدركوا أنهم سيخوضون معركة خاسرة، وخاصة بعد أن علموا أنهم قد أصبحوا الوحيدين أمام فوّهات مدافع الشيوعيين، وذلك بعد احتجاز الشيخ طارق الفضلي بخدعة غادرة بعد أن نزل في وجه الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، واقتيد بعدها للأمن السياسي. وكانت تلك اللجنة قد اتفقت مع الشباب في كور العوالق على نزولهم من الجبال، ودفن أسلحتهم الثقيلة، وخروجهم معززين مكرّمين بأسلحتهم الشخصية إلى منطقة مارب في الشمال. وخوفًا من أن يكون هناك أي تآمر للغدر، وضمانًا لسلامتهم اشترط الشباب بأن تخرج معهم من المنطقة لجنة وزارة الدفاع، وبالفعل تمّ لهم ذلك وخرج الشباب في موكب مهيب من السيارات حتى وصلوا مارب، ومن هناك بدأوا في ترتيب صفوفهم وأوراقهم من جديد.

وعندما اشتعلت الحرب بين الشمال والجنوب في صيف 1994م، كان الشيخ أسامة – كما فعل كافة الإسلاميين في الشمال بناءً على توجيهات الشيخ عبد المجيد الزنداني – قد وجّه الإخوة الجهاديين في اليمن الذين عادوا من أفغانستان بالمشاركة في المعركة، دفعًا لصيال الشيوعيين في الجنوب الذي لا يشترط له شرط. وبالفعل لعب المجاهدون من الجهاديين والإسلاميين دورًا حاسمًا في تلك الحرب، وسرعان ما انهارت مقاومة الجنوبيين، في عجلة لم تسمح بالتدخل الدولي، ولم

يستطع نظام آل سعود ودول مجلس التعاون الخليجي إنقاذ الشيوعيين في اليمن الجنوبي[86]. وبفضل الله ثم بجهود هؤلاء الفتية، اندفع الحزب الاشتراكي الشيوعي، الذي طبق مبادئ الشيوعية بالحرف الواحد أكثر من الروس أنفسهم، حيث حارب الدين والملة، وقتل وسحل العلماء في الطرقات، ونشر الفساد والإلحاد في بنات وشباب المسلمين. فيا فلاح وجوه أولئك الفتية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إذ بجهادهم رفرفت أعلام الحرية، وتنفس الناس الصعداء، وصدعت المساجد بالأذان، وامتلأت بالرّكع السجّد، وانتشرت المعاهد ودور تحفيظ القرآن، فكانت صحوة انتشر فيها الخير بين الناس فلله الحمد والمنة.

وبناءً على تلك الصحوة الإسلامية التي عمّت ربوع اليمن كانت استراتيجية القاعدة في تلك الفترة عدم القيام بأي نشاط عسكري ضد حكومة علي عبد الله صالح، وجعل اليمن هادئًا ومعبرًا وملاذًا آمنًا لكل المستضعفين من الإسلاميين والجهاديين الهاربين من بطش حكوماتهم. وبالطبع لم يقصد الشيخ أسامة من وراء تلك التهدئة تعطيل الجهاد في اليمن بناءً على مصالح موهومة كما زعم البعض، بل كان رحمه الله، يهدف ويطمح من وراء ذلك إلى تحقيق مصلحةٍ أكبر، وهي حشد الطاقات والتأييد الكافي في أوساط الدعاة وعامة المسلمين في اليمن لمفهوم للجهاد لا يختلف فيه اثنان، ولا –كما يقولون– ينتطح فيه عنزان. فالشيخ أسامة لم يُرد أن يكون مفهوم الجهاد متعذّر القبول عند عامة المسلمين، ولم يُرد أن يكون المجاهدون فئة معزولة في أوساط الناس، ولم يُرد أن يكون خروج الشباب وأهدافهم متّسمًا بالعفوية والعاطفية من أجل تحقيق مطالب جزئية كالإفراج عن بعض السجناء. باختصار شديد، لقد أراد الشيخ أسامة رحمه الله جمع الناس – وخاصة المجاهدين – على كلمة سواء ورؤية واضحة، وهدف أشمل وأعمق وأدق للجهاد في سبيل الله، وهو التوجّه والتركيز على قتال الصليبيين المحتلّين لمقدّسات المسلمين في بلاد الحرمين بقيادة أمريكا. لقد أراد الشيخ أسامة الاستفادة من تهدئة الأوضاع في اليمن لأنه كان يدرك أن اليمن

(86) جدير بالذكر أن نظام آل سعود كان قد شكّل في عهد الملك فيصل جيشًا من اليمنيين الفارّين من بطش النظام الشيوعي في الجنوب يقال له "جيش السلام"، الهدف منه محاربة النظام الماركسي في اليمن الجنوبي، لكنهم ما لبثوا أن قلبوا ظهر المجن لعلي عبد الله صالح نكاية فيه بعد وقوفه مع صدّام حسين في قضية الكويت. فلما اشتعلت الحرب بين الشمال والجنوب إتّفق آل سعود مع علي سالم البيض على دعمه لوجستيًا وعسكريًا مقابل موافقته على مرور أنبوب النفط السعودي عبر ميناء الضبّة، وبناءً على هذا الاتفاق وجّه آل سعود جيش السلام للقتال في صف الإشتراكيين ضد علي عبد الله صالح، غير أنه سرعان ما انهارت مقاومة الاشتراكيين، ولم يستطع نظام آل سعود إنقاذ الشيوعيين في اليمن الجنوبي.

وأهلها هم رأس حربة أهل الإسلام في جزيرة العرب، وأنها هي القلعة الحصينة التي يمكن الانطلاق منها لقتال الأمريكيين، إضافة إلى أن اليمن مستودع كبير للسلاح الذي يمكن تهريبه بسهولة إلى بلاد الحرمين[87].

ولعل أكبر دليل على صحّة ما نقول هو أنّ أول العمليات المتزامنة التي نفّذتها القاعدة على أهداف أمريكية في 29 ديسمبر 1992م كانت في اليمن، وهي محاولة تفجير فندقي جولد مور وفندق عدن موفنبيك في عدن، بالتزامن مع قصف مطار عدن بالصواريخ، حيث كان العشرات من جنود مشاة البحرية الأمريكية مهمتهم تقديم الدعم للعمليات في الصومال مخيّمين في هذه الأماكن. وكان الذي تولّى محاولة تفجير فندق عدن موفنبيك هو جمال النهدي، ونتيجة لخطأ ما حدث، انفجرت العبوة أثناء حمله لها مما أدت إلى بتر يد النهدي من العضد. وكان ذلك الحدث بمثابة رسالة للأمريكان لم تمض على إثرها أربعة وعشرون ساعة حتى حزموا حقائبهم وأمتعتهم وخرجوا من الفنادق، واستقروا في سفنهم داخل البحر. أما جمال النهدي فكان قد أُسر، وأُسر معه كذلك مجموعة من خمسة إخوة، لكن بفضل الله، استطاعوا الهروب من السجن، وتمكنوا من الدخول تهريبًا إلى بلاد الحرمين، ومن هناك دُبّرت لهم جوازات يمنية ثم توجهوا إلى السودان، واستقروا هناك ما يقارب السنة، ولما بدأت الحرب بين الشمال والجنوب عام 1994م، عاد هؤلاء الإخوة مرة أخرى، ليشاركوا مع إخوانهم في دفع صيال الاشتراكيين.

وبعد انتهاء الحرب كان نظام علي عبد الله صالح قد عرض على كثير من الإخوة المجاهدين الذين شاركوا في الحرب المناصب والرتب لينخرطوا في الجيش والأمن السياسي، بحجة الدخول في هذه الأجهزة ومحاولة إصلاحها من الداخل، وكان هؤلاء الإخوة قد استفتوا بعض مشايخ العلم في هذا الأمر وأشار عليهم هؤلاء المشايخ بقبول العرض بنية الإصلاح. وبالفعل نجح الهالك علي عبد الله صالح في استمالة قلوب البعض من هؤلاء الإخوة إلى حزب المؤتمر الحاكم، وشراء ذممهم بالمال والمناصب، فصاروا بعد ذلك من أولياء الطواغيت، نسأل الله العافية والثبات.

---

(87) بعض العبارات مقتبسة من مقالٍ بعنوان: "مسؤولية أهل اليمن تجاه مقدسات المسلمين وثرواتهم " للشيخ أبي مصعب السوري.

5- أحداث الشيشان:

بعد هزيمة الاتحاد السوفييتي في أفغانستان وانسحابه منها في فبراير عام 1989م، أعلنت كثير من الجمهوريات الإسلامية وغير الإسلامية التي كانت تحت حكمه –كطاجكستان وأوزبكستان وأذربيجان وأوكرانيا وروسيا البيضاء وغيرها – استقلالها وانفصالها منه، كذلك سارعت الشيشان للحاق بالركب، فأعلنت بقيادة الجنرال جوهر دوداييف، استقلالها في 27 أكتوبر عام 1991م. وتعتبر الشيشان جمهورية صغيرة جدًا مساحتها حوالي 20.000 كم2 فقط، لكن لأهميتها الاستراتيجية لدى الروس، لم يكن الأمر كما يشتهيه الشيشانيون، فالشيشان تتوسط إقليم القوقاز، ومن المقترح أن يمر بأراضيها خط أنابيب تصدير نفط بحر قزوين إلى البحر الأسود، ثم أنها غنية بالنفط الذي يستعمل في وقود الطائرات، حيث 90% من وقود طائرات روسيا كان من الشيشان، إضافة إلى أنها لو استقلت ووافق الروس على ذلك، فإن ذلك سيفتح الباب على مصراعيه لكثير من الأقليات داخل العمق الروسي – تتار ستان مثلًا – للمطالبة باستقلالها، لهذه الأسباب وغيرها أرسلت روسيا قوة صغيرة لاستعادة الشيشان، فقام الشيشانيون بسحقها وإبادتها، فاضطر الروس إلى السكوت وغض الطرف قليلًا عنها، لأنهم كانوا في وضع لا يحسدون عليه من التدهور الاقتصادي. ويكفي أن نضرب مثالًا لذلك لنعلم حجم الدمار والهاوية الاقتصادية التي سقطت فيها روسيا بدخولها أفغانستان عرين الأسود، فقد كان الروبل الروسي يساوي أكثر من دولار عندما دخل الاتحاد السوفييتي أفغانستان في ديسمبر 79، وفي يوليو 1996م كان الدولار يساوي 5000 روبل.

وفي ديسمبر 1994م عاود الروس محاولة غزو الشيشان مرة أخرى، فأرسلوا قوات كبيرة جدًا، استطاعت ولكن بعد خسائر فادحة[88] احتلال العاصمة جروزني والمدن الأخرى مثل قُدُرمس وأرجون وغيرها، ونشروا قواتهم في كافة أرجاء الشيشان في قمم الجبال والقرى، وسيطروا على كل الطرق، ولم يكن للمجاهدين ملجأ بعد الله سبحانه وتعالى سوى الغابات والجبال.

---

(88) حدّثني أخٌ روسي، كان معنا في مجموعة خطّاب، بأن قتلى الروس في الليلة الأولى لاقتحام جروزني بلغ أربعة ألف. وكان هذا الأخ قد أُسر في معارك جروزني الأولى، وأسلم على أيدي الشيشانيين، وسلّم للخطاب ليتعلم من العرب دينه، وسمّى نفسه عبد الله، واستشهد فيما بعد، رحمه الله. ومصداقًا لهذا الكلام كان إلكزاندر ليبد سكرتير الأمن القومي الروسي آنذاك، قد صرّح للإعلام بأن قتلاهم في الحرب الأولى بلغ تسعين ألفًا. وجدير بالذكر أن الحرب الأولى كانت قد بدأت في ديسمبر 1994م وانتهت بانسحاب الروس من الشيشان في أغسطس 1996م.

وجاءت أسود الله في أرضه من كل مكان، لتحقق معنى الجسد الواحد للأمة، الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى. فجاء خطاب ومجموعته كاملة، حكيم ويعقوب وأبو الوليد الغامدي وأبو بكر عقيدة وأبو جعفر اليمني، ومن لحق بهم من الإخوة العرب، وكانوا آنذاك حوالي ثلاثين أخًا عربيًا، وغيرهم الكثير من الشيشانيين والداغستانيين وبعض الأتراك.

وكان هناك أيضًا الشيخ أبو سياف (فتحي مُحَمَّد حبيب) رحمه الله، الأردني الشيشاني الأصل، والمهندس الإلكتروني الذي كان يدير الورشة الإلكترونية في بابي ببيشاور، وهو من قدامى المجاهدين في أفغانستان. وكان هذا الشيخ الجليل بعد خروجه من باكستان مع بدايات عام 1992م قد مر بالسودان والتقى هناك بالشيخ أسامة، وأراد بعدها السفر إلى الأردن، لكنه مُنع من دخولها فيمم شطر بلده الأصلي الشيشان، وفتح الله على يديه هناك فتحًا كبيرًا، فأسس الجماعة الإسلامية التي لعبت دورًا كبيرًا في جهاد الروس بعد ذلك. وكان الشيخ فتحي قد طلب من الشيخ أسامة أن يمده ببعض المدربين، فانتدب الشيخ أسامة لهذه المهمة - بعد رجوعهم من الصومال - خمسة من خيرة الإخوة المدربين الأَكْفَاء، هم أبو إسلام المصري، والدكتور حمدي (أبو عبيدة)، وأبو صهيب الصعيدي، وسعدوف، ومحمود، كلهم من أرض الكنانة رحمهم الله جميعًا.

وكان الإخوة المدربين، بعد سفرهم للشّيشان، قد بحثوا عن مكان مناسب للتدريب، فتعذر عليهم ذلك بسبب انتشار الروس في كل مكان، مما اضطرهم أخيرًا أن يلجؤوا إلى مكان في الجبال الحدودية مع جورجيا، وكانت شديدة البرودة والرطوبة فلم يمكثوا فيه كثيرًا، ولجأوا أخيرًا لتدريب الشباب الشيشانيين في القرى المهجورة من سكانها نتيجة لقصف الروس. ولم يلبث الدكتور أبو عبيدة وأبو صهيب كثيرًا في الشيشان، فقتلوا في كمين نصبه لهم الروس، ولحق بهم فيما بعد أبو إسلام فقتل أيضًا، ثم ما لبث محمود أن رجع إلى أفغانستان عام 97م، ثم قتل بعد أحداث 9/11 مع الشيخ أبي حفص الكمندان. وكان سعدوف قد أُسر في داغستان أثناء رحلة خروجه متوجهًا إلى أذربيجان، فمكث في سجون داغستان ستة أشهر ثم أطلق سراحه، وواصل بعدها الطريق إلى أفغانستان، ثم قتل فيما بعد في وزير ستان، نسأل الله أن يتقبلهم جميعًا في الشهداء.

6- عملية اغتيال مبارك في أديس أبابا بأثيوبيا في يونيو 1995م:

كان هناك تعاونًا وثيقًا في التخطيط والتمويل والتجهيز بين القاعدة والجماعة الإسلامية فيما يخص محاولة اغتيال الرئيس المصري السابق الهالك حسني مبارك في أديس أبابا في يونيو عام

1995م، فقد كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري يتابع خطواتها خطوة بخطوة. وكان أبطال الجماعة الإسلامية المصرية بقيادة أمير المجموعة [أبو حازم] وأحمد عبد الله منفذ عملية دار السلام، وآخرين من الذين قاموا بالتنفيذ، قد رابطوا في أديس أبابا حوالي السنتين، يخططون ويجهزون للعملية التي كان توقيتها انعقاد مؤتمر القمة الأفريقية بأديس أبابا، وكان هؤلاء الإخوة قد فشلوا في توفير السلاح من نفس البلد، فقد كانوا يحتاجون لكلاشنات وقاذف صاروخي آر بي جي، فوعدهم الشيخ أسامة بتوفير السلاح.

وبطريقة ما دبّر الإخوة بعض الكلاشنات مع قاذف آر بي جي، وانتدب الشيخ أسامة لهذه المهمة الأخ أبا طلحة السوداني للسفر إلى أديس أبابا، ليقوم باستلام السلاح من شخص ما في مكان ما، وبالفعل قام الأخ أبو طلحة رحمه الله، بالمهمة على أكمل وجه، وتم توصيل السلاح للإخوة المنفذين.

كانت خطة العملية هي الاشتباك بالكلاشنات مع سيارة مبارك، وعندما تحاول سيارة مبارك الفرار منطلقةً إلى الأمام كما هو متوقّع، كان من المفترض أن يتمّ تفجير السيارة بعبوّة ناسفة ثمّ ضربها بعد ذلك بقاذف ال آر بي جي.

ومن مكان مشرف على المطار، كان هناك أخ يرصد حركة مبارك، منذ نزوله من الطائرة وركوبه في سيارته، وحركة موكبه بعد خروجه من المطار، وكان على اتصال بالإخوة المهاجمين. وحتى لا يلفت الإخوة المهاجمون أنظار جنود الاستخبارات الإثيوبيين المنتشرين في الشارع الرئيسي إليهم، كانوا متواجدين في سيارة في شارع خلفي، يبعد قليلًا من النقطة التي من المفترض أن تضرب فيها سيارة مبارك، لكن يشاء الله أن لا تسير الأمور كما خطط لها، ففي اللحظة التي من المفترض أن ينطلق فيها المهاجمون لاعتراض سيارة مبارك لم تعمل سيارتهم، رغم أنها كانت جديدة اشتروها خصيصًا حتى لا تكون هناك أي فرضية لأي عطل، وحتى تتيح لهم سرعة الحركة ويصلوا إلى نقطة الهجوم في نفس اللحظة التي تصل فيها سيارة مبارك. وهنا لم يكن للإخوة أي خيار سوى حمل أسلحتهم والركض بها حتى الشارع العام، مما أدى إلى انكشافهم لقوات الأمن الإثيوبيين، فاشتبكوا معهم واشتبكوا أيضًا مع حراسة مبارك فقتلوا منهم، وقُتل أيضًا بعض الإخوة المهاجمين وأُسر آخر. وكان مبارك قد اصطحب معه سيارته الخاصّة المصفّحة التي لا يؤثّر فيها الرصاص، وبدلًا من أن تنطلق السيارة إلى الأمام مكملة طريقها إلى المؤتمر كما هو متوقّع ليتمّ

نسفها بالعبوة المتفجّرة، دارت من فورها سريعًا إلى المطار، وشاء الله كذلك أن لا تنطلق قذيفة ال آر بي جي، وهكذا ولحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلًا، ففرّ مبارك ناجيًا بجلده وعاد أدراجه إلى بلده.

وبالرغم من أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب النجاح لهذه العملية الانغماسية الجريئة، إلا أنه سبحانه كتب النجاة لعدد من المنفذين لها، بعد تمكنهم من دخول السودان من حدوده البرية، كان من بينهم قائد العملية وأحمد عبد الله منفذ عملية دار السلام، لكنهم لم يلبثوا كثيرًا حيث دبروا لهم أوراقًا مكّنتهم من السفر إلى إيران ومنها إلى أفغانستان. وكان المصريون قد علموا بطريقتهم أن هؤلاء الإخوة دخلوا السودان، واتهموا زورًا حكومة السودان بإيوائهم، وطالبوا عن طريق مجلس الأمن بتسليم هؤلاء الرجال، فأنكرت حكومة السودان بشدّة أي تورط لها بالعملية، أو أي علم لها عن تواجد أولئك الشباب بأراضيها. وآنذاك كانت مصر ورئيسها مبارك، يشكلون هاجسًا وضغطًا كبيرًا على السودان، بسبب دعمها للمعارضة السودانية بشقّيها السياسي والمسلح، نتيجة لفتح السودان أراضيه للجهاديين المصريين الذين كانوا ينطلقون منه لتنفيذ عملياتهم في مصر، وبسبب ذلك تأزمت الأوضاع بين مصر والسودان، وجاءت هذه العملية لتزيد الطين بلًّا وكادت أن تؤدي إلى حرب بين البلدين.

وكان مجلس الأمن قد أمهل السودان ثلاثة أيام لتسليم هؤلاء الرجال، أو يتخذ ضده قرارًا تحت البند السابع كان سيشكّل عليه مزيدًا من الضغوط. فما كان من هؤلاء الإخوة إلا أن أدلوا بتصريح إعلامي، ينكرون فيه تواجدهم في السودان، وأنهم متواجدون في أفغانستان، ففوتوا بذلك الفرصة على مجلس الأمن الذي أسقط في يده.

خروج الشيخ أسامة من السودان وقصة جمال الفضل:

للوقوف على تفاصيل خروج الشيخ أسامة - رحمه الله - من السودان، لابد من الوقوف على خلفية الرجل الذي باع نفسه ودينه للشيطان؛ أمريكا، وكان سببًا رئيسيًا مباشرًا في هذا الأمر. فقد كان المدعو "جمال أحمد مُحَمَّد الفضل" -سوداني الجنسية- من خيار الإخوة السابقين إلى أرض الجهاد في أفغانستان بعد أن نفر أليها من أمريكا عام 1988م، حيث كان يعمل هناك. ولم يكن جمال الفضل يومًا ما مثار شك عند الإخوة، وعندما غادر الشيخ أسامة إلى السودان عام

1991م، كـان جمـال الفضـل مـن أول المغـادرين إلى هنـاك ليكـون قريبًـا منـه، فقـد كـان الشـيخ أسـامة يستعين به في قضاء كثير من الأمور.

وعنـدما تأسسـت شـركة طـابا التجاريـة في بـدايات عـام 1992م، كـان جمـال الفضـل هـو المـدير التجـاري للشـركة، وكـان العبـد الفقـير محاسبًا في نفـس الشـركة، ورغـم أن جمـال الفضـل كـان مـن عائلـة ميسـورة الحـال؛ إلّا أنـه كـان مـن خـلال هـامش الأسـعار المخـوّل لـه في البيـع، يشـترط علـى الـزبائن المتعـاملين مـع الشـركة، دفـع عمولـة معينـة لصـالحه مقابـل تخفـيض سـعر السـلعة لهـم. وبنـاءً علـى هـذا التلاعب جمع جمال الفضل أموالًا كثيرة، مكنته من شراء بيتٍ وسيارةٍ وبناء مصنع صغير للزيوت.

علمـت الشـركة بموضـوع العمـولات مـن أحـد الـزبائن أثنـاء العـام 1992م، ورغـم ذلـك لم تقـم الشـركة باتهـام جمـال الفضـل أو فـتح بـلاغٍ ضـدّه في دوائـر الشـرطة، أو حـتّى مسـائلته ومحاسـبته داخليًـا علـى هـذا الادّعـاء، ورغـم ذلـك ظـلّ جمـال في عملـه حـتّى قـدم اسـتقالته طواعيـةً مـن الشـركة، وذهـب يشق طريقه بنفسه.

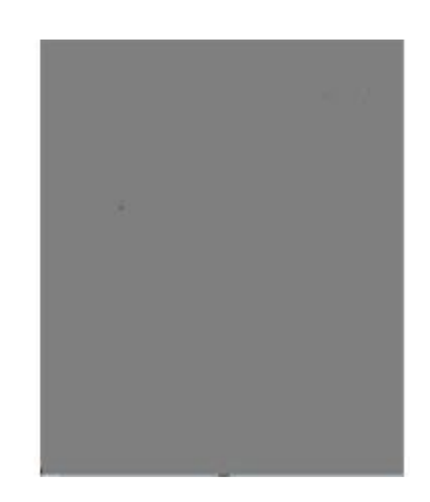
وبطريقـة مـا فيمـا بعـد وبالتعـاون مـع أحـد مـدراء البنـوك؛ اسـتطاع جمـال الفضـل أن يحصـل علـى قـرضٍ حسـن قيمتـه 400 مليـون جنيـه سـوداني، تعـادل في تلـك الأيام حـوالي 200,000 دولار، اشـترى بهـا كميـات كبـيرة مـن الفـول السـوداني، ليقـوم بعصـره في مصـنعه ثم بيعـه في السـوق المحلـي، وقـام جمـال بتخـزين هـذه الكميـة الكبـيرة مـن الفـول في مخـزن مكشـوف، وشـاءت إرادة المـولى الـذي يمهل ولا يهمل، أن هطلت أمطار غزيرة على الفول أحالت أحلامه إلى هواء.

أدرك جمـال الفضـل حجـم الكارثـة الـتي ألمـت بـه، ففـرّ هـاربًا خـارج الـبلاد في منتصـف عـام 1995م، فـذهب إلى سـوريا والأردن ويقـال أريـتريا والسـعودية، المهـم أنـه تجـول هنـا وهنـاك حـتى نفـد جيبـه وأُسـقط في يـده، فقـرر أن يسـتثمر مـا لديـه مـن معلومـات، ولم يجـد ملجـأً مـن الله إلّا إلى الشـيطان الأكـبر أمريكـا، والعيـاذ بالله، فلجـأ إلى سـفارتها في إحـدى هـذه الـدول، وقـدم لهـم نفسـه علـى أنـه عضـو في تنظـيم القاعـدة، وأنـه مـن المقـربين جـدًا مـن أميرهـا الشـيخ أسـامة بـن لادن، وأن لديـه كنـز مـن المعلومـات، وأن الشـيخ أسـامة وتنظيمـه القاعـدة، هـم الـذين كـانوا يقـاتلونهم في الصـومال، ويسـتهدفون مصـالحهم في شـرق أفريقيـا... الخ وكـان الأمريكـان قـد أجـروا تحقيقًـا أوليًـا مـع جمـال الفضـل، ووجـدوا فعـلًا أن الرجـل كمـا يقـول، يملـك كنـزًا مـن المعلومـات، فطـاروا بـه مباشـرة إلى نيويورك، وأدخلوه تحت برنامج حماية الشهود [WPB].

ولم يكن الأمريكان – قبل تسليم جمال الفضل نفسه إليهم – يملكون من المعلومات عن نشاط القاعدة وعن الشيخ أسامة بن لادن إلا النزر اليسير جدًا، وهذا باعترافهم أنفسهم، فقدم لهم هذا المخذول على طبقٍ من ذهب كمًا هائلًا من المعلومات، عن نشاط القاعدة بشقيه العسكري والاقتصادي، بدءًا من نشأتها في أفغانستان، ومرورًا بنشاطها في السودان، وكينيا والصومال والشيشان واليمن والجزائر وشرق أفريقيا وبلاد الحرمين ومصر وأديس أبابا والبوسنة، إضافة إلى إفادته عن القاعدة ورجالها وغيرهم من المجاهدين، الذين كان الخبيث سببًا مباشرًا في أسرهم، منهم الشيخ أبو هاجر العراقي، فك الله أسره، كذلك قدم لهم جمال الفضل معلومات قيمة عن الجماعات الجهادية الأخرى المتواجدة في السودان، وخاصة جماعة الجهاد المصرية – نشاطها كشراء السلاح من السودان وتهريبه عبر الصحراء بالجمال إلى مصر، وحركة أفرادها جيئةً وذهابًا من مصر إلى السودان ثم أفغانستان وبالعكس – وكذلك الجماعة الإسلامية المصرية والجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا... الخ.

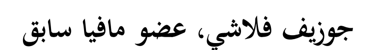
وعن أهميّة المعلومات التي قدّمها جمال الفضل، قال دان كولمان أحد عملاء الوكالة: "أن الفضل قدم لهم معلومات قيمة ساعدتهم في فهم عمل وتكتيكات القاعدة في الوقت الذي كانت تعاني فيه السلطات الأمريكية من جهل مطبق عن ماهية تنظيم القاعدة". وقالت عنه البروفيسور جاسيكا استين المختصة في شئون الارهاب بجامعة هارفارد: "ان الفضل قدم في شهادته التي ادلى بها في محكمة مانهاتن معلومات قيمة عن الارهاب اصبحت جزءًا من السجل العام. وقالت لقد شرح لنا الفضل طبيعة العدو في الوقت الذي لم نكن نعلم عنه شيئًا، وشبه التنظيم بمؤسسة بيروقراطية يديرها بن لادن في موقعٍ أشبه بالمدير التنفيذي للشركات، ويقوم عليه مجلس شورى وهو يشبه مجلس الأمناء". ويقول عنه المحققون الذين أشرفوا عليه، وهم الآن في المعاش، أنه أشبه ما يكون في التاريخ الأمريكي بجوزيف فلاشي الذي أنسلخ عن المافيا وأعترف لأول مرة بنشاطاتها الإجرامية عام 1962م وقدم للشرطة معلومات حيوية أدت الي القضاء على الشبكة الشهيرة التي أقلقت الحياة المدنية والسلام الاجتماعي في الولايات المتحدة."[89]

(89) نقلًا عن مقال من موقع سودانايل بعنوان " السيرة الخفيّة للسوداني جمال الفضل " للكاتب خالد موسى دفع الله.



جمال الفضل() عليه من الله ما يستحق





جوزيف فلاشي، عضو مافيا سابق

ورغم أن كثيرًا من هذه المعلومات التي قدمها هذا المخذول، كانت مضخّمة وفيها كثير من الكذب، واكتشف الأمريكان هذه الحقيقة فيما بعد، إلا أنها كانت ذات مصداقية عالية لديهم، خاصة بعد عمليتي نيروبي ودار السلام.

وبموجب هذا الكم الهائل من المعلومات، أنشأت أمريكا في يناير 1996م وحدة متابعة بن لادن، وكان جمال الفضل هو الشاهد الرئيسي رقم 1، ضد الإخوة الذين حوكموا في نيويورك عام 2000م، بتهمة تفجير السفارات في نيروبي ودار السلام، وكان على رأسهم الأخ وديع الحاج اللبناني وآخرون، أسال الله الكريم أن يعجل بفكاك أسرهم. كذلك كان جمال الفضل هو المصدر الرئيسي للمعلومات، التي على أساسها أصدرت أمريكا تقريرها الرسمي في أحداث 9/11. فنسأل الله السلامة والعافية.

أيضًا تزامن مع تسليم جمال الفضل نفسه للأمريكان، تسليم أبو الفضل المكي (سيدي غازي مدني الطيّب) نفسه لحكومة بلده (نظام آل سعود). وجدير بالذكر أنّ أبو الفضل المكي كان من أكثر الإخوة المقربين للشيخ أسامة، وكان الشيخ أسامة قد زوجه من ابنة أخته، وكان على علم دقيق بكثير من التفاصيل الدقيقة لأنشطة التنظيم وخاصة السّرية، فلما عاد إلى "المملكة" تلقفته استخبارات نظام آل سعود، وبعد تحقيقات مطولة استخرجت منه أهم تفاصيل العمل وأكثرها خصوصية ودقة فيما يتعلق بنشاطات الشيخ أسامة والقاعدة، فأدلى بمعلومات حسّاسة عن أفراد وشركات وأعمال اقتصادية سرية، كانت تعمل لحساب الشيخ أسامة، ثم حول نظام آل سعود

ملف أبي الفضل المكّي إلى الاستخبارات الأمريكية، وكانت تلك أهم غنيمة معلوماتية تحصل عليها أمريكا عن القاعدة وأميرها الشيخ أسامة رحمه الله[90].

وكان من نتائج هذه المعلومات التي كشف سرّها جمال الفضل وأبو الفضل المكّي أن تم التضييق المباشر من أمريكا على السودان، وكانت الحكومة السودانية قد طلبت - قبل إخراج الشيخ أسامة - من كل الليبيين، حتى التابعين للقاعدة والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة المغادرة، وكان الشيخ أسامة قد اجتمع بهؤلاء الإخوة الليبيين، وقال لهم فيما قال: "يبدو أن الدور قادمٌ علينا".

وبالفعل، صدق ما توقعه الشيخ أسامة رحمه الله؛ ففي ذات ليلة، جاء علي عثمان محمود طه - نائب الرئيس السوداني السابق عمر البشير - زائرًا للشيخ في بيته، ليخبره بأنهم يتعرضون لضغوط مباشرة لا قبل لهم بها من قبل أمريكا، يطلبون منهم إما تسليمه أو إبعاده من البلاد. ولم تستجب الحكومة السودانية لتسليم الشيخ أسامة، لكنها رضخت بإبعاده من السودان. وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها الشيخ أسامة، أن طلب منه نائب الرئيس، أن يجهز نفسه للسفر غدًا ليلًا إلى جلال أباد في أفغانستان، وقال له بأنهم قد رتبوا له كل شيء هناك مع بعض قادة الجهاد، الذين كان على رأسهم المولوي الشيخ يونس خالص، رحمه الله.

ولم يكن الشيخ أسامة على علم بأي خطوة من هذه الخطوات، وطلب من نائب الرئيس أن يمهله أُسبوعًا واحدًا يرتب فيه الأمور، ويقوم بزيارة أخيرة إلى المشاريع الزراعية في منطقة القاش، غير أنّ نائب الرئيس اعتذر بشدة، وأصرّ على أن يكون السفر غدًا ليلًا.

وشاء الله أن تتأخر الرحلة يومًا آخر، نسبة لتأخر وصول إذن مرور الطائرة بالطيران فوق أجواء بلاد الحرمين، وشاء الله أيضًا أن تكون تلك الليلة الأخيرة التي غادر فيها الشيخ أسامة السودان، هي أول ليلة من السنة الهجرية لعام 1417هـ الموافق 18مايو 1996م، فاستبشر الشيخ أسامة كثيرًا لهذا التوافق القدري، الذي لم يكن محسوبًا له أي حساب.

رافق الشيخ أسامة في الطائرة الرئاسية الصغيرة ذات الثمانية ركاب التابعة للقصر الجمهوري، كلٌ من الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد)، والشيخ أبو

---

(90) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد (مصطفى حامد) بتصرف.

مُحَّد المصري، والأخ حمزة الزبير، والشيخ عبد الرحيم اليمني (أبو عمر الأنصاري سابقًا)، والأخ خالد الحبيب، والأخ أبو اليسر التونسي، واثنين من جهاز الأمن السوداني. توقفت الطائرة في مدينة حدودية في إيران للتزود بالوقود[91]، ثم أقلعت لتحط رحالها في جلال أباد عاصمة ننجرهار، بعد خمس سنوات كاملة بحلوها ومرها قضاها الشيخ أسامة وإخوانه في السودان.

بعد إبعاد الشيخ أسامة، تم التضييق على كل الجماعات الجهادية المتواجدة في السودان، وطُلب منها المغادرة، فخرجت جماعة الجهاد، وخرج أميرها آنذاك الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، يرافقه اثنان من أفراد الجماعة – هما الشيخ أبو الفرج المصري (أحمد سلامة مبروك)، والشيخ هشام الحناوي رحمهما الله – متوجهين للشّيشان فوقعوا أسرى في داغستان، ومكثوا حوالي الستة أشهر في السجن، دون أن يُعرفوا حتى أُطلق سراحهم بفضل الله، ثم بجهود بعض الإخوة، وكان أمامهم خياران إما أن يواصلوا المسير إلى الشيشان، أو العودة واللحاق بالإخوة في أفغانستان، فاختار الشيخ هشام الحناوي مواصلة طريقه إلى الشيشان، وقتل هناك رحمه الله، وجاء الشيخ الدكتور أيمن الظواهري مع الشيخ أبو الفرج إلى أفغانستان، والتقيا بالشيخ أسامة بن لادن وبالشيخ أبي حفص الكمندان، وبقية الأحباب الذين فارقوهم منذ زمن. وبعد فترة قصيرة من التشاور، أدرك الدكتور أيمن أن أفغانستان، كانت وما زالت قلعة الإسلام، واستطاع الشيخ أسامة أن يقنعه بالإقامة في أفغانستان.

كذلك بسبب إجبار الحكومة السودانية لهم بالمغادرة، تضرر كثير من المجاهدين، وتعرضوا للأسر هنا وهناك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أسر في ألمانيا الشيخ الجليل قارئ القرآن ذو الصوت الندي أبو هاجر العراقي، ثم سُلّم إلى أمريكا، فك الله أسره. وبدلًا من أن تكون بلاد المسلمين، ملاذًا آمنًا لكل خائف من المسلمين، اضطر بعض الإخوة معرضين أنفسهم وأبناءهم للفتنة، باللجوء إلى ديار الكافرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(91) ليس صحيحًا البتّة ما تناولته بعض الوثائقيّات بأن طائرة الشيخ أسامة كانت قد نزلت في مطار دبي للتزوّد بالوقود، والصحيح أن إحدى الطائرتين اللتان أقلّتا بقية الإخوة من السودان بعد ذلك، هي من تزودت بالوقود من مطار دبي.

عظات وعبر من قصة السودان، وقصّة تسليم جمال الفضل نفسه لأمريكا:

ولعل أعظم عظة وعبرة يمكن أن نستشقّها ونقف عليها ونستفيد منها من قصة جمال الفضل، ومن موقف حكومة البشير مع الشيخ أسامة والجماعات الجهادية هي: **ضرورة إخلاص النية، والصدق في التوجّه والتجرد لله عز وجل في القول والعمل.**

يقول الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر في كتابه " زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه":

" فصلاح حركات العبد الظاهرة بحسب صلاح حركة قلبه وباطنه، فإن كان قلبه سليمًا ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات جوارحه كلها، بخلاف ما إذا كان قلبه فاسدًا قد استولى عليه حب الهوى واتباع الشهوات وتقديم حظوظ النفس، فإن من كان كذلك فسدت حركات جوارحه كلها. ولهذا يقال: القلب ملِك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملِك صالحًا كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسدًا كانت جنوده بهذه المشابهة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

ولعل خير مثال نسوقه على هذا الكلام من صفحات هذا الكتاب هي أن نعقد مقارنتين، الأولى بين ما آل إليه حال جمال الفضل، وبين ما آل إليه حال الإخوة في جماعة القاعدة. والمقارنة الثانية بين ما آلت إليه حكومة البشير، وما آلت إليه حكومة طالبان.

1- كما رأينا فقد حلّت بجمال الفضل تداعيات عظيمة من جراء إنتكاسته، وتغير نيته، وعدم احتساب الأجر من الله، والرضا بما قسمه له، فوقع في الحرام، واستدرجه الله شيئًا فشيئًا حتى ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، ولم يجد ملجأً من الله إلا بيع نفسه ودينه للشيطان بثمن بخس، فوقع في الردّة والعياذ بالله، وكان ما كان من شأنه الذي ذكرناه، فبرئت منه ذمة الله وذمّة رسوله، وخسر الدنيا والآخرة اِلّا أن يتوب ويرجع إلى الله عزّ وجل.

وهذا الأمر مشاهد ومحسوس في كل من امتدت يده وخاضت بالحرام في أموال الجهاد والمجاهدين، فكم من مجاهدٍ كان من السابقين الأوّلين، ومن الذين ضحّوا وبذلوا لنصرة هذا الدين، ولكنه وللأسف الشديد، بسبب خوضه في أموال الجهاد والمجاهدين، عاقبه الله في الدنيا، فأبعده

من هذه النعمة العظيمة التي كان قد أكرمه بها، وهي نصرة دينه، وأصبح في المقابل جنديًا مخلصًا من جنود الصليب، وحذاءً من أحذية الطواغيت، نسأل الله العافية والثبات.

والشيء بالشيء يذكر، فمن الأمور التي كانت سببًا في انتكاسة بعض الإخوة السابقين في هذا الطريق، هي الحرص على الشرف والتصدّر للقيادة، فبعض الإخوة لم يتجرّد لله من حظوظ نفسه، ولم يحتسب أن يكون سهمًا في سبيله يرمي به الأمير حيث ما رمى، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقَة كان في السَّاقَة، فتجده راضيًا إذا كان أميرًا، وساخطًا متسخّطًا على كلّ شيء إن كان جنديًا، وأمثال هؤلاء - وللأسف الشديد - يختمون حياتهم الجهادية، إمّا بالتجنيب عن العمل على نصرة هذا الدين، وإمّا بالتسليم إلى الطواغيت، حيث ينتهي بهم المطاف بالوقوع في الردّة والخوض في وحل العمالة، وذلك بموالاة ومظاهرة الطواغيت وأوليائهم الصليبيين على المجاهدين، كما حدث مع جمال الفضل وغيره. وصدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القائل في الحديث: (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ).

وفي المقابل، عندما كانت نية الإخوة في تنظيم القاعدة كلها لله وفي سبيل الله، حتى تكون كلمة الله هي العليا، هيأ الله لهم - عندما ضاقت بهم الأحوال في باكستان - نفَسًا في السودان، حسب ما ذُكر سابقًا. ومرة أخرى، هيأ الله لهم هذه الأحداث السابق ذكرها، لتضيق عليهم الأمور في السودان وتنفرج لهم أيما انفراجٍ في أفغانستان، لتبدأ معها مرحلة جديدة من مراحل التدافع بين الحق والباطل، مع رجالٍ نحسبهم صدقوا مع الله عز وجل، فعقدوا البيعة معه على هلكة أموالهم وقتل أشرافهم، بأن ينصروا دينه، ويمنعوا المستضعفين من المؤمنين بإيوائهم والدفاع عنهم بأغلى ما يملكون.

2–أما فيما يخصّ حكومة البشير، فجدير بالذكر في هذا الموطن أن نعقد مقارنة سريعة بين موقفها وموقف إمارة طالبان الإسلامية بالنسبة لقضية إيواء الشيخ أسامة ومن معه من المستضعفين. فبناءً على التوجّه الإسلامي الذي كانت حكومة البشير قد أعلنته — عندما ملئت الدنيا ضجيجًا وأقامتها ولم تقعدها، وكانت تردد كلّ شيء لله —كان من المفترض عليها عندما رحّبت بقدوم الشيخ أسامة وتنظيم القاعدة وغيره من الجماعات الجهادية الأخرى إلى السودان، أن تكون نيّتها خالصة لله تعالى، ومبنية على أساس الولاء لأخوّة الإسلام والمسلمين، وليس

بغرض استخدامهم حسب ما تقتضيه المصالح كورقة ضاغطة على حكوماتهم التي ناصبت حكومة البشير العداء. وكانت العقوبة الربّانية لهذه النية المصلحية، هي رضوخ حكومة البشير وانكسارها واستسلامها أمام الضغوط الأمريكية، التي كان من بينها إضافة إلى التخلّي عن مشروعهم الإسلامي إبعاد الشيخ أسامة من السودان. وكان أول تعليق أمريكي لهذا الأمر هو أن هذه خطوة أُولى في الطريق الصحيح، وبالطبع كانوا يقصدون أن هذه خطوة أُولى في طريق طويل من التنازلات يجب على حكومة البشير تقديمها. وبالفعل قدّمت حكومة البشير لأمريكا سيلًا من التنازلات أضاعت بسببها الدين والدنيا، وأوصلت حال البلاد إلى ما وصل إليه اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكانت النتيجة الحتمية لهذه التنازلات هي أن أمريكا لم ترض عن حكومة البشير، ولم تنفذ لها ما وعدتها به، وسخط عليها إخوانها الذين وقفوا بجانبها يومًا ما يقاسمونها الحلوة والمرة، وصدق الله القائل في كتابه: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾. وصدق رسول الله القائل في الحديث: (مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِرِضَاءِ اللهِ كَفَاهُ اللهُ).

فالجنوب الذي من أجله أعلنت حكومة البشير الجهاد في سبيل الله، ودفعت له الغالي والنفيس من خيرة شباب البلاد، وثرواتها ومواردها ووقتها، قُطع وفُصل من جسم السودان. ورغم سيل التنازلات التي قدمتها حكومة البشير إرضاءً لأمريكا والمجتمع الدولي، استمر السودان تحت قائمة ما يسمى الدول الراعية للإرهاب، واستمر الحصار الاقتصادي مضروبًا عليه، ووضع البشير وبعض كبار المسؤولين في الدولة في قائمة المطلوبين للمحاكمة في محكمة الجنايات الدولية، وفي النهاية كان مآل حكومة البشير ضياع الدين والدنيا، وذهابها غير مأسوفٍ عليها إلى مزبلة التاريخ.

وفي المقابل، عندما صدقت حكومة طالبان في توجهها مع الله، سجّلت مواقف عظيمة سُطّرت بمدادٍ من نورٍ في ذاكرة التاريخ ستبقى حجّة على أدعياء التوحيد. فها هم الطالبان اليوم بعد مُضى ما يقارب الثلاثة عقود من الزمان، لم تثنهم آلامهم وجراحاتهم ومآسيهم التي مرّوا بها طوال تلك السنين أن يعطوا الدّنيّة في دينهم قيد أنملة، فلم يحرّك فيهم دوي الصواريخ، وأزيز الطائرات، وصرير الدبابات، ودموع اليتامى والثكالى شعرة أن يلينوا أو ينكسروا أمام أمريكا.

لقد ضربت حكومة طالبان الإسلامية أروع الأمثلة في الثبات والصمود على المبادئ والثوابت، وفي التضحية والفداء، وإرخاص النفس والنفيس لنصرة الدين والمستضعفين من المؤمنين. فلأجل

رجلٍ واحدٍ قامت الدنيا في وجهها ولم تقعد، لأجل رجلٍ واحدٍ جسّد الطالبان معاني بيعة الرضوان عندما تبايع أصحاب الشجرة... ألف وأربعمائة صحابي بما فيهم رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام... تبايعوا على الموت لمجرّد رجلٍ واحدٍ من المسلمين، بعثه رسول الله الى قريش **أُشيع** بأنّه قتل. لأجل رجلٍ واحدٍ ضحّى الطالبان بدولتهم عندما رفضوا تسليم الشيخ أسامة رحمه الله لأمريكا، وقال في ذلك أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله قولته المشهورة، عندما هددوه بأن أمريكا ستتدخل عسكريًا للإطاحة بحكومة طالبان، قال: "**والله لو تشتعل أفغانستان حجرًا حجرًا لما أسلمت أسامة للكفار**".

لقد أيقن أمير المؤمنين بأن ثباته على دينه ورضى ربه هو أعظم غنيمة، أعظم من خسارته لملكه، وما ينفع الملك إذا أورده النارَ يوم القيامة؟ فالملك متاع يجيء ويذهب، وإنما المفلح من جعله عبادةً يرضي بها ربّه، ومطيةً ينصر بها دينه.

وإزاء هذه المواقف البطولية المشرّفة ما زال الطالبان – بفضل الله وحده – ثابتين ثبات الجبال، وأيقنت أمريكا في نهاية المطاف أنها تخوض حربًا خاسرةً لا جدوى منها، وأن خيارها الوحيد للحفاظ على ماء وجهها والخروج من هذا المأزق، هو أن تنحني صاغرة أمام طالبان، وتجلس معهم وجهًا لوجه على طاولة التفاوض، لتوقع معهم مسودة اتفاق دلَّ بطريقة دبلوماسية على هزيمة واستسلام الولايات المتحدة الأمريكية.

فكل من أخلص دينه لله، واستقام على أمره، وتجرد له، وقبل البيعة معه على أن يضحي في سبيله بالغالي والنفيس، يوفقه الله ويهديه، ويكلؤه بعنايته ورحمته ومعيّته كائنًا من كان، فردًا أو جماعة أو دولة. وكل من بدّل وغير وأشرك في نيته، يخذله الله ويستدرجه ويكله إلى نفسه، فيبني بنيانه على شفا جرف هار، حتى ينهار به في نار جهنم والعياذ بالله. فمن كان الله معه، كان معه كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء.

نصيحة الشيخ أسامة لحكومة البشير بعولمة قضية الجنوب:

ومما يجدر ذكره فيما يخص قضية الجنوب، أن الشيخ أسامة رحمه الله، كان قد قدم – مع بدايات الحملة الجهادية التي أطلقتها حكومة البشير عام 1992م لتحرير الجنوب من قبضة الجيش الشعبي لتحرير السودان – نصيحة للقائمين على أمر البلاد، ينصحهم فيها بعولمة قضية الجنوب، واستنفار المسلمين للمشاركة في هذا الواجب الشرعي، وفتح الباب على مصراعيه لمشاركة

المجاهدين، الذين سيأتون من كل أنحاء العالم، كما حدث في أفغانستان والبوسنة على سبيل المثال. وللأسف الشديد تدخلت ثقافة سايكس بيكو، لتقف حجر عثرة في وجه هذا الطرح العظيم، بحجة أن ذلك سيفتح عليهم بابًا من الضغوط الدولية لا قبل لهم بها، والتي لم تنفك عنهم حتى آخر رمق من عمر حكومتهم.

وكانت وجهة نظر الشيخ أسامة في هذه النصيحة القيمة ليس فقط تحرير الجنوب، بل كان يرمي إلى هدف أسمى من ذلك بكثير، وهو تحطيم صنم سايكس بيكو في نفوس المنهزمين من المسلمين، لتتحقق بذلك معاني الجسد الواحد للأمة، التي إذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. هذه المعاني التي ارتعدت وترتعد لها فرائص المستكبرين وأئمة الكفر في كل زمان ومكان، وتتحطم على عتباتها، كل مصالحهم ومخططاتهم ومطامعهم لاحتلال بلاد المسلمين ونهب ثرواتهم. هذه المعاني التي لولاها ليئس الشيطان أن يعبد في الأرض، فأرسل أبالسته ومردته كأمثال سايكس وبيكو يخططون ويمكرون الليل وصلًا بالنهار، لتمزيق جسد هذه الأمة إلى حظائرٍ وعششٍ تحد كل واحدة منها خطوط حمراء من زبالات قوانين البشر، والويل كل الويل لمن يتخطاها.

ولنا أن نتخيل كيف كانت ستكون الصورة، لو قدر الله واستجابت حكومة البشير لنصيحة الشيخ أسامة لها بعولمة قضية الجنوب، كانت ستكون متنفسًا لكل المسلمين المستضعفين في دول الجوار، مثل أفريقيا الوسطى وكينيا وأوغندا وأثيوبيا والصومال.



السودان بعد انفصال الجنوب

المرحلة الرابعة:

مرحلة أفغانستان الثانية، وتبدأ من خروج الشيخ أسامة من السودان في 18 مايو 1996 حتى أحداث 9/11:

على نفسها جنت براقش:

ما أن لامست عجلات الطائرة الخاصة[92]، المقلّة للشيخ أسامة - رحمه الله – ورفاق رحلته مطار جلال أباد، في أصيل ذلك اليوم الأول من السنة الهجرية لعام 1417هـ، حتّى بدأت مرحلة جديدة من المواجهة المباشرة والتدافع، وجهًا لوجه بين القاعدة وهبل العصر أمريكا، مرحلة لم يحسب لها ولا لتداعياتها بهذه السرعة أي حساب كِلا الطرفين، ورحم الله الشيخ أسامة، فقد كان يقول: "**لقد ساقنا الله سوقًا إلى هذه المواجهة**".

وكانت خطّة الحكومة الأمريكية - بعد أن يئست من أن الحكومة السودانية لن تقوم بتسليم الشيخ أسامة - ممارسة الضغط عليها لإخراجه من السودان، ومن ثم اعتقاله إما باعتراض طائرته في الجو، أو أن يقوم البلد الذي سيحلّ فيه بتسليمه لها، أو أي سيناريوهات أخرى، لكن يمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين، فأسقط في أيديهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا بعد أن علموا أن الشيخ أسامة قد استقر به الترحال في تلك الجبال الشوامخ؛ جبال الهندوكوش، التي على قممها تحطمت وتكسرت إمبراطوريتان من قبل: بريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتي. وها هي الإمبراطورية الثالثة الولايات المتحدة، ستأتي بعد قليلٍ بقضها وقضيضها، وخيلها ورجلها تحث الخطى، لتلقى نفس المصير الذي لقيه أسلافها، ولتأخذ مكانها في مقبرة الامبراطوريات.

وكانت قيادة القاعدة ومجلس شوراها، بعد نزول القوات الأمريكية بلاد الحرمين عام 1991م بحجة تحرير الكويت، قد خططوا للتصدي لسياسات أمريكا ومخططاتها، غير أنهم لم يتوقعوا أبدًا أن الأحداث ستتسارع وقائعها جدًا بهذه الصورة وبهذا المعدل من التسارع، لتسوقهم سوقًا إلى المواجهة المباشرة مع هبل العصر أمريكا، ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة، وصدق من قال: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾.

---

(92) غادر الشيخ أسامه ورفاقه السابق ذكرهم الخرطوم إلى جلال آباد على طائرة الرئيس السوداني عمر البشير.

الشيخ أسامة في ضيافة الشيخ يونس خالص:

نـزل الشـيخ أسـامة ضـيفًا عزيـزًا مكرّمًـا في ضـيافة الشـيخ يـونس خـالص وبعـض قيـادات الجهـاد المخلصـين الصـادقين في سـاحة جـلال أباد آنـذاك، مـن أمثـال القائـد سـازنور، والقائـد انجنـير محمـود، والقائـد معلـم أول جـل[93]، والقائـد فضـل الحـق مجاهـد[94] رحمهـم الله جميعًـا. وكـان هـؤلاء القـادة هـم مـن يُـدير شـؤون ولايـة ننجرهـار، الـتي كـان يسـيطر عليهـا الحـزب الإسـلامي بقيـادة الشـيخ الجليـل المولـوي يـونس خـالص الـذي كـان يتمتـع بمكانـة عاليـة، وكلمـة مسـموعة بـين قـادة الجهـاد. وكـان والي الولايـة آنـذاك، واحـد مـن قـادة المجاهـدين السـابقين في الولايـة يـدعى حجّـي قـدير، ويعمـل تحـت إمـرة الشـيخ يـونس خـالص، غـير أنـه نكـص علـى عقبيـه، وغـيّر وبـدّل، والتحـق لاحقًـا بتحـالف الشـمال الذي كان يقاتل الطالبان كما سيأتي ذكره.



الشيخ يونس خالص – رحمه الله

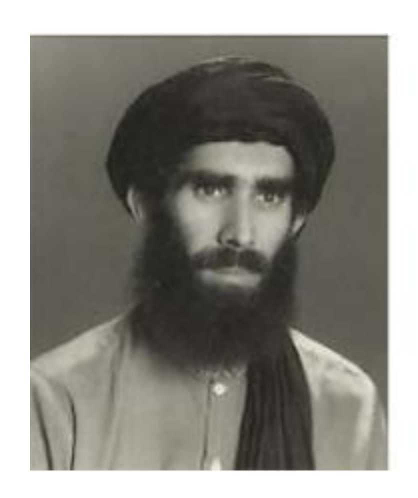
---

(93) توفي رحمه الله على إثر ذبحة صدرية أصابته في معتقل جوانتنامو في 2 فبراير 2011م.

(94) أغتيل رحمه الله في بشاور في 31 مايو 1997م وهو في طريقه للمسجد لأداء صلاة العشاء.



معلّم أوّل جل – رحمه الله



فضل الحق مجاهد – تقبّله الله

وكان بيت الضيافة الذي نزل فيه الشيخ أسامة ورفاق رحلته في جلال أباد هو قصر الملك السابق ظاهر شاه، حيث مكثوا هناك حوالي شهر أو يزيد بصحبة القائد فضل الحق مجاهد رحمه الله. ولم يكن الشيخ أسامة ورفاقه خلال هذه الفترة ينامون داخل القصر، بل كانوا ينامون في عدة خيام نصبت لهم في الحديقة بناءً على طلب الشيخ أسامة. وكان كل من الأخوين خالد الحبيب رحمه الله وأبو اليسر التونسي يشرفان على إعداد الطعام، ثم ما لبث الإخوة والعوائل الذين في السودان أن بدأوا يتوافدون على دفعتين، فجاء الذين في الدفعة الأولى بطائرة شحن روسية، وكان بينهم الشيخ سيف العدل حفظه الله، وكانت هذه الطائرة قد هبطت في مدينة شيراز الإيرانية للتزود بالوقود، وأكملت بعدها الرحلة إلى جلال أباد، وكان في استقبالهم د. أمين أحد قادة المجاهدين أيام الجهاد الأول في جبهة جلال أباد وكان تحت قيادة الشيخ يونس خالص، وجاء الذين في الدفعة الثانية بطائرة الخطوط الجوية الأفغانية (أريانا)، فتم إسكان النساء والأطفال داخل القصر، وانتشر بقية الإخوة خارج القصر في الخيام مع الشيخ أسامة رحمه الله[95].

مجمّع نجم الجهاد:

وكان مجلس شورى جلال أباد قد كلّف القائد معلم أول جل رحمه الله، ليكون هو المسئول عن تسيير كل الأُمور التي يحتاج لها الإخوة من خدمات، فخصصت لهم في حي نجم الجهاد، قطعة

---

(95) نقلًا عن رواية الشيخ سيف العدل، حفظه الله.

أرض لبناء مجمّع سكني، كان قد تبرع بها وبدون مقابل الدكتور أمين حفظه الله، وكان هذا المجمّع قريبًا جدًا من بيت الشيخ يونس خالص، وانجنير محمود ومعلم أول جل، رحمهم الله جميعًا.

كان المجمّع مقسومًا إلى قسمين، قسم العائلات ومساحته حوالي ثلثي المساحة، وقسم الضيوف والإخوة العزاب والمطبخ ويشغل حوالي الثلث الأخر من المساحة، وبنيت كل البيوت والمباني داخل المجمع من الطين واللبن، وسقوفها من جذوع الأشجار وحصائر من القش فوقها طبقة من الطين. وكان كل بيت – حتى بيوت الشيخ أسامة رحمه الله – عبارة عن غرفة واحدة فقط، ومطبخ وحمّام وردهة صغيرة، بالتقريب لا تتجاوز مساحة البيت الواحد الستّون مترًا مربعًا.

والإخوة المتزوجون الذين كانوا يسكنون في المجمّع هم:

1- الشيخ أسامة بن لادن، رحمه الله.

2- الشيخ أبو حفص الكمندان المصري (صبحي عبد العزيز أبو ستة الجوهري) رحمه الله.

3- الشيخ أبو مُحَمَّد المصري (عبد الله أحمد عبد الله الألفي) رحمه الله.

4- الشيخ سيف العدل (مُحَمَّد صلاح الدين زيدان) المصري، حفظه الله.

5- الشيخ سعيد المحاسب (مصطفى أحمد عثمان أبو اليزيد) رحمه الله.

6- أبو خليل المدني، رحمه الله.

7- أبو طارق التونسي، رحمه الله.

8- أبو زياد العراقي، رحمه الله.

9- أبو عبد الرحمن المهاجر المصري (محسن موسى متولّي)، رحمه الله.

10- خليفة المصري، رحمه الله.

11- شاكر المصري، رحمه الله.

12- أبو الحسن الصعيدي، رحمه الله.

13- أبو همام الفلاح الصعيدي، رحمه الله.

14- خالد المقدسي المصري (سعدوف)، رحمه الله.

15- عبد المهيمن المصري، حفظه الله.

16- أبو حفص العرب المصري، رحمه الله.

17- رضا التونسي[96]، فك الله أسره

18- أمير الفتح[97] (أحمد فاروق) المصري، رحمه الله.

19- أبو بكر جل الأسواني، رحمه الله

20- خالد الحبيب المصري، رحمه الله.

21- شيخ عيسى الموريتاني، حفظه الله.

22- الشيخ أبو عبيدة الموريتاني، رحمه الله.

23- عائلة أبو عامر الصعيدي المصري -كان مأسورًا حينها والحمد لله فقد فك الله أسره.

24- **وكان هناك مجمّع آخر**، يبعد حوالي مئة متر تُبنى فيه مجموعة بيوت لتستوعب بقية الإخوة، وكانت قطعة أرض هذا المجمّع قد تبرع بها أيضًا بدون مقابل قارئ محمود من أتباع الشيخ يونس خالص رحمه الله، وكان من المفترض أن يسكن في هذا المجمّع بعد اكتماله، كل من الشيخين أبو عبد الرحمن الكندي[98] (أحمد سعيد خضر) رحمه الله، والشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله، لكن شاءت الأقدار أن يرتحل الجميع إلى قندهار.

---

(96) الأن ولله الحمد والمنة هو حر وموجود بتونس وربما عليه بعض القيود.

(97) أمير الفتح هو شقيق الشيخ أبو عبيدة البنشيري، رحمهم الله جميعًا.

(98) من قدامى النافرين إلى أفغانستان منذ عام 1985م. كان له دور فعّال في مجال الإغاثة ورعاية الأرامل والأيتام وفي مجال التعليم والرعاية الصحية للمهاجرين الأفغان. كذلك كان له دور بارز عام 1991م في العمل العسكري في فتح ولاية لوجر، وأُصيب في قدمه إصابة بالغة. وفي عام 1999م وضعته بريطانيا في قائمة أعضاء القاعدة. استشهد رحمه الله في 2 أكتوبر 2003م إثر مداهمة القوات الأمريكية والباكستانية لمأواه في منطقة القبائل في باكستان، وأصيب في المداهمة ابنه عبد الكريم بطلقة في عموده الفقرى سببت له شلل دائم. كذلك كان ابنه عمر خضر قد أسر ورحّل إلى جوانتاناموا، وكان أصغر أسير هناك.



الشيخ أبو عبد الرحمن الكندي

تقبّله الله



الشيخ أبو الوليد المصري

حفظه الله

الإخوة العزّاب وهم:

1- حمزة الزبير المصري رحمه الله.

2- أبو عبد العزيز الكِندي، من بلاد الحرمين رحمه الله.

3- الشيخ أبو دجانة الباشا المصري(99)، رحمه الله.

4- أبو اليسر التونسي، حفظه الله.

5- الشيخ عبد الرحيم اليمني، رحمه الله.

6- أبو أيمن اليمني، رحمه الله.

7- أبو مالك الرصاص اليمني، رحمه الله.

8- أسد عمر عبد الرحمن المصري - حفظه الله وأخيه رحمه الله قتل.

9- أحمد عبد الله المصري، رحمه الله - منفّذ عملية دار السلام.

10- أبو تميم المصري، رحمه الله.

11- الإخوة الأفغان العاملين معنا كالطباخين والسائقين والمترجمين.

12- شريف المصري، حفظه الله.

---

(99) صهر الشيخ أيمن الظواهري.

13- أبو طارق المصري، حفظه الله.

14- خبيب السوداني، حفظه الله.

15- وكان هناك بيت آخر في جلال أباد، مستأجر للإخوة العزاب الذين وصلوا من شمال أفغانستان بقيادة الأخ بلال المكي (عبد الرحيم النّاشري)[100]، وكان بينهم الأخ حمزة الغامدي، وعزام المكي منفذ عملية نيروبي في كينيا، وكان المسئول عن هذا البيت هو الأخ مهنّد بن عتش رحمه الله، وكان معهم أيضًا خلّاد بن عتش[101] فك الله أسره.

وكان يوجد في داخل مجمع نجم الجهاد مسجد صغير، تقام فيه كل الصلوات إضافة إلى الجمعات، كذلك كان يوجد دكّان صغير تباع فيه السلع الضرورية. وبحكم تلاصق البيوت وقربها من بعضها البعض، كانت الحياة داخل المجمع تحمل كل معاني الأخوة والحب والتعاون، ويُخيّم على الجميع شعور واحد بأنهم أسرة واحدة، لفها مصير واحد، إضافة إلى الفرحة العارمة التي عمت كل الإخوة بالعودة مرة أخرى إلى أفغانستان، ومجاورة الطيبين الصالحين من أهلها، أمثال الشيخ يونس خالص والجنير محمود ومعلم أول جل، رحمهم الله جميعًا.

الشيخ أسامة في جبال تورا بورا:

وكان الشيخ أسامة - لما اكتمل وصول العائلات من السودان، وقبل بناء المجمع - قد أبدى رغبته لمضيفيه في أن يكون مكان إقامته بعيدًا عن تلك القصور، هناك في الجبال، فقد كان يخطط لأمرٍ عظيمٍ يحتاج إلى جوٍ خاص من الهدوء والسكينة لصياغة البيان الذي سيغيّر مجرى التاريخ، فاستجاب مضيفوه لطلبه، وهيأوا له مكانًا آمنًا وحصينًا في جبال تورا بورا، كان من قبل قاعدة انطلاق، ينطلق منها المجاهدون لتنفيذ عملياتهم ضد الروس.

كانت جبال تورا بورا تبعد عن جلال أباد حوالي ثلاثة ساعات بالسيارة البك أب، يمر خلالها الطريق بكثيرٍ من القرى والوديان ومجاري المياه، وتورا بورا عبارة عن سلسلة جبلية شاهقة الارتفاع، تمتد شمالًا وجنوبًا لتتصل مع جبال خوست وسلسلة جبال جاجي المشهورة، مكسوة بغطاء شجري معظمها من أشجار الصنوبر والثرو والبلّوط، وغيرها من الأشجار العالية، والطقس في

---

(100) المسئول عن عملية تدمير المدمرة الأمريكية يو أس أس كول في ميناء عدن. حاليًا أسير في معتقل جوانتاناموا.

(101) أحد المنسّقين لأحداث الحادي عشر من سبتمبر. حاليًا أسير في معتقل جوانتاناموا.

تلك الجبال معتدل صيفًا، وبارد جدًا في الشتاء، حيث تنزل فيها الثلوج التي تغطي قممها صيفًا وشتاءً، حيث كانت ترى بالعين المجردة من مدينة جلال أباد.

كان المكان الذي استقر فيه الشيخ أسامة ورفاقه، وهم الشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد)، والشيخ سيف العدل، والشيخ عبد الرحيم اليمني، ومجموعة الحراسة التي كان يتناوب عليها الإخوة المتزوجون أسبوعيًا، مكونًا من ثلاثة غرف تربط بينهما ردهة طويلة مغلقة، خصصت واحدة من الغرف لتكون المكتبة ومكان النوم، وبها جهاز المخابرة، والغرفة الصغيرة كانت مجلس الشيخ الخاص. وخلف هذه الغرف كانت هناك غرفًا صغيرة محفورة في الجبل، عبارة عن مخازن سابقة للذخيرة، هيأها الشيخ أسامة لتكون غرفًا لزوجاته وبناته، بينما الأولاد الذكور عبد الرحمن وسعد وعمر وعثمان ومُحَمَّد كان نصيبهم خيمة في الخارج بعد أن تم تسوير الحوش بالبلك. وكان الشيخ أبو الوليد المصري والشيخ سيف العدل وعائلتيهما وأبناؤهما يسكنون في خيمتين، وكان الطعام يُطبخ مركزيًا ثم يوزع على العائلات.

التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه:

يقول الشيخ يوسف العُييري في كتابه " التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه":

إن التواجد الأمريكي في المنطقة لم يكن ردة فعل لقضية محددة كضربات سبتمبر، أو لتسلط رئيس غاشم، إن التواجد الأمريكي في المنطقة هو استراتيجية لا يمكن لأمريكا أبدًا أن تتنازل عنها... إن المنطقة هي شريان العالم للحياة، ومن يسيطر على هذا الشريان فسوف ينتعش ويسود، ومن ثم فإنه سيسيطر على العالم ويخنقه بلا رحمة حسب قناعتهم. هذا هو ملخص أهمية المنطقة بالنسبة لأمريكا، فمن السذاجة والسخف أن يُظن أن القوات نزلت بسبب صدام، وسترحل بزوال صدام، كما أنه من السذاجة أيضًا أن يُظنّ ولو بقدر بسيط جدًا أن إعلان إخلاء السعودية من القوات الأمريكية - حقيقة على أرض الواقع. التحرك والانتقال من دولة إلى أخرى في المنطقة لا يعدو أن يكون مجرد تحرك عسكري تكتيكي، ولكن الاستراتيجية ثابتة، وهي ضمان السيطرة على منابع النفط، والسيطرة على الممرات وضمان سلامة وصول النفط، وضمان أمن إسرائيل، وضمان عدم وصول الإسلاميين إلى أية سلطة في المنطقة، أو تحركهم بما يهدد سيادة أية دولة في المنطقة، هذه هي الاستراتيجية العسكرية الأمريكية الثابتة في المنطقة، و هذا هو المظهر

الواضح للصورة، وكل ما يحصل في خلفيات الصورة فهو لا يمثل أكثر من تغيير في الديكور لإعطاء الصورة مسحة جمالية خداعة، تُروّج على شعوب المنطقة، والمغفلين"[102].

فكرة قوات التدخل السريع وتطوراتها[103]:

- يعود تاريخ طرح الفكرة، إلى أواخر السبعينات الهجرية أوائل الستينات الميلادية، عندما طرح (روبرت ماكنمارا) وزير الدفاع الأمريكي آنذاك، مبدأ (الرد المرن) بدلًا من مبدأ (الرد الشامل) النووي... ويرتكز مبدأ (الرد المرن) على توسيع القدرات القتالية التقليدية – أي غير النووية – لمجابهة الحركات التمردية، أو الحروب الشعبية أو الأزمات المحلية المحدودة، وطرح إنشاء قوات ضاربة تقليدية متحركة تستطيع التدخل في المناطق النائية وبسرعة وفعالية)، إلا أن اقتراحه هذا رفض من قبل الكونجرس الأمريكي في وقته.
- وبعد أزمة الطاقة عام 1393هـ 1973م أثارت هذه الأزمة النقاش حول هذا الطرح، الذي كان بمثابة العلاج لخطر فقدان السيطرة الأمريكية على مصادر النفط. وحاول (كيسنجر) عندما كان وزيرًا للخارجية الأمريكية عام 1394هـ 1974م بحث إمكانية قيام قوة أوروبية أمريكية لحماية مصادر النفط، إلا أن حلف (الناتو) رفض ذلك.
- وبعد استلام الرئيس (كارتر) السلطة عام 1396هـ 1976م بعث فكرة (قوات التدخل من جديد عن طريق مبدئه... ودفعت أحداث المنطقة كسقوط الشاه والغزو السوفيتي إلى المسارعة باتخاذ الخطوات العملية لتفعيل هذه القوة، وقد دفعت هذه التطورات وزير الدفاع الأمريكي (كاسبر واينبرغر) آنذاك أن يقول أمام لجنة الدفاع والشئون الخارجية التابعة للكونجرس في شهر ربيع الثاني لعام 1401هـ فبراير 1981م (بأن الحاجة باتت ملحة لاحتفاظ الولايات المتحدة لوجود دائم لقواتها في مناطق النفط وحول طرق مواصلاته).

... حتى أن (نيكسون) نفسه تخلى عن ما عرف (بمبدأ نيكسون) فيما بعد، ليتحول إلى مناصر (لمبدأ كارتر)... فيقول مؤكدًا لذلك في كتابه نصر بلا حرب: "إن الولايات المتحدة هي الآن الدولة الوحيدة التي يمكنها حماية المصالح الغربية في الخليج الفارسي، وليس هناك أية دولة من

---

(102) التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه. للشيخ يوسف العُييري. بتصرّف.

(103) التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه. للشيخ يوسف العُييري. بتصرّف.

دول الخليج الموالية للغرب قوية بالقدر الكافي للقيام بذلك، كما لا تتوافر لأي من حلفائنا الأوروبيين القوة أو الرغبة في أن يقوم بذلك، وينبغي لنا أن نعمل على الجبهة العسكرية لتحسين قدرتنا على إبراز القوة الأمريكية في الخليج، وقد حققنا تقدمًا هامًا في هذا المجال، فقد أنشأ الرئيس كارتر قوة الانتشار السريع، وعزز الرئيس ريغان وضعها بتحويلها إلى قيادة مركزية، واعتمد الكونجرس مليارات الدولارات لقواتها، وقال يستحيل على الولايات المتحدة أن تتدخل في الخليج الفارسي بدون أن تتوفر لها إمكانية الحصول على قواعد جوية في المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى الأصغر، إننا في حاجة إلى وضع قوات جوية في قواعد هناك حتى يمكن أن نحمي قواتنا البرية عند قيامها بإنشاء رأس جسر وبدون تفوق جوي ستصبح أي عملية إنزال أمريكية في الخليج الفارسي تكرارًا لعملية الإنزال البريطانية في غاليبولي أثناء الحرب العالمية الأولى".

نقطة التحوّل الرئيسية في تاريخ الصراع:

كان استقدام القوات الأمريكية إلى الجزيرة العربية في أغسطس عام 1990م تحت ذريعة تحرير الكويت، قد خلّف زلزالًا عنيفًا أصاب الأمة بأسرها، وقسّمها أفقيًا ورأسيًا ليس على خلفية احتلال العراق للكويت، بل على مشروعية وجود قوات غربية صليبية في أرض الحرمين والاستعانة بها، فشكل ذلك الغزو نقطة تحول كبيرة في تاريخ الصراع في المنطقة، وكذلك في تحوّل المسار الفكري للمجاهدين، بما فيهم الشيخ أسامة رحمه الله، بعد أن كشفت لهم الأحداث حقيقة الأنظمة الحاكمة في المنطقة، وحقيقة المؤسسات الدينية التابعة لها، وضخامة المؤامرات الصليبية التي اعتمدت على الأطراف السابقة في وصول جيوشها إلى المنطقة، وإضفاء الشرعية على هذا الوجود الدائم، فقد كانت ضخامة قوات التحالف التي قدرت بمليون جندي - منهم 400 ألف جندي أمريكي، مدعومين بمئات الطائرات والبارجات العملاقة وحاملات الطائرات - كافية لأن يدرك المجاهدون أن هناك مؤامرة عالمية على المسلمين تحاك بالتعاون مع الأنظمة العميلة في المنطقة، ومدعومة بالمؤسسات الدينية والإعلامية والثقافية[104].

(104) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن مُحَمَّد.



قدوم القوات الأمريكية إلى بلاد الحرمين عام 1991م

وهنا تيقن الشيخ أسامة رحمه الله، أن التواجد العسكري الأمريكي في أرض الحرمين، والبقاء فيها لأجلٍ غير محدود – سواءً أن تم تسويق ذلك الوجود على أنه بطلب من الملك، أو رغمًا عن أنفه – ليس ذريعة لمحاربة أمريكا فقط، بل يعتبر بمثابة المسمار الأخير في نعش شرعية نظام آل سعود لأنه تحول إلى شريك للمحتل الصليبي، وفي ذات الوقت ينكّل برموز الصحوة من العلماء والدعاة والمصلحين، الذين كانوا يعارضون الوجود العسكري الأمريكي بالطرق السلمية(105).

وكان رحمه الله قد توصل بتفكيره الشخصي، وتأثره بمنهج التيار الجهادي وفهمه للواقع، إلى أن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة، ومنها النظام القائم في بلاد الحرمين، يمر حتمًا بمواجهة أمريكا، وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة السياسية الصحيحة(106):

(1) العلماء يضفون الشرعية على حكومة آل سعود.

(2) وآل سعود يضفون الشرعية على وجود أمريكا في الجزيرة.

وهناك إحدى طريقين للمواجهة مع آل سعود وهذه الأوضاع وهي:

---

(105) الجهاد في السعودية، قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب .للكاتب توماس هيغهامر. بتصرّف.

(106) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

1- إما مواجهة آل سعود، وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم لإسقاط شرعية آل سعود، وهي معركة خاسرة أمام الناس، لحجم وثقل المؤسسة الدينية، وما زرعته من الشرعية والهيبة في عقول الناس عبر أكثر من سبعين سنة.

2- وإما الطريق الأسلم، وهو ضرب الوجود الأمريكي، فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم في أعين المسلمين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدينية عنهم فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحًا أمام الناس.

البيان الأول: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب:

واختار الشيخ أسامة رحمه الله الخيار الثاني؛ لذلك ما أن استقرت قدماه في جبال تورا بورا، حتّى بدأ العمل في صياغة بيان الحرب الأول مع طاغية العصر، وهو إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين. وكان الشيخ أسامة قد طلب من الإخوة المتواجدين في الجبل، أن يقترح كل منهم عنوانًا مناسبًا ليخرج به البيان، ووفق الله لذلك الشيخ أبو عبيدة الموريتاني رحمه الله، فقد حظي اقتراحه من بين اقتراحات الإخوة، بموافقة الشيخ أسامة، بأن يكون البيان تحت عنوان: "**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**".

وخرج ذلك البيان للعالم ليكون بمثابة المسمار الأول الذي يُدق في نعش هبل العصر أمريكا، ومؤذنًا ببدء حرب غيرت مجرى التاريخ، على إثرها سقطت كل الأقنعة فكشفت وجه الغرب الصليبي ووكلائه، حرب كشفت معادن الرجولة والرجال وقسّمت العالم أجمع إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط كفر لا إيمان فيه، أعاذنا الله وإياكم منه.

كان خروج ذلك البيان في أغسطس من عام 1996م، بعد ثلاثة أشهر فقط من مغادرة الشيخ أسامة للسودان، وعن ذلك يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان وأفغانستان، مما أدى إلى هذا الغياب الطويل، ولكن - بفضل الله - تيسر وجود قاعدة آمنة في خراسان فوق ذرى الهندوكوش، تلك الذرى التي تحطمت عليها - بفضل الله - أكبر قوة عسكرية ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها أسطورة القوى الكبرى أمام صيحات المجاهدين (الله أكبر)، واليوم من فوق نفس الذرى، من أفغانستان نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من

التحالف اليهودي الصليبي، وخاصة بعد احتلاله مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، واستباحته بلاد الحرمين[107]، ونرجو الله أن يمن علينا بالنصر، إنه ولي ذلك والقادر عليه".

حملة الشيخ أسامة التوعوية لما يدعو له:

بعد خروج البيان بدأ الشيخ أسامة رحمه الله، حملة دعوية توعوية لما يدعو إليه، خلاصتها أن الواجبات إذا تعددت قدم آكدها، وأوجب الواجبات بعد الإيمان اليوم هو دفع العدو الصائل أمريكا، التي تسرح وتمرح جيوشها في أقدس مقدسات المسلمين، في بلاد الحرمين ولا محرك ولا مجيب. وكان الشيخ أسامة يخشى أنه إذا لم يقم الناس اليوم، ويتداعوا لدفع صيال العدو عن بلاد الحرمين، فستُنسى القضية، وتضيع في زحمة الزمن ومشاغل الحياة، تمامًا كما ضاعت فلسطين من قبل، فيأتي جيلٌ يخلفه جيل، تكبّله سياسة الأمر الواقع، وسياسة ألّا جدوى، فلا يأبَه كثيرًا، ولا يتحرك له ساكن، فدوى صوت الشيخ أسامة وحسن حديثه وحلاوة منطقه عاليًا، يقول للناس:

تأهب مثل أهبة ذي كفاح ... فإن الأمر جلّ عن التلاح

سألبس ثوبها وأذود عنها ... بأطراف الأسنة والصفاح

أتتركنا وقد كثرت علينا ... ذئاب الكفر تأكل من جناحي

ذئاب الكفر ما فتئت تؤلب ... بني الأشرار من شتّى البطاح

فأين الحر من أبناء ديني ... يذود عن الحرائر بالسلاح

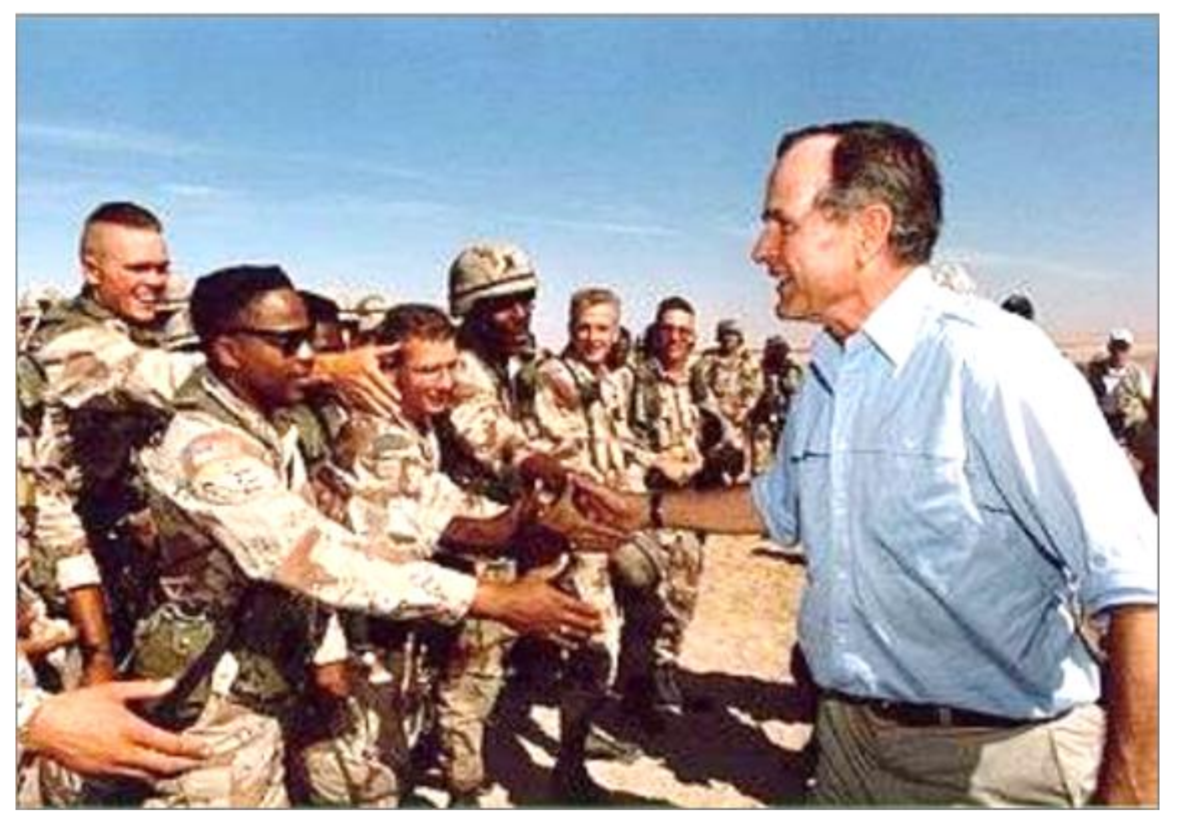
فخير من حياة الذل موت ... وبعض العار لا يمحوه ماحي

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، لا يكاد يترك فرصةً إلا ويحرّض فيها الشباب والمجاهدين على اللحاق بأرض الإعداد والرباط، وعلى الإقدام على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فقد كان يحاضر في المعسكرات، ويعقد الاجتماعات والولائم في أيام الجُمع، وفي حفلات الزواج وفي الأعياد، وفي كل مناسبة يستطيع أن يبلغ فيها رسالة الجهاد والإسلام، وفي إحدى زياراته لمعسكر الفاروق قال مخاطبًا الإخوة المتدربين:

---

(107) جدير بالذكر أن بعض الإخوة الجهاديين من بلاد الحرمين كانوا قد تدربوا في معسكر الفاروق في خوست، وتأثروا بالشيخ أسامة، فقاموا – قبل إعلان البيان الذي أعلن فيه الشيخ أسامة الحرب على الأمريكيين – بسلسلة عمليات نوعية ضد الوجود الأمريكي، فكانت أول تلك العمليات في نوفمبر 1995م، وهي انفجار تمّ في مكاتب البعثة العسكرية الأمريكية في الرياض، أسفر عن مقتل خمسة أمريكيين وهنديين وجرح 60 آخرين.

" أقسم بالله هذا العدد الذي أراه، أرجو الله أن يجعل فيه البركة، إن تصبروا وتتقوا، والله الذي لا إله إلا هو لنأكلنّ بكم الأخضر واليابس والعرب والعجم بإذن الله. نحن اليوم – بفضل الله سبحانه وتعالى – نعيد رسم خريطة العالم الإسلامي، لتصبح دولة واحدة تحت راية الخلافة بإذن الله سبحانه وتعالى، ونحن اليوم – بفضله سبحانه وتعالى – نكتب تاريخًا ناصعًا لأهل الإيمان في هذا الزمن، الذي ادلهمت فيه الظلم، وانتشر فيه الجور والفساد والكفر في مشارق الأرض ومغاربها، فالسعيد من يثبته الله – سبحانه وتعالى – بجوار راية التوحيد"(108).



الرئيس الأمريكي بوش يزور القوات الأمريكية في بلاد الحرمين بمناسبة "عيد الشكر" عام 1990م

(108) فرسان تحت راية النبي، للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.



الملك فهد يتفقّد القوات الأمريكية في بلاد الحرمين مع قائد قوات التحالف الأمريكي، الجنرال شوارزكوف

كذلك أرسل الشيخ أسامة الرسل والرسائل إلى المشايخ والعلماء في باكستان وبلاد الحرمين وغيرها، يذكرهم بفريضة المرحلة، ويطلب منهم أن يقوموا بدورهم وواجبهم في هذا الصدد، وأن لا يتأخروا عن ذلك إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. كذلك تواصل الشيخ أسامة رحمه الله مع كثير من قادة الحركات الجهادية القطرية المتواجدين في أفغانستان وباكستان، يدعوهم للدخول معه في هذا البرنامج، وكان رحمه الله، قد أدرك أن زمن التنظيمات القطرية المحلية قد ولى، وأنه لا يصلح للمرحلة القادمة، وأن الواجب هو حشد الأمة على مواجهة العدو الخارجي ممثلًا بأمريكا، والتركيز على قضيّة إخراجهم من جزيرة العرب، ودمج هذا ببعد الصراع مع اليهود حول فلسطين والأقصى.

كذلك كان الشيخ أسامة – بعد عودتي من الشيشان في أكتوبر 1996م – قد أرسلني مرةً أخرى إلى الشيشان وبحوزتي بيان أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، ورسالة خطيّة وأخري شفوية

للقائـد خطّـاب رحمـه الله، يطلـب منـه الشـيخ أسـامة أن يأتي إليـه هـو وكـل الإخـوة الـذين معـه. وكـان خطّـاب حينهـا قـد توسـع عمـل جماعتـه العسـكري والـدعوي في الشيشـان، ووعـد بإرسـال نائبـه حكـيم المـدني، للتفـاهم مـع الشـيخ أسـامة. وبالفعـل بعـد شـهر مـن تسـليمي الرسـالة، جـاء حكـيم المـدني لمقابلـة الشـيخ أسـامة ومكـث معنـا عـدّة أيام في مجمّـع نجم الجهـاد. وكانـت هنـاك رسـالة شـفوية أخـرى إلى الشـيخ فتحـي (أبـو سـياف) رحمـه الله، يطلـب فيهـا الشـيخ أسـامة مـن الشـيخ فتحـي أن يبـذل جهـده في البحـث عـن مهندسـين متخصصـين في الفيـزياء النوويـة، مـن أولئـك الـذين كـانوا يعملـون مـع الاتحاد السوفيتي قبل تفككه.

كـذلك تواصـل الشـيخ أسـامة مـع مجموعـة الأخ حمـزة الغامـدي العائـدة آنـذاك مـن طاجكسـتان، وكـان مـن بيـنهم الأخـوان المـلّا بـلال (عبـد الـرحيم النّاشـري) فـك الله أسـره، قائـد عمليـة اسـتهداف المـدمّرة الأمريكيـة كُـول في مينـاء عـدن، وابـن أختـه عـزام رحمـه الله، منفّـذ عمليـة السـفارة الأمريكيـة في نـيروبي. كـذلك تواصـل الشـيخ أسـامة مـع كثـير مـن الإخـوة العـرب الـذين كـانوا يقـاتلون الطالبـان جنبًـا إلى جنـب مـع حـزب حكمتيـار، فرجـع كثـير مـنهم - بعـد أن تبـين لهـم الحـق - يقـاتلون في صـفِّ الطالبـان دفاعًـا عـن الإمـارة الإسـلامية. ولم يـنس الشـيخ أسـامة رحمـه الله المتواجـدين في جـلال أباد، الغـير منتسـبين الى أي جماعـة مـن الجماعـات، كـان يـدعوهم ويكـرمهم ويطـرح لهـم رؤيتـه وبرنامجـه للمرحلة القادمة.



القائد الشهيد خطّاب (سامر السويلم) – تقبله الله



الأخ حمزة الغامدي (صالح سعيد آل بطيح) – حفظه الله

وبناءً على هذا التحرّك، تقاطرت على الشيخ أسامة الآلاف من الوفود والزوار، من أفغانستان وباكستان والخليج ووسط آسيا والقوقاز وأوروبا وشرق آسيا لملاقاته والاستماع لدعوته وتوجيهاته، والشيخ لا يدخر وقتًا ولا بيانًا ولا مجهودًا ولا مالًا في شرح قضية جهاد الأمة ضد أعدائها الصليبيين واليهود، وبيان خطرهم والتهوين من قوتهم، وأنهم في الحقيقة جبناء لا يملكون عقيدة ولا خلقًا، وليس لديهم إلا المال والعتاد الذي سرعان ما يفرون عنه عند أية مواجهة حقيقية مع جنود الإسلام[109].

خلاصة دعوة الشيخ أسامة رحمه الله:

وكانت خلاصة دعوة الشيخ أسامة رحمه الله، أن الانشغال بقتال الأنظمة المرتدة، أو الاكتفاء بتقديم النصرة لقضايا المسلمين المختلفة، سيشتت جهود المجاهدين دون جدوى، وسيجعلهم يدورون في حلقة مفرغة، ما أن تنتهي قضية حتى تبدأ أخرى، وأن أمريكا وحلفاءها من القوى الصليبية واليهود هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك، رغم الحق الذي فيها، وعليه فمن الضروري البحث عن هدف استراتيجي لجمع جهود المجاهدين المتناثرة هنا وهناك، وتوجيهها ضد هذا الهدف، واستثمار ذلك كله في ادخال الأمة الإسلامية بكاملها كخصم في معركة ضد القوى المتآمرة عليها، وأن الحل يكمن في وجوب التركيز على جهاد رأس الأفعى أمريكا، التي سيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب، حيث يسهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي، بعد تنظيف المنطقة العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها[110].

وكان القبول لدعوة الشيخ أسامة عجيبًا ومبهرًا، وكان إعجاب الناس بشخصيته غالبًا وآخِذًا للقلوب والأفئدة، فذلك الشخص الذي ترك كل هذه الدنيا خلفه، والذي يحيا هذه الحياة البسيطة المتواضعة، ويتعامل مع الناس بهذه السماحة والأخلاق والأريحية والجود والكرم، ثم هو أيضًا الذي يتحدى أقوى قوة طاغية في العالم، ويدعو الناس بقوة ووضوح وجلاء إلى مقارعتها ومنازلتها، والتصدي لها ولعملائها الخونة والمرتدين بلا مداهنة ولا مداراة ولا لف ولا دوران، وهو

(109) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور ايمن الظواهري.

(110) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

أيضًا الذي أثبت صدقه في دعوته، فما دعاهم لشيء إلا وقد سبقهم إليه؛ دعاهم للترفع عن الدنيا والهجرة والجهاد بعد أن طلق الدنيا وهاجر وجاهد، ودعاهم لدعم الإمارة الإسلامية في أفغانستان بعد أن قاتل في صفوفها وتحت رايتها، ودعاهم لبيعة أمير المؤمنين بعد أن بايعه، ودعاهم لقتال الكفر الأكبر بعد أن نازله، وأعلن الحرب عليه[111].

التواصل مع الصحفيين ووسائل الإعلام:

وحتّى يأخذ البيان انتشارًا وبعدًا إعلاميًا أوسع، قام الإخوة بالاتصال ببعض الإعلاميين المحليين في باكستان، الذين يتمتعون بنوع من المصداقية، ومن المحتمل تعاطفهم مع القضية، والذين من الممكن عن طريقهم بناء قاعدة عريضة من عوام الناس، تقف وتدعم وتساند ما يدعو إليه الشيخ أسامة، فالعوام غالبيتهم قد لا يكونون ملمّين بتفاصيل ما جاء في البيان، لأن صياغته العلمية المنهجية التفصيلية قد لا يستوعبها كثير من الناس، فيأتي دور الصحفي ليتناول ذلك الخبر، ويقدمه للناس بصورة سهلة مبسطة تستوعبها عقولهم، وهذا ما حدث بالفعل، فقد تعاطفت تلك الشعوب الآسيوية المسلمة، من الأفغان والباكستانيين والبنجلاديشيين مع القضية تعاطفًا منقطع النظير، وصار الشيخ أسامة عندهم رمزًا من الرموز الإسلامية المحترمة، ملئت صوره الفوتوغرافية كل مكان، في الأسواق والسيارات والحوائط وعُلقت في البيوت والمكاتب وطُبعت على الأقمصة والفنايل.

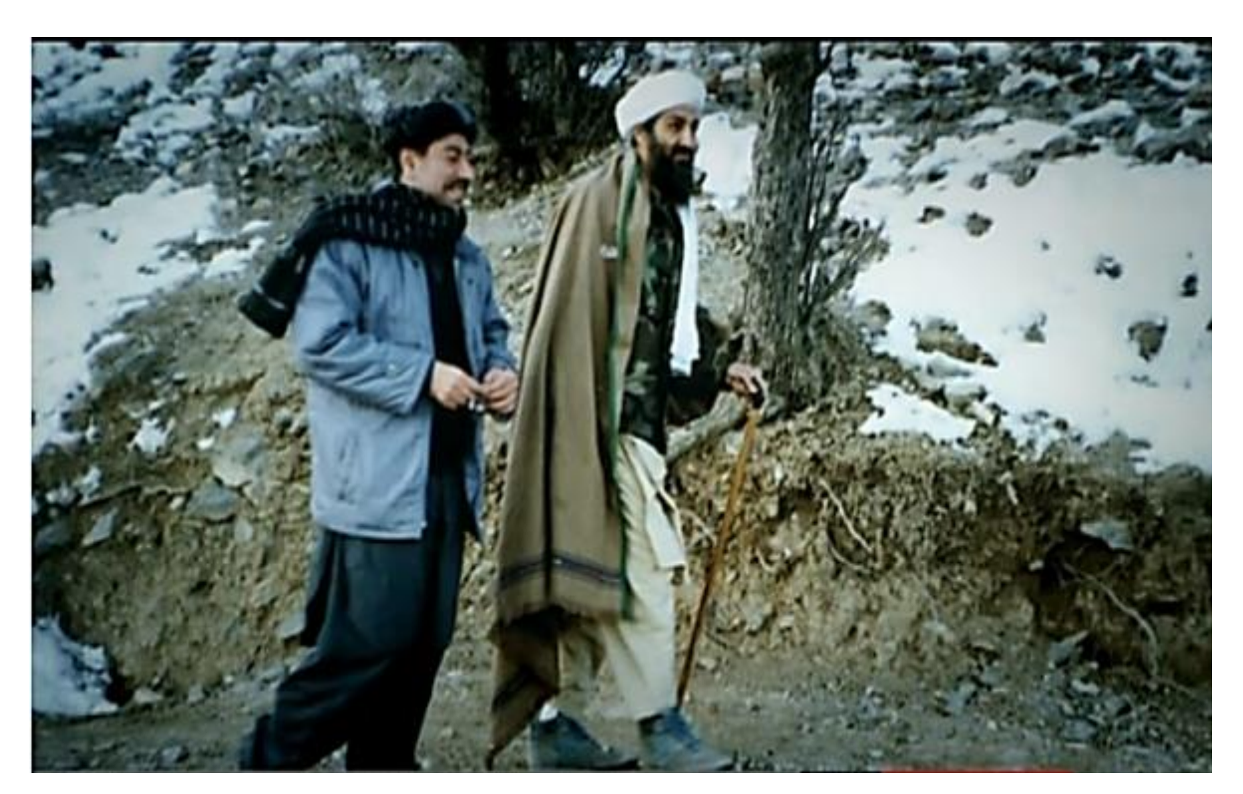
---

(111) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور ايمن الظواهري.

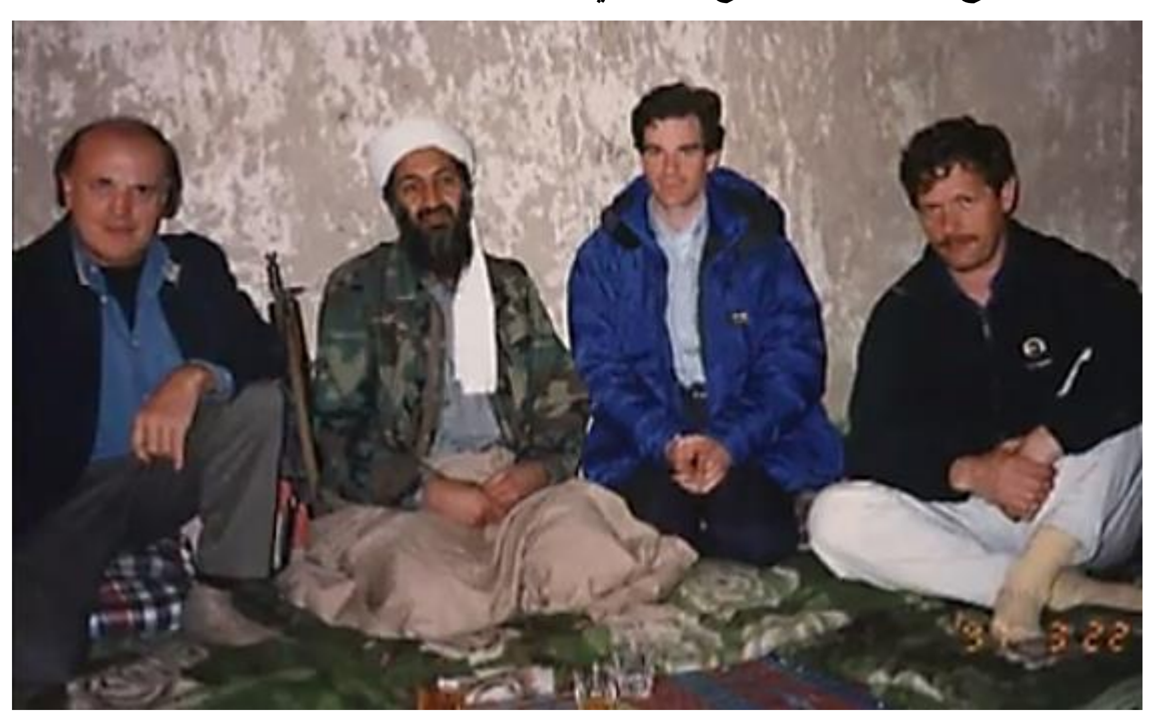


الشيخ أسامة بن لادن أثناء لقائه مع الصحفي الباكستاني حامد مير في جلال أباد

وكان الصحفي عبد الباري عطوان، صاحب جريدة القدس العربي التي تصدر من لندن، أحد الصحفيين العرب الذين اختارهم الإخوة واتصلوا بهم، فجاء عبد الباري إلى جلال أباد في شتاء ديسمبر عام 1996م، وقابل الشيخ أسامة في تورا بورا في ليلة كانت في غاية البرودة والثلج يغطي المكان. وتم اللقاء الذي انبهر فيه عبد الباري بشخصية الشيخ أسامة، ونظرته الشمولية للأمور، بأن الأمة تواجه اليوم عدوًا صائلًا، يجب أن يشترك في دفعه الجميع. وبالفعل أصبح قلم ولسان عبد الباري عطوان كأنه المتحدّث باسم القاعدة، فقد كان لسانه وقلمه سلطًا على أمريكا، وسياساتها الجائرة الظالمة، وأطماعها وسرقاتها لثروات الأمة. ورغم اختلافه معنا في التوجهات والوسائل، كان عبد الباري عطوان عندما يُسأل عن رأيه في عملية من عمليات القاعدة، يجيب إِجابات في غاية الروعة، ويتكلم بإسهاب عن ماهية الدوافع والأسباب التي أدت ابتداءً إلى ذلك العمل، ويدافع عن الشيخ أسامة، وعن تضحياته وتخلِّيه عن معاني الترف والحياة الرغدة، ويتكلم عن حيائه الجم وخلقه الكريم، حتى يظن السامع أنه واحد من أفراد تنظيم القاعدة، رغم أن الزمن الذي التقى فيه عبد الباري مع الشيخ أسامة رحمه الله، كان بضع ساعات قليلة، جزءًا من ليلة وقليلًا من نهار.



الشيخ أسامة بن لادن مع الصحفي عبد الباري عطوان في جبال تورا بورا



لقاء الشيخ أسامة رحمه الله مع فريق قناة ال CNN الأمريكية

وكان الشيخ أسامة يعتقد أنّ الشعوب الغربية تستطيع أن تلعب دورًا محوريًّا في تغيير وتوجهات سياسة حكوماتها، تمامًا كما حدث في فيتنام، فالذي حسم قرار الإنسحاب من فيتنام، ليست

الهـزائم والضـربات العسـكرية الـتي مُـني بهـا الجـيش الأمريكـي – حيـث بلغـت خسـائره في الأرواح 57000 قتيـل – اِنمـا خـروج النـاس في مظـاهراتٍ عارمـة غاضـبة الى الطرقـات، معارضـين ومنـددين بقـرار الـرئيس بفـرض التجنيـد الإجبـاري لمواصـلة الحـرب، ممـا جعـل القضـية تمـس كـل فـرد أمريكـي، فاضـطر الـرئيس الأمريكـي نيكسـون إلى إعـلان قـرار الاِنسـحاب مـن فيتنـام. لـذلك لم يـنس الشـيخ أسـامة أن ينقـل رسـالته للغـرب، وعلـى وجـه الخصـوص أمريكـا المعنيـة بالأمـر في بيـان إعـلان الجهـاد، فأتيحت الفرصة لقناة CNN وقناة ABC الأمريكيّتان.

كـذلك أُتيحـت الفرصـة للقنـاة الرابعـة البريطانيـة، والصـحفي البريطـاني المشـهور في صـحيفة الاندبنـدنت روبـرت فيسـك، وكـان الهـدف مـن مقابلـة هـؤلاء الصـحفيين الغـربيين، هـو إيصـال رسـالة إلى شـعوب الغـرب بصـفة عامـة، وعلـى وجـه الخصـوص الشـعب الأمريكـي، **بأنهـم وبسـبب انتخـابهم لحكومـاتهم الظالمـة الجـائرة في سياسـاتها، وبسـبب احـتلالهم لأقـدس مقدسـاتنا، وبسـبب دفعهـم لأمـوال الضـرائب الـتي تقاتلنـا بهـا حكومـاتهم الداعمـة لليهـود، يكونـون بـذلك هـدفًا مباشـرًا لعمليات المجاهدين، ولا يلومُنّ اِلا أنفسهم وقد أعذر من أنذر.**

كـان صـدى بيـان إعـلان الحـرب علـى أمريكـا كبـيرًا جـدًا في السـاحات الإعلاميـة المحليـة منهـا والعالميـة، فقـد كـان ينـذر بقـرب حـدوث العاصـفة، وتناولـه البـاحثون والمحللـون والناقـدون مـن كـل زواياه، وأدركـوا بحـق أن البيـان لـه مـا بعـده، فقـد كانـت الحمـلات الإعلاميـة الـتي شـنها الشـيخ أسـامة بـن لادن ضـد أمريكـا موضّـحًا عـدوانها علـى المسـلمين، ونداءاتـه المتكـررة لتخلـيص الحـرمين مـن الاحـتلال الأمريكـي والغـربي، ثم إدخالـه بعـدًا جديـدًا إلى دعوتـه، وهـو تبـني القضـية الفلسـطينية ومسـجدها الأقصـى إلى قضـية الحـرمين، وربـط العـدوان الأمريكـي علـى المسـلمين في العـالم بالعـدوان الإسـرائيلي الصـهيوني علـى المسـلمين في فلسـطين، أدت كـل هـذه الحمـلات المركـزة والمنظمـة، وردود الفعـل الهائلـة مـن قبـل وسـائل الإعـلام الأمريكيـة علـى هـذه الحملـة، ودخـول تلـك المواجهـات إلى الفضـائيات الأمريكيـة والعالميـة والعربيـة ولاسـيما قنـاة (الجزيـرة) القطريـة، الـتي لعبـت دورًا محـوريًا في إيصـال هـذا الصـراع الإعلامـي إلى مئـات الملايـين مـن المشـاهدين المسـلمين في العـالم، أدت إلى أن يأخـذ التيـار الجهـادي بعـدًا جديـدًا نحـو عالميـة المرحلـة، رغـم أن معظـم التنظيمـات العربيـة أو كلهـا لم تغـير شـيئًا مـن أهـدافها ولا برامجهـا (القطريـة – السـرية – الهرميـة)، ولم تتحـوّل باتجـاه دعـوة الشـيخ

أسامة حتى اللحظات الأخيرة من العام 2001م، حيث أقحمتها أمريكا قسرًا في هذا الاتجاه[112].

محاولات أمريكا مع القادة الأفغان لتسليم الشيخ أسامة رحمه الله:

حاولت أمريكا - قبل فوات الأوان - عن طريق حليفها البار نظام آل سعود، تدارك الأمر بشتى الوسائل بالترغيب تارّة وبالترهيب أخرى، فأرسل هؤلاء عملائهم على أعلى المستويات في عدة محاولات، ليتفاوضوا مع القائمين على حكومة جلال أباد - وعلى رأسهم الشيخ والعالم الجليل المولوي يونس خالص - على تسليم الشيخ أُسامة. وكان نظام آل سعود قد اعترف آنذاك بحركة طالبان، في محاولة منه لترغيبها وإحراجها للتعاون معه في قضية تسليم الشيخ أسامة.

ففي إحدى المرات، جاء قنصل النظام السعودي سليمان العمري إلى جلال أباد، طالبًا بصلف ووقاحة من الشيخ يونس خالص تسليم الشيخ أسامة، رغم أنهم كانوا في بداية عام 1994م عندما كان في السودان قد سحبوا منه "جنسيّته". وهنا تكشفت معاني الرجولة ومعادن الرجال، فردّ الشيخ الجليل يونس خالص على القنصل المتعجرف بكلمات ستبقى مسطرة بماء الذهب في ذاكرة التاريخ، ستذكرها الأجيال جيل بعد جيل. ردّ عليه قائلًا: (**يا سليمان! نحن الأفغان، لو أن الأنعام من بلاد الحرمين، البقر والغنم والإبل، استجارت بنا لأجرناها، وأحسنّا جوارها وما أسلمناها لأحد، فكيف برجل لم نر منه إلا النصرة والجهاد والعطاء، وهذه قبور إخوانه وشهدائهم في كل ربوع أفغانستان، هذا لا يكون**). فقال سليمان العمري للشيخ يونس خالص: "فليكن في علمك أن الحكومة السعودية تعتبرك مسؤولًا عن كل ما يحصل في السعودية من إرهاب". فقال له الشيخ يونس خالص: "**طيب، إذن أخبرهم أني أنا المسؤول عما يحصل في السعودية**"[113].

وفي زيارة لاحقة للتهنئة بالعيد، ضم الشيخ يونس خالص الشيخ أسامة إلى صدره وقال له - بصوت ملؤه الحب والرحمة، وبنبرة متهدّجة تعلو بحماس لتُظهر القوة، لكنها لا تُخفي بحّة مرتعشة تنمّ عن كبر سن المتحدث – فقال: "لا تظن أني كبرت وأصبح عمري 90 عامًا. بالأمس وُلدت

---

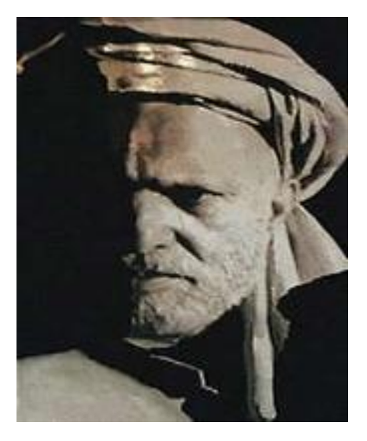
(112) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

(113) الطالبان بين آمال المستقبل ومخاطر المؤآمرة. مجلة المجاهدون.

لي بنت أسميتها مدينة، على اسم مدينة الرسول، ﷺ"، وأضاف رحمه الله: "أنا لا زلت قويًا أقف أمامكم كالدرع أحميكم من أي شيء". وفي إحدى المرات قال للشيخ أسامة: "أنا لا أملك إلا نفسي وهي على عزيزة جدًا، ولكن نفسي دون نفسك، ونحري دون نحرك، وأنت في ضيافتنا ولا يصل أحد إليك، وإذا حصل من الطالبان شيء أخبرني، رغم أن إمكانياتي لوصولهم قليلة ولكن أبذل وسعي"[114]. فرحم الله الشيخ يونس خالص فقد كان رجلًا في زمان عزّ فيه الرجال.

ولم يكن هذا الموقف النبيل الذي وقفه الشيخ يونس خالص هو الموقف الوحيد لأولئك الرجال، بل كانت هناك الكثير من مواقف العزة والإباء التي وقفوها – رغم ضعف قوتهم وقلة حيلتهم – ما تقشعر له الأبدان، ويعجز معها القلم واللسان أن يوفيها حقّها في البيان، سيأتي ذكرها لاحقًا بإذن الله.

بعد تلك المحاولات السلمية، التي لم تُجْدِ نفعًا لتسليم الشيخ أسامة، لجأ حكام آل سعود إلى استخدام القوة، مستخدمين عبيدهم من المنافقين، ومن باع دينه بعرض من الدنيا قليل. وكان بطل هذه المحاولة هو حجّي قدير والي ولاية ننجرهار، عليه من الله ما يستحق.



حجي قدير – أخزاه الله

وكان حجّي قدير قد أرسل برسالة إلى الشيخ أسامة في تورا بورا، يخبره فيها بأنه يودّ مقابلته في أقرب فرصة في مبنى الولاية في مدينة جلال أباد. وكان مخطط حجّي قدير الذي توجّس منه الشيخ أسامة والإخوة هو احتمالية اعتقاله ومن معه والهروب بهم إلى كابل التي كانت تحت سيطرة حكومة رباني وأحمد شاه مسعود. وكان رباني – بعد أيام قليلة من عودة الشيخ أسامة إلي

(114) نقلًا عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

أفغانستان- قد أعلن عن عزمه إلقاء القبض على الشيخ أسامة وتسليمه الى نظام آل سعود في أول فرصة يتمكن فيها من ذلك.

وكان حجّي قدير يدرك أنّ جلال أباد لا محالة ساقطة في أيدي الطالبان، فأراد تنفيذ ذلك المخطط قبل دخولهم، لكن يأبى الله إلا أن يدافع عن المؤمنين، ويجعل لهم من كل ضيق مخرجًا، ومن كلّ همٍّ فرجًا. وكان الشيخ أسامة قد استشار كل الإخوة المتواجدين في الجبل حول الذهاب لمقابلة الوالي أم عدمه، فكان القرار الذهاب لكن مع أخذ الحيطة الشديدة والحذر. وفي نفس الصباح الذي كان من المفترض أن يتحرك فيه الشيخ أسامة الى جلال أباد لمقابلة الوالي، جاءت الأخبار بأن حجّي قدير قد هرب الى كابول، لأن الطالبان كانوا يحتشدون في بوّابة طورخم الحدودية استعدادًا لاجتياح جلال أباد، فخرج بعض الإخوة للتأكد من صحة الأخبار، فشاهدوا في الطريق حركة غير معهودة من السيارات عليها مسلحين متجهين صوب جلال أباد، فعلم الإخوة بعد السؤال أنهم ذاهبين لتأمينها وحمايتها من أي فوضى قد تحدث، فتأكد الإخوة من صحة الأخبار، وحمدوا الله كثيرًا أن سلّم الشيخ أسامة وردّ كيد الظالمين.

مقتل القادة ودخول الطالبان جلال أباد:

وكان بعض قيادات مجلس شورى جلال أباد وعلى رأسهم القائد سازنور والجنير محمود وغيرهم، قد تحركوا في صباح ذلك اليوم في قافلة من السيارات متجهين صوب نقطة طورخم الحدودية، لاستقبال وفود الطالبان وتسليم زمام الأمور والقيادة لهم، لكن كان هؤلاء القادة على موعد آخر من أقدار الله، فقد كان في منتصف الطريق بين جلال أباد وطورخم نقطة حاكمة مسيطرًا عليها أحد المنافقين، كان أخًا للمدعو "شِمالي". وكان شِمالي هذا واحدًا من أئمة النفاق المشاكسين في جبهة جلال أباد أيام الجهاد الأول، يثير دائمًا المشاكل والفتن والبلابل في الجبهة، فتداعى عليه قادة الجهاد حينها - وكان من ضمنهم إنجنير محمود والقائد سازنور - فقتلوه، فأراد أخو شِمالي المسيطر على هذه النقطة أن يثأر لأخيه، وبالفعل أوقف القافلة، وأمر الجنير محمود والقائد سازنور بالترجل من السيارات والدخول معه الى داخل النقطة، فرفضوا الإمتثال لأمره، لأنهم كانوا على يقين بأن الرجل يضمر شرًا، وبالفعل لم يمهلهم أخو شِمالي طويلًا فعاجلهم، وأمر رجاله بفتح النار على السيّارات، فحدثت فوضى كبيرة قُتل على إثرها الكثير ممن كان في القافلة،

علـى رأسـهم إنجنـير محمـود والقائـد سـازنور الـذي ضُـربت سـيارته بقذيفـة آر بي جـي فاحترقـت، ولاذ بعدها أخو شِمالي بالفرار قبل وصول قوات طالبان الى مسرح الحدث.

كـان وقـع هـذا الحـدث – بالـرغم مـن تزامنـه مـع فرحـة دخـول طالبـان إلى مدينـة جـلال أباد – شـديدًا جدًا ومؤلمِا ومحزنًا على كـل الاِخـوة، وعلـى رأسـهم الشـيخ أسـامة بـن لادن رحمـه الله، فقـد كـان لهـؤلاء الرجـال فضـلًا ومكـانًا كبـيرًا في القلـوب، لمـا بـذلوه وقـدموهم منـذ السـنوات الأولى للجهـاد لنصـرة ديـن الله والمستضـعفين مـن المـؤمنين، فلـم يغـيروا ولم يبـدّلوا كمـا فعـل غـيرهم، ولم يخوضـوا أبـدًا في فتنة القتال بين الأحزاب، فمضوا الى ربهم صابرين محتسبين أطهار نحسبهم كذلك والله حسيبهم.

ومـا أن دخلـت قـوات طالبـان جـلال أباد في 1996/9/11م حـتّى تـنفّس النـاس الصـعداء، وعمّـت الفرحـة والشـعور بالأمـن والأمـان كـل القلـوب، فقـد كـان لوجـود طالبـان في كـل مكـان يُحِلّـون فيـه خشـية ورهبـة في قلـوب أعـدائهم، فهـرب كـل مـن كـان في قلبـه مـرض مـن السُـرّاق وقطّـاع الطريـق وتجار الحروب.

لم تكـن هـذه هـي المـرة الأولى الـتي يتعـرّف فيهـا الاِخـوة علـى حركـة طالبـان، فقـد تواصـل معهـم قبـل ذلـك – عنـدما كـان الشـيخ أسـامة في السـودان – الاِخـوة القـائمين علـى أمـر المعسـكرات في خوسـت، وهـم أبـو عطـا التونسـي رحمـه الله، وأبـو الفـرج الليـبي فـك الله أسـره. وكـان هـؤلاء الإخـوة قـد نقلـوا عـن طالبـان صـورةً طيّبـة مغـايرة لتلـك الـتي كانـت سـائدة في أذهـان كثـير مـن الاِخـوة، مـن أنهـم صـنيعة أمريكيـة علـى أيـدي المخـابرات الباكسـتانية، فقـد كانـت خوسـت مـن أوائـل الـولايات الـتي سـيطر عليهـا طالبـان، وتواصـلوا بعـدها بإخواننـا في المعسـكرات، ليطمئنـوهم ويخـبروهم بأنهـم جماعـة قامـت لتقـوم بواجـب الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر والفسـاد، الـذي كـان قـد استشـرى في كـل أفغانسـتان بواسـطة السـراق وقطـاع الطريـق وتجـار الحـروب، وأنهـم لا يسـعون لإغـلاق المعسـكرات أو الحـدّ مـن نشـاطها، رغـم أن بعـض العـرب الـذين كـانوا مـع الحـزب الاِسـلامي حكمتيـار، كـانوا يقـاتلون الطالبـان. كانـت هـذه هـي الصـورة المشـرقة لحركـة طالبـان في أذهـان إخواننـا عنـدما دخلـوا جـلال أباد، وتأكـد لهـم ذلـك بعـد يـوم أو يـومين مـن سـيطرة الحركـة علـى جـلال أباد، عنـدما جـاء رسـولٌ مـن الحركـة لمقابلـة الشـيخ أسـامة في تـورا بـورا، ليخـبره بأنـه حـلّ أهـلًا، ونـزل سـهلًا وعزيـزًا وضـيفًا مكرّمًـا، ولا خوف عليه من جانبهم، فليعش آمنًا مطمئنًا في بلده الثاني أفغانستان.

وبعد أن استتب الأمر لطالبان في جلال أباد مرت وفودهم مسليّةً على الشيخ أسامة، ومجددةً ومؤكدةً له حسن الجوار، وسمع الإخوة في هذه الزيارات من أفواه أولئك الرجال ما يثلج الصدور، ويذرف العيون من الفرحة والبهجة، لِما رأوا من النصرة والحماية، وكان مما قاله أحد قادة الطالبان للشيخ أسامة: "**يا شيخ بلادنا هذه ليست أرض الأفغان، إنها أرض الله، وجهادنا هذا لم يكن جهاد الأفغان وإنما جهاد المسلمين، وهؤلاء شهداؤكم في كل البلاد تشهد قبورهم، وأنتم بين أهليكم وذويكم، ونحن نبارك التراب الذي تمشون عليه**"[115].

اللقاء الأول مع أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله[116]:

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، أثناء وجوده في جلال أباد، قد قام برحلتين إلى قندهار للقاء أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، وصحب الشيخ في رحلته الأولى الشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ سيف العدل، والأخ أبو طارق التونسي، وأبو زياد الموصلي، ومُحَّد رحيم الأفغاني، وفضل الرحمن الباكستاني، ومفتي عبد الرحيم الباكستاني، وقد حضر لاصطحابهم بالهليكوبتر من قندهار الملا أختر منصور، الذي أصبح أميرًا للمؤمنين بعد وفاة الملا عمر، رحمهما الله. وهمس الشيخ أسامة رحمه الله في أذن الشيخ سيف العدل قائلا له: "لن أملك دموعي عندما أرى أمير المؤمنين، وسوف أقبّل رأسه".

وبعد الدخول على الملا عمر عرّف بينهما الملّا منصور، فرحب الملّا عمر بالشيخ أسامة، وعبر له عن سروره باستضافته وتشرفه وتشرف طالبان بالدفاع عنه، أولًا كضيف عربي كريم، وثانيًا كمجاهد قاتل معهم في حرب أفغانستان. وبدا أن الملّا عمر كان متوعكًا فقد نهض من سريرٍ حديدي خاص بالمستشفيات القديمة جدًا، مكسو بملاءة بيضاء عليها بطانية سوداء زهيدة السعر، وكان أمير المؤمنين رجلًا نحيفًا يرتدي لباسًا أفغانيًا زهيد القيمة، غامق اللون، معتمرًا عمامة سوداء لفها حول رأسه على الطريقة القندهارية.

وفي غرفة متواضعة فرشت بتواضع شديد جلس الجميع، وبدأ الشيخ أسامة يعرض قضيته على أمير المؤمنين الملّا عمر، والرجل ينصت باهتمام شديد، وفي نفس اللقاء تحدث أمير المؤمنين عن التحديات الخطيرة التي تواجه الطالبان بعد دخول كابول، وخاصة مواجهة قوات عبد الرشيد

---

(115) الطالبان بين آمال المستقبل ومخاطر المؤامرة. مجلة المجاهدون.

(116) نقلًا عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

دُوستم، وقال للشيخ أسامة إنه قد يكون من الأولى تخفيف الحملة الإعلامية، وأن ذلك مجرد طلب وليس أمرًا إلزاميًا، فرد عليه الشيخ أسامة بأنه قرر التخفيف أو التجميد الكامل للنشاط الإعلامي لفترة حتى قبل أن يطلب منه، فارتاح الملّا عمر لذلك.

كان ذلك هو اللقاء الأول بين أمير المؤمنين والشيخ أسامة رحمهما الله، أعقبه بعد فترة لقاء آخر تم على مدرج مطار قندهار تحت جناح إحدى الطائرات الروسية العتيقة، حيث فرش حرس أمير المؤمنين الملّا عمر أرديتهم (البتّو)، وجلس الجميع وتحاور الرجلان، وكان يترجم بينهما في الرحلتين الأخ مُحَّد رحيم الأفغاني(117)، فك الله أسره.

أمير المؤمنين الملّا عمر – رحمه الله

ومن الزيارات المهمة لبعض قادة طالبان للشيخ أسامة في جلال أباد كانت زيارة وزير المالية المولوي إحسان الله إحسان رحمه الله، فبعد أن اعتنق المولوي إحسان الله الشيخ أسامة على الطريقة الأفغانية، قام بإخراج مفتاح سيارته وسلاحه (مسدس مكروف مع الحزام)، ووضعهما بين يدي الشيخ أسامة، وقال له: "هذا الذي معي وأحب أن تكون لك". وبعد طول شكر من الشيخ أسامة، ومحاولات جاهدة لإعادة الهدية لصاحبها، استقر الأمر على قبول المسدس وإعادة السيارة.

---

(117) من قدامى المجاهدين، ومن الإخوة الأفغان الثقات، الذين كان الشيخ أسامة يعتمد عليهم في الترجمة وفي قضاء الكثير من الأمور، حاليًا أسير منذ عام 2008م، في معتقل جوانتانامو في معسكر 7 المخصص للأسرى الذين تصنّفهم الولايات المتحدة بأنهم ذو أهميّة عالية، نسأل الله أن يعجّل بفكاك أسرهم جميعًا.

ومـن المواقـف المشرّفة أيضًـا للمولـوي إحسـان الله، ذلـك الحـوار الـذي دار بينـه وبـين سـفير النظـام السـعودي العمـري، عنـدما قـال الأخـير: "أتحمـون أسـامة وتعارضـون أمريكـا؟ ألا تـدري أن مـن يعـارض أمريكـا لا يمشـي علـى الأرض". فـرد عليـه المولـوي إحسـان الله رحمـه الله قـائلًا: "**لقـد تعلمـت مـن ديـني أن هنـاك أشـياء لا تصـرف لغير الله عـز وجـل. فهـو سـبحانه الـذي يعـز ويـذل، ونحـن لـن نُسلِم مسلمًا لكافر. فإن كانت أمريكا هذه تقدر على شيء فلتفعله**"[118].

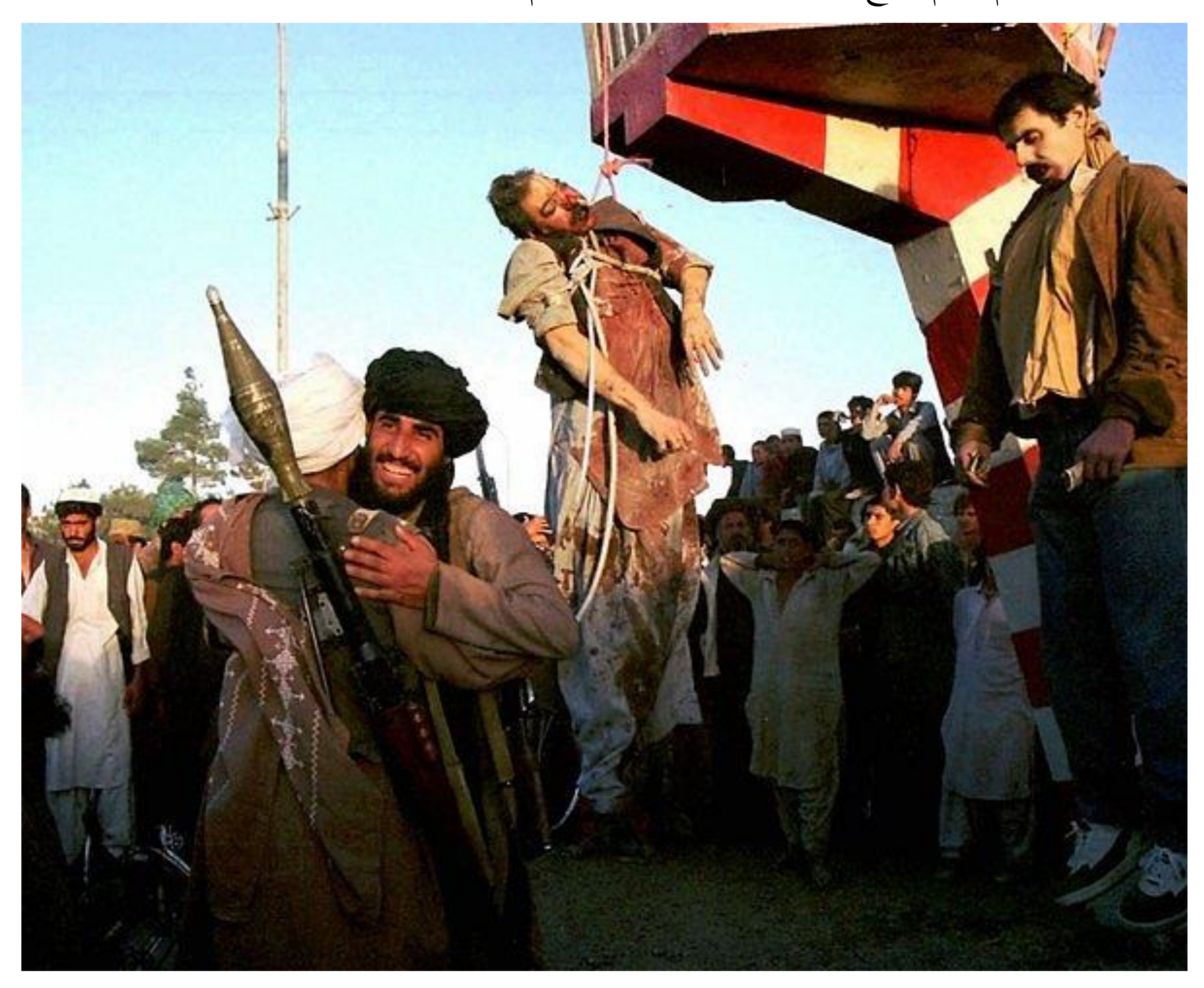
تركـت هـذه الـزيارات واللقـاءات الـتي قـام بهـا الشـيخ أسـامة أثنـاء تواجـده في جـلال أباد مـع كبـار المسـؤولين مـن قـادة طالبـان وعلـى رأسـهم أمـير المـؤمنين المـلّا عمـر، اِنطباعًـا طيبًـا ومبشّـرًا في نفسـه لطبيعـة المرحلـة القادمـة، ومـا تقتضـيه مـن تبعـات تحتـاج الى مثـل هـذه النمـاذج مـن الرجـال، الـتي هـي أثبـت وأرسـخ في مواقفهـا مـن الجبـال، ولا تهزهـا العواصـف والمحـن، ولا يسـيل لعابهـا لعـرض مـن الـدنيا فتبيـع دينهـا بـدنياها. رجـال أشـبه مـا يكونـون بالأنصـار الأوائـل الـذين بايعـوا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلّم علـى أن يمنعـوه ويـؤوه وينصـروا ديـن الله علـى قتـل أشـرافهم وهلكـة أمـوالهم. وبالفعـل صـدق هـؤلاء الرجـال مـا عاهـدوا الله عليـه، فضـربوا أروع الأمثلـة في الـولاء للمـؤمنين والـبراءة مـن الكـافرين، فـدفعوا ثمنًـا لـذلك ذهـاب ملكهـم ودولـتهم، لكـن تبقـى تلـك المواقـف مدوّنـةً بمـداد مـن نـور في ذاكـرة التـاريخ شـاهدًا علـى صـورة مثاليـة مـن عـزة وإباء المسـلمين، عنـدما يستمسـكون بـدينهم وينصـرون شريعة ربهم.

سقوط كابل في أيدي الطالبان:

كـان سـقوط كابـل في أيـدي الطالبـان في 27 سـبتمبر عـام 1996م انتصـارًا وفتحًـا عظيمًـا ومنّـة مـن الله عـز وجـل لأولئـك الرجـال الـذين تحـالف ضـدهم كـل الفرقـاء مـن أحـزاب المجاهـدين السـابقة، الـذين كـانوا بالأمـس يتقـاتلون فيمـا بيـنهم، وذاقـت كابـل مـن ظلمهـم وفسـادهم الـويلات. ولم يكـن هنـاك مـن هـدف يجمـع هـؤلاء الفرقـاء سـوى قتـال طالبـان ومـنعهم مـن دخـول كـابول. فتحـالف الشـيعة وبقـايا الشـيوعيين بقيـادة عبـد الرشـيد دُوسـتم وأحمـد شـاه مسـعود مـع عـدوهم التقليـدي اللـدود حكمـت يار، وانضـم إلـيهم عبـد رب الرسـول سـياف الـذي كـان يقاتـل الشـيعة الهـزارة، ووجـه نـيران أسـلحته ليقاتـل إخوانـه مـن أهـل السـنة الطالبـان. لكـن يأبى الله إلّا أن يطهّـر كابـل مـن دنـس

(118) نقلًا عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

المفسدين، فولى جمعهم الدبر إلى الولايات الشمالية ووادي بنشير. وفي نفس ليلة دخولها كابول، اقتحمت بعض قوات طالبان مبنى الأمم المتحدة، وأخرجوا منه عميل الروس نجيب الله، الذي كان آخر رئيس لآخر حكومة ماركسية في أفغانستان، ولجأ إلى الأمم المتحدة ظنًّا منه أن حصونها الدبلوماسية ستمنعه من إقامة حكم الله فيه والقصاص العادل منه، ولكن هيهات، فقد عُلق مع أخيه بعد قتلهما ليراهم العالم أجمع، وليكونا عظةً وعبرةً لأمثالهم.



القصاص العادل لجزّار كابل عميل الروس، الرئيس الأفغاني السابق نجيب الله وأخيه

مغادرة جلال أباد إلى قندهار:

كانت المحاولة الثانية للنيل من الشيخ أسامة في جلال أباد خطة مفادها أن أحمد شاه مسعود قرر القيام بعملية عسكرية للقبض على الشيخ أسامة رحمه الله أو تصفيته. وكان برهان الدين رباني – قبل سقوط كابل – قد أعلن عن عزمه على إلقاء القبض على الشيخ، وتسليمه الى نظام آل سعود في أول فرصة يتمكن فيها من ذلك.

كانت تلك المحاولة في شهر أبريل من عام 1997م، وذلك عندما أسر الطالبان قافلة من السلاح في شِعب من شِّعاب جلال أباد الجبلية. وكان الجميع في ذلك اليوم يحتفلون بزواج الأخ أبي عطا التونسي رحمه الله، عندما جاءت الأخبار بأن يأخذ كل من في المجمع الحيطة والحذر، لأن المجمّع مستهدف بعملٍ عسكري، بناءً على المعلومات التي أدلى بها من أُسر في تلك القافلة. فأصدر الشيخ أسامة رحمه الله أوامره لكل أفراد المجمّع، بأن يكونوا في السلاح والجُعب، وعلى درجة عالية من الِاستعداد لأي طارئ قد يحدث. ومرّت تلك الليلة بسلام، لكن كان هناك تطور آخر أخذ مجراه في الصباح بناءً على تلك الأخبار.

ففي اليوم التالي، وبعد الفراغ من صلاة الفجر مباشرة، تكلم الشيخ أسامة بصورة مختصرة، موضّحًا أنه قد جاء أمر من أمير المؤمنين بإخلاء المجمع فورًا والتحرك الى قندهار، فأعطى الشيخ أسامة مهلة ساعتين فقط لكل الِاخوة بأن يجهزوا أنفسهم للرحيل، بما خفّ وغلا من أغراضهم الضرورية فقط. وبالفعل ما هي اِلا ساعات قلائل في ذلك الصباح، كان جميع الإخوة قد غادروا فيها جلال أباد في قافلة من الباصات الصغيرة متوجهين صوب كابول.

كان المشهد محزنًا لجميع الإخوة ومفرحًا في نفس الوقت، كان محزنًا لمفارقة جلال أباد وأهلها الطيبين، وعلى رأسهم الشيخ يونس خالص، ومعلّم أول جل رحمهم الله وغيرهم. فرغم الأشهر القلائل التي قضوها هناك في تورا بورا، والقرية الصغيرة مجمّع نجم الجهاد، إلا أنها كانت من أحبّ الأيام إلى قلوبهم. وكان المشهد مفرحًا لأنهم قريبًا سيستقر بهم الرحال، ويكونون بجوار أولئك الرجال في قندهار، بين أمير المؤمنين ورفاق دربه الميامين، الذين أعادوا للدين مجده وعزّته، بل وحتى ألفاظه التي غابت عن ذاكرة الأمة ردحًا من الزمان، كأمير المؤمنين والإمارة الِاسلامية وغيرها.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله قبل التحرّك الى قندهار - أثناء فترة الِانتظار في كابل حتّى يصفو الجو من الغيوم - قد أوصى كل الِاخوة بأن يراعوا عدم إثارة الفوارق المذهبية بين المذاهب، مثل الجهر بالتأمين في الصلاة الجهرية، ووضعية قبض اليدين أثناء القيام في الصلاة، ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه[119]... الخ لأنهم ذاهبين الى عقر دار الطالبان الذين يلتزمون بالمذهب الحنفي.

---

(119) قال شيخ الإسلام رحمه الله–أثناء كلامه على بعض المستحبات ومنها مسألة البسملة في الصلاة والجهر بها: (ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف هذه

العظات والعبر من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة بعدم إثارة الفوارق المذهبية:

لعل أعظم عظة وعبرة يمكن أن نقف عليها من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة هي: **ما كل حقٍ يُقال في كل وقت ولكل أحد**؛ فهذه القاعدة العظيمة قد شذّ عنها كثير من الناس بحسن نيّة أو بسوئها، مما ترتب عليها كثير من المفاسد وخاصّة في مواطن الجهاد. فكان الشيخ أسامة رحمه الله، يذكّر الإخوة بأنّ التعصب على الإتيان بتلك السُنن قد يوغر الصدور عند العوام، وقد يؤدّي إلى فساد ذات البين وهو الحالقة التي تحلق الدين، فالمحافظة على سلامة الصدور ووحدة صف المسلمين أولى من إقامة السُنن.

ولم تكن تلك النصيحة من الشيخ أسامة نابعةً من فراغ، بل كانت مبنيةً على تجارب سابقة حدثت من كثير من الإخوة العرب المتعصّبين بسبب قلة الفقه وترتيب الأولويات أدّت الى مشاحنات أوغرت الصدور بين المجاهدين، وكانت مفسدتها أعظم من مصلحتها وفوّتت بذلك كثيرًا من الخير.

وفي السنن، عنه ﷺ قال: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ. وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّين) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه والترمذي في كتاب صفة القيامة من سننه. وجاء في صحيح مسلم: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى 28/50: "تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنهم هم أهل الفرقة." ا. هـ

القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا).

التحرك إلى قندهار:

كان المخطط له بعد الوصول الى كابل أن تسافر العائلات بالطائرة، وأن يسافر الشيخ أسامة وفريق حراسته بالسيارات برًا إلى قندهار. ونسبة لسوء الأحوال الجوية وتلبّد السماء بالغيوم، فقد تأخر سفر العائلات يومان حتى انقشعت الغيوم. وكان السفر إلى كابل آنذاك، يتم بواسطة طائرات نقل عسكرية روسية قديمة، تعتمد إلى حد ما على الرؤيا العينية في خط سيرها. وأثناء تحليق طائرة العائلات في الجو، حدث أمرٌ كاد أن يؤدّي بالطائرة ومن عليها لولا لطف الله وستره. فقد كان عبد الرحمن بن الشيخ أسامة يرتدي جُعبته، وأثناء تحركه ومحاولة جلوسه في الطائرة، انتزع شيء ما في جسم الطائرة حلقة أمان القنبلة وتعلقت به، وظل مقبض القنبلة ممسوكًا داخل جيبها الضيّق.

يقول عبد الرحمن: "أثناء جلوسي انتابني إحساس بأن القنبلة منزوعة الأمان، فنظرت اليها فاذا هي كذلك، فأمسكت بمقبض القنبلة بيدي وهي ما تزال في الجيب، وناديت الشيخ أبا حفص الكمندان وأخبرته بالأمر". وبهدوء تام أخرج الشيخ أبو حفص القنبلة من جيب جُعبة عبد الرحمن، ثم ذهب بها الى كابينة القيادة ليطلب منهم مسمارًا أو شيئًا يؤمّن به القنبلة. وعندما دخل الشيخ أبو حفص على الطيارين ورأوه ممسكًا بالقنبلة، دبّ الفزع في قلوبهم وظنوا أن الشيخ يهددهم، فقالوا له بالفارسية وهو لا يفهم شيئًا: "ماذا هناك كل شيء يسير على ما يرام، فهذا هو الطريق الى قندهار الذي نطير فوقه". وبالفعل كانت طائرات النقل العسكرية القديمة، تطير فوق الطريق ذهابًا وإيابًا بين كابل وقندهار. فأوضح لهم الشيخ بالإشارة أنه يبحث على شيء يؤمّن به القنبلة، ففهموا أخيرًا حقيقة الأمر. وكان أحد الطيارين قد فتح كوة صغيرة في قمرة القيادة، وطلب من الشيخ أبي حفص أن يعطيه القنبلة ليرميها من الكوّة، غير أن الشيخ رفض ذلك خشية أن تصيب شظية منها إذا انفجرت جسم الطائرة، فبحثوا في الطائرة حتى وجدوا حلقة أمان القنبلة وتمّ تأمينها، ولله الحمد والمنّة.

أمّا قافلة الشيخ أسامة فقد كانت مكونة من أربعة سيارات بك أب، تحركت لتقطع مسافة 500 كيلو متر حتى قندهار في 24 ساعة متواصلة من السفر الشاق، ولم تكن القافلة تتوقف في الطريق إلا لأداء الصلاة والتزود بالطعام والوقود. وكان معظم الطريق إلى قندهار غير معبّد، ومموّج

كأمواج البحر، تسير فيه السيارة ببطء شديد، وأثناء الطريق في بعض المناطق كانت هناك علامات حمراء، تدل على أنّ المنطقة ملغومة يجب الإِبتعاد منها.

نبذة قصيرة عن كيفية نشوء حركة طالبان:

كانت إذاعة "صوت الشريعة" في قندهار، الناطقة باسم حركة طالبان، قد بثّت في تسجيل صوتي لأمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله، يروي فيه قصة نشوء حركة طالبان، وجاء في التسجيل ما نصّه:

"كنت أدرس في مدرسة ببلدة سنج سار بقندهار مع حوالي 20 من زملائي الطلاب، فسيطر الفساد على الأرض، واستشرى القتل والنهب والسلب، وكان الأمر بيد الفسقة والفجرة، ولم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال، ولو فكرت أنا أيضًا وقلت في نفسي (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) لكفتني هذه الآية، ولتركت الأمر لأنه لم يكن في وسعي شيء، لكنني توكلت على الله التوكل المحض، ومن يتوكل على الله هذا النوع من التوكل، لا يخيب أمله أبدًا.

ولعل الناس يتساءلون: متى بدأت الحركة؟ ومن كان وراءها؟ ومن يمولها؟ ومن يوجهها ويديرها؟

وأقول: بداية الحركة أنني طويت الكتب في المدرسة في سنج سار، وأخذت معي شخصًا آخر وذهبنا مشيًا على الأقدام إلى منطقة زنجاوات، واستعرت من هناك دراجة نارية من شخص اسمه سرور، ثم ذهبنا إلى تلوكان. هذه هي بداية الحركة، وأخرجوا كل تصور غير هذا من أذهانكم.

بدأنا نزور الطلاب في المدارس وحلقات الدرس في صباح ذلك اليوم، وذهبنا إلى حلقة درس يدرس فيها حوالي 14 شخصًا، فجمعتهم في دائرة حولي وقلت لهم: "إن دين الله يداس تحت الأقدام، والناس يجاهرون بالفسق، وأهل الدين يخفون دينهم، وقد استولى الفسقة على المنطقة كلها، يسلبون أموال الناس، ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة، يقتلون الإنسان ثم يسندونه إلى حجر على قارعة الطريق وتمر به السيارات، ويرى الناس الميت ملقى على قارعة الطريق، ولا يجرؤ أحد على أن يواريه التراب.

قلت لهم: لا يمكن الاستمرار في الدراسة في هذه الظروف، ولن تحل هذه المشكلات بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم نحن الطلبة ضد هذا الفساد، إن أردتم العمل لدين الله حقيقة فلنترك الدراسة. وأصارحكم القول، بأنه ما وعدنا أحد أن يساعدنا بروبية واحدة حتى لا تظنوا أنا

سنوفر لكم الطعام، بل سنطلب الطعام والمساعدة من الشعب. قلت: إنّ هذا ليس عمل يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة، بل سيأخذ وقتًا طويلًا. هل تستطيعون القيام بذلك أم لا؟ وكنتُ أشجعهم وأقول لهم: إن هذا الفاسق الجالس في مركزه مثل القدر الأسود لشدة الحر (وكانت تلك الأيام شديدة الحرارة)، يحارب دين الله علانية، ونحن ندعي أننا من أهل دين الله، ولا نستطيع أن نقوم بعمل شيء لنصرة شرعه.

قلت لهم: إننا إن فتحنا منطقة سندافع عنها، ثم لا تعترضوا لعدم وجود دراسة أو لعدم توفّر المال والسلاح، فهل تستطيعون القيام بهذا العمل. أم لا؟ فلم يوافق أحد من هؤلاء ال 14 على القيام بهذا العمل، وقالوا: يمكن أن نقوم ببعض الأعمال أيام الجمعة، فقلت لهم من سيقوم به في الأيام الأخرى؟ أشهد الله على أن الحقيقة هي هذه، وأنني سأشهد بذلك أمام الله عز وجل يوم الحشر. هذه الحركة نتيجة التوكل المحض، لأنني لو قست على هذه الحلقة باقي المدارس والحلقات لعدت إلى مدرستي، لكنني وفيت بالعهد الذي كنت قطعته على نفسي لله تعالى فعاملني بما ترون.

ثمّ ذهبت إلى حلقة درس أخرى وكان فيها حوالي 7 طلاب، فعرضت الأمر عليهم كما عرضته على طلاب حلقة الدرس الأولى، فاستعد الجميع للعمل. هؤلاء كلهم أمة واحدة، لم تكن بينهم فروق الشباب والشيخوخة أو الطفولة والشباب أو الذكورة والأنوثة، لكن هذا العمل كان مبنيًا على حكمة من الله تعالى، فأوقعني منذ بدايته في الامتحان، فتجولنا على هذه الدراجة إلى صلاة العصر على المدارس وحلقات الدرس، حتى استعد 53 شخصًا من أهل التوكل المحض، فعدت إلى مدرستي وقلت لهم: تأتون غدًا الصباح، لكنهم جاءوا في الساعة الواحدة ليلًا إلى سنج سار، فكانت هذه هي البداية.

إن العمل بدأ قبل أن تمضي على الفكرة 24 ساعة، وكان أحد أصدقائي يصلي بالناس، فلما صلى بهم صلاة الفجر قال أحد المأمومين، إنني رأيت الليلة في المنام أن الملائكة دخلت إلى سنج سار، وكانت أيديهم ناعمة، فطلبت منهم أن يمسحوني بأيديهم (للتبرك). وطلبنا في صباح الغد الساعة العاشرة سيارتين من الحاج بشر أحد تجار المنطقة، فأعطانا سيارتين سيارة صغيرة وسيارة شحن كبيرة، فنقلنا هؤلاء الطلاب إلى منطقة "كشك نخود " وانضم إلينا آخرون، ولما كثر العدد استعرنا الأسلحة من الناس، فكانت هذه بداية هذه الحركة حتى استمرت". ا. هـ[120]

(120) أرشيف البتّار – لموقع مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

الدروس المستفادة من قصة أمير المؤمنين:

لا شك أن في رواية أمير المؤمنين بنفسه لكيفية نشوء حركة طالبان، دروسًا عمليةً قيّمة لا حصر لها من دروس التوحيد، ستظل دومًا حُجّة بالغة على أدعياء التوحيد. ولن تسع كتب ومجلّدات لاستخراج العظات والعبر المستفادة من هذه الدروس، ناهيك عن هذه الأسطر، التي ما هي إلّا مجرّد خطوط عريضة على بعض كلمات أمير المؤمنين، لدراستها والوقوف على مدلولاتها بتأنٍ، وهي:

1- توكّل أمير المؤمنين التوكّل المحض على الله عزّ وجل، وثقته ويقينه المطلق فيه سبحانه وتعالى، بأنه لا يُخيّب من توكل عليه – وإن كان رجلٌ واحد - هذا النوع من التوكّل لتغيير واقعٍ مستحيل التغيير وصفه أمير المؤمنين بقوله: "**لم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال**". فأمير المؤمنين رحمه الله، لم يقل كما قال كثير من الناس: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ولكنه علم أنه مكلف بإنكار المنكر، وعلم أن من قام بما كلفه الله به فإن الله سبحانه سيعينه ويوفقه ويهيئ له الأسباب.

2- ترتيب الأولويات، وهذا باب ضلّ فيه كثير من الناس عامّة، والعلماء وطلبة العلم خاصّة إلا من رحم الله. فقد شُغل اليوم مئات الآلاف من العلماء وطلبة العلم عن فريضة المرحلة، وانكبّوا على تحصيل العلم لأجل العلم، وقعدوا وتخلّفوا عن القيام بأوجب الواجبات وذلك بتحريض الناس لدفع صيال الأعداء عن حرمات الإسلام والمسلمين، وليت الأمر انتهى بكثير منهم عند هذا الحد، بل أصبحوا سيفًا مشرعًا، ولسانًا سلطًا به يخذّلون ويصدّون ويُجرّمون كل من قام يدفع صيال الأعداء. ورحم الله أمير المؤمنين الملّا عمر عندما قال: "**فما قيمة طلب العلم إذا كان دين الله يداس تحت الأقدام**". لقد شخّص أمير المؤمنين لطلّاب العلم الداء، وفي ذات الوقت وصف لهم الدواء بقوله: "**ولن تُحل هذه المشكلات بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم نحن الطلبة ضد هذا الفساد، إن أردتم العمل لدين الله حقيقة فلنترك الدراسة**".

ورحم الله الشيخ أسامة بن لادن عندما قال في أحد رسائله التحريضية للأمة. قال: "**فنصرة الدين ليست دروسًا تعطى فقط، والدين لا يقوم على فتات أوقاتنا وأموالنا، وإنما سلعة الله غالية، فشتان شتان بين الجلوس وتقديم الدروس، وبين تقديم النفوس والرؤوس لنصرة الله**".

يقول الشيخ أسامة رحمه الله معلّقًا على حديث رسولنا الكريم: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ):

" ففي هذا الحديث العظيم فقه عظيم جدًا حيث إنه وضّح للناس وللمؤمنين أهمية الأولويات في هذا الدين، فرأس الأمر الإسلام ورأس أركان الإيمان والإسلام شهادة أن " لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"، فالإيمان فيه شُعب، فلا ينبغي بحال إذا غابت الشعبة الأولى وهي أعظمها وأفضلها وأعلاها شهادة أن " لا إله إلا الله " الاشتغال بما دونها، فهي الأساس لهذا الدين. فما يفعل الناس في هذا الزمان وهم يرون بأم أعينهم أن " لا إله إلا الله " بمعناها الذي أُنزل على مُحَمَّد ﷺ قد غيّبت عن حكم الناس في جميع شؤون حياتهم، ويشتغلون بكثير من الشُعب مع غياب هذه. فهذا لا يمكن أن يسمّى لمن علم بهذه الحقائق إلا هروبًا عن أداء الواجب، بل عن أعظم واجب في الحياة، وهو تحكيم شهادة أن لا إله إلا الله على كل مؤمن.

ولو قعد الإنسان عن الجهاد واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان وكان الجهاد متعينًا، فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة أو بهذه الطاعة جزاه الله خيرًا، بل هو في ديننا فاسق من الفاسقين، فارٌ فرَّ عن نصرة لا إله إلا الله ونصرة دين مُحَمَّد ﷺ، فينبغي الانتباه الشديد إلى هذه الأولوية، وهي كما لا يخفى، وللأسف الشديد غائبة غيابًا عظيمًا جدًا من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء. وأنبّه الإخوة كما في حديث رسولنا ﷺ عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ) [رواه البخاري]، فالفرائض والطاعات والعبادات هي ما فرض الله سبحانه وتعالى، وترتيبها كما رتبها الله سبحانه لا بما يتوافق معنا، وبما يتوافق مع أهوائنا، وبما يتوافق مع نفوسنا وتثاقلها إلى الأرض.

فعندما تكون الأولوية الأولى بتحكيم لا إله إلا الله فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية، وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى".

3- العمل على تغيير المنكر بالمتاح والمستطاع من الإمكانيات، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾. فأمير المؤمنين لم يَعِد جموع الطلّاب بتوفير السلاح أو المؤونة، حتى يكون من يقوم معه على تغيير المنكر على بيّنة من أمره، فلا يتضجّر أو يتسخّط إذا لم يتم توفير الدعم اللازم له. لقد كان أمير المؤمنين في منتهى الصراحة والوضوح بقوله لجموع

الطلبة: "**ما وعدنا أحد أن يساعدنا بروبية واحدة، حتى لا تظنوا أنّا سنوفر لكم الطعام، بل سنطلب الطعام والمساعدة من الشعب**".

وعن مجيء الطالبان يقول الشيخ أسامة رحمه الله في معرض ردّه على أسئلة الصحفي جمال إسماعيل مراسل قناة الجزيرة:

"كنّا في حزن شديد أثناء اختلاف الفصائل الأفغانية والمجاهدين، ولكن منّ الله سبحانه وتعالى على الأمة بحركة طالبان، فجاءت وأنقذت هذا الجهاد من المخطط الأمريكي الذي كان خلف نجيب، وكان يضغط على المجاهدين عبر باكستان لتشكيل حكومة علمانية، فيها خمسون في المائة من الشيوعيين السابقين وبعض الذين درسوا في الغرب، والبقية من الأحزاب الأفغانية الجهادية السبعة. والحمد لله أن وفّق لمجيء هذه الحركة، وجاءت في وقت قد بلغ السيل الزبى، وبلغ التعب بالناس مبلغه، وكثر قطّاع الطرق للأسف الشديد. وأضاف قائلًا: فكانت هناك خمس دويلات في هذه الدولة الصغيرة، فضلًا عن قطّاع الطرق الذين يعتبرون دويلات داخل الدولة، فمن الله على المسلمين بمجيء حكومة طالبان"[121].

طالبان في عدّة نقاط:

وبما أننا قد دخلنا معقل الطالبان في قندهار، فمن الجدير هنا أن نذكر في عدة نقاط نبذة قصيرة عن بدايات نشأتهم[122].

1– الطالبان، هم طلبة العلم الذين يدرسون في المعاهد والمدارس الشرعية. كان هؤلاء الطلاب من المشاركين في الجهاد الأفغاني الأول، ولم يكن هناك حزب أو جماعة تجمعهم، إنما كانوا أفرادًا ومجموعات صغيرة منتشرين بين فصائل الأحزاب المختلفة. ومع دخول المجاهدين الأفغان العاصمة كابل في أبريل 1992م، انطوت آخر صفحة لحكومة نجيب الشيوعية الموالية للروس، وبدأت مرحلة جديدة من التحالفات المشبوهة، سباقًا للسيطرة على كابول، عقدها بعض قادة الجهاد آنذاك مع الأحزاب الشيعية وبقايا الشيوعيين، فبدأت بوادر التناحر والشقاق والقتال بين أحزاب المجاهدين تدق طبولها طلبًا للسلطة، وهنا آثر هؤلاء الطلاب ألّا يخوضوا في تلك المعارك، ورجعوا

---

(121) ضمن مقابلة الشيخ أسامة مع مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل.

(122) دمج بين الويكي بيديا عربي، ومقال بعنوان الميزان لحركة طالبان، ليوسف العُييري. بتصرّف.

إلى مدارسهم لمواصلة طلب العلم في مدارسه المختلفة في باكستان وأفغانستان. وفي غيابهم دبّ الفساد ونخر في قادة الجهاد، وتقسمت أفغانستان إلى دويلات يحكمها جنرالات الحروب والسراق وقطّاع الطريق، ودخلت البلاد في نفق مظلم من الفتنة والظلم وانعدام الأمن على الأموال والأعراض.

2-في ربيع 1994م، شاء الله أن تستوقف نقطة من نقاط السيطرة التابعة لأحد الفئات الأفغانية المتناحرة في قرية "سنج سار" القريبة من قندهار سيارة بها عائلة، أنزلت منها فتاتين عنوة، وتم اختطافهما واغتصابهما وقتلهما بعد ذلك. شاع هذا الخبر في قندهار ونما إلى علم الملّا عمر رحمه الله، فعزم على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجمع في يوليو 1994م ثلاثة وخمسين رجلًا من أصحابه، كانوا هم النخبة الأولى لحركة طالبان، فهجموا على تلك النقطة، وقتلوا الجناة وقبضوا على قائدها فأقاموا فيه حد الله وتم تعليقه بعد ذلك ليكون عظة وعبرة للآخرين. ثم انتقلوا بعد ذلك إلى منطقة "كشك نخود"، وبدأوا بنزع السلاح من مجموعات أحزاب المجاهدين، وإزالة نقاط التفتيش الموضوعة لجمع الإتاوات على الطرق العامة، ثم استولوا على مديرية أرغستان.

3-وفي أغسطس 1994م، وبعد سماعهم لهذه الأحداث، تدافع طلاب العلم المنتشرين في المدارس الشرعية داخل أفغانستان وباكستان لينضموا لمجموعة الملا عمر، وتعاهدوا على جمع السلاح، واستعادة الأمن والاستقرار وإزالة نقاط التفتيش وجمع الإتاوات. فأخذوا يهاجمون نقاط قطاع الطريق والمفسدين. فاستولوا في أكتوبر1994م على مديرية " سبين بولدك " الحدودية، كما استولوا على مخازن الأسلحة والذخيرة المركزية للولايات الجنوبية الغربية التابعة للحزب الإسلامي بزعامة حكمتيار، التي تعتبر من أكبر مخازن السلاح في أفغانستان.

4-وفي 1994/11/5م، سيطر الطالبان على مدينة قندهار.

5-تسامعت الولايات المجاورة بما حصل من الأمن والاطمئنان في قندهار، فأرسل أهالي ولاية أُوروزجان المجاورة وفدًا، وكذلك فعل أعيان ولاية هلمند، ثم أرسل أهالي ولاية زابل وفدًا كذلك ليستقدموا الطلبة، وطلبوا منهم تسلّم مقاليد السلطة وتطبيق الشريعة، ففعل الطالبان ذلك وبسطوا سيطرتهم على هذه الولايات دون قتال، وكان ذلك في شهري نوفمبر وديسمبر من عام 1994م.

وكـان الطلبـة يرفعـون الرايـة البيضـاء علـى كـل شـبر يسـيطرون عليـه، ويطبقـون فيـه الشـريعة، ويفرضـون الأمن ويجمعون السلاح ويحاربون اللصوص وقطاع الطريق.

6–ثم أرسـل أهـالي ولايـة غـزني يريـدون مـن الطلبـة أن يرسـلوا وفـدًا لبحـث بسـط سـيطرتهم عليهـا، فغضـب حكمتيـار الـذي كانـت لـه قـوات هنـاك، فأرسـل لقادتـه أوامـر بمقاتلـة الطلبـة لـو جـاءوا إلى غـزني. وحـاول الشـيخ جـلال الـدين حقـاني التوسـط، وأرسـل لحكمتيـار يرجـوه ألا يقتتـل النـاس في الشـهر المبـارك، وكـان شـهر رمضـان لعـام 1415هـ، الموافـق ينـاير 1995م قـد حـل، وخـرج الشـيخ حقـاني بنفسـه في وفـد للتوسـط، ولكـن الوفـد التقـى بفلـول قـوات حكمتيـار الـذين اشـتبكوا مـع الطلبـة وهُزموا بعد معركة قصيرة، ودخلت غزني تحت سيطرة الطالبان في 1995/1/26م.

7–وفي 1995/2/10م، اسـتولى الطالبـان في هجـوم مباغـت علـى ميـدان شـهر عاصـمة ولايـة وردك، المعقل الحصين للحزب الإسلامي لحكمتيار بولاية وردك.

8–وفي 1995/2/14م، أي بعـد أربعـة أيام مـن سـقوط ولايـة وردك، تمكنـت حركـة طالبـان مـن إحكـام سيطرتها علـى جميـع منـاطق نفـوذ الحـزب الإسـلامي حكمتيـار حـول كـابول، بعـد انسـحابه مـن مقـره في " شاراسـياب " إلى منطقـة سـروبي. وأطلـق الطلبـة عـدة قوافـل إغاثيـة للأمـم المتحـدة وغيرهـا، كـان حكمتيـار قـد احتجزهـا ليضـيّق علـى أهـل كـابول، ويجـبر رباني ومسـعود علـى الاسـتجابة له.

9–وفي 1995/2/19م، بسـطت الحركـة سـيطرتها علـى معظـم منـاطق ولايـتي بكتيـا وبكتيكـا الجنوبيتين. وكانت ولاية بكتيا بزعامة الشيخ حقاني قد انضمت صلحًا لطالبان.

10– وفي 1995/5/9م، هاجمـت القـوات الحكوميـة بقيـادة إسماعيـل خـان والي هـيرات في جنـوب غـرب أفغانسـتان حركـة طالبـان، وتمكنـت مـن اسـترجاع ولايـتي فـراه ونيمـورز وأكثـر منـاطق ولاية هلمند، وبدأت تهدد قندهار مركز حركة طالبان ومعقلها الحصين.

11– وفي 1995/9/2م، اسـتطاع الطالبـان في هجـوم مفـاجئ أن يسـتردوا ولايـة فـراه وهلمنـد ونيمـروز مـن قـوات إسماعيـل خـان، واسـتولوا علـى قاعـدة " شـين دنـد " الجويـة الـتي تعتبر مـن أكـبر القواعد الجوية في أفغانستان.

12– وفي 5 سـبتمبر مـن عـام 1995م، هاجمـت طالبـان قـوات إسماعيـل خـان المتمركـزة في غـرب البلاد، وتمكنت من السيطرة على مدينة هيرات.

13- وفي 1995/10/10م، تقدمت قوات طالبان نحو كابول، بعد أن سيطرت على مساحات شاسعة جنوب غرب أفغانستان، وعلى شاراسياب وتلال خير آباد المشرفة على جنوب كابل للمرة الثانية، وبذلك أحكمت حصارها على العاصمة كابول. وكان الطالبان قد أرسلوا لقادة الأحزاب، وعلى رأسهم رباني ومسعود وحكمتيار وسياف، أن يصطلحوا بينهم، وأن يعلنوا تطبيق الشريعة، ويخرجوا الشيوعيين من صفوفهم، وينظفوا دوائر الدولة من مظاهر الفجور والاختلاط، لكن باءت كل محاولاتهم في جمع شمل الأحزاب بالفشل.

14- وفي 1996/4/3م، بايع 1500 من العلماء من مختلف أنحاء أفغانستان، الملا محمد عمر أميرًا ولقبوه بأمير المؤمنين.

15- وفي 1996/8/24م، استولى الطالبان على قاعدة " سبينة شجة"، المعقل الحصين لحكمتيار بولاية بكتيا، واستولوا على مخازن كبيرة للسلاح.

16- وفي 1996/8/27م، استولى الطالبان على مديرية أزره بولاية لوجر، التي كانت تعتبر خطًا دفاعيًا منيعًا لمدينة كابول.

17- وفي 1996/9/8م، استولى الطالبان على مديرية حصارك، التي تعتبر بوابة مدينة جلال آباد، وانهزمت قوات شورى ننجرهار الموالية لحجي قدير دون مقاومة، مخلفة وراءها عشرات الدبابات وراجمات الصواريخ.

18- وفي 1996/9/11م، دخلت قوات طالبان عبر بوابة طورخم إلى مدينة ننجرهار بقيادة ملّا بورجان، وكان يحكم جلال أباد آنذاك مجلس شورى مكون من عدة أحزاب، وكانت الكتلة الرئيسية من قادة جلال آباد التابعة لحزب المولوي الشيخ يونس خالص على تواصل مع الطالبان، وانضموا معهم بالاتفاق وناصروهم. كذلك وافق زعماء الكتلة الأخرى التابعين لسياف وعلى رأسهم القائد سازنور، على تسليم المدينة للطلبة، ورفضوا أوامر قادتهم بقتال الطلبة، بل إن سازنور رحمه الله، أرسل استقالته إلى سياف قائلًا له: **بأنه لن ينهي تاريخه بقتال طلاب العلم الشرعي، الذين ينشرون الأمن ويحكّمون الشريعة.**

19- وفي 1996/9/13م، سقطت ولاية لغمان بيد الحركة.

20- وفي 1996/9/14م، سقطت ولاية كونر بيد الحركة.

21- وفي 1996/9/25م، دخل الطالبان مديرية سروبي بقيادة ملّا بورجان وملا عبد الرزّاق، واستولوا عليها بعد انسحاب قوات الحكومة منها.

22- وفي 1996/9/26م، تقدمت قوات طالبان إلى منطقة " بل شرخي"، وقتل في هذه المعارك ملا بورجان أحد أشهر القادة العسكريين للحركة.

23- وفي ليلة 1996/9/27م، هاجم الطالبان كابول، فسقطت بسرعة كبيرة في أيديهم بعد قتال ضعيف مع بعض حاميتها من قوات مسعود ورباني وسياف. وهربت الأحزاب شمالًا، ليتوقف القتال عند خط جبل السراج وبوابة ممر سالانج وولايات الشمال في 1996/9/28م. وأعدمت الحركة ليلة دخولها كابل رئيس أفغانستان الشيوعي السابق نجيب الله، وأعلن أمير المؤمنين الملا مُحَمَّد عمر عن تكوين لجنة من ستة أشخاص، برئاسة ملّا مُحَمَّد رباني النائب الأول له، وسقطت قاعدة بغرام الجوية بيد طالبان.

حتى هذه اللحظة كان قد مر على انطلاق حركة طالبان نحو سنتين، سيطر فيها الطالبان على ولايات الشرق والجنوب والغرب والشمال الغربي إلى هرات - المبينة على الخارطة بالخط الأخضر - وبقي معظم الشمال الذي يشكل نحو 15% من مساحة أفغانستان، والممتد من بدخشان إلى تخار إلى سمنجان إلى بلخ وعاصمتها مزار شريف إلى فارياب وبادغيس، باستثناء ولاية قندوز التي سيطر عليها الطالبان لوجود أقلية من البشتون وقفت معهم. وبقي مع حلف المعارضة ولاية باميان، التي سيطر عليها حزب الوحدة الشيعي التابع لإيران.



ولايات أفغانستان

24– وفي أواسط عام 1997م، تحرك الطالبان شمالًا واستولوا في حركة خاطفة على معظم ولايات الشمال (بالخط الأحمر)، وسقطت عاصمة المعارضة مزار شريف بأيديهم، لكن الأمر انتهى بمذبحة ومؤامرة قامت بها الميليشيات الأوزبكية الشيوعية وحلفائهم الشيعة على الطالبان. وكان القائد عبد الملك المنافس لعبد الرشيد دوستم على قيادة الميليشيات الأوزبكية، قد أظهر أنه انحاز لطالبان وصالحهم وأدخلهم الولاية وسلم لهم عاصمتها مزار شريف وأخرج دستم. فلما أَمِن الطلبة غدر بهم في مجازر وحشية، ذهب ضحيتها ما يقرب من عشرة آلاف من الطالبان، وحسب الأرقام التي ذُكرت دفن كثير منهم فيها أحياء في مقابر جماعية على يد الميليشيات الأوزبكية الشيوعية وحلفائهم الشيعة. وبقيت آلاف الجثث في العراء دون دفن، وعليها آثار التعذيب والتنكيل والقتل والتمثيل. وقتل في هذه المذابح كثير من قيادات الطالبان والوزراء والعلماء، على رأسهم وزير المالية المولوي إحسان الله إحسان، رحمهم الله جميعًا.

25– بعد ذلك عاود الطالبان الزحف شمالًا بحذر أكبر، فسقطت بيدهم ولايات الشمال واحدة تلو الأخرى مرة أخرى، فاستولوا على بادغيس ثم فارياب ثم مزار شريف عاصمة ولاية بلخ، وقتلوا فيها أكثر من ثلاثة ألف ممن تآمر ضدهم من المليشيات. ثم واصلوا تقدمهم نحو سمنجان واستولوا عليها، ثم انحدروا جنوبًا وسيطروا على الممرات الشمالية لباميان، وانضمت إليهم مناطق من بدخشان. وانهارت قوات دوستم الذي فر إلى أوزبكستان. ولم يبق كقوة عسكرية أمامهم إلا مسعود في الوادي الضيق الممتد من بنجشير إلى جبل السراج إلى شاريكار إلى بوابات كابل الشمالية، حيث تقف معه قوات تابعة لسياف، بالإضافة لقوات حزب الوحدة الشيعي في باميان.

ثم سقطت باميان في مطلع شهر سبتمبر 1998م، وكان قد سقط قبلها وادي كيان الذي تستحكم فيه القوات الإسماعيلية الأغاخانية، وهم أقلية موجودة في أفغانستان، وغنم الطالبان فيه غنائم تستعصي على الحصر من السلاح، وأقام الطالبان فيه الحدود الشرعية عقوبة على الخيانة والقتل، وشملت الحدود قرابة أربعة ألف شيعي ثأرًا لمذبحة مزار شريف. والجدير بالذكر أن أهل السنة لم يدخلوا هذا الوادي الإسماعيلي منذ 800 سنة مضت. ثم واصل الطالبان زحفهم جنوبًا وراء قوات مسعود عن طريق غوربند، واستمرت فتوحاتهم حتى بداية الحرب الصليبية بقيادة أمريكا التي بدأت في 7 أكتوبر 2001م، بعد أحداث غزوتي نيويورك وواشنطن. ومع بداية الحرب الصليبية لم يبق مع التحالف الشمالي إلا ولايتي بدخشان ووادي بنشير (بالخط الأزرق الداكن).

الوصول إلى قندهار:

عند الوصول الى قندهار، أُنزلت العائلات مؤقتًا في جناح من أجنحة المطار إلى أن يتم تجهيز وتأهيل المجمّع السكني المجاور للمطار. وكان الطالبان قد عرضوا على الشيخ أسامة رحمه الله مجمّعين للسكن، أحدهما في ولاية هلمند وكان مؤهلًا وجاهزًا للسكن، والآخر قرب مطار قندهار غير أنّه لم يكن مؤهّلًا وجاهزًا للسكن، فاختار الشيخ أسامة مجمّع مطار قندهار، وكان يبعد حوالي 30 كم من المدينة.

وكان المجمّع يحتوي على قرابة ال 80 بيتًا، ومقسومًا الى قسمين. القسم الداخلي وبه 60 بيت، وكل بيت مكون من غرفتين ومطبخ وحمام وممر صغير يربط بينهما، وخصص هذا القسم للعائلات. والقسم الخارجي وبه 20 بيتًا، وكل بيت مكون من ثلاثة غرف ومطبخ وحمام وردهة صغيرة تربط بينهما، وخصصت بعض بيوت هذا القسم لإقامة الإِخوة العُزّاب، وبعضها مضافات

للضيوف والإِخوة الزائرين، وبعضها مكاتب للعمل. وكانت بيوت المجمّع مبنية بالطوب والإِسمنت، وتحتاج الى قليل من الصيانة والنظافة، فقد كان معظمها زرائب لأغنام البدو، ولم تكن البيوت مسورة، وكانت خالية تمامًا من الأبواب والنوافذ، وحوائطها لم يبق فيها موضع شبر إلا وفيه حفرةً لطلقة، أو شرخًا لشظية بسبب الحرب.

بعد أن قُسّمت البيوت على الأخوة، شرعوا جميعًا في صيانتها ونظافتها. وكان الإِخوة قد اتفقوا تقليلًا للمصروفات على أن يقوم كل أخ ببناء سور بيته بنفسه من الطين. وكان الشيخ أسامة رحمه الله منذ وصوله الى قندهار قد توجّه مباشرة الى المجمّع السكني، واختار له أربعة بيوت وسط المجمع، وأحضر زوجاته وأبناءه فكان أوّل الساكنين في المجمع، حيث كان يستر غرف بيوته بالأردية الأفغانية (البتّوهات)[123] لحين تركيب الأبواب والنوافذ.

وكان الجميع في تلك الأيام يتعاونون فيما بينهم في بناء الأسوار، وكان الشيخ أسامة مع أبنائه عبد الرحمن وسعد وعمر وعثمان ومُحَمَّد يبنون سور بيتهم بأنفسهم، فكانوا يعجنون الطين بأيديهم وأرجلهم، وكان بعض الإخوة يعاونوهم في ذلك منهم الشيخ بصير رحمه الله، وخلاد بن عتش فكّ الله أسره. وكانوا يرددون أثناء العمل أناشيد اليمن الحماسية التي تشجع وتحمّس على العمل مثل: "أربعة شلّو الجمل والجمل ما شلّهم". ولم يمكث ذلك السور طويلًا، فقد كان مائلًا ميلانًا كبيرًا سقط مع أول هطول الأمطار. كذلك لم يستمر الإِخوة في بناء أسوار بيوتهم، فقد أرهقوا كثيرًا على حساب الحراسة الليلية، واتفقوا أخيرًا على أن يأتوا بعمال يقومون بعملية البناء، فكُلف الأخ أبو حفص العرب للقيام بمهمة الإنشاءات ومتابعتها مع العمال في المجمع، وخلفه بعد فترة الأخ سعدوف رحمهما الله. وبجانب بيت الشيخ أسامة، اختار الإِخوة أحد البيوت ليكون مسجدًا، فتم بناؤه ليلحق بالغرفتين اللتين خصصت إحداهما لتكون غرفة خاصّة بمجلس الشيخ أسامة، والثانية خصصت للإخوة العزاب حراس الشيخ اللصيقين به.

قدوم الإخوة الجدد:

كان قدوم الإخوة الجدد في تلك الأيام إلى ساحة أفغانستان ضعيفًا جدًا، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الشيشان. فقد كانت أخبار المعارك الطاحنة التي خاضها المجاهدون ضد الروس،

---

(123) كلمة (پتو) بالپشتو، لها مقابل في العربية، ولعله أصلها، وهو (البتُّ)، وجاء في المعجم الوسيط أنه: كساء غليظ من صوف أو وبر.

والانتصارات العظيمة التي وثقتها الفضائيات وفيديوهات المجاهدين، لا تزال تتردد أصداؤها في أذهان الشباب. ورغم وجود هدنة وتوقُّف القتال بين المجاهدين والروس في ذلك الوقت، إلّا أن شباب الجهاد كانوا يشدّون رحالهم إلى الشيشان. وكان بعض الذين يأتون إلى أفغانستان آنذاك يأتون للتدريب فقط، ثم يتوجهون إلى الشيشان.

وكانت الصورة العامة المنطبعة في أذهان الكثير من شباب الجهاد – خاصة أولئك المتواجدين في باكستان – معكوسة ومغلوطة عن طالبان، بحكم الدعاية والإشاعة المضادة، التي كانت تبثها وكالات الأنباء، وكذلك كان يبثها قادة فصائل المجاهدين السابقين المناوئين لطالبان، أمثال سياف وربّاني وحكمت يار، الذي كان فصيله يضمّ كثيرًا من المجاهدين العرب، ساهموا بفعالية في بثّ هذه الإشاعات. فكانت الصورة في أذهان هؤلاء، أن طالبان ما هي إلا صنيعة ودسيسة أمريكية، تسيّرها المخابرات الباكستانية. لكن بفضل الله، ثم بصدق جهود الطالبان لإقامة الشريعة، ومحاربة الفساد والمفسدين، ثم بقدوم الشيخ أسامة، خاصة بعد خروج بيان إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين، زالت هذه الغشاوة، وبدأ الشباب يتدفقون إلى أفغانستان وحدانًا وزرافات، حيث كانوا يُستقبلون في كراتشي، ويسافر معهم أخ ليدخلهم إلى أفغانستان عبر بوابة بولدك القريبة من قندهار.

وكان الشيخ أسامة يفرح كثيرًا عندما يأتي إخوة جدد، فكان قبل ذهابهم إلى معسكر الفاروق في خوست يستقبلهم بحفاوة وكرم، ويجلس معهم مجيبًا على كل تساؤلاتهم عن طالبان وأحوال الأمة، وعارضًا عليهم مشروعه الجديد في توحيد الجهود لقتال هبل العصر أمريكا.

مشاركة القاعدة القتال مع الطالبان:

وكان الشيخ أسامة عند لقائه بأمير المؤمنين قد عرض عليه المشاركة معهم في القتال، فلم يمانع أمير المؤمنين ورحب بذلك، ولكن قال إذا دعت الحاجة سنستعين بكم. وكانت جميع الفصائل المناوئة لطالبان بعد سقوط كابول، قد توحّدت بعد انسحابها منها تحت مسمى تحالف الشمال. وكانت قوات طالبان قد طاردت هذه الفصائل شمال كابول، وسيطرت على مواقع لقوات مسعود تبعد 70 كيلو مترًا شمال كابل في منطقة جبل السراج القريبة من ممر سالانج ومدخل وادي بنشير معقل قوات أحمد شاه مسعود. وفي إحدى المعارك، توغلت قوات طالبان داخل وادي بنشير، فأطبقت عليها قوات مسعود وقتلت منهم أعدادًا كبيرة، فاضطر الطالبان للرجوع للخلف والتمركز

في جبـل السـراج. وبعـد هـذه الحادثـة أعلـن أمـير المـؤمنين المـلّا عمـر النفـير العـام، وكـان ذلـك في منتصف عام 1997م.

واسـتجابةً لأمـر أمـير المـؤمنين، أرسـل التنظـيم للمـرة الأولى الكثـير مـن فلـذات أكبـاده بقيـادة الشـيخ أبي حفـص المصـري، وتـبعهم بعـد ذلـك الشـيخ أسـامة - رحمهمـا الله - للمشـاركة مـع الطالبـان في المعـارك ضـد تحـالف الشـمال في منطقـة جبـل السـراج، ولم يبـق في قنـدهار سـوى قلـة قليلـة مـن الأخـوة مـع العـائلات. وكـان مـن الأخـوة البـارزين المشـاركين الشـيخ أبـو الوليـد المصـري، والشـيخ سـيف العـدل، والشـيخ عبـد الهـادي العراقـي، والشـيخ أبـو مُحَمَّد المصـري، وأبـو زياد العراقـي، والأخ أبـو عطـا التونسـي، وأبنـاء بـن عـتش مهنـد وخـلاد وعمـير، وطلحـة السـوداني، وحمـزة الـزبير المصـري، والأخ فهـد الكيـني، والأخ خالد الحبيب، وآخرين كثر.

وكـان الموقـع الأول للإخـوة في الخـط الأمـامي مـدعومًا بأربعـة هـاونات 120 مـل في منطقـة " بُـل متـك" شمـال قريـة شـاريكار. وكـان الأمـير في هـذا الموقـع هـو الشـيخ أبـو مُحَمَّد المصـري تقبّلـه الله، وكـان الراصـد لرمايـة المـدافع هـو الأخ أبـو زياد العراقـي رحمـه الله، وكـان موقعـه في جبـل عـال يشـرف علـى المنطقـة بأكملهـا. وبحكـم دراسـته وتخصصـه في المسـاحة العسـكرية، فقـد كانـت الرمـايات دقيقـة جـدًا، وتأتي بالضـبط مـن أول قذيفـة فـوق الأمـاكن الـتي يرصـدها لتحركـات قـوات مسـعود. وكـان هنـاك موقـع متقـدم آخـر، يبعـد حـوالي مئـة مـتر مـن الخـط الأول لقـوات مسـعود، وكـان موقعًـا سـاخنًا جـدًا أصـيب فيـه الأخ الشـيخ أبـو دجانـة الباشـا[(124)] رحمـه الله، بشـظية أدت إلى بـتر سـاقه مـن الفخـذ. وكـان هنـاك موقـع ثالـث علـى الطريـق الثـاني - الـذي يـربط كابـل بقاعـدة بجـرام الجويـة، عـبر صـحراء "ده سـبز" - علـى رأس جبـل عـال رابـط فيـه الإخـوة، وكـان معهـم دبابـة لحمايـة كابـل مـن تقـدم أي قوات من تلك الجهة.

قصة إنشاء خط ثان للدفاع عن كابول:

وهنـا يـروي لنـا الشـيخ سـيف العـدل حفظـه الله قصّـة إنشـاء الخـط الثـاني للـدفاع عـن كـابول، فقـال: "عنـدما وصـلت المجموعـة الأولى - تحـت قيـادة الشـيخ أبي حفـص رحمـه الله، ومعـه كـلًا مـن الشـيخين أبي وليـد المصـري وأبي مُحَمَّد المصـري - إلى شمـال كـابول، وبعـد سلسـلة مـن المناوشـات مـع قـوات مسـعود، تبـين لهـم أن الطلبـة يعتمـدون أسـلوب الحـرب الخاطفـة، مسـتثمرين المفاجـأة وهيبـة الشـريعة،

---

(124) صهر الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله.

ولا يأخذون في اعتبارهم تنفيذ ذلك من خلال ترتيبات عسكرية سليمة، خاصة في حال حدوث رد فعل مرتب من العدو. وكان أسلوب الكر والفر هو الغالب، وكان هذا هو سبب رفض الملا عمر رحمه الله لمشاركة[125] العرب حينما طلبنا منهم المشاركة عند وصولنا لقندهار. كذلك وجد الاخوة أنه لا يوجد بعد الخط الأول خط ثان للدفاع عن كابول.

في هذه الأثناء لم يجد الشيخ أسامة رحمه الله أي راحة في قندهار، وكان يحاول ما أمكن أن يذهب إلى كابل والشيخ أبو حفص رحمه الله يرفض، ويخبره أن الوضع خطير وغير منظم، ومن الممكن أن تنقلب الأمور في أي لحظة. وبعد عدة مشاورات بيني وبين الشيخ أسامة، ابتكر رحمه الله حيلةً[126] لكي نذهب إلى كابول، فطلب مني الشيخ أسامة، أن أطلب من الشيخ أبي حفص رحمه الله، أن نزوره في كابل خلال مرورنا بها في طريقنا إلى خوست[127]. وكان الشيخ أبو حفص نبيهًا ويدرك ما يفكر فيه صاحبه، فقال لي إذا كان مجرد مرور فلا بأس. وقد كان فذهبنا وتحول المرور إلى تواجد ومشاركة بفاعلية وحماس.

وبمجرد وصولنا، أطلعنا المشايخ الثلاثة على خطورة الوضع، وضرورة إقامة خط ثان للدفاع عن كابول. وتم الاتفاق على استطلاع ميداني فقمنا (المشايخ أسامة وأبو الوليد وأبو حفص وكاتب هذه السطور) بجولة من طرف قاعدة بجرام الجوية إلى دوسراك[128]، ثم نزولًا إلى مراد بيك[129]. وتبين لنا صحة ما ذكره الشيخان أبو حفص وأبو الوليد من ضرورة إقامة خط ثان للدفاع عن كابول. وخلال الجولة الاستطلاعية حددنا موقعين: الأول في طرف قاعدة بجرام[130]، وتم تكليف

(125) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: "طلب الشيخ أسامة بالمشاركة أكثر من مرة. وتعلل الملا عمر بما أسلفت. وكنت أعطي بعض الشباب دورة في العمل السري بأحد البيوت بقندهار وإذا بمعاون وزير الخارجية يطرق الباب ويخبرني بأن الملا عمر وافق على أن نشارك في القتال شمال كابول. فطرت بالخبر للشيخ أسامة الذي فرح به فرحًا كبيرًا".

(126) هذه حقيقة حتى يعلم الناس أن الرجل كان تواقًا للجهاد وتأبى نفسه أن يقعد خلف إخوانه. سيف.

(127) نظرا لخطورة الوضع الأمني في كابل آنذاك فقد كان من المقرر أن يذهب الشيخ أسامة برفقة الشيخ سيف العدل إلى خوست.

(128) مفرق الطريق على بعد خمسين كيلو مترًا من كابل محاذٍ لقاعدة بجرام الجوية.

(129) قرية صغيرة شمال كابل بنحو ستة عشر كيلومتر.

(130) يقع هذا الموقع على الطريق الثاني، الذي يربط كابل بقاعدة بجرام الجوية، عبر صحراء " ده سبز"، وكان يحكم الطريق جبل عال على جانبه.

الشيخ عبد الهادي العراقي ومعه الأخ حمزة الزبير بتهيئته. والثاني طرف مراد بيك وتم تكليفي بتهيئته.

ذهبت في اليوم التالي إلى وزير الدفاع[131]، والتقيته على مشارف بجرام وأخبرته بضرورة إنشاء خط دفاع ثان عن كابول، واحتياجاتنا من الأسلحة وخاصة الدبابات، فقال لي العدو ضعيف لماذا أنتم موسوسون، فقلت له نحن لسنا موسوسين ولكننا نخاف عليكم من رد فعل مسعود وقواته، وأنتم لن يضركم شيء بل هو مفيد. المهم بعد أخذ ورد وافق على دبابتين، واحدة تُوضع في بجرام والأخرى في مراد بيك. فأرسلت الأخ البطل أبو عابد العراقي لاستلام الدبابة، ولكن مسؤول الفرقة ماطل معه.

في هذا الأثناء كان عندنا مشكلة في قلة عدد الاخوة العرب. ولعلاج ذلك اتفقنا مع اخواننا الباكستانيين أن يمدونا بعشرة من إخوانهم. فأخذت الأخ أبو همام الصعيدي والأخ عادل (أمير الاخوة الباكستانيين) ومعنا بعض المعدات والإداريات. نزل الأخ أبو همام ومعه الإداريات على جبل مراد بيك، وتحركت مع الأخ عادل لإحضار الشباب من المقدمة. وبعد أن أخذنا الشباب وفي طريق عودتنا إلى مراد بيك، قصفت سيارتي وقتل أربعة من الشباب. وبدأ هجوم كبير من أحمد شاه مسعود. وفي سلسلة طويلة من الأحداث انهار فيها صف الطلبة، وتحرك الجميع في انحياز غير مرتب للخلف، استمر من صلاة الظهر إلى فجر اليوم التالي. وبعد أن التقيت بعبد الهادي العراقي، أخذت منه أخين هما خلاد بن عتش وسالم الشريف، وعدنا مشيًا إلى جبل مراد بيك. حيث بات أبو همام وحيدًا على جبل مراد بيك.

تواصلت مع الاخوة في كابل فأرسلوا سيارة أخرى، فذهبت بصحبة الأخ البطل أبي عابد العراقي رحمه الله للفرقة لاستلام الدبابة. ولم يتردد قائد الفرقة هذه المرة بتسليمنا الدبابة، وانطلق بها أبو عابد إلى مراد بيك، ووفقنا الله على عجل لاختيار مربض مناسب لها، وكان بفضل الله محمي من المواجهة طبيعيًا، ولكنه مكشوف من بقية الجهات، ويشرف على الطريق ويقطعه بامتياز.

وبعد العصر وصل أبو الفرج الليبي مع دفعة من الشباب ورشاش دوشكا ومدفع 82 مم وذخائر. أتذكر من الشباب كلًا من كاتب السطور، أبو همام الصعيدي، أبو الفرج الليبي، أبو عابد العراقي، خلاد بن عتش، سالم الشريف، أبو محجن الطائفي، أبو جندل اليمني، أبو مُحَّد

---

(131) الملّا عبيد الله رحمه الله.

العوهلي[132]، عبد الظاهر الأفغاني، داوود الأفغاني، عبد الصبور الأفغاني، الزبير الباكستاني ومعه ثلاثة إخوة – الذاكرة لا تسعفني في أسمائهم فقد مر على الأحداث أكثر من 23 عامًا – وبلغ عددنا وقتها 16 من أبناء المسلمين.

بسرعة قمت بترتيب الموقع وتوزيع الشباب كالآتي: أبو الفرج الليبي ومعه الزبير الباكستاني وأبو جندل على الدشكا بأعلى الجبل ومعهم ثلاثة من الشباب. ورتبت لسالم الشريف وأبو محجن مع المدفع عديم الارتداد عيار 82مم موقع أمام الدبابة، يبعد حدود 300 متر في واحدة من الزوايا الجيدة بالجبل، والتي تشرف على الطريق بحيث يندفعا إليه في حال حدوث هجوم. وشكلت طاقم الدبابة من أبو همام الصعيدي وخلاد بن عتش. وبقية الشباب كانوا معي بالقرب من الدبابة. وعلى هذا بتنا ليلتنا في العراء، فالوقت لم يكن كافيًا لأي شيء آخر.

في صباح اليوم التالي، فوجئنا بهجوم للشماليين[133]. فتحرك كل أخ لموقعه، فباشر أبو الفرج الليبي الاشتباك مع حشود الشماليين. وللدبابة قصة طريفة في مسألة توجيه السبطانة[134] وحتى في إطلاق القذيفة اليتيمة، حيث لم تنطلق إلا بعد أربعة محاولات ثم تعطل المدفع. المهم أن القذيفة أصابت الهجوم في مقتل، وكذلك اشتباك أبو الفرج بالدشكا، فقد تفاجأ العدو بوجود مقاومة بالجبل، فظن أن هناك حشد كبير فأجّل هجومه.

على الظهر توافدت مجموعات الطلبة، واحتلت القمة التي على ميمنتنا. وللتأكد أنهم من الطلبة قصة طريفة أيضًا ليس هنا مجال سردها. كذلك بدأ الطلبة في الانتشار على طول خط

---

(132) أحد المنفّذين لعملية السفارة الأمريكية في نيروبي. نجّاه الله من الموت رغم أن السيارة المفخخة كانت تحمل ثلاث أطنان من المتفجرات. حاليًا أسير في سجن ADX Florence الواقع في ولاية كولورادو بأمريكا، نسأل الله أن يعجّل بفكاك أسره.

(133) قوات مسعود.

(134) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: "بعد أن قفز كلا من أبي همام وخلاد داخل الدبابة، شرعا بتحريك السبطانة باتجاه اليمين دون جدوى، وأنا بالخارج أستعجلهما. فرد علي أبو همام بأنها لا تتحرك. فقمت مع الشباب بدفعها لمسافة معقولة، وسألت أبو همام كيف ترى فقال يصعب الرؤية من المنظار سوف أنظر من السبطانة. ثم قال لا أرى شيء، ووضعت رأسي تحت السبطانة، ودفعها الشباب حتى وصلت إلى اتجاه العدو وقلت له اضرب في هذا الاتجاه ولمسافة في حدود الكيلومتر ونصف تقريبًا. وبعد ضبط الارتفاع كبر أبو همام وأطلق ولم ينطلق شيء. ثم حاول مرة أخرى وثالثة ولا شيء. فجأة صاح خلاد " أمان المذخر"، فقلت بلهجة مصرية فك ابن الذين ده. ثم أطلق أبو همام القذيفة التي فرقت أحلام الحشد على الطريق. ولكن فارغ القذيفة انحشر ولم يخرج وتعطل المدفع بعدها، ولكن المراد منها بفضل الله قد تم. بعد يوم أو اثنين قام أبو عابد العراقي رحمه الله بإصلاح أعطال الدبابة، وبقيت تعمل إلى آخر وقت".

ميسرة مراد بيك في القرى وحتى سلسلة الجبال. المهم أنه في صباح اليوم التالي، كان جبل مراد بيك وميسرة الطريق قد تحولا إلى موقع حراسة يصعب اقتحامه[135]، وبقي بفضل الله صامدًا إلى الغزو الأمريكي. هذه هي قصة الخط الثاني، خط مراد بيك. وللخط الأول، خط دوسراك قصة أخرى"[136].

بعد ذلك أيقنت قوات مسعود أنه من المستحيل التقدم نحو كابل ما لم تأخذ الجبل، فركزت نيران أسلحتها من دبابات وهاونات وشلكات عليه، وقتل على الجبل كثير من الأخوة المجاهدين كان من بينهم صابر، الذي سُمي الجبل فيما بعد باسمه، فكان يقال جبل صابر. وحاولت قوات مسعود أكثر من مرة اقتحام الجبل، ولكن كان لهم الشباب بالمرصاد، وفي إحدى المرات نجحت قوات مسعود في اقتحام الجبل وسيطروا عليه، لكنهم لم يلبثوا فيه كثيرًا حيث أمطرتهم نيران أسلحة الطالبان من كل مكان، فأُجبروا على النزول منه. وفي هذه الأيام العصيبة، وليس بعيدًا من الجبل قتل الأخ الكريم أبو عطا التونسي، مع ثلاثة اخوة آخرين كانوا في رفقته، رحمهم الله جميعًا.

هجوم طالبان وتأمين كابول:

لم يلبث هذا الوضع طويلًا حيث نظم الطّالبان صفوفهم وهجموا على قوات مسعود. لكن حتى تتضح صورة ذلك الهجوم، لا بد أن نذكر قليلًا عن جغرافية المنطقة، فقد كانت عبارة عن وادٍ جبلي يعرف بوادي شمالي، يتسع عرضه في بدايته - بعد الخروج من كابل - إلى 22 كيلو متر، ويضيق شيئًا فشيئا حتى يصل عرضه بعد 70 كيلو متر، إلى 8 كيلو مترات في جبل السراج. ويمينًا ويسارًا على طول الطريق الرئيسي الذي يشقّ الوادي تكتظ المنطقة بقرى كثيرة بأزقتها الضيقة، و بأحراش ووديان ومزارع للعنب.

وكانت هجمات الطالبان السابقة تتم كلها بالتقدم بالسيارات البك أب على الطريق العام، حيث كانوا يتوغلون عشرات الكيلو مترات على الطريق دون أن يعترضهم أحد، ثم لا يلبث جنود

---

(135) نقلًا عن الشيخ سيف العدل حفظه الله: "حينما استقر الوضع على جبل مراد بيك، اتصل علي الشيخ أسامة بالمخابرة ينقل كلامه أحد الاخوة للاطمئنان، فلما طمأنته طلبت منه التوجه إلى خوست كما اتفق مع الشيخ أبي حفص قبل أن نأتي إلى كابول. فقال بأدبه الجم من خلال الوسيط اتأذن لنا بالذهاب إلى خوست وأنكم لستم بحاجة لنا فقلت له نعم، فأعاد الطلب مرة أخرى وثالثة. فقلت له اطمئن إن شاء الله، لن يدخل مسعود كابل ونحن أحياء. فتحرك الشيخ رحمه الله إلى خوست كما اتفقنا".

(136) نقلًا عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

مسعود أن يخرجوا عليهم من القرى والأزقة ومزارع العنب، فيوقعوا فيهم قتلى وجرحى فيضطروا مرة أخرى للانسحاب، حدث ذلك الأمر مرتين. وفي المرة الثالثة أمر الطلبة جميع السكان في القرى بإخلائها بعد إعلانها منطقة حرب، فاستجاب السكان وخرجوا بالآلاف من بيوتهم متجهين صوب كابول.

أخذ الطالبان يزحفون بعرض الوادي كله، في خط واحد في غاية التنسيق، فكانوا يفتحون طرقًا جديدة إذا كان هناك عائق لهم في الطريق، وإذا واجهتهم مقاومة كانوا يتصدون لها بثبات. فكانت قوات مسعود في تقهقر مستمر، ولم يكن الطالبان يتقدمون حتى يتأكدوا أن ظهرهم آمن مئة بالمئة، لذلك كان تقدمهم بطيئًا جدًا إلى أن وصلوا بعد أيام إلى منطقة (دو سراك)، المحاذية لقاعدة بجرام الجوية، والتي تبعد حوالي خمسين كيلو مترًا شمال كابول، وهناك ثبّت الطالبان الخط ولم يتقدموا، حيث كانت خطتهم التركيز على المعارك الدائرة في مزار شريف، وفي شمال أفغانستان عمومًا.

وفي إحدى المرات حاولت مجموعة من الطالبان التقدم ومعهم مجموعة من الإخوة العرب، فوقعوا في كمين وطلب منهم أصحاب مسعود الاستسلام لكنهم رفضوا، وطلب الإخوة المحاصرون من الإخوة الدعاء بأن يثبتهم الله – حيث كانوا يتواصلون معهم بالمخابرة – فقاتلوا حتى قتلوا جميعًا رحمهم الله، وكان من بينهم أخ نيجيري أسود البشرة، يكنّي نفسه بمثنى اللبناني، طلب فيه أصحاب مسعود مبلغًا كبيرًا من المال لتسليم جثته، فرفض الإخوة الاستجابة لطلبهم، فتركه أصحاب مسعود في العراء تحت أشعة الشمس. وكان الجو حارًا جدًا في تلك الأيام، وبعد شهر كامل عندما هجم الطلبة مرة أخرى وجدوه كما هو لم يتغير أو يتعفن.

وبعد هذه المحاولة لم يقم الطالبان بأي محاولة للتقدم للأمام، وبقي الخط ثابتًا في مكانه في منطقة " دو سراك " حوالي أربعة سنوات، حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة من التدافع ما زالت رحاها تدور حتى هذه اللحظة.

محاولات النظام السعودي مع أمير المؤمنين لتسليم الشيخ أسامة:

لم تتوقف محاولات نظام آل سعود في الضغط على طالبان لتسليم الشيخ أسامة بن لادن، فلجأ إلى آخر سهم في كنانته، وهو إرسال أكثر الأمراء السعوديين خبرة بأفغانستان؛ رئيس الاستخبارات السابق تركي الفيصل. توجه تركي الفيصل بصحبة عبد الله التركي وزير الشؤون

الإسلامية، وسلمان العمري – القائم بأعمال النظام السعودي في كابل – إلى قندهار، لمقابلة أمير المؤمنين بهذا الخصوص. وكان تركي الفيصل قد جاء بطائرة جامبو كبيرة، لا يطلب فقط من أمير المؤمنين تسليم الشيخ أسامة، إنما يطلب معه تسليم كل العرب الذين بصحبته.



رئيس استخبارات عصابة آل سعود السابق تركي الفيصل



وزير الشؤون الإسلامية السابق لعصابة آل سعود عبد الله التركي

وفي قندهار قابل وفد النظام السعودي أمير المؤمنين الملّا عمر، ودارت بينهما ملاسنة حادة بخصوص تسليم الشيخ أسامة. وفي اللقاء ادعى تركي الفيصل أنه قَدِمَ بناء على طلب من أمير المؤمنين الملّا عمر من أجل استلام بن لادن، فأنكر أمير المؤمنين وجود هذا الوعد، بل انتقد شرعية مثل هذا الطلب أصلًا. أعاد الملا عمر على أسماع الأمير السعودي ما تم الاتفاق عليه فعلًا، ولكن السفير تدخل لصالح ولى نعمته، مؤيدًا أكذوبة الوعد بالتسليم. فالتفت أمير المؤمنين الملا عمر إلى تركي الفيصل موجهًا له كلامًا خشنًا قائلًا: "ألم أطلب منك ألا تحضر معك هذا الخبيث إلى أفغانستان". تردد المترجم في ترجمة هذا الكلام، فنهره أمير المؤمنين الملا عمر، وأصر على ترجمته حرفيًا[137].

وكان أمير المؤمنين – نتيجة لدبلوماسية الوقاحة التي يتبعها معه السفير السعودي – قد أمر بطرده وعدم السماح له بدخول أفغانستان مرة أخرى، وطلب من تركي الفيصل ألا يصطحبه إلى قندهار. اشتد النقاش بين الطرفين، وقال أمير المؤمنين الملا عمر للوفد: "أنهم إذا كانوا يتحدثون

(137) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري، الذي شهد اللقاء كاملًا.

باسـم أمريكـا، فـلا يلومونـه إذا قـال أنـه يتحـدث باسـم بـن لادن". وكانـت عبـارة أمـير المـؤمنين المـلا عمر هذه من باب الإحراج للوفد الذي طلب تسليم الشيخ أسامة لأمريكا.

نفذ صبر تركي الفيصل، وضرب سفرة الطعام التي أمامه بقبضة يده صائحًا بغضب أنه لابد أن يتسلـم بـن لادن الآن، متهمًـا أمـير المـؤمنين بالكـذب والمراوغـة. تكهـرب الجـو، وتنـاثر الطعـام علـى ملابـس الحاضـرين، وأوشـك الحـراس الأفغـان أن ينقضـوا علـى المتعجـرف السـعودي وتلقينـه درسًـا علـى الطريقـة القندهاريـة. لكـن أمـير المـؤمنين المـلا عمـر أشـار لهـم أن يتوقفـوا. وانسـحب هـو مـن الجلسـة مسـرعًا، وذهــب للوضــوء حــتى يطفــئ نـيران غضــبه، ثم عــاد عنــدما اســتعاد هدوئــه ليكــرر موقفــه، ويطرح تساؤلات نابعة من الفطرة السليمة، فقال الملا عمر متسائلًا:

– لماذا لم تعودوا رجالًا مثل أجدادكم الذين حملوا الإسلام إلينا؟

– لماذا تسلم بن لادن لأمريكا، هل أنت وزير سعودي أم وزير أمريكي؟

– لماذا تسلم مسلمًا لكافر؟ هل أنت "بي غيرت"؟ (وتعني ديوث بالأفغاني).

هــدد تركــي الفيصــل أمــير المــؤمنين بســحب اعــتراف حكومــة آل ســعود بهــم، وقبــل أن ينصــرف تركــي الفيصــل طلــب منــه أمــير المــؤمنين المــلّا عمــر ألّا ينســى بأن يصــطحب معــه القــائم بالأعمــال الســعودي. وبعــد عــودة تركــي الفيصــل إلى الــرياض، أرســل معتــذرًا لأمــير المــؤمنين المــلّا عمــر، فــرفض المـلّا عمـر قبـول الاعتـذار، ورفـض إعـادة القـائم بالأعمـال السـعودي، فقـرر السـعوديون إبعـاد القـائم بالأعمال الأفغاني في الرياض(138).

وكـان الشـيخ أسـامة قـد حكـى لنـا قصـةً سمعهـا مـن رئـيس وزراء الطالبـان المـلّا رباني – رحمـه الله – مفادهـا أنـه كـان قـد ذهـب مـع وفـدٍ مـن حكومتـه لـبلاد الحـرمين لتأديـة مناسـك الحـج، وكـان وليّ العهـد السـابق عبـد الله قـد استضـاف المـلّا ربّاني ووفـده المرافـق مـرّتين، مـرّةً قبـل أن تبـدأ مناسـك الحـج ومـرّةً أثنـاء أداء المناسـك، وفي كـلا المـرّتين كـان عبـد الله يطلـب مـن المـلّا ربّاني تسـليم الشـيخ أسـامة بـن لادن رحمـه الله. وفي كِـلا المـرّتين كـان المـلّا ربّاني يعتـذّر لـولي العهـد بصـورةٍ لطيفـةٍ قـائلًا لـه أن الشـيخ أسـامة ضـيف كـريم لـه مكانـة معتـبرة عنـدهم، وأن مـن أخلاقهـم وأعـرافهم وعـاداتهم عـدم خفـر الضـيف مهما كلّفهم الأمر.

---

(138) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري، الذي شهد اللقاء كاملًا.

وبعـد انتهـاء المناسـك دعـا وليّ العهـد عبـد الله المـلّا ربّاني والوفـد المرافـق لـه لوليمـة ملكيـة فخمـة، وأثنـاء الوليمـة طلـب منهم للمـرّة الثالثـة تسـليم الشـيخ أسـامة رحمـه الله. وهنـا ردّ عليـه المـلّا رباني ردًّا مفحمًـا قاطعًـا قـائلًا لـه: "نحـن الأفغـان عنـدنا مثـل يحكـي أن أفغانيًـا سـئل عـن عمـره ذات مـرة فقـال: ثلاثـون عامًـا. وبعـد ثلاثـون عامًـا سـئل مـرة أخـرى عـن عمـره فقـال: ثلاثـون عامًـا. فقيـل لـه كيـف هـذا، سـألناك قبـل ثلاثـين عامًـا عـن عمـرك فأجبـت بثلاثـين عامًـا، واليـوم أيضًـا عمـرك ثلاثـين عامًـا. فقـال: أنا أفغـاني كلامـي واحـد لا أُغـيّره. ونحـن مثـل هـذا الرجـل كلامنـا واحـد لـن يختلـف قبـل الحـج، ولا أثنـاء الحج، ولا بعد الحج".



الملّا ربّاني رحمه الله

ورغـم كـل تلـك المحـاولات الفاشـلة لم ييـأس آل سـعود، وقـرروا اسـتخدام وسـيلة نفسـيّة أخـرى للضـغط علـى الشـيخ أسـامة. وكانـت الوسـيلة هـذه المـرة عـن طريـق والدتـه الـتي كانـت ممنوعـة مـن السـفر، وحُرمـت مـن زيارتـه منـذ أن كـان في السـودان. وكـان نظـام آل سـعود يعلـم أنّـه في أشـد الشـوق إليهـا، فعمـدت إلى ترتيـب زيارة خاصـة لوالدتـه بطـائرة خاصـة أقلتهـا إلى قنـدهار، مـن أجـل الضـغط عليه وابتـزازه بهـا. وفعـلًا وصـلت والـدة الشـيخ أسـامة مـع زوجهـا الـذي كـان مـن عائلـة العطـاس، وقابـل الشـيخ أسـامة والدتـه بعـد أن لم يرهـا سـنين. ولا غرابـة أن كـان اللقـاء عاطفيًـا رقيقًـا، لكـن كـان واضـحًا تمامًـا أن قضـايا الشـيخ أسـامة ليسـت مطروحـة للنقـاش رغـم الابتـزاز، وعـادت الوالـدة المكلومـة بعـد أن كحّلت عينيها برؤية ابنها أسامة رحمهما الله جميعًا(139).

وبجانـب هـذه المحـاولات الدبلوماسـية مـن وكـلاء أمريكـا للنيـل مـن الشـيخ أسـامة رحمـه الله، كانـت هنـاك أيضًـا محـاولات اسـتخباراتية مـن قبـل المخـابرات المركزيـة الأمريكيـة CIA لأسـر الشـيخ أسـامة

(139) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. أبي جندل الأزدي. بتصرّف طفيف.

أو قتله في قندهار. وكان الإخوة بعد الاستقرار في مجمّع المطار، قد أنشأوا طوقًا أمنيًا للحراسة بعددٍ من المواقع حول المجمَع، وكانوا قد استعانوا بالطّالبان بأن يمدّوهم بعدد من الأفراد ليغطّوا حراسة أحد هذه المواقع وهو الموقع الجنوبي. وكانت المخابرات الأمريكية قد نجحت في تجنيد قائد هذه المجموعة ليقوم بعملية عسكرية مهمّتها أسر أو قتل الشيخ أسامة رحمه الله. ويشاء الله أن وشى أحد أفراد المجموعة بالمخطط للطّالبان فتم القبض عليهم جميعًا بفضل الله وحده.

وكان تقرير لجنة الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد اعترف في الصفحات 110- 115 بهذه المحاولات، وجاء في التقرير:

" منذ صيف عام 1997م بدأت المخابرات المركزية الأمريكية تناقش خططًا للعمل ضد الشيخ أسامة بن لادن. ومنذ خريف عام 1997م حتى يونيو 1998م أعدت السي آي إيه خطتين لاختطاف الشيخ أسامة بن لادن بواسطة عناصر عميلة في القبائل البشتونية، الأولى بكمين يترصده في حركته من قندهار لمجمعه السكني خارجها، وزعم العملاء القبليون أنهم حاولوا وفشلوا! أما الثانية فكانت عن طريق هجوم ليلي يقوم به عملاء من القبائل على سكن الشيخ أسامة بن لادن للقبض عليه ونقله للمحاكمة في أمريكا أو في بلد عربي حكومته عميلة لأمريكا. وقد تم التصديق على الخطة الأخيرة والتدرب عليها عدة مرات، وحدد يوم 23 يونيو 1998م لتنفيذها، ولكن الخطة ألغيت في آخر مايو 1998م خوفًا من الخسائر، وعدم قدرة القبائل على الحصول على الشيخ أسامة بن لادن حيًا"[140].

تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين في 23 فبراير 1998م:

بعد أن دحر الطالبان قوّات مسعود إلى منطقة دو سراك كما تقدّم ذكره استقرت الأوضاع في كابول، ورجع الشيخ أسامة إلى قندهار لتفعيل مخرجات بيان " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " على أرض الواقع. وكانت أول خطوة في هذا الموضوع هي نجاح الشيخ أسامة رحمه الله، في بداية عام 1998م، من استصدار فتوى من حوالي أربعين عالما من علماء أفغانستان وباكستان، تؤيد بيانه لإخراج القوات الكافرة من جزيرة العرب. وكانت الفتوى قد وزعت على نطاق واسع في باكستان وأفغانستان، وسُربت للصحافة، حيث نشرت مقاطع منها جريدة القدس العربي.

(140) فرسان تحت راية النبي، للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

وكـان الشـيخ أسـامة يهـدف لشـيئين مـن هـذه الفتـوى، الأول: مشـروع إسـلامي شـامل لتجيـيش علمـاء المسـلمين ضـد الوجـود الأمريكـي في جزيـرة العـرب، علـى أسـاس أن هـذه التوقيعـات سـتجمع مـن جهـات وبـلاد أخـرى. والثـاني: الحصـول علـى غطـاء أدبي وشـرعي لـه داخـل أفغانسـتان، لأنـه قـرر إعادة التحرك إعلاميًا، ولا يريد أن يصبح في موقف الضعيف مع الملا عمر[141].

وكـان مـن ثمـرات تلـك الفتـوى، ودعـوات الشـيخ أسـامة المتواصـلة لتوحيـد جهـود المجاهـدين في جبهـة واحـدة لمواجهـة أمريكـا، أن تشـكلت (الجبهـة الإسـلامية العالميـة لجهـاد اليهـود والصـليبيين) في 23 فبرايـر 1998م. ورغـم أنـه لم ينضـم للجبهـة مـن الجماعـات الجهاديـة الموجـودة في السـاحة سـوى جماعـة الجهـاد المصـرية، وبعـض الجماعـات مـن باكسـتان وبـنجلادش، إلّا أن بيانهـا الأول كـان قـد صـدر في صـورة فتـوى، دعـت لقتـل الأمريكـان وقتـالهم مـدنيين كـانوا أم عسـكريين، واسـتهداف جميـع مصالحهم

السياسـية والعسـكرية والاقتصـادية والمدنيـة، في أي بقعـة كانـت مـن الكـرة الأرضـية، حـتى يكفـوا عن جرائمهم ضد المسلمين. وهذا نص الفتوى:

فتوى شرعية[142]:

الحمـد الله منـزل الكتـاب، ومجـرى السـحاب، وهـازم الأحـزاب، والقائـل في محكـم كتابـه: ﴿فَـإِذَا انسَـلَخَ الْأَشْـهُرُ الْحُـرُمُ فَـاقْتُلُوا الْمُشْـرِكِينَ حَيْـثُ وَجَـدتُّمُوهُمْ وَخُـذُوهُمْ وَاحْصُـرُوهُمْ وَاقْعُـدُوا لَهُـمْ كُـلَّ مَرْصَدٍ﴾.

والصـلاة والسـلام علـى نبينـا محمد بـن عبـد الله القائـل: (بُعِثْـتُ بِالسَّـيْفِ بَـيْنَ يَـدَيِ السَّـاعَةِ، حَـتّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ رُمْحِي وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي). أما بعد:

فمنـذ أن دحـى الله جزيـرة العـرب، وخلـق فيهـا صـحراءها وحفهـا ببحارهـا، لم تـدهها غاشـية كهـذه الجحافـل الصـليبية الـتي انتشـرت فيهـا كـالجراد، تـزحم أرضـها، وتأكـل ثروتهـا، وتبيـد خضـراءها. كـل ذلـك في وقـت تـداعت فيـه علـى المسـلمين الأمـم، كمـا تـداعى الأكلـة إلى قصـعتها. ولم تشـهد حـدثًا يماثـل هـذه الحـرب العالميـة الشـاملة بـين الإسـلام وبـين التحـالف الصـليبي. ويلزمنـا حـين عظـم الخطـب

(141) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. أبي جندل الأزدي.

(142) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

وقل الناصر، أن نقف وإياكم على مكنون الأحداث الجارية، كما يجب أن نتفق جميعًا على فصل القضاء فيها.

أمتنا المسلمة:

لا أحد يجادل اليوم في حقائق ثلاث تواترت عليها الشواهد، وأطبق عليها المنصفون. ونحن نذكرها ليتذكر من تذكر، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة. وهي:

أولًا: منذ ما يربو على سبع سنين، وأمريكا تحتل أراضي الإسلام في أقدس بقاعها؛ جزيرة العرب، فتنهب خيراتها، وتملي على حكامها، وتذل أهلها، وترعب جيرانها، وتجعل من قواعدها في الجزيرة رأس حربة تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة. وإذا كان في الماضي من جادل في حقيقة هذا الاحتلال، فقد أطبق على الاعتراف به أهل الجزيرة جميعًا. ولا أدل عليه من تمادي الأمريكان في العدوان ضد شعب العراق انطلاقًا من الجزيرة، رغم أن حكامها جميعًا يرفضون استخدام أرضهم لذلك، ولكنهم مغلوبون.

ثانيًا: رغم الدمار الكبير الذي حل بالشعب العراقي على يد التحالف الصليبي، ورغم العدد الفظيع من القتلى الذي جاوز المليون، رغم كل ذلك يحاول الأمريكان مرة أخرى معاودة هذه المجازر المروعة، وكأنهم لم يكتفوا بالحصار الطويل بعد الحرب العنيفة، ولا بالتمزيق والتدمير، فها هم يأتون اليوم ليبيدوا بقية هذا الشعب، وليذلوا جيرانه من المسلمين.

ثالثًا: وإذا كانت أهداف الأمريكان من هذه الحروب دينية واقتصادية، فإنها كذلك تأتي لخدمة دويلة اليهود، ولصرف النظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين فيه. ولا أدل على ذلك من حرصهم على تدمير العراق، أقوى الدول العربية المجاورة، وسعيهم لتمزيق دول المنطقة جميعًا، كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلى دويلات ورقية، تضمن بفرقتها وضعفها بقاء إسرائيل، واستمرار الاحتلال الصليبي الغاشم لأرض الجزيرة.

أمتنا المسلمة:

إن كل تلك الجرائم والبوائق هي من الأمريكان إعلان صريح للحرب على الله ورسوله وعلى المسلمين. وقد أجمع العلماء سلفًا وخلفًا عبر جميع العصور الإسلامية، على أن الجهاد فرض عين إذا دهم العدو بلاد المسلمين. وممن نقل ذلك الإمام ابن قدامة في " المغني"، والإمام الكاساني في " البدائع"، والإمام القرطبي في " تفسيره"، وشيخ الإسلام في " اختياراته"، حيث قال: "أما قتال

الدفع، فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، وهو واجب إجماعًا. فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه". ونحن بناء على ذلك، وامتثالًا لأمر الله نفتي جميع المسلمين بالحكم التالي:

إن حكم قتل الأمريكان وحلفائهم مدنيين وعسكريين، وقتالهم فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسّر فيه، وذلك حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم عن كل أرض الإسلام مفلولة الحد، كسيرةَ الجناح، عاجزةً عن تهديد أي مسلم، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾. وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

أمتنا المسلمة:

إننا باسم الله ندعو كل مسلم يؤمن بالله، ويرغب في ثوابه إلى امتثال أمر الله، بقتل الأمريكان، ونهب أموالهم في أي مكان وجدهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك. كما ندعو علماء المسلمين العاملين، وقادتهم المخلصين، وشبابهم وجنودهم المؤمنين، إلى شن الغارة على جنود إبليس الأمريكان ومن تحالف معهم من أعوان الشيطان، وأن يشردوا بهم من خلفهم لعلهم يذّكرون. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ "38" إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الموقّعون:

1- الشيخ أسامة بن محمَّد بن لادن.

2- الدكتور أيمن الظواهري (أمير جماعة الجهاد بمصر).

3- الشيخ أبو ياسر رفاعي طه، ممثلًا عن (الجماعة الإسلامية بمصر)

4- مولانا مير حمزة، سكرتير جمعية علماء الإسلام.

5- الشيخ فضل الرحمن خليل، أمير حركة الأنصار بباكستان.

6- الشيخ عبد السلام مُحَمَّد، أمير حركة الجهاد ببنجلاديش".



كلمات للمشايخ عن أحوال الأمة الإسلامية

من اليمين: الشيخ أبو حفص الكمندان، الشيخ أسامة، الشيخ رفاعي طه، الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

موقف الجماعة الإسلامية المصرية من بيان الجبهة:

وكانت الجماعة الإسلامية في موقعها على الشبكة قد أصدرت بيانًا باسم الشيخ رفاعي طه رحمه الله ينفي توقيعه على بيان الجبهة. وقد يقول قائل لماذا أدرجت القاعدة اسم الشيخ رفاعي طه ضمن الموقعين على البيان؟ لكن الحقيقة التي لم يجرؤ على أن يذكرها أحد من الجماعة الإسلامية هي:

كان الشيخ أبو حفص الكمندان، هو المتولي لجمع التوقيعات على البيان المذكور، وكان الشيخ رفاعي طه رحمه الله، هو رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت؛ فتباحث الشيخ أبو حفص مع الأخ أبي إبراهيم (إسلام الغمري) - المسئول عن الجماعة الإسلامية في قندهار في ذلك الوقت- في أن يتصل بالشيخ رفاعي طه، ويعرض عليه البيان، ويطلب منه توقيعه، ولكن هذا المسؤول تحمس للفكرة، وقال لأبي حفص: "ضع توقيع الشيخ رفاعي وأنا ضامن لك موافقته، وسأتصل به فيما بعد، ولا تعطل البيان من أجل ذلك"، وأصر على أبي حفص إصرارًا شديدًا، وأكد الأمر تأكيدًا متكررًا، مما دفع أبو حفص - رحمه الله - لإدراج اسم الشيخ رفاعي طه. ثم بعد ذلك بدأت تظهر على ذلك المسؤول علامات ارتباك، وأصر على مغادرة أفغانستان لليمن، ورتب الإخوة له جواز سفر وسافر لليمن، وفي اليمن سلم نفسه للسفارة المصرية، ورُحل لمصر، وانضم لتراجعات الجماعة الإسلامية، ولم يجرؤ هو ولا الجماعة الإسلامية على ذكر هذه الحقيقة[143].

وجدير بالذكر أن الشيخ رفاعي طه رحمه الله، كان قد سجّل عام 2000م زيارة لقندهار، ولم يتنكّر لقناعته بما جاء في الفتوى التي أصدرتها الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، غير أن الجماعة الإسلامية كانت قد مارست عليه ضغوطًا شديدة لسحب توقيعه بحجة أن هذا الأمر حتمًا سيعرّض الجماعة وأفرادها في داخل مصر وخارجها لتبعات مواجهة أمريكا.

وكان الشيخ رفاعي طه في كتابه "إماطة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام"، قد بين موقفه من قتل وقتال الأمريكان، ومن مبادرة التراجع، التي أعلنها بعض قيادات الجماعة الإسلامية، فقال: "إن الأمريكيين واليهود اليوم، هم كفار معتدون صائلون على أرضنا وأعراضنا، وجب قتلهم في أي أرض كانوا و بأي طريقة أمكن ذلك، وأن ذلك واجب على كل مسلم قادر عليه، ولا يحتاج إلى إذن أحد، فإنه فرض عين لا يسقط عمّن قدر عليه، وهذا حكم أجمع عليه العلماء سلفًا وخلفًا"[144].

وكان الشيخ أسامة قد رتّب بعد إعلان تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، حملة دعائية للتعريف بالجبهة، ولتحريض الأمة على قتال الأمريكان واليهود، فعقد

---

(143) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(144) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

مـؤتمرًا صـحفيًا في خوسـت حضـره عـدد مـن الصـحفيين الباكسـتانيين وصـحفي صـيني، وكـان مـؤتمرًا ناجحًا بفضل الله.

كـذلك التقـى الشـيخ أسـامة بـن لادن رحمـه الله، في مـايو 1998م بالصـحفي الأمريكـي جـون مِلـر، مـن قنـاة إيـه بي سـي الأمريكيـة. وكـان الاتفـاق مـع ميلـر أن يقـدم أسـئلة مكتوبـة، وأن يسـأل مـا اتفـق عليـه فقـط. فقـدم أسـئلة كثـيرة أحـس الشـيخ أسـامة في بعضـها رائحـة تحقيـق مبـاحثي، فرفضـها، منهـا سـؤال عـن رمـزي يوسـف، يسـأل مِلـر: هـل لرمـزي يوسـف صـلة بـك؟ خاصـة وأنـه ألقـي القـبض عليـه في مضـافة خاصـة بـك. ورفـض الشـيخ السـؤال، فقـد أحـس فيـه برائحـة المباحـث، كـما أن رمـزي لم يقبض عليه في مضافة خاصة بالشيخ أسامة[145].



جانب من المؤتمر الصحفي الذي عقده الشيخ أسامة في خوست بعد إعلان تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين

(145) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.



لقاء الشيخ أسامة رحمه الله مع جون مِلر مراسل قناة ال ABC الأمريكية

وكان الشيخ أسامة قد قال لمراسل قناة ال إيه بي سي على وجبة الغداء: "**والله لننسينّ وزارة الدفاع وساوس الشيطان، والله لأجعل الأمريكي يفرّ من جنسيته**". وبعد أن خرج هذا الصحفي من أفغانستان، أعلن جازمًا أن الشيخ أسامة بن لادن سيقوم بعملية قريبة جدًا ضد أمريكا في غضون أسابيع. وبالفعل كانت عمليات نيروبي ودار السلام بعد ثلاثة أشهر من هذا الإعلان[146].

الحرب الجديدة [الحرب اللا متوازية]:

كانت تقارير استراتيجية قد خرجت ووُضعت على مكتب الرئيس الأمريكي بل كلنتون، تفيد أن الخطر الحقيقي بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة يكمن في الجهاد العالمي، أو الإسلام المتطرف بالمعنى الأمريكي، لأن هذا النوع من المواجهة إن حدث فسيقود أمريكا إلى ما يسمى بالحرب [اللا متوازية]، وهو نوع جديد من الحروب، سيسلب الجيش الأمريكي فاعليته العسكرية، لأن صواريخه النووية، وطائراته الشبح، وأقماره الصناعية، وحاملات طائراته، ستكون في مقابل قوة

(146) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية شيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله.

الاستشهاديين الذين يفجرون أنفسهم في الأهداف الحيوية للنظام الأمريكي، دون أن تشكل القوة الأمريكية أي رادع لهم.

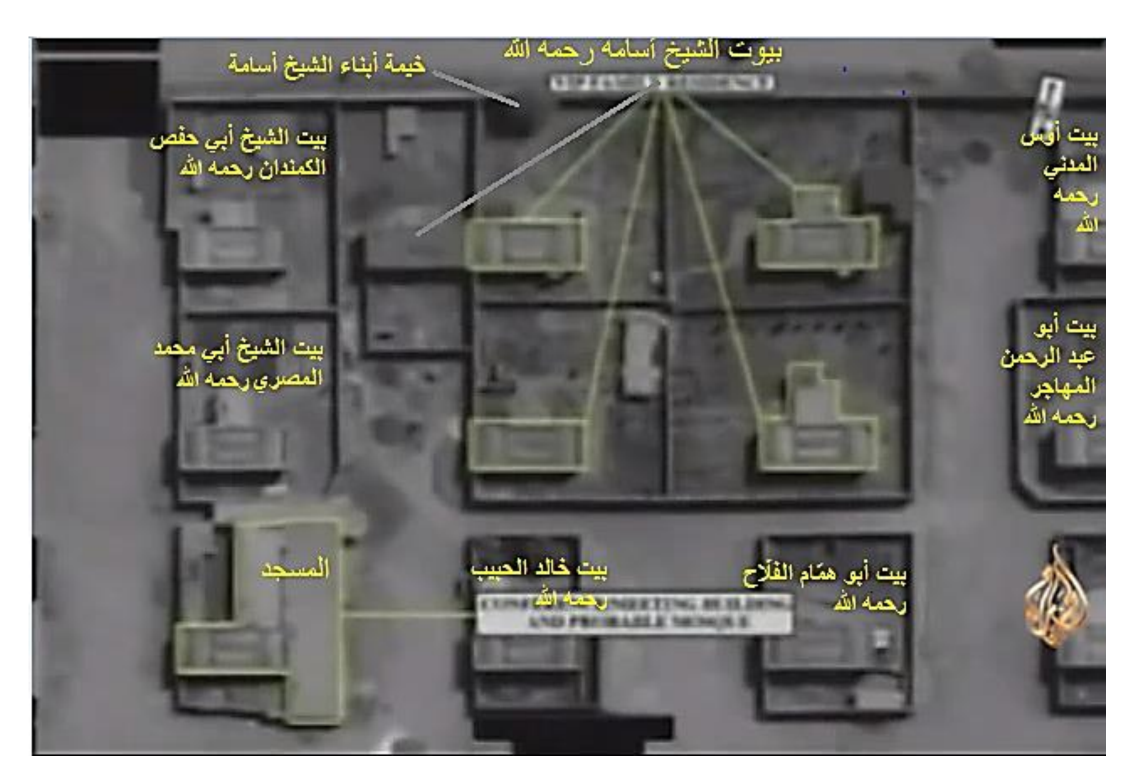
وهذا سبب تسميتها بالحرب اللا متوازية، لأن اتجاه القوة الذي تسير فيه أمريكا، غير اتجاه القوة الذي تسير فيه القاعدة، أي أن أمريكا بما تملكه من أذرع قوة، وإمكانيات عسكرية، لا ترى أي أهداف حيوية مهمة للقاعدة على الأرض يمكن أن تستثمر قوتها ونفوذها الذي سيطرت على العالم من خلاله في تدميرها. بينما تختار القاعدة أهدافها بسهولة كبيرة، وتدمرها بواسطة العمليات الاستشهادية بسهولة أكبر، مستخدمة [تكنلوجيا الجهل] لتعطيل التقنية المتطورة لآلة الحرب الأمريكية. أي أن القاعدة عندما تستخدم أسلوب تسليم الرسائل باليد (سعاة البريد) للاتصالات بين القادة، فإنها بذلك تعطل كل ما يملكه الأمريكان من أنظمة مراقبة جوية وأجهزة التنصت والرصد.

كان هذا الأمر مخيفًا جدًا بالنسبة للقادة الأمريكان، وبدى لهم أنه ليس إلا سوى أفكار نظرية – لما يمكن أن يكون عليه الصراع القادم – حتى وضعت القاعدة قدمها على العتبة الأولى في سلّم الحرب الجديدة بعمليتي نيروبي ودار السلام عام 1998م[147].

طائرة بدون طيّار:

جدير بالذكر أنه قبل أسبوعين أو يزيد من تنفيذ عمليتي نيروبي ودار السلام لاحظ الإخوة وجود طائرة تجسّسية بدون طيّار تحلّق فوق سماء المجمّع، وعلى الفور اتّخذ الشيخ أسامة رحمه الله قرارًا بإخلاء المجمّع، وبين عشيّة وضحاها أُخلي المجمّع، ونزحت جميع العائلات إلى مدينة قندهار، حيث تجمّعت في بيتٍ كبير – كان معروفًا بين الإخوة ببيت الرمّان — حتى يتم استئجار بيوت متفرّقة للعائلات وسط المدينة.

(147) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمّد.



صورة جويّة من طائرة أمريكية تجسّسية على مجمّع المطار بقندهار



صورة جوّية أخرى توضّح الشيخ أسامة بثوبه الأبيض، وحوله مجموعة من حرسه أمام بيته في مجمّع المطار بقندهار

وكـان بعـض ضـباط ال سـي آي أيـه – في لقـاءات عُرضـت معهـم في بعـض الوثائقيّـات – يتنـدّمون ويتحسّـرون على أنهـم لم يستغلّوا الفرصـة الـتي كانـت قـد سنحت لهـم مـرّتين للنّيـل مـن الشيخ أسـامة؛ فتـارة كـانوا يتحججـون بأن الطـائرة بـدون طيـار لم تكـن آنـذاك مـزوّدة بالصـواريخ، وأحيـانًا كـانوا يلقـون باللائمـة على البيـت الأبـيض بأنّهم تلكّـأوا في اتخـاذ قـرار قصـف الشـيخ أسـامة في الوقـت المناسـب، بحجّـة وجـود مسـجد بالقـرب مـن مكـان سـكنه، وتارة بحجّـة لا أسـاس لهـا مـن الصـحّة، وهـي وجـود زوّار قطـريين كـانوا بجـواره، ونسـي هـؤلاء الحمقـى بأن الله سـبحانه وتعـالى وحـده هـو خـير حافظٍ لأوليائه.

عمليات نيروبي ودار السلام[148]:

كانـت عمليـتي نـيروبي ودار السـلام هـي أول العمليـات النوعيـة الخارجيـة الكبـيرة لاسـتهداف الأمريكـان بعـد تشـكيل الجبهـة الإسـلامية العالميـة لجهـاد اليهـود والصـليبيين. وكـان الشـيخ أسـامة والشـيخ أبـو حفـص المصـري قـد انتـدبا في نـوفمبر 1997م الأخ أبي مُحَمَّد المصـري للقيـام بهـذه المهمـة، وأن يكـون الأخ هـارون فضـل القمـري مسـاعدًا لـه. سـافر الأخ أبـو مُحَمَّد للسـودان للتـزود بـبعض المـال لتجهيـز العمليـات مـن الأخ طلحـة السـوداني، كـذلك لمقابلـة الأخ هـارون فضـل القمـري هنـاك، واخباره بتكليف الإخوة له ليكون مساعده في المهمة الجديدة.

بعـد وصـول الأخَـوين أبـو مُحَمَّد وهـارون إلى كينيـا، شـرعوا مباشـرة في العمـل، فسـافرا إلى مدينـة ممباسّـا، وهنـاك قسـموا العمـل إلى خليتـين، خليـة جمـع المعلومـات وخليـة التجهيـز. تـولى أبـو مُحَمَّد وهـارون مهمـة جمـع المعلومـات، وتـولى الأخ فهـد وسـالم سـويدان رحمهمـا الله، مهمّـة التجهيـز، وهـي نقل المواد.

وبدايـة كانـت الخطـة هـي اسـتهداف الأمريكـان في ممباسّـا، فقـد كـانوا يأتـون سـنويًا للسـياحة قـادمين مـن العـراق. فبـدأ الأخَـوان أبـو مُحَمَّد وهـارون يتجولـون في المدينـة لجمـع أكـبر عـدد مـن المعلومـات عـن أي أهـداف أمريكيـة. وبعـد دراسـة أكثـر مـن هـدف، قـرر الأخ أبـو مُحَمَّد أن يكـون الهـدف الرئيسـي هـو ضـرب الجنـود الأمريكـان في المينـاء حـين قـدومهم، وضـرب الملاهـي الـتي كـانوا يرتادونها هـدف ثانـوي، لكـن هـذا الهـدف استبعد تمامًـا لقربـه مـن مسـاجد كبـيرة، ومـن المحتمـل سـقوط

---

(148) من كتاب الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.

قتلى مسلمين في حالة ضربها. وكان الأخ أبو مُحَمَّد قد سجّل نفسه في معهد لتعلم اللغة السواحلية، وكان موقع المعهد قريبًا من الأهداف المختارة، فكان يذهب كل صباح للدراسة ولمراقبة الموقع.

لم يأت الجنود الأمريكان إلى ممباسّا ذلك العام، وجاء بدلًا عنهم الجنود الفرنسيون، لكنهم لم يكونوا هم الهدف المخطط له، فقرر الإخوة ضرب مركز ال CIA وهي السفارة الأمريكية في نيروبي. وعلى الفور تحرك الأخ هارون فضل إلى نيروبي لجمع المعلومات الجديدة عن السفارة الأمريكية، وكانوا يسمونها "النجمة".

وكان الهدف الجديد أمرًا في غاية السرية، حتى خلية التجهيز لم تكن تعرف شيئًا عنه. وبالفعل اقترب الأخ هارون من السفارة ودرسها بشكل جيد من كل الاتجاهات، فدرس نقاط الضعف فيها، وعرف أنها جُدّدت بعد ضربة لبنان في سنة 1983م، وتأكد هارون من وجود المارينز الذين يحرسون السفارة من على السطح، واستطاع هارون أن يصل إلى قسم التأشيرات في المدخل، وبدأ يحسب المسافة بالخطوات إلى الشارع العام من الأمام، فكانت عشرون مترًا وكذلك من الخلف، ودرس كل المداخل والمخارج الممكن استخدامها، فقد كانت السفارة ضخمة جدًا، ويتواجد أمامها المئات من السيارات التي تحمل أرقام السفارة الأمريكية، وكانت تقع في منطقة مزدحمة، فهناك أكثر من ثلاثة محطات رئيسية للباصّات في المنطقة، أيضًا محطة القطارات كانت قريبة من السفارة، كذلك كانت المنطقة مكتظة بالسكان.

كذلك قرر الإخوة ضرب السفارة الأمريكية في تنزانيا لسهولة الوصول إليها، فقد كانت في مكان معزول بعيدًا عن الزحام، وبجوارها السفارات الفرنسية والبلجيكية والألمانية. وكان الأخ أبو مُحَمَّد قد عرض على الأخ عبد الوكيل المصري (أبو جهاد النوبي سابقًا)، ليشرف على عملية دار السلام فوافق، ولم يكن عبد الوكيل يعلم شيئًا عن العمل في نيروبي، فقد أخبره أبو مُحَمَّد بأن العمل فقط في دار السلام. ولم يسمع عبد الوكيل بعملية نيروبي إلا بعد تنفيذها، وذلك بعد أن رجع إلى أفغانستان، كذلك أشرك الأخ أبو مُحَمَّد الأخ خلفان خميس، وأحمد جيلاني ليكونوا ضمن خلية تنزانيا.

وكانت خلية تجهيز المواد المتفجرة وشرائها مكلفًا بها أحد الإخوة، نجح من تنزانيا في الاتصال ببعض الشركات، وأخبرهم أنه يهتم بصيد السمك والحفر، فكان يشتري منهم المواد المتفجرة TNT، ثم بعد ذلك يقوم الأخ فهد الكيني بنقل تلك المواد عبر الحدود إلى ممباسّا. وعندما

كثـرت تلـك المـواد، أضـاف الأخ أبـو مُحَّد للعمليـة الأخ شـيخ سـويدان (أبـو يحـي الكيـني)، ليشـارك فهـد في نقـل المـواد، فقـد كـان لديـه سـيارة بيـك أب، فاسـتطاعا احضـار معظـم المـواد وتخزينهـا في ممباسّـا. ولم يكـن الإخـوة العـرب الآخـرون المتواجـدون في كينيـا، وهـم شـعيب (السّـعدي)، ومصـطفى (عبد الوكيل)، ومُحَّد عودة يعرفون أي شيء عن هذه العملية، فقد كانت في غاية السرية.

ولمـا اكتملـت عمليـة نقـل المـواد وتخزينهـا، وصـل قادمًـا مـن أفغانسـتان في مـارس 1998م، الأخ الخبـير في هندسـة المتفجـرات أبـو عبـد الـرحمن المهـاجر المصـري. فتشـاور الإخـوة أبـو مُحَّد المصـري وهـارون وعبـد الـرحمن في تجهيـز الشـاحنة المفخخـة لتكـون في نـيروبي. وحـتى يكونـوا خـارج دائـرة الشـبهات، وبعيـدًا عـن أي مشـاكل أمنيـة، قـرروا ضـرورة اسـتئجار بيـت راقٍ في حـي راقٍ، وكـان ذلـك البيـت يبعـد عشـرين كيلـو مـترًا مـن وسـط نـيروبي، وكـان جـيرانهم مـن الدبلوماسـيين، ففـي ميسـرتهم يهـودي، وفي الميمنـة وزيـر كيـني، وفي الخلـف دبلوماسـي باكسـتاني، وفي الأمـام رجـل ألمـاني، وكـانوا كلهـم بعـائلاتهم. وأحضـر هـارون فضـل زوجتـه مـن السـودان لتكـون معهـم في نفـس البيـت. ثم بـدأ الإخـوة فهـد والأخ شـيخ سـويدان في نقـل المـواد مـن ممباسّـا إلى نـيروبي يوميًـا. كـذلك صـمم الأخ شيخ سويدان الصناديق الخشبية التي ستحمل الحمولات، وسحبت كل الصناديق قليلًا قليلًا.

وفي هـذه الفـترة جـاء الإخـوة المنفـذون مـن أفغانسـتان، وهـم عـزام المكـي منفـذ عمليـة نـيروبي، وأحمـد عبـد الله الألمـاني (مصـري) منفـذ عمليـة دار السـلام. وبـدأ الأخ أبـو عبـد الـرحمن المهـاجر بتجميـع المتفجـرات في الصـناديق بعـد خلـط مـادة ال TNT مـع مـادة الألمونيـوم، وكـان يسـاعده في العمـل الأخ عـزام وأحمـد عبـد الله الألمـاني. وأثنـاء هـذه الفـترة، كـان الأخ هـارون يـدرب الأخ عـزام علـى فهـم طرقـات نـيروبي، ونظـام السير في شـوارعها. وكـان علـى عـزام حـتى يـتمكن مـن الـدخول مـن المـدخل الرئيسـي ليصـل لمؤخرة السـفارة، أن يخـالف خـط السـير، لـذلك كـانوا يـذهبون مـرارًا وتكـرارًا لمنطقة الهدف، حتى تمكن عزام من حفظ كل المداخل والمخارج بدقة.

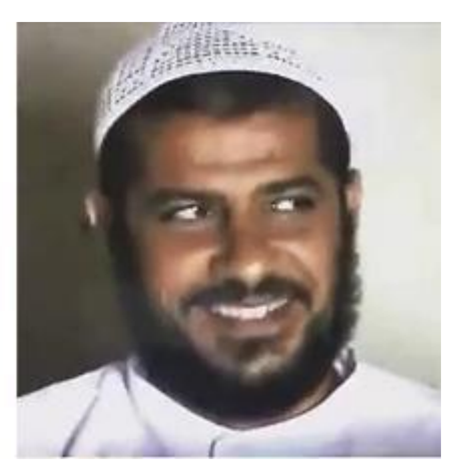
وكـان مـن المفـترض أن ينفـذ الأخ عـزام العمليـة لوحـده، لكـن لمـا كـان مـن المؤكـد أن الحـراس سـيواجهون السـائق، لـذا كـان لا بـد أن يكـون هنـاك أحـد يحميـه بالسـلاح، حـتى تـتمكن السـيارة مـن الوصـول إلى الهـدف. لهـذه الأسـباب قـرر الإخـوة أن العمليـة يجـب أن تكـون بشخصـين، فوصـل الاستشـهادي مُحَّد راشـد داوود العـوهلي في 1998/7/30م، ليكـون رفيـق عـزام في العمليـة. أمـا عمليـة دار السـلام، فكـان منفـذها شـخص واحـد، وهـو أحمـد عبـد الله الألمـاني رحمـه الله. وبعـد

عشرين يومًا من العمل المتواصل، ومع نهاية شهر يونيو، كانت الشاحنة المفخخة لعملية نيروبي جاهزة تمامًا وواقفة في البيت.

بعد اكتمال شاحنة نيروبي، سافر الإخوة أبو عبد الرحمن المهاجر وأحمد عبد الله عبر الحدود إلى تنزانيا، يرافقهم الأخ أحمد جيلاني لتجهيز الشاحنة المفخخة الأخرى لعملية دار السلام. وبالفعل مع نهاية شهر يوليو أصبحت الشاحنة جاهزة. وكان هناك فائض في المواد، فخطرت للإخوة فكرة أن يتم ضرب الصهاينة اليهود مع الأمريكان سويًا. وبالفعل رجع هارون إلى نيروبي، وجمع المعلومات اللازمة لضرب السفارة الصهيونية، فقد كانت هدفًا سهلًا جدًا، يمكن الوصول لها من كل الاتجاهات، فقد كان هناك موقف سيارات مباشر على جدار السفارة، لكن المشكلة الوحيدة كانت أن هناك مدرسة أطفال كينيّين بجوار السفارة، لذلك صرف الإخوة النظر عن استهدافها.

وكان الإخوة قد اتخذوا عدة إجراءات، تخفيفًا للخسائر المادية والبشرية المحتملة في صفوف الكينيّين منها، أن يكون التنفيذ في العاشرة صباح من يوم الجمعة، نسبة لأن كثيرًا من المسلمين يبدؤون بالذهاب إلى المساجد في هذا التوقيت، وبالتالي لن يكون هناك عدد كبير منهم في منطقة السفارة المكتظة بالناس، وحتى الغير مسلمين يكونون في مكاتبهم، وفي مثل هذه الساعة يكون الشارع خاليًا من كثرة المارة، وليس كالساعة الثانية عشرة عندما يخرج الجميع للغداء. كذلك اختار الإخوة يوم الجمعة، لأنه آخر يوم في الأسبوع، فالكل يكون موجودًا في عمله في السفارة، وقرر الإخوة أيضًا أن يكون الهجوم من الخلف، لينحصر الانفجار في المباني.

وكان الدور الرئيسي للعوهلي هو الهجوم المباشر على حراس البوابة، ثم إبعاد الناس بقنابل صوتية غير مؤذية، مصنوعة من مادة متفجرة فقط بدون شظايا، لطرد أكبر عدد ممكن من الناس من الموقع. أيضًا كان الإخوة قد منحوا عزام مدة، دقيقة واحدة للمناورة والاشتباك مع المارينز بالمسدس، ليعطي العوهلي فرصة لطرد أكبر عدد ممكن من المارة من دائرة التفجير، وإذا أحس أن المارينز سيصيبونه فعليه أن يستخدم السلاح الكبير وهي الشاحنة المتفجرة.

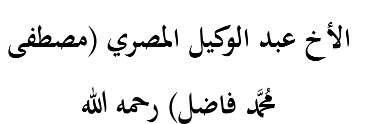


أبو مُحَمَّد المصري (عبد الله أحمد عبد الله) تقبله الله



الأخ هارون فضل (عبد الله مُحَمَّد فاضل) رحمه الله





الأخ عبد الوكيل المصري (مصطفى مُحَمَّد فاضل) رحمه الله

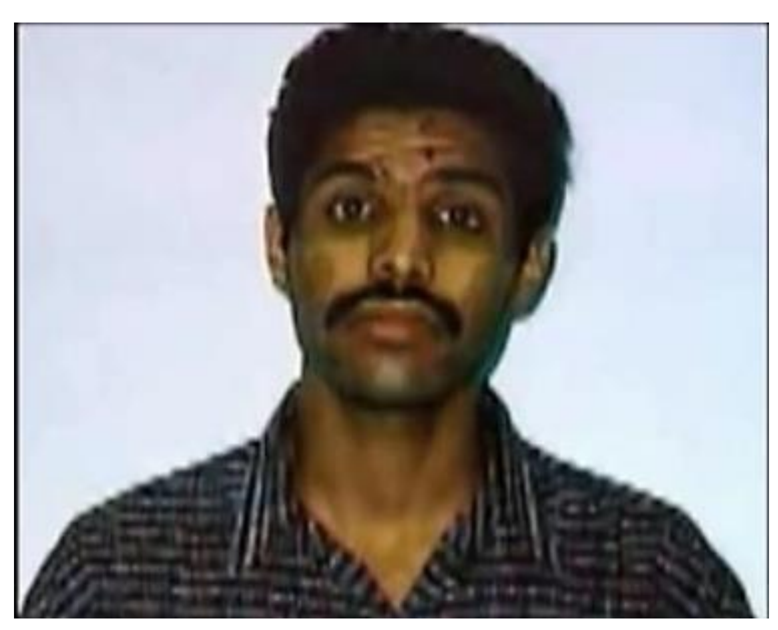


الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر
(محسن موسى متولي)
رحمه الله

الأخ أبو أسامة الكيني
(فهد مُحَمَّد) رحمه الله

الأخ أبو يحيى الكيني
(شيخ أحمد سالم سويدان) رحمه الله

الأخ هيثم التنزاني
(أحمد جيلاني) فكّ الله أسره



مُحَّد راشد داوود العوهلي (البلوشي)، أحد منفّذي عملية نيروبي، فكّ الله أسره[149]

خلية عمليات نيروبي ودار السلام[150]

وبعد اكتمال كل التحضيرات، بدأ العد التنازلي لعمليات شرق إفريقيا، وبدأ الأخوة الذين شاركوا في تجهيز العمليات، وهم الأخوة أبو مُحَّد[151] وعبد الرحمن المهاجر وفهد وشيخ سويدان

(149) كان على بعد أمتار قلائل من السيارة المفخخة بثلاثة أطنان من المتفجّرات، لكن (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا) فكتب الله له الحياة، واستطاع أن ينسحب من مسرح العملية، وحاول أن يتواصل بالإخوة ليرسلوا له مبلغًا من المال، وجواز سفر – لأنه كان قد مزّق جواز سفره – غير أنه بعد ثلاثة أيام وقع أسيرًا في أيدي قوات الأمن الكينية، وسلّم بعدها لأمريكا، فلا نامت أعين الجبناء.

(150) جديرٌ بالذكر أن الحكومة الأمريكية – بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر – كانت قد رفعت قيمة المكافأة المالية لكل من يدلي بمعلومات تؤدّي لأسر أي أحد من أفراد الخليّة إلى خمسة وعشرين مليون دولار.

(151) كان من المفترض — تفاديًا من المرور في طريق عودته إلى أفغانستان بدبي – أن يمر الشيخ أبو مُحَّد المصري بالخرطوم، غير أنه سافر مباشرة إلى باكستان. وكان الأمريكان قد اعترضوا مكالمة هاتفية من أفغانستان بين الشيخ أبي مُحَّد المصري وبين الأخ طلحة السوداني رحمهم الله جميعًا، حيث كان طلحة يسأل الشيخ أبا مُحَّد ويقول له: لماذا لم تأتِ؟ فردّ عليه الشيخ أبو مُحَّد قائلًا: لقد خفنا عليك. وبناءً على تلك المكالمة – بعد تحليلها – طالب الأمريكان من حكومة البشير تسليم اثنين من السودانيين يُشتبه أن تكون لهما علاقة بعمليتي نيروبي ودار السلام، وبالطبع أنكرت حكومة البشير أي علم لها بهذين الشخصين. وبناءً على تلك المستجدّات كان جهاز الأمن السوداني قد اعتقل كلًا من الإخوة طلحة السوداني وأبي مُحَّد السوداني (صلاح كاروري) رحمهم الله، والعبد الفقير، وكان التحقيق معنا يتمحور حول نقطة واحدة فقط وهي: هل الشيخ أسامة وراء تلك العمليات؟ فأنكرنا جميعًا أي علمٍ لنا بضلوع الشيخ أسامة بتلك العمليّات. ورغم أن حكومة البشير كانت قد استجابت لضغوط أمريكا كما أسلفنا قبل ذلك بإبعاد الشيخ أسامة من السودان، إلّا أن أخوف ما كانت تخاف منه هو

وعائلتـه، وأحمـد جيلاني ومصـطفى وعائلتـه، والـذين لم يشـاركوا مثـل مُحَّد عـودة والأخ شـعيب وعائلتـه، بـدأوا جميعًـا في المغـادرة والرجـوع إلى أفغانسـتان، باسـتثناء الأخ خلفـان خمـيس التنـزاني، فقـد فضّـل المغـادرة إلى جنـوب إفريقيـا، لكنـه مـا لبـث أن أُسـر في 5 أكتـوبر 1999م، وعلـى الفـور تمّ ترحيلـه في اليـوم التـالي لأمريكـا، ثم حًـوكم عـام 2000م مـع ثلاثـة آخـرين هـم الأخ وديـع الحـاج اللبنـاني، والأخ مُحَّد راشـد داوود العـوهلي، والأخ مُحَّد عـودة الأردني بتهمـة تفجـير السـفارات، نسـأل الله الكـريم أن يعجّل بفكاك أسرهم جميعًا.

وكـان الأخ فهـد الكيـني رحمـه الله، والأخ مُحَّد عـودة فـك الله أسـره، مـن أواخـر الإخـوة الـذين غـادروا كينيـا، فوصـلوا كراتشـي قبـل وقـت قليـل مـن تنفيـذ العمليـات، واسـتطاع الأخ فهـد الخـروج مـن المطـار، لكـن الأخ مُحَّد عـودة كـان قـد اسـتوقفته سـلطات الجـوازات، لأنهـم شـكّوا في جـوازه بسـبب الصـورة الـتي عليـه، وأثنـاء ذلـك حـدث تفجـير السـفارات الـذي لم يكـن لمحمـد عـودة أي دخـل فيـه، ولا علـم لـه بـه. وهنـا احتجزتـه السـلطات الباكسـتانية واتهمـوه بأن لـه يـدًا فيهـا، وتحـت التعـذيب اعـترف مُحَّد عـودة زورًا بضـلوعه في العمليـة، ومعرفتـه لكـل الإخـوة الـذين شـاركوا فيهـا، ونشـاطه السـابق في الصـومال، وعضـويته في القاعـدة، وسُـلم بعـدها مباشـرة للأمريكـان الـذين طـاروا بـه إلى أمريكـا، وهنـاك حُكـم عليـه بالسـجن المؤبـد عـام 2000م نسـأل الله الكـريم أن يفـك أسـره، وأسـر كـل إخواننا المجاهدين.

وحقيقـة كـان الأخ هـارون فضـل قـد طلـب مـن الأخ مُحَّد عـودة قبـل وقـت مبكـرٍ مـن تنفيـذ العمليـات أن يغـادر إلى أفغانسـتان، لأن الإخـوة في حاجتـه هنـاك، لكـن الأخ مُحَّد كـان قـد تباطـأ كثـيرًا في تنفيـذ الأمـر، وكانـت حجّته أنـه يبحـث عـن جـواز سـفر، ويأمـل أن يحصـل علـى جـواز سـفر رسمـي مـن كينيـا، غـير أنّ ذلـك تأخـر كثـيرًا. وأخـيرًا وجـد مُحَّد عـودة جـوازًا يمنيًـا جديـدًا، لكـن الصـورة الـتي في الجـواز لم تكـن مشـابهة لـه، ولم يكـن الأخ هـارون – باعتبـاره أفضـل خبـير في تجهيـز الأوراق في التنظـيم – مطمئنًـا للجـواز، وكـذلك الأخ أبـو مُحَّد المصـري، لكـن الأخ مُحَّد عـودة أصـرّ علـى أن

أن تكون للشيخ أسامة رحمه الله علاقة بالحدث، لأنه إن ثبت ذلك سيترتب عليه تداعيات ومزيدًا من الضغوط سيكون لها ما بعدها على البلاد، نسبةً لأن شركات الشيخ أسامة حتى ذلك التاريخ كانت تزاول أعمالها في السودان. ولعل هذه المكالمة كانت واحدة من الأسباب الرئيسية على أساسها بنت الحكومة الأمريكية قناعتها الخاطئة بتورّط حكومة البشير في العمليات، فصبّت جام غضبها بسيلٍ من صواريخ كروز انهارت لتدمّر مصنع الشفاء للأدوية، الذي ادّعت أمريكا زورًا ملكيّته للشيخ أسامة، وأنه مخصص لإنتاج اسلحه كيمائية.

الصـورة الـتي في الجـواز تشـبهه ولا داعـي لتغييرهـا. وكـان محمد عـودة يخشـى أن يجـازف بموضـوع الأوراق فيخسـر جـوازه الجديـد، كمـا خسـر مـن قبـل جـوازه الأردني المسـتخرج مـن اسـلام آباد عـام 1996م، عندما تم تغيير صورته الملتحية بصورة أخرى غير ملتحية.

وأخـيرًا، وبعـد إعـلان بيـان الجبهـة الإسـلامية العالميـة بقليـل، وبعـد تهديـدات متتابعـةٍ مـن المجاهـدين لأمريكـا مطالبـةٍ لهـا بكـفّ أذاهـا عـن المسـلمين في فلسـطين، وإخـراج جيوشـها مـن أرض الحـرمين، وبعـد إعـراضٍ مـن حاميـة الصـليب، صـرح الشـيخ أسـامة، بأنـه سيضـرب خـلال أسـابيع. وبقـي الأمريكيـون في حالـة ترقـب في المنطقـة العربيـة والخليج، وبينمـا هـم في كامـل التأهـب أتـتهم الضـربة في الموقـع الـذي لم يحتسـبوه، ففـي يـوم الجمعـة 1998/8/7م، وهـو ذات اليـوم الـذي وطئـت فيـه أقـدام الأمريكـان بـلاد الحـرمين قبـل ثمانيـة سـنين - ومـا بـين العاشـرة والنصـف والعاشـرة وأربعـين دقيقـة، هـز انفجـاران عنيفـان، يفصـل بينهمـا ثلاثـة دقـائق، سـفارات أمريكـا في كـل مـن العاصـمة الكينيـة نـيروبي، والعاصمة التنزانية دار السلام.



هكذا أصبحت السفارة الأمريكية في نيروبي أثرًا بعد عين

وكالعادة، تضاربت الأنباء حول الخسائر البشرية، لكن كما يقولون: الحق ما شهدت به الأعداء؛ فقد صرحت السفيرة الأمريكية بروشنل، وهي تقول بالحرف الواحد في جريدة النّيشن الكينية:

" يوم العملية، كنت في الدور 21 في مبنى بنك التنمية المجاور، وكنت أعمل لقاءً مع وزير التعليم الكيني، ثم سمعت صوتًا يشبه الرصاص، فقلت للوزير ما هذا؟ فرد عليّ بأن المنطقة مزدحمة، وهناك عمال السكك الحديدية، ولم ينقطع الصوت، وعندئذ تيقنت أن هناك أمرًا ما يحدث، ثم فجأة وجدنا أنفسنا فوق المكاتب، وسمعنا صوت زلزال كبير، ثم توقف المصعد وتعبت جدًا حتى وصلت إلى الدور السفلي، ولما توجهت لمكتبي في السفارة المدمرة، قلت لنفسي إنني محظوظة، لو كنت في مكتبي إذًا لأصبحت في خبر كان، أقول بأنني قد فقدت 150 من عائلتي". ا. هـ

وكان أحمد عبد الله رحمه الله، وهو من إخوة الجماعة الإسلامية، قد ذكر في وصيته أنه قام بهذه العملية باعتباره أحد جنود جيش تحرير المقدسات، حتى يرفع الحرج عن الجماعة الإسلامية التي تراجعت فيما بعد عن عضويتها في الجبهة الإسلامية العالمية[152].

وعن غزوتي نيروبي ودار السلام يقول الشيخ أسامة رحمه الله، في معرض ردّه على مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل:

" نشرت التقارير الاستخبارية العالمية أنها كانت ضربة مؤلمة، ولم يأخذوا مثلها منذ تفجير مقر المارينز في لبنان، حيث أن سفارة أمريكا في نيروبي كانت عبارة عن ست سفارات أمريكية مركبة، ومنها انطلق الغزو الأمريكي إلى الصومال، وقتل من إخواننا ونسائنا وأبنائنا في الصومال 13 ألفًا، بل تحت راية الأمم المتحدة، وذكرت الأخبار بالصور أنهم كانوا يشوون إخواننا الصوماليين كما تشوى النعاج ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولم يتكلموا عن مدى الوحشية أو عن الاعتداء وغير ذلك، وإنما اللوم يأتي دائمًا على المسلمين إذا دافعوا عن أنفسهم. ومن هناك ومن بضع عقود تدار المؤامرات الأمريكية لتقسيم السودان وتنطلق من نيروبي، والذي يدبر الأمر في تلك الدولة هي السفارة الأمريكية كما هو معلوم، وأكبر مركز للمخابرات الأمريكية في شرق إفريقيا هو تلك

---

(152) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

السفارة، ومن فضل الله على المسلمين كانت ضربة موفقة كبيرة جدًا، كانوا أهلًا لها حتى يذوقوا مما ذقناه في صبرا وشاتيلا، وفي دير ياسين وقانا وفي الخليل وغيرها".



صليبيون يعذّبون أحد الصوماليين شويًا على النار

ومن خلال هاتين العمليتين، أثبتت العناصر الجهادية أن لديها القدرة الإدارية والفنية والبشرية على تنفيذ مهمات خاصة ومعقدة، وأنها استطاعت استغلال عنصر المفاجأة إلى أقصاه، كما أنها استطاعت كذلك التنسيق بين الحادثتين وبكمية تدمير هائلة. وكرد فعل للعمليات، قام الأمريكيون بضرب السودان وأفغانستان، حيث انهالت على أفغانستان عشرات من صواريخ كروز[153] وجّهت لضرب معسكرات القاعدة في خوست، واستشهد على إثرها عدد من الإخوة رحمهم الله. كذلك استهدفت الصواريخ مصنع الشفاء لصناعة الأدوية في السودان. ولم يكن المصنع – كما ادّعت أمريكا – ملكًا للشيخ أسامة ولا يمتّ له بصلة[154].

---

(153) تكلفة العملية لم تتجاوز نصف مليون دولار في حين تكلفة الرد على العملية تجاوزت أكثر من 100 مليون دولار.

(154) مقال بعنوان: غزوة 11 سبتمبر، المستحيل إذ صار ممكنا. أبو عبيد القرشي. بتصرف.

الخلاف بين الشيخ أسامة وأمير المؤمنين الملا عمر:

نتيجة لزيادة حدة التصعيد الإعلامي الذي أطلقه الشيخ أسامة عن طريق سلسلة المقابلات الصحفية والتلفزيونية، التي كان يحرّض فيها المسلمين على حرب أمريكا وجهادها، ونتيجة للعمليات الهجومية التي أعقبت ذلك التصعيد على سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام، كان لكل ذلك تداعيات كبيرة أدت إلى ضغوط شديدة من قبل أمريكا وحلفائها على طالبان، واتخذت لذلك إجراءات اقتصادية وسياسية من الحصار والعقوبات، بل والتهديدات الجدية بالحرب والغزو.

وكان جميع وزراء الطالبان قد اجتمعوا - بعد القصف الأمريكي الذي تعرضت له أفغانستان على إثر تفجير السفارات - ثلاثة أيام عند أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، ليتخذ قرارًا في أمر الشيخ أسامة. وكان المتوقع أن يطلب أمير المؤمنين من الشيخ أسامة والعرب تجميد نشاطهم، وإغلاق معسكراتهم، غير أن أمير المؤمنين لم يزد على أن وبّخ بعض الوزراء الذين اعتراهم الخوف والتردد، وأعطاهم درسًا في التوكل على الله، وعدم الخوف من أمريكا، بعد أن هزم الله على أيديهم من هو أقوى من أمريكا، وأقرب إليهم جيرة من أمريكا، وهم الروس وأزال دولتهم. وصرح أمير المؤمنين بقوله: "**لو لم يبق في أفغانستان إلا دمي، لمنعت أسامة بن لادن والمجاهدين العرب وما أسلمتهم**..."[155].

وكان أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، كعادته يتفقد الإخوة بين حين وآخر، وينظر هل ينقصهم شيء ويعمل على استكماله؛ فقد كان معهم رحمه الله ودودًا ورقيقًا جدًا. وكالعادة أحضر معه مجموعة كبيرة من شورى الطالبان، وعددًا من أقاربه إضافة لحرسه. وبدأت الجلسة كالعادة ودية، وكان هدف الزيارة هذه المرة طلب توقف الشيخ أسامة عن النشاط الإعلامي والقتالي. وهنا انفعل الشيخ أسامة رحمه الله وقال: "إذا كان قد صعب عليكم حمايتنا على أرضكم فإننا نترك لديكم النساء والأطفال، ونخرج نحن للجهاد من مكان آخر". وهنا واجهه الملّا عمر رحمه الله بهدوء الأفغان، وحلم أهل العلم وقال له: "لماذا تذهبون، لدينا محاكم شرعية وعلماء ثقات، أنا

(155) أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم – للشيخ أبو مصعب السوري. بتصرف

وأنت نرفع قضيتنا إليهم"[156]. وهنا انتهى الحوار وكان الجو مشحونًا، فاستأذن أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله وغادر. وبالطبع لم يُحدث هذا الأمر شيئًا في العلاقة بين الرجلين، ولم تتغير قناعات أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله تجاه حماية الشيخ أسامة، لما كان يحمله من مشاعر الوفاء والاحترام تجاه الشيخ أسامة أولًا كضيف عربي كريم، وثانيًا لما قدمه الشيخ أسامة الذي ترك الدنيا وهي تحت قدميه، وجاء إلى جبال وصحاري أفغانستان مجاهدًا بنفسه وماله. لقد كان أمير المؤمنين رحمه الله، كالطود الشامخ ضد مخالفيه فيما يخصّ الشيخ أسامة، ورفض دعواهم حتى نصره كبار علماء أفغانستان بفتواهم[157].

وبالفعل جُمع عدد كبير من علماء أفغانستان، وطُلب منهم المشورة في مسألة الشيخ أسامة بن لادن. ولم يكن مطروحًا البتّة تسليم الشيخ أسامة، لكن الخلاف كان حول هل يبقى أم يُطلب منه أن يغادر أفغانستان. وكان المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يخشون أن يصدر شيء يسوء أهل الإيمان في كل مكان، لكن بحمد الله صدرت توصية العلماء والشيوخ، لا تلزم الملّا عمر بشيء، واختار الملّا عمر رحمه الله بقاء الشيخ أسامة في أفغانستان[158].

(156) في مقال سابق بعنوان طالبان وعقدين من الصمود، كنت قد ذكرت خطئًا بأن الشيخ أسامة رحمه الله، هو من طلب أن يرفع الخلاف بينه وبين أمير المؤمنين رحمه الله، أمام لجنة قضائية من العلماء. لكن الصحيح هو أن أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، هو من طلب ذلك بناءً على ما تقدّم.

(157) نقلًا من رواية الشيخ سيف العدل حفظه الله.

(158) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. فارس الزهراني رحمه الله.



مؤتمر علماء أفغانستان لمناقشة موضوع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله

نص الفتوى التي أفتى بها المولوي عبد الله الذاكري، رئيس اتحاد علماء أفغانستان بشأن إخراج الشيخ أسامة بن لادن[159]:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

اتحاد علماء أفغانستان

تاريخ 3 /1420/8هـ، الموافق 11 نوفمبر 1999م

أمير المؤمنين المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

(159) الميزان لحركة طالبان تأليف الشيخ الشهيد: يوسف بن صالح العييري.

في تاريخ 30 رجب 1420هـ، جاء إلى بيتنا رئيس المحكمة الاختصاصية الشيخ أحمدي، وقال: يجب على علماء الأفغان أن يدرسوا المشاكل التي تواجه أفغانستان. وفي تاريخ 1 شعبان 1420هـ، جاء الشيخ عبد العلى صاحب وقد اشترك في مجلس العلماء في مدينة كُويتّه، وقال: أنا مدعو لقندهار، ويجب على العلماء أن يسافروا إلى قندهار فورًا، وأن يقابلوا علماء دار الإفتاء في الإمارة الإسلامية في أفغانستان، الرسميين وغير الرسميين، وأن يوحدوا رأيهم مع علماء دار الإفتاء ويرفع لأمير المؤمنين.

وفي 3 شعبان 1420هـ، ذهب وفد من العلماء ومعهم الشيخ ذاكري والشيخ عبد العلي إلى قندهار، وقبل وصولهم إلى قندهار كان علماء دار الإفتاء بالإمارة الإسلامية اتفقوا بتسليم أسامة بن لادن لسفارة الصين أو إيران، وأرسلوا خطابًا لكم بما اتفقوا عليه.

ولكن نظرنا أنه إذا سُلم أسامة سيكون مطلب أمريكا أيضًا رفع الحجاب عن النساء، وإيقاف الحدود والقصاص وغيره، وتوقيف الأحكام الإلهية، وسيطلبون حكومة كفرية خالصة، وينفذون أحكامهم الوضعية وهو مطلبهم، مع إيجاد حكومة عميلة لهم، وعند ذلك سيرضون حينما يصبح الأفغان عقيدة وصورة وسيرة مطابقة لما يرغبون، وفي هذه الحالة لن يرضى الله عنا، وستواجه الأمة الإسلامية خسرانًا ثقيلًا، ودماء الشهداء ستكون هباءً منثورًا، ويكون في هذه الحالة ذريعة لهم لتكون حكومة كفرية، وسينفُر الشعب الأفغاني ومسلمو العالم من كل عالمٍ وطالبٍ للعلم، ولن يقفوا معهم أبدًا، وستكون بينهم قطيعة، وسينظرون لطالب العِلم والعالِم وهذه الحركة خاصة على أنهم عملاء لأمريكا، وإن حصل شيء من ذلك ستقع المسئولية أمام الله وأمام الناس على عاتقكم لوحدكم.

فلهذا أقول بالتأكيد هذا العمل – أي تسليم أسامة بن لادن – مردود شرعًا وسياسةً، وغير جائز ولا تفعل هذا، لأن هذا العمل هو بمثابة إعلان الحرب على الله، نحن ننتظر جوابكم ولكم الاحترام.

ملاحظة: دين الله المقدس فيه حل لكل المشاكل، فاسمح لنا أن نرتب، وأنتم تنفذون والسلام.

توقيع: بعض أعضاء اتحاد علماء أفغانستان:

مولـوي عبـد الله، مولـوي مُحَّد الحنفـي، مولـوي مُحَّد صـادق، مولـوي مُحَّد نـور، مولـوي أبـو الفضـل، مولـوي حـافظ نـور مُحَّد، مولـوي جـانان احمـدي، مولـوي مُحَّد حـق، مولـوي عبـد الحـق حقـاني، مولـوي مُحَّد ريـس، مولـوي نظـر، مولـوي آغـا جـان، مولـوي عبـد العلـى، مولـوي سـيد بار، مولـوي الحـاج حافظ شاكر الله، مولوي مُحَّد رسول، مولوي عمر، مولوي عبد الودود".

رد أمير المؤمنين على رسالة اتحاد علماء أفغانستان:

الإمارة الإسلامية بأفغانستان

المكتب الخاص لأمير المؤمنين حفظه الله

رقم ......

تاريخ 3 /1420/8هـ،

الموافق 11/نوفمبر/1999م

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء الكرام المحترمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

نحن وأنتم في هذا العالم قد أحيينا اسم الإسلام إلى قدر ما. ومن جهة أخرى لن تقبل أمريكا أي كلام غير تسليم أسامة بن لادن، وفي حالة تسليمه ستسقط قلوب المسلمين، وستكون ضربة لحيثية وسياسة الإسلام، وعند ليونة جانبنا لهم – أي أمريكا – ومن بعدها الإنكار ستقوى شوكتهم. مطلبنا رفع راية الإسلام، والباقي على الله، وما سيحصل بعد ذلك ليس من أجل أسامة بن لادن، ولكنها مسألة كفر وإسلام، وفي حالة تسليمه سترتفع راية الكفر، وفي حالة عدم التسليم ترتفع راية الإسلام. ولأجل رفع راية الإسلام يجب أن يتحمل المسلمون كل المشاكل، وقد استعملنا جميع الحِكم، ولكن ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

ولكم الاحترام

خادم الإسلام أمير المؤمنين

ملّا مُحَّد عمر مجاهد".

وفي خطبة أخرى بشأن إبعاد الشيخ أسامة من أفغانستان، قال الملّا عمر رحمه الله: "**لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامه بن لادن. إن إخراج المجاهدين العرب من أفغانستان، استجابة لمطالب مجلس الأمن الذي يحاصرنا لأجلهم، لن ينهي صراعنا معهم، هم لا يستهدفون أشخاصًا كما يزعمون، بل إنهم يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية، فلو أننا استجبنا لمطالبهم وأخرجنا من يريدون، فإن مطالبهم لن تقف عند هذا الحد، بل إنهم سيطالبوننا بتغيير أنظمتنا الشرعية تجاه المرأة وتجاه المخالفين، وأن نشكّل حكومة موسعة، ولا نحكم بالشريعة. وهذه هي السودان عندما استجابت لمطالبهم وأخرجت المجاهدين، لم تنته معاناتها حتى الآن**".

وبفضل الله، أدت مسألة تسليم الشيخ أسامة التي جعلتها الولايات المتحدة شرطًا في وقف الحصار الذي فرض على أفغانستان بقرار من مجلس الأمن، إلى تقوية مكانة الشيخ أسامة عند الملا عمر، ولم تضعف كما ظن الأمريكيون الذين لا يفهمون خصائص الشعوب وتاريخها؛ فكانت قراراتهم أسبابًا في خلق ما يسعون لإبادته، وأعمالهم عوامل بناء لما يريدون هدمه والتخلص منه.

الدروس المستفادة من قضية تسليم الشيخ أسامة:

أولًا: لقد كان بإمكان أمير المؤمنين - نسبة لما سيترتّب عليه من تبعات - مواجهة إصرار الشيخ أسامة على برنامجه في مواجهة أمريكا بمنعه بالقوة أو المواجهة، لكن ما كان لأمير طلّاب العلم الشرعي أن تصل ردة فعله إلى ذلك الحد، فرفع القضية برمّتها أمام العلماء لتكون كلمتهم - بناءً على قول الله عزّ وجل ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ - هي الفصل في هذه القضية.

ثانيًا: لقد علّمنا الطالبان من قضية تسليم الشيخ أسامة وما تبعها من تداعيات دروسًا عظيمة في أن الموالاة في الإسلام هي التطبيق العملي لمفهوم الأخوة في الإيمان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. وأخوة الإيمان ليست شعارًا مجردًا عن القول والفعل، بل إن الأخوة الحقة تقتضي التناصر والتعاون بين المسلمين لإحقاق الحق وإبطال الباطل ورد المعتدي وإجارة المهضوم. فلا يجوز شرعًا وعقلًا أن يترك المسلم أخاه يكافح وحده قوى الشر والعدوان والظلم والطغيان، وهو ينظر إليه نظر المتفرج الذي لا يعنيه الأمر، إنه لا بد من الوقوف مع المسلم على أي حال كان، فيجب على الأخ المسلم أن يرشد أخاه إذا ضل، ويمنعه إن تطاول، ويدافع عنه إذ هوجم، ويقاتل معه إذا

اعتدي عليه واستبيح حماه، وذلك هو معنى التناصر الذي فرضه الله ومعنى الموالاة التي أرادها الله.
قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)[160]. رواه البخاري

ثالثًا: لقد فقه الطالبان حقيقة قول الفقهاء عندما قالوا: لو أن مسلمًا أُسر لدى الكفار لوجب على جميع المسلمين فكاك أسره، ولو تركوه أثموا جميعًا، فكيف بمن يستجيب طائعًا مختارًا لمطالب أمم الكفر بتسليم مسلمٍ مستضعف مستجير، يعيش عزيزًا في أرضه بين المسلمين؟

رابعًا: لقد وضع علماء الطالبان وأمير المؤمنين الملّا عمر النقاط على الحروف، وذلك بفهمهم منذ اللحظة الأولى لحقيقة الصراع التي غفل أو تغافل عن فهمها الكثير من الناس. لقد فهموا أنّ الأمريكان لا يستهدفون أشخاصًا كما يزعمون، بل يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية. لقد فهموا أنه لو فُرض جدلًا وتنازلوا ولو مرة واحدة، وطلبوا من الشيخ أسامة رحمه الله مغادرة أفغانستان، فلن ترضى عنهم اليهود ولا النصارى، ولن تتوقف مطالبهم، وسيقولون لهم – كما قالوا لحكومة البشير من قبل – إن هذه خطوة أُولى في الطريق الصحيح يجب أن تتبعها خطوات. فالقضية إذن كما وضّحها أمير المؤمنين رحمه الله، **ليست تسليم أو عدم تسليم الشيخ أسامة بن لادن. القضية هي قضية إسلام وكفر، لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامه بن لادن لأن ذلك لن ينهي الصراع معهم.**

خامسًا: لقد تيقّن أمير المؤمنين بأن رفضه لتسليم الشيخ أسامة أمرٌ له ما بعده، وسيترتّب عليه تبعات جسيمة، ورغم ذلك لم ينحنِ ولم يرضخ، وثبت ثبوت الجبال، وتوكّل على الله التوكل المحض، وقبل بالتحدي الذي فرضته أمريكا، وما أشبه الليلة بالبارحة. لقد ضرب أمير المؤمنين بمواقفه البطولية مثالًا عمليًا رائعًا لعزّة المسلم، عندما يستمسك بدينه ويتوكل على خالقه، فقد سطّر بهذا الموقف سيرة رسول الله ﷺ، عندما بايع تحت الشجرة ألف وأُربعمائة صحابي على الموت، لمجرّد رجلٍ واحدٍ من المسلمين بعثه رسول الله الى قريش <u>أُشيع</u> بأنّه قتل. فلأجل رجل واحد قامت الدنيا في وجه أمير المؤمنين ولم تقعد. لأجل رجل واحد ضحّى الطالبان بدولتهم عندما رفضوا تسليم الشيخ أسامة رحمه الله لأمريكا، وقال في ذلك أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله قولته

---

(160) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية. محماس بن عبد الله بن مُحَّد الجلعود. بتصرّف.

المشـهورة، عنـدما هـددوه بأن أمريكـا سـتتدخل عسـكريا للإطاحـة بحكومـة طالبـان، قـال: "**والله لـو تشتعل أفغانستان حجرًا حجرًا لما أسلمت أسامة للكفار**".

استهداف المدمرة الأمريكية يو أس أس كُول:

كـان مـن العـار أن يـرى أحفـاد سـعد والمثنى وصـلاح الـدين بـوارج الصـليبيين الأمريكـان تـدخل مـواني جزيـرة العـرب لتتزوّد بالوقـود، ثم بعـد ذلـك تخرج سـالمة آمنـة لتـذهب وتقصـف إخواننـا المسـلمين في العـراق. لـذلك كـان لا بـد مـن إرسـال رسـالة قويـة للمحتـل الأمريكـي بأنـه كمـا تقتلـون تُقتلـون، وكمـا تقصـفون تُقصـفون، وكمـا تهـدرون أمننـا نهـدر أمـنكم. وانتـدب الشـيخ أسـامة لهـذه المهمـة بطـل من أبطال المجاهدين الأفذاذ، وهو الملّا بلال (عبد الرحيم النّاشري) فكّ الله أسره.



أبو بلال (عبد الرحيم النّاشري) فكّ الله أسره — الشيخ أبو علي الحارثي تقبّله الله — جمال أحمد محمّد البدوي تقبله الله — الشيخ فهد القصع تقبله الله

خلية عملية تدمير المدمرة الأمريكية يو أس أس كول

وبالتعـاون مـع أمـير القاعـدة في الـيمن الشـيخ أبي علـي الحـارثي رحمـه الله تمّ التخطـيط للعمليـة، وتجميـع المـواد اللازمـة، وشـراء القـارب وتجهيـزه بالمتفجّـرات. وبعـد الرصـد والمتابعـة والترقـب لمجيـئ البـوارج الأمريكيـة، كانـت المـدمّرة المستهدفة آنـذاك هـي " يـو أس أس ذا سوليفانز The USS Sullivans". وكـان مـن المفـترض أن تـتم تلـك العمليـة في شـهر رمضـان الموافـق ينـاير سـنة 2000م، لكنهـا أجّلـت بسـبب غـرق القـارب نتيجـة للحمولـة الزائـدة مـن المتفجـرات الـتي كانـت

عليه. وبفضل الله تمكن الإخوة من رفع المواد مرة أخرى وإصلاحها وتجهيزها من جديد، لكن كان عليهم الانتظار، لأن البارجة "يو أس أس ذا سوليفانز" كانت قد غادرت.

وبعد ما يقارب السّنة من الانتظار، شاء الله أن تكون المدمرة "يو أس أس كُول" هي الهدف الجديد. وبفضل الله وحده، تقدمت القاعدة إلى الخطوة الثانية في سلسلة الحرب الجديدة [اللا متوازية]، إذ بضربةٍ بحرية غير مسبوقةٍ وفّق الله المجاهدين لضرب المدمّرة الأمريكيَّة "يو أس أس كول" الّتي كان الإعلام العسكري الأمريكيّ يصوّرها بصورة الجيش الّذي لا يُقهر، والمدمِّرة التي لا تُدمَّر. فقد كانت حمولتها تبلغ 8600 طن، وتنقل طاقمًا من 350 شخصًا، ويبلغ ثمنها ما يزيد على بليون دولار[161].

ففي الثاني عشر من شهر أكتوبر عام 2000م، وبينما كانت شواطئ عدن تفتح ذراعيها لاستقبال المدمرة الأمريكية "يو أس أس كول" لتتزود بالوقود وبعض الخدمات، انطلق نحوها قارب بسيط من صنع محلي، مزود بمحرك جرار زراعي، مملوء بالمتفجرات، يقوده مجاهدان (حسان الطائفي ونبراس الصنعاني) تقبّلهما الله، حيث فجّرا قاربهما على مقربة من البارجة، وأحدثوا فيها فجوة كبيرة، تراوح قطرها بين ستة أمتار و12 مترًا، سببت أضرارًا فادحة في داخلها، وقتل على أثر الانفجار ثمانية عشر من البحارة الأميركيين، وجرح أكثر من ثلاثين آخرين[162].

وما إن سمع الشيخ أسامة بوقوع العملية، حتى أخرج سلاحه الكلينكوف، وأطلق طلقات في الجو ابتهاجًا بوقوعها، وصاح بأعلى صوته (هذا دمك يا محضار، هذا دمك يا محضار)، يقصد أنه قد ثأر للشيخ أبي الحسن المحضار من الأمريكان الذين قتلوه ظلمًا على يد عميلهم علي عبد الله صالح عليه من الله ما يستحق.

---

(161) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني. بتصرف.

(162) مقال بعنوان " ضرب المدمرة كول الدروس والعبر " للشيخ رفاعي طه. بتصرّف.



الشيخ أبو الحسن المحضار – تقبله الله



هذا دمك يا محضار، هذا دمك يا محضار



البحّارة الهلكى في المدمرة الأمريكية يو أس أس كول ثأرًا لدم الشهيد أبي الحسن المحضار

وكان الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر، خبير القاعدة في هندسة النسف والتدمير، هو من درب الشباب على تجهيز العبوة بنفس التقنية التي استخدمها في عملية تفجير السفارات في نيروبي ودار السلام. وكان من المخطط له أيضًا أن يتم تصوير العملية من فندق مشرف على الميناء، وكان الأخ فهد القصع هو المكلف بعملية التصوير، لكنه رحمه الله نام ولم يستيقظ إلا على دوي الانفجار.

لم تكلف عملية تدمير المدمرة كول أكثر من عشرة آلاف من الدولارات، أما الولايات المتحدة فقد أنفقت مئات الملايين من الدولارات في نُظم الحماية، وسحب السفينة، ورفع الاستعدادات، إضافة إلى ما لحق سمعتها العسكرية وسمعة أسلحتها ومدمراتها التي بدت وكأنها لعب أطفال. وأرغمت هذه الغزوة الولايات المتحدة الأمريكية - أكبر قوة عالمية - على أن تجر مدمرتها تحت

جنح الظلام، وتسلك بها مسالك شتى لا تعلن عن خط سيرها، بل ترفع درجة استعداداتها في قواتها البحرية المتواجدة في الخليج، وتمنع سفنها من المرور في قناة السويس[163].

وبدت الإدارة الأمريكية وكأنها لا تريد أن تصدق أن الحرب اللا متوازية قد بدأت بالفعل، فأطالت التحقيقات في القضية، ولم توجه أي اتهام رسمي للقاعدة في حينها، حتى ترحّل القضية للرئيس القادم ويفلت كلنتون من أن تبدأ الحرب الجديدة اللا متوازية في عهده[164].

وكان من المفترض أن يكون الشيخ بصير "ناصر عبد الكريم الوحيشي" رحمه الله، أحد المنفذين للعملية. وكان الأخ مسئول العملية – بعد اكتمال كافة التجهيزات – قد أرسل في طلب الأخ المنفذ، فسافر الشيخ بصير رحمه الله إلى كراتشي ليسافر بعدها لليمن للتنفيذ. وفي كراتشي اتصل الإخوة بالشيخ بصير طالبين منه الرجوع إلى قندهار؛ لأن مسئول العملية كان قد اتصل بهم مرة أخرى طالبًا منهم ألّا يرسلوا أحد، لأن الأخَوين حسان الطائفي (معاذ الخامري) ونبراس الصنعاني (إبراهيم الثور) اللذان شاركا في إعداد القارب، قد أصرّا على ألا ينفذ العملية أحدٌ غيرهما.



الشيخ بصير (ناصر عبد الكريم الوحيشي) تقبّله الله

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، كثيرًا ما يلقي في المناسبات قصيدة الشيخ أبي حفص الموريتاني حفظه الله، التي نظمها في تدمير المدمرة كول والتي جاء فيها:

(163)مقال بعنوان " ضرب المدمرة كول الدروس والعبر" للشيخ رفاعي طه. بتصرّف.

(164) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمَّد.

أيا فتية الإسلام يا عطر أمتي ... إليكم تحياتي من المجد أعطرُ

أحيي فيكم عزمكم وجهادكم ... وإعلاء دين الله والظهر أحمرُ

وثبتم إلى الأقصى وقد غدروا به ... أخذتم بثأر القدس والشرق ينظرُ

فأيقظتم التاريخ بعد رقاده ... فعاد إلى أمجاده يتذكر

فهذا صلاح الدين يحمل سيفه ... تسيل دماء الكفر منه وتقطر

فعادت لنا حطين بعد غيابها ... وعادت إلى الأذهان بدرٌ وخيبر

وذي أمة الإسلام جاش ضميرها ... قد انتفضت تسعي تثور وتثأر

وإخوانكم في الشرق شدُّوا سروجهم ... وكابول شدت والنجائب ضُمَّرُ

ونجدٌ بها هبَّ الشبابُ مجاهدًا ... وفي عدنٍ هبُّوا وثاروا ودَمَّرُوا

مدمرةً يخشى أُولُو البأسِ بأسَهَا ... تزيدُك رعبًا حينَ تَرْسُو وَتُبْحِرُ

تشقُّ عُباب البحر يحدو مسيرها ... غرور وزهو واقتدار مزور

إلى حتفِهَا تسعى حثيثًا بِظِلْفِها ... بوهمٍ كبيرٍ كاذبٍ تَتَدثَّرُ

إلى زورقٍ يَلهُو به الموجُ يختفي ... معَ الموجِ حينًا ثم يَبْدُو ويظهَرُ

تداعبه الأمواج في كل خفة ... وربَّ خفيف منه يُخشى ويحذر

فلما التقى الجمعانِ جمعُ محمدٍ ... شهيدانِ باسمِ الله هَبُّوا وكبَّرُوا

وجمعٌ من الكفارِ جيشٌ يَقودُهمْ ... بحقدٍ صليبيِّ المَنابعِ قيصَرُ

ودارت رحى الحربِ التي لم تكن سِوَى ... ثَوانيَ رُعْبٍ بل أقلُّ وأقْصَرُ

وكانَ مَعَ النصرِ المحقَّقِ موعدٌ ... فَلَمْ يتقدمْ لا ولَمْ يَتَأَخَّرُ

فطارت رؤوسُ الكفرِ في كلِّ وِجهَةٍ ... وأشلاؤُهَا من حولها تَتَبَعْثَرُ

فذلك يوم أنزل الله نصره ... وأصدق وعدًا في الكتاب يسطرُ

مؤسسة السحاب الإعلامية:

كان لا بد للقاعدة أن تكون لها مؤسسة إعلامية مستقلّة، تعبّر عن خطابها ورسالتها للناس وذلك بتحريضهم على الجهاد، ومواجهة أعداء الأمّة؛ فتأسست بناءً على ذلك مؤسسة السحاب الإعلامية في أواخر عام 2000م، وبدأت بإنتاج المواد الإعلامية، وكان من أهمها إصدارًا تحريضيًا يتناول أحوال الأمة، كان له صدىً كبيرًا عند صدوره، وكان تحديًا صريحًا جريئًا للطغيان الأمريكي، ودعوة للمسلمين لنهضة جهادية ضد السيطرة الصليبية اليهودية، ثم فوق كل ذلك وسيلة عملية لتحقيق ذلك عبر الالتحاق بمراكز ومعسكرات القاعدة، التي أظهر الشريط صورًا مؤثرة من عملها. وجدير بالذكر أن قناة الجزيرة كانت قد أشادت بهذا الإصدار، وذكرت بأنه نقلة نوعية للإعلام الجهادي، واضطر تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لأن يعترف بقوة هذا الشريط، واتساع توزيعه، وقوة تأثيره على المسلمين(165).

وكان يشرف على السحاب الأخ خالد الشيخ محمّد، والأخ أبو أنس المكّي (علي حمزة البهلول)(166) فكّ الله أسرهما، والأخ حمزة الغامدي، والأخ أبو عبد الرحمن المغربي وغيرهم، حفظهم الله جميعًا.



خالد الشيخ محمّد — **فك الله أسره**

حمزة الغامدي — **حفظه الله**

علي حمزة البهلول — **فك الله أسره**

---

(165) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

(166) ما زال أسيرًا في معتقل جوانتانامو منذ يناير 2002م

وعن أداء السحاب المتميز يقول مايكل شوير:

" لقد بذل[167] ومعاونوه قدرًا طائلًا من المال والوقت والفكر، حتى يبنوا إعلامًا عالميًا وجهازًا للدعاية. ويعمل اليوم هذا الجهاز بكامل طاقته، ويطل ابن لادن والظواهري، ويستحوذان على الإعلام الدولي وقت ما يشاءان. وبنفس الأهمية، فإن الوجود المتعدد المواقع للقاعدة على الإنترنت، يعرض باستمرار تعليقاتها السياسية والدينية وتقاريرها الإخبارية أمام أهم أنصارها؛ طبقات العالم الإسلامي الوسطى والعليا الوسطى الملمة بالإنترنت"[168].

كذلك يقول مايكل شوير:

" واليوم يقدم ذراع القاعدة الإعلامي إرشادات دينية معمقة للمسلمين، حول مبررات الجهاد المذكورة في القرآن وأحاديث النبي مُحَمَّد ﷺ وسنته والتاريخ الإسلامي، وحتى باستخدام أجزاء منتقاة من النصوص، فإن علماء القاعدة قد شكلوا أساسًا دينيًا مقنعًا لشن الجهاد الدفاعي، الذي اكتسب التأييد وسط عشرات الملايين من المسلمين وخاصة من الشباب. والمقاتلون الآن مدعّمون بحجج دينية يردون بها - وبأسلوب تفكيرهم الخاص - على الحجج المضادة للجهاد من أولئك الذين يعتبرهم الغرب المسلمين (المعتدلين)"[169].

قصّة منظّمة الوفاء:

ذكرنا من قبل أن الشيخ أسامة رحمه الله، كان يتعهّد معسكر التدريب بزياراتٍ دورية من وقت لآخر، حيث يلتقي هنالك بالشباب الجدد ليحدّثهم عن حال الأمة وما دهاها من تسلط الكفار عليها، وحكمها بغير ما أنزل الله، ومن استباحة مقدساتها من قِبل الصليبيين المحتلّين لبلاد الحرمين، ومن قبلهم اليهود المحتلّين لفلسطين والمسجد الأقصى منذ عدّة عقود. وكان الشيخ أسامة يرمي من وراء هذه الدروس والمحاضرات إلى تعميق معاني الجهاد والثبات على هذا الطريق في نفوس الشباب، وتحذيرهم أشد الحذر من القعود عن أداء فريضة العصر المتعيّنة وهي الجهاد في

(167) يقصد الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله.

(168) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(169) المصدر السابق.

سبيل الله، وذلك من خلال ضرب القصص من السيرة النبوية ومن قصص الصحابة رضوان الله عليهم.

وفي إحدى المرات كان الشيخ أسامة قد ألقى محاضرة في معسكر الفاروق بهلمند شرح فيها حديث كعب بن مالك ﷺ، وبفضل الله وحده وُفّق الشيخ أسامة توفيقًا منقطع النظير في شرح هذا الحديث الذي يتناول مسألة في غاية الأهمية وهي القعود عن الجهاد وقت تعيّنه، فذاع صيت تلك المحاضرة المسجّلة، وانتشرت انتشار النار في الهشيم بين طلبة العلم - وخاصة في بلاد الحرمين - مثيرةً ضجّة في أوساطهم هي **أن كل من يتخلّف عن الجهاد بغير عذر في وقت تعيّنه فهو آثم كائنًا من كان.**

ونتيجة لهذه المحاضرة العظيمة نفر كثير من طلبة العلم - الذين كانوا يطلبون العلم لدى كبار المشايخ المرموقين - إلى أفغانستان، وكان هؤلاء الإخوة عندما يلتقون بالشيخ أسامة تتغيّر كثير من قناعاتهم، وتنقشع لديهم غشاوة اللبس والشبهات عن الجهاد والمجاهدين التي شبّعهم بها هؤلاء المشايخ والعلماء القاعدون، وعلى إثر ذلك كان هؤلاء الإخوة يؤثرون البقاء في أفغانستان على العودة لبلادهم، وكانوا يبايعون الشيخ أسامة على مواصلة الجهاد في سبيل الله حتى تتحرر بلاد المسلمين من المحتلّين. وجدير بالذكر أن عدد من الإخوة الذين خصّهم الله بفضله وكرمه بالمشاركة في غزوتي نيويورك وواشنطون كانوا يطلبون العلم عند هؤلاء المشايخ الذين يشار إليهم بالبنان.

ونتيجة لهذا التحوّل في قناعات هؤلاء الشباب أرسل هؤلاء المشايخ برسالة للشيخ أسامة مع أحد الإخوة المعروفين السابقين للجهاد منذ أيّام الروس، وكانت خلاصة الرسالة عبارة عن رجاء من هؤلاء المشايخ يطلبون فيه من الشيخ أسامة أن لا يؤثّمهم (أي أن لا يقول أنهم آثمون بسبب قعودهم عن الجهاد) - علمًا بأن الشيخ أسامة لم يذكر أحدًا من المشايخ بعينه، وكان حديثه عامًا - لأن هذا الأمر كان يحرجهم إحراجًا شديدًا مع طلّابهم الذين كانوا يرون أن الحقّ في كلام الشيخ أسامة. وكان ردّ الشيخ أسامة لهؤلاء المشايخ بأنه لم يأت بشيء من عنده، وأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أثّم وفسّق كل من قعد عن الجهاد لغير عذر والدليل قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وبعد فترة وجيزة أرسل هؤلاء المشايخ نفس الأخ بمشروع ظاهره الخير لكنّه كان يحمل في طيّاته مآرب أخرى. فجاء هذا الأخ بمشروع هيئة خيرية تحت اسم "منظمة الوفاء" لمساعدة الأفغان، وذلك بتقديم بعض الأعمال الخيرية لهم كحفر الآبار، وتقديم الأضاحي وغيرها من أعمال البر، وبطبيعة الحال كان المشروع مدعومًا بأموالٍ طائلة من هؤلاء المشايخ، واستطاع الأخ مدير المشروع استمالة بعض الإخوة المبايعين للشيخ أسامة للعمل معه في مشروعه. وشيئًا فشيئًا تكشّفت النوايا على نبأ فتح معسكر تدريب جديد تابعًا ومدعومًا من قبل منظّمة الوفاء، وبطبيعة الحال كان الأمر مستغربًا في أوساط الإخوة في قندهار، فما لهيئة خيرية ومعسكرات التدريب؟

وإحسانًا للظن لم يقل أحدٌ من الإخوة أن منظمة الوفاء كانت تهدف من وراء مشاريعها الخيرية ومعسكرها الجديد - الذي اجتذب عددًا من المتدرّبين الجدد - إلى شقّ صفّ المجاهدين، ولم يؤثّر هذا الأمر على العلاقة الحميمية بين الأخ مدير منظمة الوفاء وبين الإخوة في جماعة القاعدة وعلى رأسهم الشيخ أسامة رحمه الله.

وكان هؤلاء المشايخ الذين كانوا وراء منظمة الوفاء يرون أن الشيخ أسامة بحسن حديثه، وحلاوة منطقه وحجّته يسحب البساط من تحت أقدامهم؛ فطلّابهم نتيجة لتأثرهم بمحاضرات ودروس الشيخ أسامة كانوا يناقشوهم بأن الجهاد أصبح متعيّنًا في حقّهم، وتحت إلحاحهم المتزايد على هذا الأمر كان هؤلاء المشايخ يسمحون لطلّابهم بالذهاب إلى أفغانستان للتدريب على أن يعودوا لمواصلة طلب العلم، غير أن هؤلاء الشباب بعد جلوسهم مع الشيخ أسامة كانوا يُسقطون من قاموسهم فكرة الرجوع. وأشهد الله أن الشيخ أسامة لم يفكّر أبدًا فيما ذهب إليه هؤلاء المشايخ، ولكنه الحق عندما تخالط بشاشته القلوب لن ترض عنه بديلًا ولا تحويلًا.

ونتيجة لهذا الأمر، وحتّي يحافظ هؤلاء المشايخ على طلّابهم من الأفكار المنحرفة -كما يزعمون- وتسكينًا وتلبيسًا وامتصاصًا لقناعات طلّابهم الجديدة المخالفة لأقوالهم، وخوفًا عليهم من تفلّتهم بأن يغيّروا مسارهم إلى جانب الشيخ أسامة ارتأى هؤلاء المشايخ فتح المعسكر حتّى يكون طلبتهم تحت أعينهم. ويشاء الله بعد فترة وجيزة - وعلى إثر الضغوط التي كانت تواجهها الإمارة الإسلامية من الأمم المتحدة بضرورة إدخال مفتّشين دوليين للوقوف على حقيقة المعسكرات — أصدر أمير المؤمنين رحمه الله، مرسومًا يقضي بإغلاق جميع معسكرات التدريب، والإبقاء على معسكرٍ واحدٍ فقط هو معسكر القاعدة في منطقة "جرمي واك" بولاية هلمند.

تدمير أصنام بوذا في ولاية باميان مارس 2001م(170):

بعد ما سيطر الطالبان على باميان، استفتى أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله كبار علماء أفغانستان في شأن الصنم؛ فأفتوه بوجوب تحطيمه، وعلى الفور شرعت الإمارة في عملية هدم أصنام بوذا، فبدأوا بالرماية عليها بالدبابات، واستخدموا كذلك الألغام وقذائف الطائرات، مما تسبب بضرر شديد للأصنام لكنها لم تدمر بالكامل. وحينها ضجّ العالم معترضًا بأن هذه الأصنام هي جزء من التراث الإنساني العالمي، ولا يجوز مسّها بسوء. وللأسف الشديد لم يسلم من هذا الاعتراض بعض من ينتسبون إلى علماء المسلمين، فصدّروا عدة فتاوى يناشدون فيها الطالبان بأن تتراجع عن هذا الأمر، بحجة أن تهديمها ليس من الحكمة والمصلحة، وأنه قد يكون ذريعة للهندوس والبوذيين للانتقام من المسلمين في بلادهم.



صنم بوذا الكبير قبل وبعد التفجير

(170) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية شيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله.

وكانت بعض الدول –كالصين واليابان – قد عرضت عروضًا مالية كبيرة على نقل هذه الأصنام وشرائها، غير أن أمير المؤمنين قابل كل تلك العروض بالرفض، وتكلم بكلمات ستظل محفورة في ذاكرة التاريخ، فقال: "**لأن يُنادى عليّ يوم القيامة أين عمر هادم الصنم، أحبّ إليّ من أن يُنادى عليّ أين عمر بائع الصنم**". وقال أيضًا: "**هذه العبادة التي أغاظتكم، أحبّ إلينا من كل أموالكم**".

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، لا يريد أن تفوته فرصة المشاركة في هذا العمل العظيم. ورغم خطورة المنطقة التي كانت معقلًا للشيعة الهزارة، سافر الشيخ أسامة، وكان بصحبته الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) وآخرون. ولم ينس الشيخ أسامة أن يصحب معه في هذه الرحلة، صاحب الاختصاص، وخبير القاعدة في هندسة التفجير الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر رحمه الله.

بدايةً توجّه الشيخ أسامة إلى كابول، وفور وصوله تلقّى إشارة تفيد بأن الشيخ القرضاوي وصل قندهار، يصحبه وفد من عدة دول من قطر والبحرين. وعلى الفور قفل الشيخ أسامة ومن معه عائدين إلى قندهار. وكان من ضمن ذلك الوفد، نائب الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي محيي الدين القرّة داغي، ومُحَمّد عمارة، وطنطاوي ونصر فريد واصل، ووزير الدولة القطري للشؤون الخارجية وآخرون. وكانت المهمة التي جاء من أجلها الوفد، هي مناظرة الطالبان في محاولة لإثنائهم عن عملية هدم أصنام بوذا، ومن تلك المحاولات العرض الذي قدّمه الوزير القطري للطالبان بأنهم إن نكصوا عن تحطيم الأصنام فسيسعى لإعادة عضويّتهم لمنظّمة المؤتمر الإسلامي. وكان أمير المؤمنين قد أرسل لمناظرتهم وفدًا من كبار علماء أفغانستان.

وكان الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أحمد حسن أبو الخير، والشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ أبو حفص الموريتاني، قد حضروا جلسة المناظرة التي أمّها بعض من علماء طالبان. وكان الإخوة يريدون توثيق هذه المناظرة بالصورة والصوت، غير أن الإخوة الطالبان رفضوا ذلك، وقالوا التسجيل الصوتي يكفي.

وفي الجلسة تكلم علماء الطالبان، وتكلم الإخوة من بعدهم، وكانت خلاصة الكلام أن هدم الأصنام هو ملّة إبراهيم، التي ما ينبغي أن يختلف اثنان في هدمها، فالأمر واضح. وفي المقابل تكلم وفد العلماء وقالوا بأنهم لا يعترضون على هدم الأصنام، إنما يعترضون على توقيت هدمها. فردّ

عليهم الشيخ أبو حفص الموريتاني – حفظه الله – قائلًا: "**الإخوة الطالبان وعلمائهم والشعب الأفغاني، يقولون إنهم سيتحمّلون التبعات، فإذا كانوا سيتحملون التبعات، ومحتسبين كل ذلك لله سبحانه وتعالى، فجزاهم الله خيرًا، لماذا لا بدّ أن نوقف هدم الأصنام؟**".



الشيخ أبو حفص الموريتاني (محفوظ وِلد الوالد) – حفظه الله

وكان الشيخ أسامة – على هامش هذه المهمة التي جاء من أجلها هذا الوفد – قد حاول مقابلة الشيخ يوسف القرضاوي، لكنه اعتذر، وأرسل نيابة عنه نائبه الشيخ القرّة داغي، فقابله الشيخ أسامة في مجمّع ستّة بقندهار، وعاتبهم عتابًا شديدًا على عدم شرعية مهمتهم التي جاءوا من أجلها، واقتنع الشيخ القرّة داغي بحجّة الشيخ أسامة رحمه الله، وقال بأنه سينقل كل ذلك للشيخ القرضاوي.

وبعد انتهاء ذلك الاجتماع، رجع الوفد بخفّي حنين، ورجع الإخوة إلى باميان لهدم الأصنام في رحلة أسموها رحلة التوحيد، وفي نفس التوقيت كانت خلايا عمليات الحادي عشر من سبتمبر في طريقها لهدم أصنام أمريكا.

كانت أصنام بوذا عبارة عن صنمين كبيرين هما لبوذا وزوجته. وكان صنم بوذا الكبير، يبلغ طوله ثلاثة وخمسون متر وسماكته عشرون متر، والصنم الآخر يبلغ طوله خمسة وثلاثون متر، وقد بُني الصنمان في القرن السادس الميلادي من صخور رسوبية رملية صلبة. وكان الأفغان يأتون من كل مكان للمشاركة في هدم الأصنام، وكان العلماء يتحملون عناء السفر فتراهم وقد شابت لحاهم يصعدون ويحملون معهم المتفجّرات والألغام والقذائف إلى أعلى الصنم. وكانت مشاركة

الإخوة مشاركة فاعلة في عملية الهدم، وكان الشيخ أسامة رحمه الله، يريد أن يزيل الجبل إزالة كاملة بالبلدوزر حتى لا يبقى له أثر، وكان يستشهد بالآية (ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا).

إعلان الوحدة بين تنظيم القاعدة وجماعة الجهاد المصرية:

وكان من نعم الله العظيمة بعد ذلك أن وفق جماعة الجهاد المصرية على الوحدة مع القاعدة فيما أصبح يعرف بقاعدة الجهاد. فأعلن الشيخ الدكتور أيمن الظواهري أواسط سنة 2001م بيعته للشيخ أسامة بن لادن، وضم تنظيم الجهاد رسميًا لتنظيم القاعدة. وأشاد بهذه الخطوة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله في كتابه فرسان تحت راية النبي فقال:

"**كان من نعم الله العظيمة علينا أن وُفقنا للوحدة مع القاعدة، فيما أصبح يعرف بقاعدة الجهاد، وهي نعمة أسأل الله أن يعينني على شكرها، ولا بد هنا أن أذكر الفضل لأهله، فقد كان من أهم من سعى في ذلك العمل المبارك الشهيد –كما نحسبه – أبو حفص القائد، وآخرون من أفاضل الدعاة والمجاهدين، قد لا أستطيع أن أذكرهم الآن، ولكن الله يعلمهم، أسأله أن يجزيهم خير الجزاء**".

وكان يوم إعلان الوحدة يومًا مشهودًا بفضل الله، وقال الشيخ الدكتور أيمن مخاطبًا الشيخ أسامة بن لادن بهذه المناسبة فقال[171]:

"جئنا إليك نبايعك ونمد إليك أيدينا، وامتدت معنا أيدي موتى لا تُعرف لهم قبور، وأسرى لا تُعرف لهم سجون، وثكالى لا يعرفن أين أبناؤهن، وأرامل لا يعرفن أين أزواجهن، وأيتام لا يعرفون أين أباءهم، جاءوا معنا يبايعونك، لا يسألونك نفعًا ولا مغنمًا، ولكن يسألونك أن تثأر ممن ظلمهم. وجئنا إليك لا نحمل إلا همّنا وأحزاننا، ولا نملك شيئًا، ولا نسألك منصبًا أو مغنمًا، إلا أن نقاتل في سبيل الله، حتى ننتصر أو نستشهد".

وخطب الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، فقال في كلمته:

"**إننا لن ننسى أسارى المسلمين في سجون الطواغيت**". وقال أيضًا:

" إنني أشهد أن إخواننا في جماعة الجهاد كانوا أسهل منا في التحضير لقيام الوحدة".

كذلك تكلم الشيخ سليمان أبو الغيث فكّ الله أسره، فكان مما قال:

---

(171) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

"ربح البيع يا دكتور. ربح البيع يا دكتور"[172].

تعليق الشيخ أيمن الظواهري على اللبس الذي حدث في مشروع الوحدة[173]:

وجدير بالذكر، أن بعض الكتّاب كانوا قد ذكروا في مؤلفاتهم أن مشروع الوحدة أدّى لانشقاقٍ في صفوف الجماعة بين مؤيد لها ومعارض. وتبيانًا للبس الذي حدث في هذا الأمر، يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله:

" هنا نقطة هامة أود توضيحها، وهي أن الذين لم ينضموا (ولكنهم لم يعلنوا معارضتهم) للوحدة كانوا ثلاثة، واحد منهم كان يشجع على الوحدة ويسعى فيها، ولكنه لأسباب شخصية رأى أن يعمل خارج التنظيمات، وبعد الوحدة كلفه الشيخ أسامة بعمل فسعى فيه بنشاط جزاه الله خيرًا، ومع بداية الحرب الصليبية المعاصرة ظل مطاردًا لأكثر من عشر سنوات، عانى فيها وأسرته ثم عاد لوطنه، وظروفه الأمنية حرجة، وكانت سيرته هي التعاون والتأييد، ولم يبد أي اعتراض على الوحدة ولا لجماعة قاعدة الجهاد.

وكان الاثنان الآخران لغضب من أمور إدارية بسيطة قد أعلنا خروجهما من الجماعة، وبعد الوحدة قالا إنهما لا يعارضانها، ثم بعد ذلك بمدة أعلنا اعتذارهما عن أسلوب تعاملهما مع إخوانهما، وأكد أحدهما هذا الاعتذار كتابة وانخرط في صفوف الجماعة، واستشهد في الحرب الصليبية رحمه الله رحمة واسعة، أما الثاني فهو أسير الآن. فالحاصل أن الذين كانوا في الجماعة فعليًا في وقت البيعة، لم يعترض منهم أحد ولم ينشق، والقرار استوفى شروطه الإدارية كاملة بفضل الله. ومما يؤكد وجهة نظري أن الكم الأكبر من جماعة الجهاد الذين كانوا أسرى في مصر وخرجوا من الأسر في ثورة يناير كانوا يعلنون ولاءهم للقاعدة وللشيخ أسامة رحمه الله، وكانوا يعتبرون أنفسهم امتدادًا لها " ا. هـ

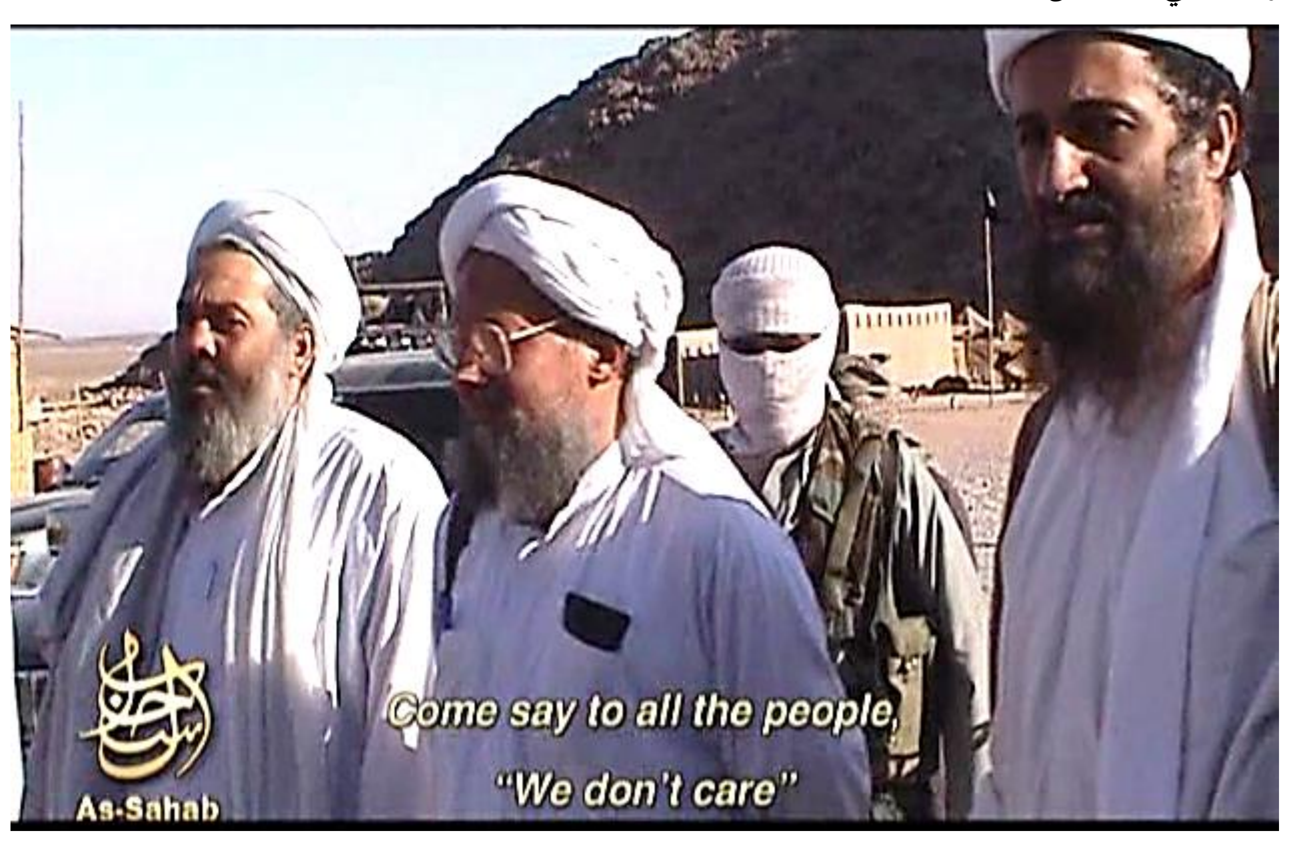
وفي اليوم التالي للوحدة، قام المشايخ بزيارة الإخوة المتدربين في معسكر الفاروق بميوند، وألقيت كلمات، منها كلمة جميلة للأخ الحبيب الشهيد - كما نحسبه ولا نزكيه على الله - أبي حفص الكمندان، قال فيها[174]:

---

(172) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(173) تصحيحًا لبعض ما جاء في النسخة الأولية لهذا الكتاب، أرسل لنا الشيخ الدكتور أيمن الظواهري هذا التعليق، وكان ذلك قبل التوقيع على مفاوضات الدوحة.

"نعيش نحن في ظل الشريعة الإسلامية، ونتجمع من كل أقطار العالم ونتدرب هنا، ونعد أنفسنا هنا، وتتوحد الجماعات الإسلامية هنا، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى يريد من هنا شيئًا، يريد من هنا شيئًا، فأبشروا يا عباد الله، واثبتوا. إن تحرير فلسطين هو من هنا، وتحرير أرض الجزيرة هو من هنا، وإعادة بلاد الإسلام إلى مظلة الإسلام وإلى حكم الشريعة هو من هنا، فاثبتوا يا عباد الله، وأبشروا ووحدوا جهودكم، والتحقوا بهذه القافلة المباركة، التحقوا بها حتى تكون أيها الأخ المجاهد جنديًا تجاهد في سبيل الله، وتعيد مرة أخرى نشر الإسلام في أنحاء العالم كله. لا بد أن نعود مرة أخرى إلى قيادة البشرية. هذا هو دورنا، نعم هذا هو دورنا، أن نعود إلى قيادة البشرية بمنهج الله. نحمد الله سبحانه وتعالى على هذه الخطوة المباركة، فهي نعمة من عند الله سبحانه وتعالى"(175).



زيارة المشايخ لمعسكر الفاروق بولاية هلمند في اليوم التالي للوحدة ويبدو في يسار الصورة الشيخ مُحَمَّد صلاح (نصر فهمي نصر) تقبله الله

---

(174) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(175) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

نعم هذا هو دورنا، أن نعود إلى قيادة البشرية بمنهج الله:

كلمات من نور نطقت بها شفاه الشيخ أبي حفص الكمندان، لقد ردد الشيخ أكثر من مرّة بأن الله يريد من هنا أي من أفغانستان شيئًا، وكأنه رحمه الله، يرى بفراسته في الأُفق وميض نار توشك أن يشبّ لها ضرام تبيد خضراء النظام الدولي الصليبي الكافر. إن قيادة البشرية بمنهج الله، وإعادة بلاد الإسلام إلى مظلة الإسلام وإلى حكم الشريعة ليس بالأمر السهل، إنّه أمرٌ تكرهه الملوك، إنه خطٌ أحمر لا تسمح به أمريكا، دونه بحارٌ من الدماء، وجبالٌ من الأشلاء، ولا يتحقق هذا الأمر ولا يحمله ويتحمّل تبعاته إلّا رجالًا فقهوا حقيقة الصراع فباعوا أنفسهم لله، وكأن الشيخ أبو حفص يقول إن هذا الأمر ليس له إلّا أولئك الرجال المتخصصين في هزيمة الإمبراطوريات العظمى، كأنه يقول لأمريكا إن هؤلاء الشعث الغبر الذين لا يؤبه لهم هم الذين سيمرّغون أنفك وكبرياءك، ويدوسون على كرامتك وعزّتك، وعمّا قريب ستشهد هذه الجبال وهذه السهول والوديان زفافك إلى مزبلة التاريخ.

عملية اغتيال أحمد شاه مسعود:

كان أمير المؤمنين قد طلب من الشيخ أسامة الانتقال من جلال آباد لقندهار، تحرزًا من خطة تسرَّب سِرُّها قبل فتح الطالبان لكابول، مفادها أن أحمد شاه مسعود قرر القيام بعملية عسكرية للقبض على الشيخ أسامة، وكان مسعود مصممًا على مساعدة الولايات المتحدة في جمع المعلومات عن أنشطة وأماكن وجود الشيخ أسامة، كما وافق على أن يحاول القبض عليه إذا سنحت الفرصة. وأكد هذه العلاقة جورج تينيت، مدير المخابرات المركزية السابق في شهادته أمام لجنة الكونجرس الخاصة بالتحقيق في هجمات 11 سبتمبر، حيث صرح بأن المخابرات الأمريكية، تعاونت مع أحمد شاه مسعود – قبل هجمات 11 سبتمبر– لتتبع أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، غير أن مقتل أحمد شاه مسعود – قبل هجمات سبتمبر– أحبط تلك المخططات(176).

أيضًا شهد على ذلك التعاون رسميًا تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث يقول في أحد المواضع العديدة التي ذكر فيها التعاون بين الأمريكان ومسعود:

---

(176) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

"وفي الشمال الشرقي كانت هناك قوات مسعود لتحالف الشمال، التي ربما تعد أفضل خيار للسي آي إيه، وفي آخر أكتوبر عام 1999م طارت مجموعة من ضباط مركز مكافحة الإرهاب لوادي بنجشير للقاء مسعود، وهي رحلة خطرة في حوامات متهالكة، ستتكرر لعدة مرات في المستقبل، وقد بدا مسعود مصممًا على مساعدة الولايات المتحدة في جمع المعلومات عن أنشطة وأماكن وجود بن لادن، كما وافق على أن يحاول القبض عليه إذا سنحت الفرصة"[177].

ولم يكن اتصال أحمد شاه مسعود بالغرب الصليبي وتحالفه معه سرًا، فلقد أعلن ذلك على الملأ حينما ذهب لبروكسل في أبريل 2001م، واستقبلته رئيسة البرلمان الأوروبي (نيكول فونتان) على باب مقر البرلمان كأي رئيس دولة، وألقى كلمة في البرلمان الأوروبي، ووقف له أعضاؤه يصفقون لدقائق، وقال في كلمته: "إنه في خط الدفاع الأول ضد الأصولية الإسلامية"، وعقد مؤتمرًا صحفيًا في مقر البرلمان الأوروبي طلب فيه مساعدة الاتحاد الأوروبي من أجل إسقاط نظام طالبان والقوى الخارجية مثل أسامة بن لادن، حيث قال فيه:

" أنا متأكد أنه دون تدخل باكستان وجنودها النظاميين والقوى الخارجية – مثل أسامة بن لادن والطلاب الباكستانيين – ما كانت قواتنا في احتياج، ويقيني أن الأمة الأفغانية بنفسها، وأهل قندهار بأنفسهم، والعنصر البشتوني بنفسه قادرون على إسقاط نظام طالبان". وطالب أيضًا بالتدخل الأمريكي في أفغانستان حفاظًا على أمن أمريكا وحلفائها، وهو الذي كان يبني كل دعاياته على أساس أنه يقاتل من أجل طرد نفوذ باكستان الأجنبي عن أفغانستان، الذي كانت تمثله حركة طالبان في زعمه، ولكنه لم يستح – من أجل التنافس على الدنيا وحب الملك – أن يطالب بالتدخل الأمريكي في شؤون أفغانستان، ويؤكد ذلك بأن يهدد أمريكا بما يمكن أن يلحق بها من أخطار على يد أعدائه وأعدائها؛ الإمارة الإسلامية والقاعدة. فقال في نفس المؤتمر:

" رسالتي للسيد بوش، أنه إذا لم يتوجه لمسألة تأمين السلام في أفغانستان، وإذا لم يساعد شعب أفغانستان في طريق الوصول للسلام، فإن المشكلة يقينًا لن تؤثر فقط على أفغانستان، بل على أمريكا والدول المتحالفة معها"[178].

---

(177) المصدر السابق.

(178) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.



المؤتمر الصحفي الذي عقده مسعود في مقر البرلمان الأوروبي، وطالب فيه مساعدة الاتحاد الأوروبي من أجل إسقاط نظام طالبان

وهكذا أعلن مسعود عن سقوطه في مستنقع العمالة للصليبيين بعد طول تكتم، وأصر على أن يعلن ذلك في عقر دار أوروبا، ومن فوق منبر البرلمان الأوروبي، حتى لا يدع لهم أي مجال للشك في ولائه لهم. وأعلن انضمامه بوضوح تام للحملة الصليبية الأمريكية ضد الإسلام، أو ما تسميه أمريكا بالإرهاب والأصولية. وهكذا لم يترك مسعود لنفسه عذرًا، ووقّع بنفسه على حكم قتله[179].

وكان الشيخ أسامة قد أرسل رسالة – عن طريق الشيخ أبي حفص الكمندان – لأمير المؤمنين الملّا عمر قائلًا له: "ماذا تطلبون منّا؟ نحن نريد أن نخدم دين الله، ونحن جنود بماذا تأمرنا؟". فقال الملّا عمر للشيخ أبي حفص: "اقتلوا أحمد شاه مسعود". فقال الشيخ أبو حفص: "اعتبروا أحمد شاه مسعود مقتولًا"، واقترح الشيخ أبو حفص الكمندان على الملّا عمر بأن ينتهزوا الفرصة بحشد

(179) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله.

القـوّات في الشـمال، كـي يبـاغتوا قـوات مسـعود ويهجمـوا علـيهم بعـد مقتلـه مباشـرة، قبـل أن يعيـدوا ترتيب أنفسهم ويستجمعوا قوّتهم[180].

ولمـا كـان مسـعود مولعًـا بالقنـوات الفضـائية وبحـب الظهـور، كانـت خطـة اغتيالـه بسـيطة جـدًا، وهـي أن يقـوم مجاهـدان استشـهاديان بتقـديم نفسـيهما لأحمـد شـاه مسـعود علـى أنهمـا صـحفيان، ويُجـريا معـه مقابلـة تلفزيونيـة مصـورة بكـاميرا مفخخـة، ثم أثنـاء المقابلـة يـتم تفجـير الكـاميرا. وبالفعـل تم شـراء كـاميرا تلفزيونيـة خاصـة بمثـل هـذه المقـابلات، وقـام الأخ مهنـدس المتفجـرات أبـو عبـد الـرحمن المهاجر رحمه الله، بتجهيزها وتفخيخها بالمواد متفجرة.

وتطـوع لهـذه المهمـة بطـلان مـن أبطـال الإسـلام همـا المجاهـدان أبـو عبيـدة التونسـي (عبـد السـتار دحمـان) وكـريم سـوزاني، اللـذان كـانا يعيشـان في بلجيكـا. وحـتى تكـون خطتهمـا[181] محكمـة، كـانا قـد أجـريا مقابلـة صـحفية مصـورة مـع سـياف وربـاني. وتوسـط لهمـا سـياف عنـد أحمـد شـاه مسـعود ليقومـا بإجـراء مقابلـة مصـورة معـه، فـتم لهمـا ذلـك، وأخـذا ميعـادًا لـذلك اللقـاء في مقـر إقامتـه في بلـدة "خواجة بهاء الدين" بولاية تخار الشمالية، بالقرب من الحدود الطاجيكية.

وكانـت المقابلـة في 9/ 9/ 2001م الموافـق 1422/6/18هـ، قبـل يـومين مـن أحـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر. فقـام أحـد الأخـوين بالتصـوير مـن كـاميرة الفيـديو المفخخـة، والآخـر أجـرى الحـوار، وفي أثنـاء ذلـك تمـت العمليـة كمـا خُطـط لهـا فقتـل مسـعود، وقتـل الأخـوان اللـذان أجـريا المقابلـة والأسئلة على الفور. وعن مقتل مسعود يقول أخوه ولي مسعود:

" تلـك الرحلـة إلى أوروبا، ذلـك التحـذير لبقيـة العـالم كـان فعـلًا خطـيرًا، لقـد غـامر مسـعود بحياتـه، ودفـع مـن حياتـه ليحـذر الآخـرين؛ (انظـروا، لـن تكونـوا آمنـين إلا إذا فعلـتم شـيئًا مـن أجلـه). لقـد ضـحى بحياتـه لـيس فقـط مـن أجـل الأفغـان، بـل مـن أجـل المجتمـع الـدولي. لقـد كـان مسـتاءً جـدًا مـن الحكومـات الغربيـة، فيمـا يتعلـق ببرنامجهـا لمحاربـة الإرهـاب. اكتشـف أن بـرنامج محاربـة الإرهـاب في ذلك الوقت ليس إلا شعارًا، لم يكن برنامجًا عمليًا أو حقيقيًا"[182].

---

(180) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية شيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله. بتصرّف.

(181) كان وراء الخطة مجموعة من الاخوة وعلى رأسهم الشيخ أبو حفص المصري رحمه الله. فقد اشتملت خطة الخداع على ترتيب ثلاثة لقاءات الأول مع وكيل أحمد متوكل عن حركة طالبان. والثاني سياف قاتله الله. والثالث مع أحمد شاه مسعود.

(182) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله.

فشل التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة[183]:

لم يأت عام 2000م مع سيطرة حركة طالبان على نحو 94% من أرض أفغانستان، إلا وقد بلغ عدد الجماعات والتنظيمات والمعسكرات المعترف بها رسميًا من قبل طالبان أربعة عشر، تربطهم جميعًا بوزارات الدفاع والداخلية والاستخبارات برامج ضبط وتنسيق وتعاون. وكانت هذه التجمعات مستقلة عن بعضها تمامًا. وكان معظم من تواجد خلال هذه الفترة في أفغانستان من الجهاديين بجانب تنظيم القاعدة، يمكن تصنيفهم ضمن التشكيلات الرئيسية التالية:

1- المتدربون: وهم الذين قدموا من أجل تلقي التدريب ثم الرحيل، ولم يستقر هؤلاء الّا مدد التدريب التي تتراوح ما بين أشهر قليلة إلى سنة.

2- المهاجرون: وهم الذين قدموا بأسرهم أو بأنفسهم بغية الهجرة والاستقرار في دار الإسلام الوليدة، وإعمارها والجهاد معها، دون أن يكون لهم أهداف جهادية خارج أفغانستان، ولا ضد حكومات بلادهم، ولا ضد أعداء آخرين داخليين أو خارجين.

3- التنظيمات الجهادية: التي قدمت لتتابع أهدافها وبرنامجها القديم المتعلق بالجهاد في بلادها، ولمتابعة بناء تنظيماتها من جديد على الطريقة التقليدية القديمة للتنظيمات (القطرية - السرية - الهرمية) مثل الجماعة الإسلامية المصرية، والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة وغيرهم.

4- تنظيمات وجماعات وسط آسيا: الذين تنوعت أهدافهم بين الهجرة ونصرة دار الإسلام والجهاد معها، وبين الإعداد للجهاد في بلادهم. وكان أهم وأكبر هذه الجماعات (المجاهدون من أوزبكستان) و(المجاهدون من تركستان الشرقية) التي احتلتها الصين، بالإضافة لبعض الجماعات الأخرى.

5- المجاهدون من باكستان: وكانوا خليطًا من تلاميذ العلماء والمدارس الدينية في باكستان، وهي امتداد لطالبان فكرًا ومنهاجًا، وقد شكل التواجد الباكستاني نتيجة القرب والتداخل في القضية مع القضية الأفغانية حجمًا يوازي أو يزيد على مجموع حجم الأنواع المذكورة آنفًا.

(183) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلًا:

ورغم ما حققته هذه التجمعات الجهادية من مكاسب في ساحة أفغانستان، إلا أن الخسارة الأساسية كانت في فشل ذلك التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في حلحلة قضايا وأزمات الأمة. وكان قد توفرت آنذاك في الساحة فرصة نادرة الحدوث، تجسّدت في ظروف دولية، وكم من الشباب والكوادر والرموز والدعاة وقدماء المجاهدين من بلاد متعددة، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات التي كانت قادرة على توليد تجمع جهادي عالمي منظم يفرض حضوره ومساهمته في حلحلة قضايا الأمة وساحة الصحوة الإسلامية. فقد كان من الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأساليب والأهداف والوسائل في ظل فهم الواقع الجديد، مستغلين الظروف المواتية، والالتفاف جميعًا حول مشروعية أمير المؤمنين الملّا مُحَمَّد عمر، ورمزية الشيخ أسامة، ولكن ذلك لم يحصل.

وكانت المفاجأة في أن (الفكرة القطرية)، وهي الإطاحة بالأنظمة المرتدة بنفس الأساليب التقليدية في عمل التنظيمات لإقامة أنظمة تحكم بالشريعة الإسلامية، برزت لتسيطر على المرحلة الجديدة مرة ثانية، حيث جعلت معظم التنظيمات هدفها هو نفس الهدف الذي أثبتت الأيام فشله في ظل النظام العالمي الجديد. ولم تنجح محاولات الشيخ أسامة والقاعدة عبر تلك السنوات الخمس في استمالة تلك الجماعات الجهادية - باستثناء تنظيم الجهاد المصري وبعض الجماعات من باكستان وبنجلادش - إلى توجهاته بتوحيد محور المواجهة تجاه أمريكا، سواء بالاندماج معه في جماعة واحدة أو بالدخول في حلف الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد الصليبيين، إلى أن جاءت هجمة أمريكا على الإمارة، وتداعيات أحداث سبتمبر، فأقنعت أمريكا الكل بترك أهدافهم والتفرغ لحربها[184].

(184) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

المرحلة الخامسة: الحدث الذي غيّر وجه التاريخ؛ غزوات الحادي عشر من سبتمبر المباركة:

الهدوء الذي يسبق العاصفة:

كان الشيخ أسامة في أوّل مقابلة له مع أمير المؤمنين الملا عمر - بعد إعلانه بيان "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" وقبل تنفيذ أي عمليات عسكرية - قد شرح وجهة نظره وأدلته الشرعية حول أولوية جهاد أمريكا المحتلة لمقدسات المسلمين، بتفصيلٍ وعاطفةٍ جياشةٍ أثّرت في أمير المؤمنين الملّا عمر وفي كل مسئولي طالبان. وكان أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله، لا يعارض ضرب أمريكا من حيث المبدأ، لكن يعارض الشيخ أسامة في توقيت ضربها، ويرى أن الأولوية الآن هي تثبيت دعائم الإمارة الإسلامية. وقال أمير المؤمنين الملّا عمر للشيخ أسامة في هذا الشأن:

"نحن نعرف أن الأمريكان لابد أن يتركوا جزيرة العرب، وأن اليهود لابد أن يتركوا فلسطين، ونحن أيضًا مسلمون ومجاهدون مثلكم، ولا نَقِل عنكم غيرة على الإسلام، ونحن لسنا جبناء، فقد قاتلنا ضد الروس، وقدمنا الشهداء والمعوقين حتى هزمناهم، وسوف نأتي معكم لتحرير المقدسات فهذا واجبنا. ولكن وضعي الآن هو هكذا (وهنا قام الملّا عمر من مجلسه بقامته النحيلة الفارعة، وقد ثنى ركبتيه) لا أنا منتصب القامة، ولا أنا جالس؛ فانتظروا حتى يستقر أمرنا في أفغانستان، وتنتهي هذه الحرب الداخلية، وسترون أننا سنكون في مقدمة الصفوف نحو تحرير المقدسات"(185).

كانت هذه هي وجهة نظر أمير المؤمنين الملا عمر، وكان في مجلس شورى الشيخ أسامة من يشاطره ذلك الرأي، ويرى أن ضرب أمريكا قد يعرّض وجود الإمارة الإسلامية لكثيرٍ من المخاطر. وكان الشيخ أسامة يخالف الملّا عمر في ذلك، وكانت قناعته هي أنه سواء أن انتهت الحرب الداخلية بانتصار طالبان أم لم تنته، أم استقر الأمر لطالبان أم لم يستقر، **لن تسمح أمريكا ابتداءً لطالبان - أو لأي حكومة في العالم - بإقامة نظام إسلامي يحكم بالشريعة، وستعمل بكل ما أوتيت من قوة لإسقاط نظام طالبان**. وكان أمير المؤمنين وكثير من كبار الطالبان، قد صرحوا في

---

(185) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: هذا الحوار بكامله كان في أول لقاء مع أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله.

أكثر من مناسبة أنهم مقصودون لدينهم، لا لمجرد وجود أسامة بن لادن، وكما قال أمير المؤمنين: "جاء البريطانيون وهجموا على أفغانستان قبل أن يوجد أسامة بن لادن، ثم جاء الروس كذلك قبل أن يأتي أسامة".

ومصداقًا لرؤية الشيخ أسامة - حتى ولو لم تحدث عمليات 9/11 - فقد كانت أمريكا وحلفائها قد أعلنت سياستها وإرادتها لإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان منذ أواسط عام 1997م. وكانت الإمارة الإسلامية قبل حدوث عمليات 9/11 بشهرين تعلم علم اليقين أن أمريكا تعد خطة عسكرية لاجتياح أراضيها وضربها ضربة عسكرية جوية قاصمة، لنزع حكومة الإمارة وتنصيب حكومة ظاهر شاه المنفِي. وكانت صحيفة (ضرب مؤمن) الإسلامية الباكستانية قد ذكرت أن وزير الخارجية الباكستاني الأسبق نياز زينك، قد نقل لحكومة طالبان أن مسؤولين كبارًا في الحكومة الأمريكية أبلغوه في منتصف شهر يوليو عام 2001م، أنه إذا لم يتم تسليم بن لادن على الفور، فإن الولايات المتحدة ستقوم بحلول منتصف شهر أكتوبر 2001م بعمل عسكري لاعتقاله أو قتله هو والملا عمر زعيم حركة طالبان. وأشار المسؤول الباكستاني إلى أن الهدف الأوسع من تلك العملية هو إسقاط حكومة طالبان، وتنصيب حكومة انتقالية من الأفغان المعتدلين من الممكن أن يتزعمها ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه. وأوضح الوزير أن واشنطن ستشن عملياتها من قواعد في طاجكستان، وقال إن أوزبكستان ستشارك في العمليات، وأن سبعة عشر ألف جندي روسي يقفون في حالة استعداد. وشكك المسؤول الباكستاني السابق في إمكانية تراجع الولايات المتحدة عن خططها حتى إذا تم تسليم بن لادن على الفور من قبل الإمارة الإسلامية(186).

إذن لهذه الأسباب وغيرها - بالنسبة لتعامل أمريكا مع أمتنا المسلمة عامّة ومع إمارة أفغانستان بصفة خاصّة - كانت قناعة الشيخ أسامة بأن ضرب أمريكا وعدم ضربها نتيجته واحدة والضرب عنده أولى وأهم، وغزوها في عقر دارها أولًا أفضل من غزونا في عقر دارنا في النهاية. وقد أقر بهذه الحقيقة أمير المؤمنين الملّا عمر نفسه في رسالته إلى الأمة الإسلامية بعد مرور عام على الحرب الصليبية على أفغانستان حيث قال:

---

(186) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني رحمه الله. بتصرّف.

"والحرب التي تشنها أمريكا على بلادنا هي جزء من هذه الحملة على الإسلام. إن أمريكا عندما حاربت أفغانستان، أرادت بالدرجة الأولى القضاء على النظام الإسلامي، ومنع تطبيق الشريعة الإسلامية، ومنع إحياء الدين الإسلامي الذي يخيفها. وإذا كانت أمريكا قد جعلت من عمليات 11 سبتمبر ذريعة لضرب إمارة أفغانستان الإسلامية، وإعلان الحرب على المسلمين، فإننا نعلم أن ذلك ليس هو السبب الوحيد، ونعرف أن أمريكا كانت تريد ضربنا والقضاء على الإمارة الإسلامية قبل ذلك بكثير، وكانت تحاول إيجاد المسوغات، ولو لم توجد 11 سبتمبر لوجدت أمريكا غيرها. ولو لم تكن عند أمريكا هذه النية المبيّتة والإرادة المتقرّرة، لما شنت علينا الحرب بسبب عمل لم تتأكد بعد من الذي قام به".

وكان الشيخ أسامة يعلم أن حجم الضربات المخطط لها لن تكون كسابقاتها، وقد تكون لها تبعات كبيرة تقود إلى حرب لا هوادة فيها، يكون الطالبان والشعب الأفغاني هم الأكثر تضررًا منها. فأمريكا لن تكتفي كما فعلت عندما هوجمت سفاراتها في نيروبي ودار السلام، بضرب أفغانستان بعدد من صواريخ كروز، وربما يجر الأمر إلى أكبر من ذلك. ورغم ذلك كان الشيخ أسامة يعتقد أن **تنفيذ وصية رسول الله ﷺ، بإخراج الصليبيين من جزيرة العرب أمر يستحق التضحية، إذ لا قيمة للمسلمين والعرب على أرض الواقع، وحمى المسلمين ومقدساتهم مستباحة، وأوطانهم مستعمرة.** فكان يرى أنه لا يوجد شيء يخشى عليه في النهاية، بضرب أمريكا وبغير ضربها، فما يخشونه هم واقعون فيه، والسابح في البحر لا يخشى المطر.

إضافة إلى ذلك كان الشيخ أسامة يستند إلى القاعدة الفقهية التي تقول: "أوجب الواجبات بعد الإيمان، دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا". وانطلاقًا من هذه القاعدة كان الشيخ أسامة يعتقد أن دفع الأمريكان المحتلين لمقدسات المسلمين، هو أوجب الواجبات اليوم، وهو من الجهاد المتعين الذي لا يقبل التأجيل، ولا يجوز التأخر عنه، كما لا يملك الإمام حق إيقافه لأنه من صميم مصلحة الأمة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة، ومصلحة الدولة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد. فقد كان رحمه الله يخشى أنه إذا سكت الناس اليوم، ولم يتداعوا ويقوموا بدفع صيال العدو عن بلاد الحرمين، فلن تمضِ عشر سنوات حتّى يتبلّد الحس تدريجيًا وتُنسى القضية، وسيأتي جيل يخلفه جيل تكبله سياسة الأمر

الواقـع وسياسـة ألّا جـدوى فـلا يأبـه كثـيرًا، ولا يتحـرك لـه سـاكن، وستضـيع القضـية في زحمـة الـزمن ومشاغل الحياة، تمامًا كما ضاعت فلسطين وضاعت الأندلس من قبل.

إذن أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله[187]:

ذات مـرة، كـان بعـض قيـادات الطالبـان قـد أتـى لـزيارة الشـيخ أسـامة في مجمّـع المطـار، وكـان مـن بينـهم المـلّا مُحَمَّد حسـن والي قنـدهار، والطيـب أغـا – مـدير مكتـب أمـير المـؤمنين – وغـيرهم، ورحّـب بهـم الشـيخ أسـامة وأكـرمهم، وكـان مـن الحاضـرين لهـذه الجلسـة الشـيخ أبـو حفـص الكمنـدان، والشـيخ أحمـد حسـن أبـو الخـير، والشـيخ مصـطفى أبـو اليزيـد – رحمهـم الله جميعًـا – والشـيخ الـدكتور أيمـن الظـواهري. وفي الجلسـة تكلّـم الشـيخ أسـامة وقـال: "سـيكتب لكـم التـاريخ أيهـا الأفغـان شـيئين، سـيكتب لكـم أنكـم حفظـتم العـرب مـن الأمريكـان وهـذه لكـم، والثانيـة أنكـم حفظـتم الأمريكـان مـن العـرب وهـذه علـيكم". فـردّ عليـه المـلّا مُحَمَّد حسـن، وكـان رئيسًـا للحكومـة آنـذاك وقـال: "لا لا يا شـيخ هذا غير صحيح".

وكـان الشـيخ أسـامة قـد أرسـل مـع الطيّـب أغـا ملفًّـا بـه صـور ومقـاطع فيـديو لليهـود، وهـم يدنسّـون الأقصـى ويضـربون المسـلمات، ويهـدمون المسـاكن والبيـوت. وقـال الشـيخ أسـامة للطيـب أغـا: "أريـدك أن تعـرض هـذه الصـور علـى أمـير المؤمنين". فقـال الطيـب أغـا: "مسـتحيل المـلّا عمـر لا يـرى الصـور". فقـال لـه الشـيخ أسـامة: "ضـروري لا بـدّ أن يراهـا، فـبعض الأحيـان لا بـدّ للطبيـب أن يـرى العـورة للعلاج، والملّا عمر هو طبيبنا وطبيب الأمة، فلا بدّ أن يراها".

وعنـدما شـاهد أمـير المـؤمنين المـلّا عمـر رحمـه الله مـا يحتويـه الملـف، غضـب غضـبًا شـديدًا وقـال للطيـب أغـا: "أحضـر لي أسـامة الآن". وعنـدما جـاء الشـيخ أسـامة قـال لـه أمـير المؤمنين: "أنا أريـدك يا شـيخ أسـامة أن تضـرب اليهـود في أي مكـان". فقـال لـه الشـيخ أسـامة: "سمعًـا وطاعـة، وإن شـاء الله لا تغيـب الشـمس، إلّا وقـد بـدأنا في ترتيـب العمليـات ضـد اليهـود". وخـرج الشـيخ أسـامة رحمـه الله فرحًا مبتسمًا من ذلك الاجتماع وقال لمرافقه الشيخ بصير: "**لقد أذِنَ أمير المؤمنين**".

---

(187) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، رواية الشيخ بصير رحمه الله. بتصرّف طفيف.

وآنـذاك كانـت وزارة خارجيـة طالبـان قـد تسـلّمت رسـالة مباشـرة مـن الأمريكـان، تـدل علـى مـدى صـلف واسـتحقار الأمريكـان لطالبـان. كانـت الرسـالة عبـارة عـن ورقـة بيضـاء عاديـة، بهـا رسـالة مقتضبة تقول: "قولًا واحدًا، إمّا أن تسلموا ابن لادن، وإمّا أن نضرب أفغانستان".

وكـان الشـيخ أسـامة يرجـو ويتمـنى ويطلـب مـن الإخـوة أن تتـأخر العمليـات في نيويـورك وواشـنطن، حـتّى تكـون ردًّا ومـبررًا كبـيرًا علـى ضـرب أفغانسـتان المخطـط لـه. وكـان رد الإخـوة في أمريكـا، أنهـم لا يستطيعون تأخير العمليات، لأن الأوضاع لا تسمح لهم بذلك، فقد يقبض عليهم لأدنى شبهة.

وكـان الشـيخ أسـامة رحمـه الله – قبـل العمليـات بفـترة وجيـزة – قـد اجتمـع بالإخـوة بمجمّـع ستّة في قنـدهار، وحـدّثهم بأنـه سـتكون هنـاك ضـربات قويـة وموجعـة علـى أمريكـا، فعلـى الجميـع أن يتأهـب ويهيـئ نفسـه لمـا هـو قـادم. وبالطبع كانـت تفاصـيل العمليـات أمـر في غايـة السـريّة، فلـم يكـن أحـد مـن الإخـوة – غـير القلّـة القليلـة المشـرفين علـى مجرياتهـا – يعلـم شـيئًا عـن حجـم هـذه الضـربات، فكـانوا يتوقّعـون أنهـا سـتكون كسـابقاتها بسـيارات مفخخـة هنـا أو هنـاك، لـذلك كـان كثـير مـن الإخـوة – مـن أبـرزهم الشـيخ مصـطفى أبـو اليزيـد رحمـه الله، والشـيخ أبـو حفـص الموريتـاني حفظـه الله، وآخـرون – يعارضـون هـذا الأمـر، وكانـت حجّـتهم أن هـذه مسـألة اجتهاديـة، مـن المفـترض أن يُرجـع فيهـا إلى أمير المؤمنين، وأن العواقب ستكون وخيمة على الأفغان، لذلك يجب التأني.

وبعـد أن سمـع الشـيخ أسـامة آراء الإخـوة، ألقـى كلمـة مـؤثّرة مستشـهدًا بمقولـة أبي بكـر الصّـديق ﵁ (**أيَـنقص الـدين وأنا حـي**). وفي تلـك الجلسـة بكـى الشـيخ أسـامة رحمـه الله، وكـان يقـول: "**نحـن خلفنـا أمّـة تنتظـرنا، ولا بـد أن نفعـل لهـا شـيئا. وقـال: أمّـا بالنسـبة للاسـتئذان مـن أمـير المـؤمنين، فهـو قـد سمـح لنـا بضـرب اليهـود، والأمريكـان هـم الوجـه الآخـر لليهـود**". وقـال أيضًـا: "**يقـول العلمـاء، إذا رأى آحـاد المسـلمين فرصـة لضـرب العـدو قبـل أن يـدخل بـلاده أو يفـوّت فرصـة للمسـلمين، فيضـربه دون الاسـتئذان إن كـان الاسـتئذان مـن الأمـير سـيؤخّره وتفـوّت الفرصـة عليه**".

وكـان الشـيخ أسـامة يعتقـد أن أمريكـا حتمًـا سـيكون لهـا ردّة فعـل تجـاه هـذه الضـربات، وسـتعلن الحـرب الـتي ربّمـا تسـتمر إلى عقـدٍ أو عقـدين مـن خلالهـا سـيتمّ اسـتنزاف أمريكـا اقتصـاديًا وعسـكريًا، وبعدها تخرج بفضل الله من كونها امبراطورية ودولة عظمى، ثمّ تبدأ تنحسر على نفسها.

غزوات الحادي عشر من سبتمبر، هل يفهم التمساح حوارًا بغير سلاح؟:

كانت أمريكا تظن أنها القارة العظيمة التي يحميها محيطان عظيمان، وأنها بوضعها الجغرافي الحصين، وقوتها العسكرية المتفرّدة، محمية من أي غزو خارجي، وأنها هي التي تُلحق الأذى بأراضي غيرها، بينما لا يستطيع أحد أن ينال أرضها بسوء. وقد أكدت خبرة الحربين العالميتين هذا الظن، فيما عدا الهجوم على بيرل هاربر، فقد تمت كل المعارك الحربية الكبرى بعيدًا عن الأراضي الأمريكية. أما في الغزوات المباركات، فقد تبدد هذا الوهم، وأصبحت أمريكا في بؤرة الخطر، وأضحت كما تدين تدان[188].

يقول الشيخ أبو ياسر رفاعي طه رحمه الله: "إن كل قوي له نقاط ضعف، وكل ضعيف له نقاط قوة، وربما لو أحسن الضعفاء استثمار نقاط قوتهم، ووجهوها حيث مكامن الضعف عند الأقوياء، ربما استطاعوا أن يحققوا نصرًا محتّمًا". وقال أيضًا: وبالرغم من ذلك ربما لو تحدث أحد من منفذي غزوات الحادي عشر من سبتمبر المباركة، قبل تنفيذها لأحد من أصحاب النظريات والاستراتيجيات وأولئك الذين يرون في الولايات المتحدة الأمريكية قوةً لا تُقهر، ربما قابلوا محدثهم بتهكم شديد واستهجان أشد، وسارعوا باتهامه على الفور بأنه مختل عقليًا"[189].

لماذا يكرهوننا؟

سؤال طالما طرح نفسه، وردده الكثير من الأكاديميين وصانعو السياسة الغربيين على حدٍ سواء وهو: لماذا يكرهوننا؟ فهل صحيح ما يزعمه الأمريكيون أننا نحسدهم على ما أنعم الله عليهم من نعمة الحريّة والعدالة والمساواة والديمقراطية ووو.... الخ؟ يجيب على هذا التساؤل الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، في رسالته الثانية الصادرة في 29 أكتوبر/ 2004 م، الموجّهة إلى الشعب الأمريكي التي يقول فيها:

" سأحدثكم عن الأسباب وراء تلك الأحداث، وسأصدقكم القول باللحظات التي اتخذ فيها هذا القرار لتتفكروا، فأقول لكم؛ علم الله ما خطر في بالنا ضرب الأبراج، ولكن بعدما طفح

---

(188) فرسان تحت راية النبي للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(189) مقال بعنوان: ضرب المدمّرة كوول الدروس والعبر للشيخ رفاعي طه.

الكيل، وشاهدنا ظلم وتعسف التحالف الأميركي الإسرائيلي على أهلنا في فلسطين ولبنان فبادر إلى ذهني ذلك.

وإن الأحداث التي أثرت في نفسي بشكل مباشر ترجع إلى عام 1982م وما تلاها من أحداث، عندما أذنت أميركا للإسرائيليين باجتياح لبنان، وساعد في ذلك الأسطول الثالث الأميركي، وبدأ القصف وقُتل وجُرح كثيرون ورُوِّع وشُرِّد آخرون، وما زلت أتذكر تلك المشاهد المؤثرة؛ دماء وأشلاء، وأطفال ونساء صرعى في كل مكان، منازل تدمر بمن فيها، وأبراج تدك على ساكنيها، قذائف كالمطر تصب على ديارنا بلا رحمة، وكان الحال كتمساح التقم طفلًا لا حول له ولا قوة إلا الصراخ، فهل يفهم التمساح حوارًا بغير سلاح.

وكان العالم كله يسمع ويرى ولا يزيد، وفي تلك اللحظات العصيبة جاشت في نفسي معان كثيرة يصعب وصفها، ولكنها انتجت شعورًا عارمًا يرفض الظلم، وولدت تصميمًا قويًا على معاقبة الظالمين. وبينما أنا أنظر إلى تلك الأبراج المدمرة في لبنان، انقدح في ذهني أن نعاقب الظالم بالمثل، وأن ندمر أبراجًا في أميركا لتذوق بعض ما ذقنا، ولترتدع عن قتل أطفالنا ونسائنا. **وعلى خلفية تلك الصور وأمثالها جاءت أحداث الحادي عشر، ردًا على تلك المظالم العظام، فهل يلام المرء في الذود عن حماه؟ وهل الدفاع عن النفس ومعاقبة الظالم بالمثل إرهابًا مذمومًا؟ فإن يكن كذلك فما لنا منه بد**"[190].



مذابح الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان عام 1982م

---

(190) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين

وكما يقولون الحق ما شهدت به الأعداء، فهذا مايكل شوير الضابط الذي عمل لمدة 22 عامًا في السي آي إيه، قبل أن يستقيل في عام 2004م، وكان رئيس (وحدة بن لادن) في مركز مكافحة الإرهاب من 1996م حتى 1999م يقول[191]:

" لقد كان ابن لادن دقيقًا وهو يخبر أمريكا عن الأسباب التي يشن من أجلها الحرب علينا، وليس من هذه الأسباب ما له صلة بحريتنا وتحررنا وديمقراطيتنا، ولكنها ذات علاقة وطيدة بسياسات الولايات المتحدة وأفعالها في العالم الإسلامي".



مايكل شوير – رئيس وحدة بن لادن سابقًا

وكان الشيخ أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، يناقش في أفغانستان بعض الإخوة في فكرة استخدام الطائرات لضرب أمريكا في عقر دارها. وكان أخٌ طيار أمريكي قد أكد للشيخ أبي عبيدة، أنه جاهز ليعمل عملية كبيرة داخل أمريكا، عن طريق اسقاط طائرة صغيرة في إحدى المفاعلات النووية الأمريكية[192]. ولما هيأ الله لهذا الأمر أن يكون بعد خروج الشيخ أسامة من السودان ووصوله إلى أفغانستان، تعززت الفكرة في ذهن الشيخ أسامة من جديد وآن لها أن تتحقق.

وكان الأخ أبو الحسن الصعيدي رحمه الله، قد رأى رؤيا في جلال أباد عام 1996م، وقصّها للشيخ أسامة – رحمه الله – قائلًا له: "رأيت يا شيخ أننا نلعب مباراة كرة قدم ضدّ الأمريكان،

---

(191) فرسان تحت راية النبي. للشيخ لدكتور أيمن الظواهري.

(192) الحرب على الإسلام. هارون فضل. بتصرف.

وأننـا أحـرزنا فـيهم أهـداف، لكـن الغريـب في الـرؤيا أنّ فريقنـا كـان كلّـه طيـارين". فاستبشـر الشـيخ أسـامة خـيرًا بهـذه الرؤيـة، وتعـززت الفكـرة أكثـر بعـد سـقوط طـائرة مصـرية في أكتـوبر عـام 1999م[193] في المحيط الأطلنطي، بعد إقلاعها من أحد المطارات الأمريكية. وكان الأمريكان قد اتهموا كابتن الطائرة ويدعى جميل البطّوطي، بإسقاطها عمدًا في المحيط، فقال الشيخ أسامة: "لو كان أدخلها في أحد المباني، لكان العمل أحدث نكاية عظيمة في الأمريكان".

وكـان لخالـد الشـيخ مُحَّد، بالتعـاون مـع ابـن أختـه رمـزي يوسـف وآخـرين في فبرايـر مـن عـام 1993م، محاولـة لتـدمير مبـنى التجـارة العـالمي. وكانـت خطّـتهم هـي نسـف أحـد البرجـين التـوأم، بحيث يتهاوى ويسقط على البرج الآخر، مما يسبب خسائر في الأرواح لا تقل عن ربع مليون نسمة في المجمع بكامله. ولم يشأ الله لهذه العملية أن تتحقق كما خُطط لها، وانتقل بعد ذلك رمزي يوسف وخالد الشيخ مُحَّد إلى مسرحٍ آخر لتنفيذ مخططٍ آخر، أطلقوا عليه رمز مخطط البوجينكا[194].

كـان مخطـط البوجينكـا عبـارة عـن خطـة ينفـذها خمسـة رجـال، مسـتخدمين قنابـل دقيقـة لنسـف إحـدى عشـرة طـائرة أمريكيـة في سمـاء المحـيط الهـادي مـن الممكـن إن تـؤدي الى مصـرع أربعـة آلاف شخص، وشل حركة الطيران والسفر العالمية. كذلك كان من ضمن المخطط استئجار طائرة ركاب سيسنا، ثم الارتطام بها في مبنى السي آي أيه CIA. ومرة أخرى لم يقدّر الله لهذه العمليات أن تتحقق، ففي يناير 1995م حدث خطأ قاتل أدى إلى نشوب النيران في المختبر الذي كان يعمل فيه رمزي يوسف، مما اضطره للهروب وترك شقته بما فيها من معلومات ومواد كيميائية[195].

وفي منتصف التسعينات، مرت الطائرة الهليكوبتر التي كانت تنقل المجاهد رمزي يوسف بجانب مركز التجارة العالمي، فقال عميل ال FBI المرافق لرمزي يوسف: "يا رمزي انظر إلى أبراج مركز التجارة العالمي لم تسقط من التفجير". فقال له رمزي يوسف: "**إن سقوط مركز التجارة العالمي، مسألة وقت لا أكثر**". وبالفعل صدّق الله كلام رمزي يوسف، فجاءت غزوة ماهاتن، بعد خمس

---

(193) جدير بالذكر أن الخطوات العملية لأحداث الحادي عشر كانت قد بدأت قبل تاريخ سقوط الطائرة المصرية في المحيط.

(194) البوجينكا كلمة كرواتية تعني التفجير.

(195) رمزي يوسف عبقري الجهاد. عبد الله ذو البجادين. بتصرّف.

سـنوات فقـط، جعلـت الأبـراج كهشـيم محتضـر. وكـان المخطِّـط للغـزوة، **هو** خـال رمـزي يوسـف، الشيخ **المجاهد** خالد الشيخ مُحَّد، فكّ الله أسره[196].



المجاهد البطل رمزي يوسف
فكّ الله أسره



الشيخ المجاهد خالد الشيخ مُحَّد
فكّ الله أسره

وعنـدما جـاء الشـيخ أسـامة إلى أفغانسـتان قادمًـا مـن السـودان، زاره الأخ خالـد الشـيخ مُحَّد، وتناقشـا حـول إمكانيـة اسـتخدام الطـائرات للقيـام بعمليـة استشـهادية داخـل أمريكـا. وكـان مـن بـين الأهـداف الـتي نوقشـت ضـرب المفـاعلات النوويـة، غـير أن هـذا الأمـر استبعد مبـدئيًا خوفًـا مـن أن تخـرج الأمـور خـارج السـيطرة. وعلـى الفـور فـوضّ الشـيخ أسـامة الأخ خالـد الشـيخ مُحَّد في أن يبـدأ بالشـروع في المشـروع، وكـان ذلـك في بـدايات عـام 1999م، أي قبـل أكثـر مـن عـامين ونصـف تقريبًـا من تاريخ تنفيذ العمليات.

وفي بادئ الأمـر، كـان الشـيخ أسـامة قـد اختـار الأخَـوين الاستشـهاديين نـواف الحـازمي (ربيعـة مـن بـلاد الحـرمين، وخالـد المحضـار (سـنان اليمـني) رحمهمـا الله، للـذهاب إلى أمريكـا لـتعلم قيـادة الطـائرات في المعاهـد المتخصصـة لـذلك، ولم يخبرهم الشـيخ أسـامة عـن طبيعـة المهمّـة الـتي سـيقومون بهـا. واسـتطاع هـؤلاء الإخـوة الحصـول علـى فيـزا سـياحية لـدخول أمريكـا في أبريـل عـام 1999م، ومكثـا هنـاك شـهورًا طويلـة بـذلوا فيهـا قصـارى جهـدهم لـتعلم الطـيران، لكـنهم لم يوفّقـوا في ذلـك بسـبب معـاناتهم الكبـيرة في تعلـم اللغـة الإنجليزيـة، وبسـبب صـعوبة الانـدماج بصـورة طبيعيـة في تلـك البلاد.

---

(196) المصدر السابق.

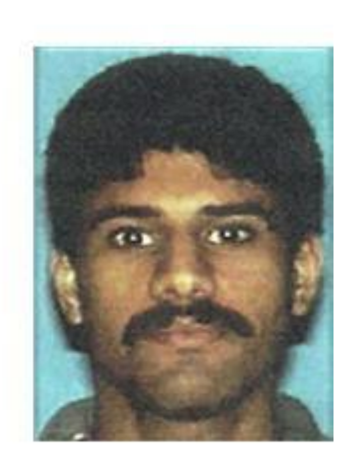
غير أن الله إذا أراد أمرًا هيأ له أسبابه، فمن بلادٍ شتّى جمعتهم ألمانيا للدراسة، وبغير تخطيط مسبّق ساقتهم مشيئة الله للسكن جميعًا في شقّة واحدة في مدينة هامبرج، وعلى غير ميعاد ساق الله مروان الشحّي إلى أفغانستان أولًا؛ فجلس معه الشيخ أسامة وفاتحه في الأمر فوافق، وما هي إلّا أسبوعين حتى لحق به - بعد التواصل معهم - رفاقه في السكن؛ مُحَمَّد عطا، وزياد جراح، ورمزي بن الشيبة، وزكريا الصبّار، وسعيد بحاجي، فقد كانت نيتهم التدريب ثم التوجه للقتال في الشيشان. وكعادته أحسن الشيخ أسامة استقبالهم وأكرمهم، وكان قد ألم بكل المعلومات والمعطيات الدقيقة الخاصة بهم، مثل تحصيلهم العلمي، ومهاراتهم اللغوية، ومعرفتهم بالثقافة وأساليب الحياة الغربية، وإمكانية دخولهم إلى دول الغرب، وغيرها من المعطيات التي تؤهلهم للمشاركة في مثل هذه المهمات الخاصة.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله يتميز بفراسة حادة في الرجال، فجلس مع هؤلاء الإخوة وعرض عليهم الأمر فوافقوا. وكان الأخ رمزي بن الشيبة فك الله أسره، قد سأل الشيخ أسامة مستغربًا، كيف يعرض عليهم أمرًا بهذه الخطورة؟ وهم جدد لم يمض على قدومهم سوى أيامٍ قليلة. فقال له الشيخ أسامة رحمه الله: "**أنا وقع في خلدي أنكم أنتم من ستهدمون حضارة الغرب فتوكلوا على الله**".

وعلى الفور تمّ توجيه الإخوة مُحَمَّد عطا، ومروان الشّحّي، وزياد جراح للتوجه إلى أمريكا لتعلم قيادة الطائرات، فمكثوا هناك ما يربو على السنة أو يزيد، وهم يدرسون علوم الطيران ويستطلعون الأهداف. وكان آخر من انضم إليهم بعد ذلك هو هاني حنجور، فقد كان طيارًا ممتازًا، وحاصلًا على دورات من قبلُ في الطيران، ولهذا أُختير لضرب البنتاجون نسبة لأن مبانيه منخفضة لا تتجاوز الأربعة طوابق. وكان من المفترض أن يكون رمزي بن الشيبة وزكريا الصبّار من ضمن الطيارين، لكنهم لم يوفّقوا في الحصول على فيزا دخول لأمريكا، فاختيرا ليكونا ضمن ضباط التنسيق والاتصال المتابعين لمجريات العمليات.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله في محاضراته في المعسكر، ولقاءاته بالإخوة يشجّعهم ويحثّهم على أن يحدّثوا أنفسهم بالعمليات الاستشهادية، وكان يسأل عن من لديه رغبة في العمل الاستشهادي، وكان بعضهم يتردد والشيخ أسامة يحثّهم بقوله لهم أن هناك عمل كبير قادم بإذن الله.

وكـان الإخـوة قـد عقـدوا دورة قـوّات خاصّـة قاسـية في معسـكر عينـاك القريـب مـن كـابول، وكـان الغـرض مـن هـذه الـدورة هـو إعـداد الشـباب الـذين سيشـاركون في العمليـة واختيـارهم بنـاءً علـى مواصـفات معينـة بـدءًا مـن الصـبر وقـوّة التحمـل، والبـذل والتضـحية، والخلـق الكـريم... الخ. وكـان الشيخ أسامة يشرف بنفسه ويدقق النظر في من يقع الاختيار عليه بالمشاركة.



ربيعة (نواف الحازمي) رحمه الله



سنان (خالد المحضار) رحمه الله



أبو عبد الرحمن (محمَّد عطا) رحمه الله



هاني صالح حسن حنجور رحمه الله



مروان يوسف محمَّد الشّحّي – رحمه الله



زياد سمير جرّاح رحمه الله



الأخ رمزي بن الشيبة

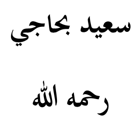
فكّ الله أسره



زكريا الصبّار

رحمه الله





سعيد بحاجي

رحمه الله



أفلحت الوجوه

وكانت الرؤى حول الأحداث قد تواترت من بعض الإخوة، وكان بعضها بالتحديد قد حدد الهدف والمنفذين والقائمين على أمر العملية. فذات ليلة على مائدة العشاء في معسكر عيناك، قال أحد أفراد حراسة الشيخ أسامة موجهًا حديثه إليه: "يا شيخ أمس رأيت رؤيا". فقال له الشيخ بشّر، وكان رحمه الله يحب سماع الرؤى. فقال الأخ: "رأيت يا شيخ عمارتين طوال في أمريكا، على سطح إحداها مختار (خالد الشيخ مُحَّد) يدرّب الإخوة الغُمّيدة كاراتيه، وكانوا على سطح العمارة الأخرى" – وبالفعل كان أفراد المجموعة التي تم اختيارها وعزلها بعد ذلك معروفين بين الإخوة بالغُمّيدة، لأنهم من قبيلة غامد، وكانوا يتدربون في المعسكر في دورة القوات الخاصة

تلك – فالتفت الشيخ أسامة إلى الشيخ أبي حفص وسأله إن كان لديه تأويل، فالتفت الشيخ أبو حفص إلى الأخ وقال له: "يبدو أنك في العشاء أمس، قد أكثرت من أكل الفول". وكان الشيخ أبو حفص رحمه الله، يقصد من هذه الإجابة الدبلوماسية أن يغيّر الموضوع، فقد كشفت الرؤيا التفاصيل الدقيقة للعملية. وكان الشيخ أسامة إذا جاءه أحدٌ من الإخوة يقص عليه رؤيا من العيار الثقيل كهذه يقول له: "بالأمر لا تحكي هذه الرؤيا لأحد". وكان رحمه الله يقول: "كادت الرؤى أن تفضح العمل".

وبعد أن تمّ اختيار المجموعة التي ستشارك في العملية وكانوا من خيرة شباب بلاد الحرمين، تمّ توجيههم للسفر إلى بلادهم لأخذ تأشيرة دخول للولايات المتّحدة، ولمزيدٍ من التمويه كان على هؤلاء الإخوة أن يأخذوا بجانب تأشيرة أمريكا تأشيرة دخول لبلدٍ آخر، وبفضل الله نجح أغلبهم في ذلك، ولم يكتب الله عزّ وجلّ هذا الفضل لآخرين. وعند عودتهم إلى أفغانستان، أمر الشيخُ أسامة – قبل أشهرٍ قليلة من سفرهم إلى أمريكا – بعزَلَهم في أحد البيوت، وبدأوا تدريبًا على أعمال القتال القريب واستخدام الأسلحة البيضاء، وأشرف على تدريبهم الأخ أبو تراب الأردني رحمه الله. كما أخذوا دورات في التنفيذ، وإعادة التدريب، ومراجعة للمسدسات استعدادًا للعملية، كما أخذوا دورات في محاكاة قيادة الطائرة (سمليتور) والأجهزة بها، وكيفية عملها تحسبًا لأي ظرف. وبالرغم من أن هؤلاء الإخوة كانوا يعلمون أنهم ذاهبون إلى عملية استشهادية كبيرة داخل أمريكا، إلّا أنه لم يكن لديهم أدنى علمٍ بتفاصيلها.

وكان مُحَّد عطا قد أُختير ليكون قائد العملية فطَلب – رحمه الله – من القيادة أن تقوم بتحديد عدد من الأهداف الأمريكية اليهودية تحت رمزيات محددة – السلطة التشريعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية – وطلب أن يُترك اختيار الأهداف النهائية بعد ذلك له. واختار مُحَّد عطا الأهداف، مراعيًا بأن تسمح النواحي الفنية للطيران بضربها والوصول لها بدقة، وتُرك له تحديد الوقت المناسب لنجاح العملية. وتم اختيار الأهداف الأربعة، التي تحمل في طياتها الهوية اليهودية. فمركز التجارة، أكبر المؤسسات المالية التي يسيطر بها اليهود على العالم، حيث يحتوي على أرقى الكوادر المالية التي تدير من خلاله سياسات العالم المالية، وهو رمز الاقتصاد الأمريكي بل والعالمي. أما البنتاجون رمز القوة والحصن الحصين، فهو المؤسسة العسكرية العملاقة التي تدعم اليهود ليل نهار، مسجلة لهم تفوقًا عسكريًا على كل الجيوش العربية مجتمعة. أما الكونجرس فهو

يمثل الرمز السياسي في العملية، ولا يخفى على أحد الدور الذي لعبه في دعم اليهود، بدءًا بقراره المشئوم بالموافقة على وعد بلفور عام 1922م، كذلك كل القرارات التي تخرج منه تصب في صالح اليهود، فهو المؤسسة التشريعية التي تمنح وتمنع وتؤيد وترفض وتصدر القرارات والسياسات التي تُستعبد بها شعوبنا الإسلامية[197].

وكانت الخطة أن يضرب مُحَمَّد عطا ومروان الشّحّي برجي مركز التجارة العالمي، وزياد جراح مهمته ضرب مبنى الكونجرس، أما هاني حنجور فقد اختير لمهارته وبراعته في الطيران، لدك أركان البنتاجون، وبفضل الله وتوفيقه تحقق المراد وجاءت الطعنة النجلاء في كبد أمريكا، وأصبح الأمر تاريخيًا[198].

وكان تخطيط الإخوة هو اختيار طائرات تقلع في وقت متقارب، حتى لا تُحذَّر بقية الطائرات إذا نجح اختطاف طائرة أو أكثر، وبالفعل كانت طائرة المجموعة الرابعة قد حُذّرت الساعة 9,24 صباحًا من أي تدخل في قمرة القيادة، لأن هناك طائرتين ارتطمتا بمركز التجارة العالمية في نيويورك ولكن لم يفدها التحذير بشيء[199].

كذلك كان الإخوة قد حجزوا مقاعدهم في الدرجة الأولى في الطائرات حتى يكونوا قريبين من قمرة القيادة، وخططوا بأن أفضل وقت لاقتحام قمرة القيادة يكون ما بين 10 إلى 15 دقيقة من إقلاع الطائرة حينما تُفتح أبواب قمرة القيادة لأول مرة. كذلك درس الإخوة جيدًا أنظمة الأمن في الطيران الأمريكي، فقد كان لا يمنع حمل المدى الأقل من أربع بوصات داخل الطائرات. وكان الإخوة قد تدربوا على استخدام ذلك النوع من المدى، وعلى ذبح الخراف ونحر الجمال بها على يد الأخ أبو تراب الأردني رحمه الله. أيضًا اختار الإخوة الطائرات البوينج 767 العابرة لقارة أمريكا من شرقها إلى غربها، لأنها تحمل مخزونًا أكبر من الوقود، ولم يختاروا طائرات الأيربص، لأن بها طيارًا آليًا يمنعها من الارتطام بالأرض.

---

(197) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني. رحمه الله. بتصرّف.

(198) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني. رحمه الله. بتصرّف.

(199) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

وشيئا فشيئًا كمل الأمر، وأصبح الطيارون جاهزين للعمل، وتم ترتيب سفر الإخوة ليبدأ بذلك العد التنازلي للعملية التي غيّرت وجه التاريخ. وبهذه المناسبة قال الشيخ أسامة في لقائه بالمجاهدين في معسكر الفاروق قبيل الغزوتين:

"بشرناكم بفضل الله سبحانه وتعالى منذ أسابيع، بأن إخوانًا لكم قد خرجوا يحملون رؤوسهم على أكفهم، يبتغون الموت مظانّة من أجل رضوان الله سبحانه وتعالى، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليهم، وأن يسدد رميهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه".

ومع نهاية شهر أغسطس، بدأ المجاهدون في أفغانستان ترتيباتهم الأمنية، استعدادًا لسماع خبر الهجوم الذي بات وشيكًا. فقد تتابع وصول الإخوة المنسقين، المتابعين لمجريات سير العملية، وهذا معناه قرب وقوع الهجوم.

عصايتين بعدهما شَرطة، كحكاية منها عصاية مدّلاية، يعني أيه؟:

كان هذا هو اللغز الذي غير مجرى التاريخ، وهو الشفرة التي أبلغها محمد عطا في مكالمة هاتفية لرمزي بن الشيبة في ألمانيا، محددًا فيها ساعة الصفر للغزوات المباركات؛ فالعصايتين هما 11، والشَّرطة هي الفاصلة، والكعكة بعصاية مدّلاية هي رقم 9، فتكتمل الصورة 9/11. ولم يكن الشيخ أسامة نفسه يعلم بالتحديد ذلك التاريخ، حتى طار إليه ابن الشيبة راجعًا إلى أفغانستان يوم الخميس 9/6 أي قبل خمسة أيامٍ فقط من العمليات(200).

وكان الشيخ أسامة في ذلك اليوم (الجمعة) متواجدًا في معسكر الفاروق بهلمند، عندما جاء رمزي بن الشيبة، وخالد الشيخ محمد وزكريا الصبّار، واستفردوا به ليبلغوه ويبشروه بأن ساعة الصفر هي يوم الثلاثاء القادم 9/11. بعدها قرر الشيخ أسامة الرجوع سريعًا إلى قندهار، وبات فيها ليلة، ثم غادر في اليوم التالي إلى كابول، وكان بصحبته الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ الدكتور أيمن الظواهري والشيخ سليمان أبو الغيث، فك الله أسره، والشيخ يوسف حمدان رحمه

(200) غزوة منهاتن الجهادية لحظة بلحظة. يسري فودة. بتصرّف.

الله[201]. وفي كابل مكث الشيخ أسامة يومًا واحدًا، ثم تحرك بعدها إلى شِعب تورغر المجاور لجلال آباد.

وقبل الخوض في تفاصيل أحداث ذلك اليوم المجيد، جدير بنا أن نعود عامًا إلى الوراء، إلى تلك الجلسة الإيمانية الرائعة في نفس الشعب، عندما لجأ إليه الشيخ أسامة بعد عملية ضرب المدمّرة كول؛ فذات يوم بعد العصر كنا جلوسًا مع الشيخ أسامة على رمال ذلك الشعب نتناول الشاي، ونستمع إلى أحاديثه الإيمانية الشيّقة، التي يأسر منطقها العقول وحلاوتها وحسنها القلوب. وبعد انتهاء الشيخ من حديثه التفت إلينا قائلًا: "**الضربات القادمة بإذن الله ستكون أكبر من كول بألف مرة**".

كان ذلك الخبر مفاجأة صاعقة نزلت على مسامعنا وعلى إثرها خيّم الصمت والوجوم والدهشة علينا جميعًا، إذ لم يكن أحدنا يتوقع أو يتخيل أن القاعدة لها المقدرة على أن تضرب ضربات بهذا الحجم. ولا شك أن كلّ واحد منا كان قد أفلت لخياله العنان، محاولًا رسم صورة ما لهذه الضربات وسأل نفسه هذا السؤال: إذا كانت كول قد استهدفت بطنّين من المتفجرات، فهل من المعقول أن تكون القوة التدميرية لهذه الضربات القادمة 2000 طن من المتفجّرات؟ أما أنا فقلت في نفسي مستحيل!! اللهم إلّا أن تكون ضربة غير تقليدية بأسلحة دمار شامل. كيف؟ الله أعلم.

وبالفعل كانت الضربات بنوع جديد من أسلحة الدمار الشامل التي لم تدر في خيال أحدٍ من كتاب أفلام الخيال الهوليوديّة، ناهيك أن يتخيلها أحدٌ من عوام الناس. ففي ذلك اليوم المبارك، كان الشيخ أسامة رحمه الله ممسكًا بجهاز الراديو يكاد لا يفارق أذنه. وكان أمين سرّ الشيخ بصير رحمه الله، قد أخبر أفراد الحراسة - نقلًا عن الشيخ أسامة - بأن يتابعوا الأخبار ذلك اليوم، وأن هناك جائزة ألف دولار لمن يبشّر الشيخ بخبرٍ سار. كانت الجائزة مغرية، فأسرع بعض الإخوة يتابعون نشرات الأخبار على أجهزة الراديو، عسى أن يبشروا الشيخ أسامة بما يسرّه ويفوزوا بالجائزة.

(201) كان أيام الجهاد الأول في أفغانستان مديراً لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في بيشاور، وكان له نشاط فاعل في خدمة الجهاد والمجاهدين، ونفر قبيل الأحداث إلى أفغانستان، وبايع الشيخ أسامة، وكان الشيخ أسامة قد عينه متحدّثًا رسميًا لتنظيم القاعدة، توفي رحمه الله تحت التعذيب في سجون آل سعود.

كـان الوقـت عصـرًا في ذلـك اليـوم التـاريخي المبـارك؛ الـثلاثاء 11\9\2001م. كنـت مشـغولًا بغسـل أواني الغـداء تلـك اللحظـة الـتي سمعـت فيهـا إطـلاق نار قريـب، فالتفـت إلى حيـث يجلـس الشـيخ أسـامة والـدكتور أيمـن والشـيخ أبـو حفـص الكمنـدان والشـيخ سـليمان أبـو الغيـث، ورأيـت الشـيخ أسـامة ممسـكًا بسـلاحه يطلـق النـار. تركـت مـا بيـدي وركضـت مسـرعًا إلى مكـانهم، وتجمـع بقيـة الإخـوة حيـث علمنـا الخـبر؛ طـائرة ركـاب تخـترق الـبرج الشـمالي لمركـز التجـارة العـالمي. ارتـج الشِّـعب بأصـوات التكبـير، وأطلـق كـل الإخـوة زخّـات مـن رصـاص أسـلحتهم فرحًـا وابتهاجًـا، وسـجدوا لله شـكرًا أن وفّـق إخـوانهم لهـذا العمـل العظـيم، سـائلين الله لهـم القبـول. طلـب الشـيخ أسـامة مـن الجميـع الصـمت ليسـتمع إلى الأخبـار، وأن يكثـروا مـن الـدعاء بأن يوفـق الله إخواننـا، لأنـه مـا زالـت هنـاك ثـلاث طـائرات أخـرى مـن المفـترض أن تكـون في الجـو، ولا يفصـل بينهـا وبـين الوصـول إلى أهـدفها إلا دقـائق معـدودات. الله أكـبر! مـا زالـت هنـاك ثـلاث طـائرات أخـرى مـن المفـترض أن تكـون في الجـو، تمـتم أكثـرنا غـير مصـدّق لمـا سمـع، فهـل مـن المعقـول أن يكـون الإخـوة قـد نجحـوا في اختطـاف أربـع طـائرات في وقـت متـزامن مـن داخـل المطـارات الأمريكيـة؟ كـان ذلـك الكـلام مفاجـأة صاعقة لنا جميعًا، لكنه لم يكن كذلك مع الشيخ أسامة.

وكـان الشـيخ أسـامة والشـيخ أبـو حفـص كمـا سـبق ذكـره - بعـد قـدوم ابـن الشـيبة في 6/ 9- علـى علـم بتـاريخ تنفيـذ العمليـات في ذلـك اليـوم المبـارك، لكـن كيـف سـارت الأمـور بعـد ذلـك مـع الإخـوة المنفـذين في ذلـك اليـوم؟ هـل جـرت علـى أكمـل وجـه أم صـادفتهم عقبـات أثّـرت علـى سـير العمليـات؟ هـل حـدث في المطـار أمـرٌ مكـروه لأيٍ أحـدٍ مـن الإخـوة أثنـاء الإجـراءات الأمنيـة للرحلـة؟ هــل اسـتطاعت كـل مجموعـات الخـاطفين الصـعود إلى الطـائرات بسـلام؟ هــل أقلعـت الطـائرات في الوقـت المحـدد لهـا لتتـزامن عمليـات الاختطـاف جميعًـا في وقـتٍ واحـد؟ هـل نجحـت كـل المجموعـات في تنفيـذ عمليـة الاختطـاف داخـل الطـائرات كمـا خُطـط لهـا؟ هـل وهـل وهـل؟ أسئلة كثيرة لا شـك أنهـا كانـت تـدور في أذهـان الشـيخين لم يكـن لهـا إجـابات محـددة نسـبة لانقطـاع حلقـة الوصـل في الأيام الأخـيرة بـين المنفـذين والمنسـقين بعـد رجـوعهم إلى أفغانسـتان، لكـن هـذا مـا كانـت سـتجيب عليـه الدقائق القادمة لمجريات الأحداث.

وبالفعـل صـار الإخـوة يـدعون ويتضـرعون إلى الله مـن أعمـاق قلـوبهم، بأن يوفـق إخـوانهم ويسـدد رميهم. وكانـت الـدقائق تمـر كأنهـا دهـر، فقـد كـان الجميـع ملتفّـين حـول الشـيخ أسـامة، يسـتمعون إلى

ذلك المذيع من إذاعة صوت أميركا الذي كان ينقل الحدث بنبرة خوف متقطعة بين حين وآخر من هول المشهد الذي يراه، حيث النيران والدخان، والخوف والرعب الذي خيّم على وجوه الناس، ومشاهد أولئك الذين اتخذوا أسوأ قرارٍ في حياتهم، حيث كانوا يلقون بأنفسهم إلى الأرض، مفضلين تلك الصناعة من الموت على أن يموتوا حرقًا. ولم يكن الشيخ أسامة قلقًا على سير العمليات، فقد كان يحسن الظن بالله على نجاحها، لكنه كان متحرّقًا ومتشوّقًا لمعرفة مصير باقي الطائرات.

وفجأة قطع حبال الصمت صوت ذلك المذيع صارخًا: "يا إلهي، طائرة أخرى اصطدمت بالبرج الجنوبي لمركز التجارة". ومرة أخرى ارتجّ الشّعب بالتكبيرات ونغمات الرصاص، ثم خيّم الصمت المكان إلا من صوت المذيع المرتعش، وتمتمات الإخوة بألسنتهم التي كانت تلهج بالدعاء والضراعة إلى الله بأن يسدد رمية بقيّة إخوانهم. ومرة أخرى صاح المذيع، لكن هذه المرة جاء صياحه وكأنه غير مصدّق لما يرى، فقد دكّت طائرة ثالثة مباني البنتاجون في العاصمة واشنطن، وبعدها بأقل من نصف ساعة طائرة رابعة أُسقطت[202] في بنسلفانيا، قبل أن تصل لتدك هدفها في مبنى الكونجرس.

تنفس الشيخ أسامة الصعداء وحمد الله كثيرًا وأثنى عليه، فقد أُنجزت المهمة بعد توفيقه سبحانه وتعالى لإخواننا على أكمل وجه. ثم ما لبث المذيع أن صاح قائلا: "يا إلهي لا أُصدق ما أرى، البرج الجنوبي ينهار إلى ركام"، ثم بعده بنصف ساعة ينهار البرج الشمالي كتوأمه إلى تراب، ليتسبب حطامهما في انهيار أربعة مباني أخرى تابعة لمركز التجارة العالمي، منها فندق ماريوت ذو الإثنين وعشرون طابقًا، والمبنى 7 ذو السبعة وأربعون طابقًا، كما تضررت أضرارًا بليغة عشرة مبان أخرى محيطة بمجمع مركز التجارة. وكانت التقديرات الأولية لأرقام القتلى التي تناقلتها وكالات الأنباء ذلك اليوم، تقدّر بعشرات الآلاف.

كان جميع الإخوة في فرحة غامرة لا توصف، فهنّأوا بعضهم بعضًا، وعانقوا الشيخ أسامة وبقية المشايخ وقبلوا رؤوسهم. فلأول مرة في تاريخها تتعرض أمريكا لهذه الصفعة التي مرّغت كبرياءها وعزّتها بالتراب. ضربة بهذا الحجم، وصفها المراقبون بأنها فاقت هجوم اليابان لميناء بل هاربر. تسعة

---

(202) جدير بالذكر أن الرئيس الأمريكي السابق بوش الإبن كان قد اعترف في كتابه Decision Points أنه أمر بإسقاط الطائرة الرابعة، وليس صحيحًا ما تناولته الوثائقيات بأن الركاب هم الذين اشتبكوا مع الإخوة الخاطفين في محاولة للسيطرة على الطائرة.

عشر رجلًا من أبطال الإسلام، يختطفون أربع طائرات في وقت متزامن داخل الأراضي الأمريكية، ليدكوا بها رمز عزتها وكبرياءها وقوتها الاقتصادية والعسكرية. تسعة عشر شابًا يافعًا – طُلّاب ثانويات كما كان يحلو للشيخ أسامة أن يسمّيهم – يصنعون حدثًا يغيّر مجرى التاريخ، ويحيلون الحلم الأمريكي، الذي طالما تغنّى به قادتها إلى مزبلة التاريخ. تسعة عشر رجلًا يقولون لأمريكا: ها هي رسالتنا إليك، نخطُّها بدمائنا وأشلائنا، ثأرًا لمقدّساتنا التي انتهكت، ودماء إخواننا التي سفكت، وثروات أمتنا التي سلبت. ها هو حصاد سياستك الظالمة تجاه قضايا أمتنا المسلمة، تارةً باسم الحرية وإعادة الأمل وتارّة باسم مكافحة الإرهاب. ها هو ثمن دعمك عسكريًا واقتصاديًا لليهود، أعدى أعداء أمتنا، المحتلين لمقدساتنا وأُولى قبلتنا، تدفعينه اليوم دمًا ورعبًا ودمارًا.

وفي مساء ذلك اليوم جاء خالد الشيخ مُحَّد ورمزي ابن الشيبة وخلّاد بن عتش إلى الشِّعب، فاستقبلهم الإخوة بالأعناق والأحضان مهنّئين ومباركين لهم نجاح العمليات، وسائلين الله لهم أن تكون في موازين حسناتهم. وكان هؤلاء الإخوة قد أحضروا معهم جهاز تلفاز ومولّد كهربائي صغير، وتسجيلًا كاملًا لمجريات الأحداث من الفضائيات. وكم كانت الدقائق – حتى يتم تجهيز وتشغيل جهاز التلفاز لعرض مقاطع الأحداث – تمرّ ثقيلة كأنها دهر من الزمان، فقد كان الإخوة في شوق ولهفة بالغة لرؤية تلك المشاهد والأحداث التي تشفي الصدور وتذهب غيظ القلوب، والتي عبّر عنها الكثيرون بقولهم أنها غيّرت مجرى التاريخ.

ولعله في تلك اللحظات أيضًا قد طافت بمخيّلة الشيخ أسامة تلك المشاهد المأساوية لمآسي المسلمين – التي أثرت كما قال رحمه الله بشكل مباشر في نفسه وكانت الدافع الرئيسي لهذه الأحداث – في فلسطين ولبنان، والتي عبّر عنها بقوله؛ دماء وأشلاء، وأطفال ونساء صرعى في كل مكان، منازل تدمر بمن فيها، وأبراج تدك على ساكنيها، قذائف كالمطر تصب على ديارنا بلا رحمة، وكان الحال كتمساح التقم طفلًا لا حول له ولا قوة إلا الصراخ، فهل يفهم التمساح حوارًا بغير سلاح. وكأنه رحمه الله يقول لأمريكا: إن ما تذوقينه اليوم، هو ثمن يسيرٌ لسياساتك الظالمة التي تجرّعتها أمّتنا منذ عشرات السّنين، فمن يزرع الشوك لا يجني به العنب، ومن العدل المعاملة بالمثل والبادئ أظلم.

وفي صباح اليوم التالي للعمليات، وقبل أن يغادر الجميع المكان، أرسل الشيخ أسامة لأمريكا أقوى رسائله، وهي قسمه المشهور بقوله: "**وأما أمريكا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة:**

أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا، بالأمن قبل أن نعيشه واقعًا في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض مُحَمَّد صلي الله عليه وسلم، والله أكبر والعزة للإسلام".

وفي ذات الخطاب، وجه الشيخ أسامة رسالة مهمة للأمة المسلمة، يحرضها على نصرة الدين، مستبقًا بذلك ما ذكره الرئيس الأمريكي بوش في خطابه: بأن على الجميع أن يحددوا موقفهم، فإما أن يكونوا معه في حربه الصليبية، أو يكونوا مع الإرهابيين. فقال الشيخ أسامة رحمه الله: "**إن هذه الأحداث، قد قسّمت العالم بأسره إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط كفر أعاذنا الله منه، وينبغي على كل مسلم أن يهب لنصره دينه، وقد هبت رياح الإيمان ورياح التغيير، لإزالة الباطل من جزيرة مُحَمَّد صلي الله عليه وسلم**".

نعم سيظل صدى هذه الكلمات دومًا يتردد في أذهان وأفكار الرجال، وكل من في قلبه مثقال ذرة من عزة وكرامة وغيرة، بأن الجواب أيها الأمريكان ما ترون لا ما تسمعون. سيظل هذا القسم بمثابة الدافع والمحفّز للأجيال القادمة، بأن لا يقر لها قرار، ولا يهدأ لها بال، حتى تجبر عملياتها الجهادية أمريكا على تغيير سياساتها الظالمة نحو أمتنا، وحتى يخرج آخر جندي لها من بلاد المسلمين.

وبعد أن فرغ الشيخ أسامة من ذلك الخطاب التاريخي توجّه الجميع إلى كابول، وهناك في المضافة استقبلته جموع الشباب استقبال الفاتحين، مهنئةً ومباركةً لهذه العمليات التي فاقت كل تصوّر، فجاء الكثير من الأخوة الذين لم تكن في أعناقهم بيعة ليبايعوا الشيخ أسامة، فقد أيقنوا أنهم الآن أمام مرحلة جديدة من الصراع، لا بد أن تتكاتف فيها كل الجهود لمواجهة التحدّيات القادمة. فالجميع الآن على مركب واحد، وسيواجهون معركة مصيرية واحدة مع هبل العصر أمريكا، ولابد أن تتولى قيادتها قيادة رشيدة، خبيرة بمفاصل الصراع.

يقول الشيخ أبو مصعب السوري فك الله أسره:

" لقد أحسن الشيخ أسامة اختيار طبيعة المعركة وتحديد العدو، فقد وُفق – بحسب رأيي – لاختيار مفتاح الصراع والمواجهة، كما أحسن القائمون على تنفيذ هجمات سبتمبر صناعة

صاعق الانفجار، وابتدأوا المعركة بهجوم ظافر كبد العدو خسائر فادحة، وجعل المسلمين يبتدئون المبادرة المذهلة"[(203)].



خالد الشيخ مُحَمَّد



وليد بن عتش (خلّاد)



رمزي بن الشيبة



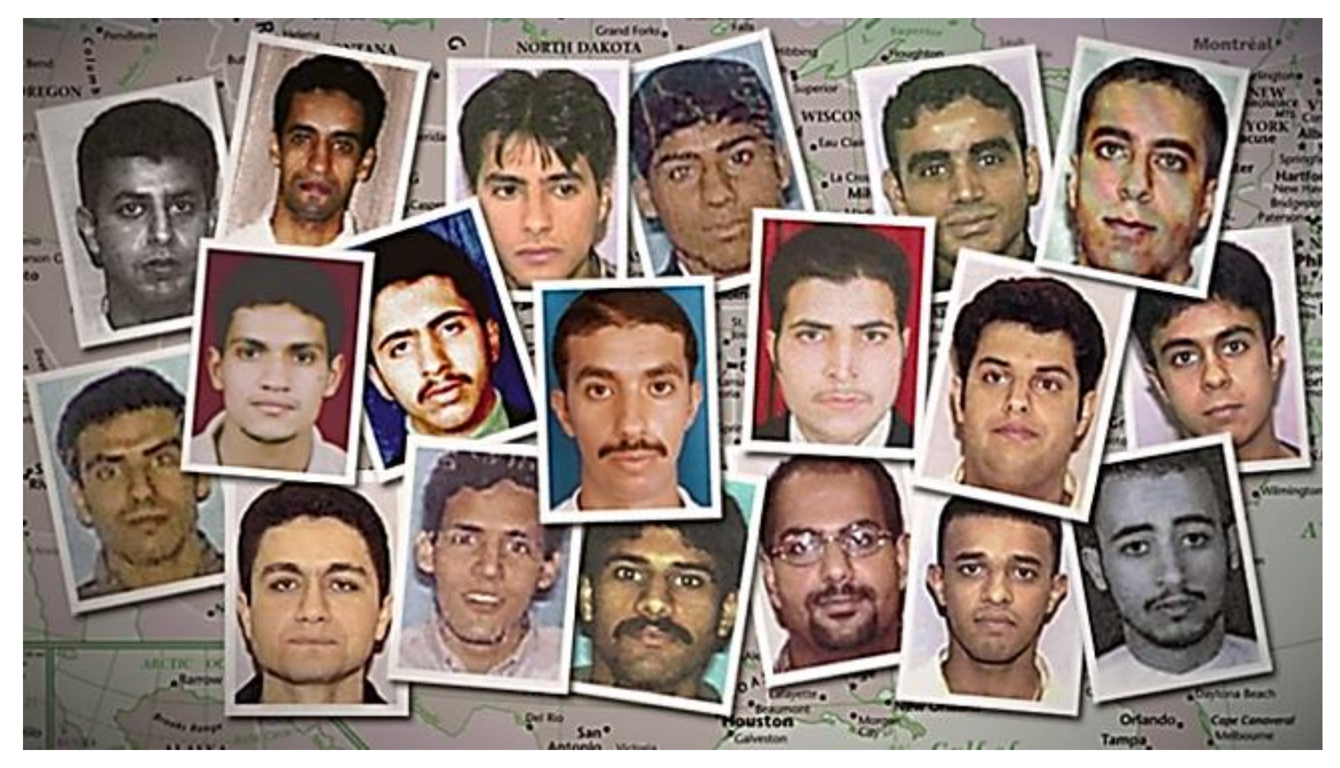
عمار البلوشي (علي عبد العزيز علي)



مصطفى هوساوي

الرجال الذين أشرفوا على غزوات الحادي عشر من سبتمبر

(203) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (بتصرّف):



الرجال الذين غيّروا مجرى التاريخ



هل يفهم التمساح حوارًا بغير سلاح؟



لو أنّ رسائلنا إليكم تحملها الكلمات لما حملناها إليكم بالطائرات



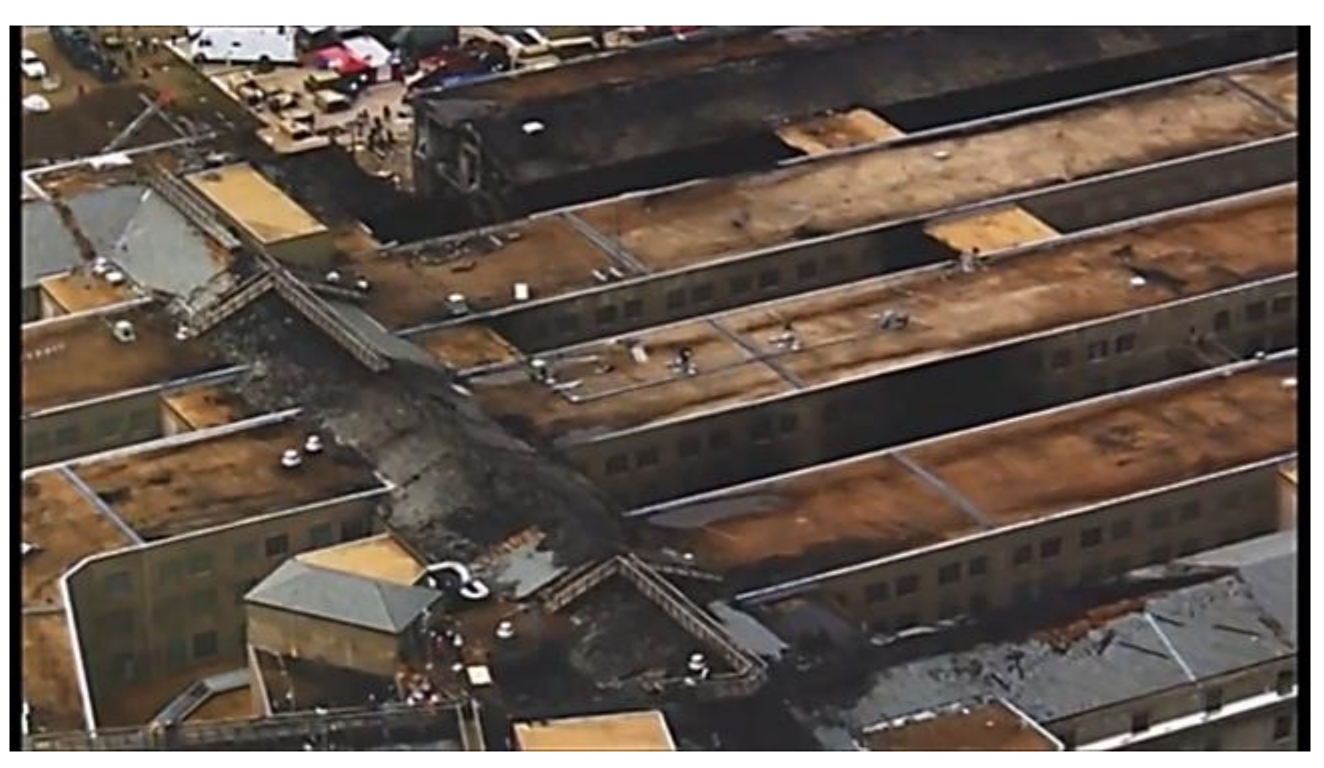
صناعة الموت؛ هؤلاء أخذوا أسوأ قرارٍ في حياتهم



إن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل



لماذا تتكتّم الحكومات الأمريكية المتعاقبة عن الأرقام الحقيقية للهلكى في هذه المكاتب؟



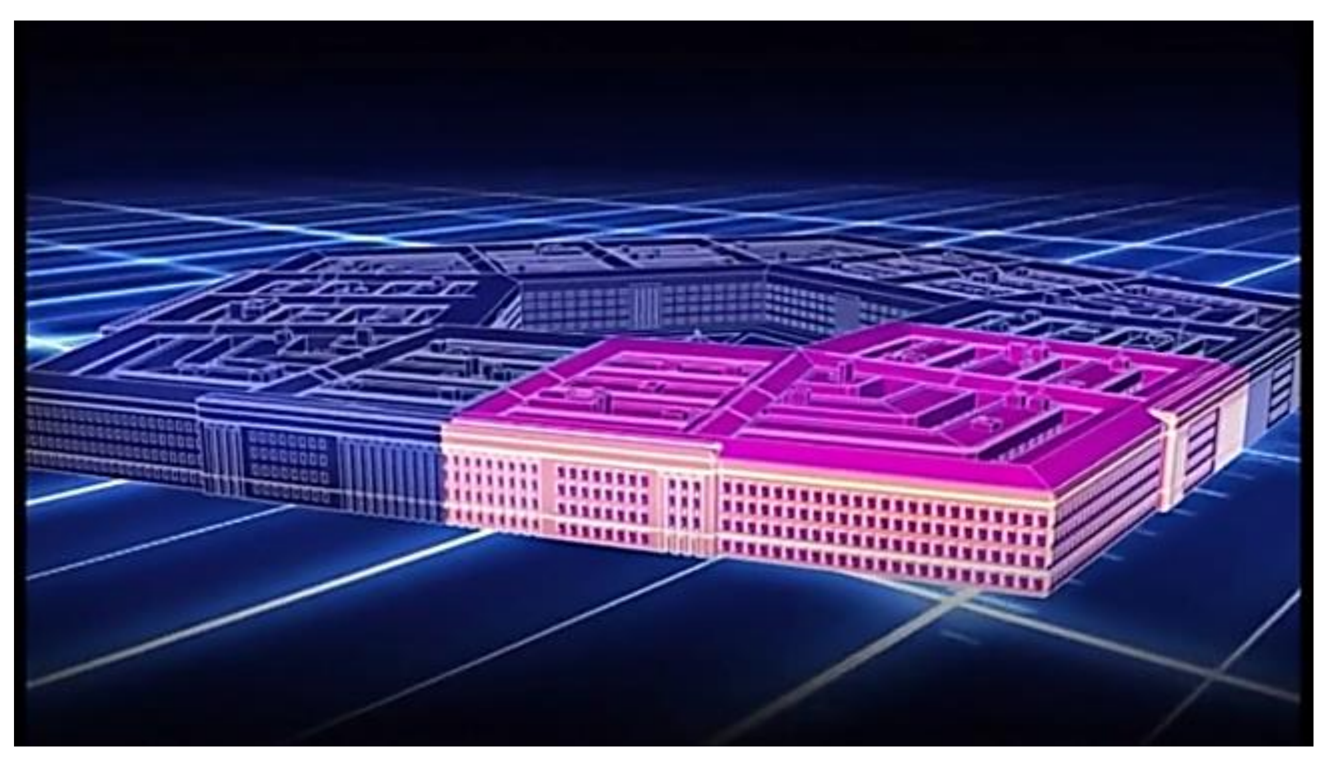
لقطة أخرى من الخلف – يا ترى كم من علجٍ تفحّم في هذه المكاتب؟؟



حطام الطائرة الرابعة، أصبحت أثرًا بعد عينٍ بعد أن أمر الرئيس الأمريكي بوش بقصفها

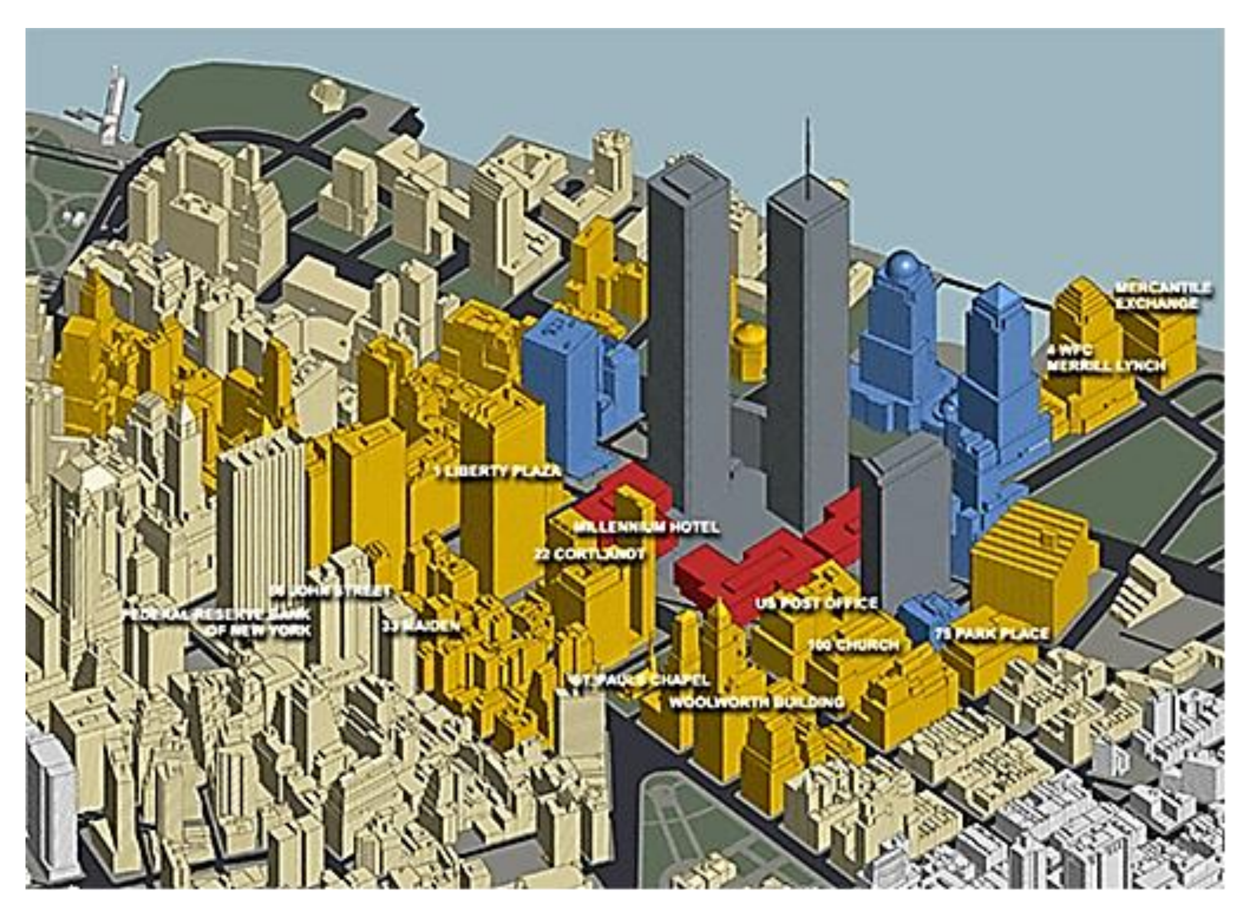


متحف صور الهلكى في غزوات الحادي عشر



لقطة توضح حجم الدمار الذي لحق بمباني البنتاجون مأخوذة من الفلم الوثائقي

The Pentagon and the U. S. Department of Defense



[الرمادي؛ مدمر / والأحمر؛ مهدد بالانهيار/ والأزرق؛ ضرر رئيس / والأصفر؛ متضرر ولكن في حالة مستقرة / والبيج؛ بحاجة تنظيف].

وكما أسلفنا من قبل، كان بعض الإخوة قبل أحداث الحادي عشر قد اختلف مع الشيخ أسامة – رحمه الله – على خلفية إصراره على تصعيد المواجهة مع أمريكا، ومن هؤلاء كان المسئول عن اللجنة الشرعية في الجماعة الشيخ أبي حفص الموريتاني حفظه الله. وبالرغم من أن الشيخ أبي حفص كان قد قدّم استقالته من جماعة القاعدة إلّا أنه لما علم بحجم الضربات، امتدحها بقصيدة رائعة قال فيها:

ففتككم في الكفر لم ير مثله … وما فاق حتى الآن من هولها الكفر

ولا زال مصعوقًا بها مترنحًا … كأن به سكرًا وليس به سكر

من السكر ما تأتي به الخمر غالبًا … ومنه الذي يأتي به الذعر لا الخمر

فلله عزم من أولى العزم صادق … ولله صبر ما رأى مثله الصبر

ولله ضرب لم ترى البيض مثله … ولا سمعت عنه الردينية السمر

ولا فعلة في الكفر كانت كفعله … ولا فتكة فيه عوان ولا بكر

نطحتم بعزمٍ هامة الكفر نطحة … تهشم منها الرأس وانقصم الظهر

فخرت قلاع الكفر للأرض بعدما … تبختر منه الشطر واشتعل الشطر

فقامت من الهول الرهيب قيامة … تحيّر في أوصافها الفكر والشعر

وأضحى حمى الأعداء للنار مرتعًا … وكان حمى حظرًا وما نفع الحظر

ففروا فرارًا يجمحون كأنهم … من الذعر فئرانًا تملكها الذعر

فأدركتم ثأرًا من الكفر ضائعًا … بثأر كهذا الثأر فليدرك الثأر

فأنهلتم منه الردى ثم فارتوى … وعل ولم يعجله من عله الصدر

شفيتم صدورًا ملؤها الغيظ قبلكم … ألا بعد طول الغيظ قد شفي الصدر

وأيقظتم التاريخ بعد سباته … فقد نهضت حطين واستيقظت بدر

نتائج التحقيقات الأمريكية حول العمليات:

كانت السلطات الاميركية قد قامت بتحقيقات موسعة، كان العالم كله مسرحًا لها، شملت كل الاشياء التي يمكن فحصها، ابتداءً من الكهوف في أفغانستان، الى بطاقات الائتمان التي استخدمها التسعة عشر، أملًا منها في أن تحصل على تفسير للكيفية التي قام بها الخاطفون التسعة عشر، بتنفيذ مشروعهم في هجمات 11 سبتمبر. وبعد سبعة أشهر من الأحداث، لم تسفر تلك التحقيقات عن أية نتائج ملموسة وأدلة دامغة حول كيفية تنفيذ الهجمات. وصرح المسؤولون الأمريكيون، أنهم ربما لن يعرفوا مطلقًا بعضًا من أهم التفاصيل التي انطوى عليها الهجوم.

وقال آنذاك مدير مكتب المباحث الفدرالي الأمريكي[FBI] روبرت مولر في خطاب له:

" لم يترك الخاطفون أي دليل مكتوب، وفي كل تحقيقاتنا لم نعثر على ورقة واحدة، سواء هنا في الولايات المتحدة أو في افغانستان، تتحدث عن أية جزئية من مخطط 11 سبتمبر". وقال

مـولر: "إن هجمـات 11 سـبتمبر، ربمـا كانـت الاسـتعدادات جاريـة لتنفيـذها لمـدة خمـس سـنوات، وأن الخـاطفين اعتمـدوا علـى التخطـيط التفصـيلي الـدقيق، والسـرّية المطلقـة، والإلمـام الواسـع بالكيفيـة الـتي يعمـل بهـا النظـام الأميركـي في إخفـاء مخططهـم، بعـد أن دخلـوا الى الـولايات المتحـدة عـن طريـق تأشـيرات دخـول صـحيحة وقانونيـة مـن الشـرق الأوسـط. ولم يعثـر المحققـون علـى كومبيـوترات أو كومبيـوترات منقولـة، أو اقـراص مدمجـة اسـتخدمها الخـاطفون في التحضـير لهجـومهم. بـل اعتمـد هـؤلاء الخـاطفون في تأمـين اتصـالاتهم علـى اسـتخدام مئـات الهواتـف العامـة والجـوالات والبطاقـات المسبقة الـدفع، الـتي تصـعب تمامًـا متابعتهـا. وكـانوا في تحـويلاتهم البرقيـة مـن أجـل تمويـل الهجمـات، يحوّلـون مبـالغ ضـئيلة، متفـادين المعـاملات الماليـة الضـخمة الـتي تسـجل في التقـارير الماليـة الحكوميـة"، وأضاف مولر: "فعل الخاطفون كل ما يستطيعون ليبقوا بعيدًا عن شاشات راداراتنا".

وكانـت هـذه الملاحظـات الـتي أدلى بهـا مـولر، هـي أشمـل تقيـيم صـدر عـن التحقيقـات، كمـا يعتـبر اعترافـه هـذا خـير شـاهد علـى البراعـة الـتي نفـذت بهـا القاعـدة - بفضـل الله وحـده - عملياتهـا، كمـا يشـير إلى مقـدرتها علـى المحافظـة التامـة علـى سـرية هـذه العمليـات. ويقـول المسـؤولون: إن هنـاك صـعوبات مماثلـة في اكتشـاف مـا إذا كـان هنـاك هجـوم جديـد، ومـدى اسـتعدادهم لصـد مثـل هـذا الهجوم[204].

رسائل أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

وعـن رسـائل أحـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر، يقـول الكاتـب سـيف الـدين الأنصـاري في مقـال له بعنوان "غزوة نيويورك وواشنطن قراءة تأصيلية":

"أجمـع الجميـع وبـلا اسـتثناء، أن غـزوات الحـادي عشـر مـن سـبتمبر كانـت نوعيـة إلى حـدٍ لا مثيـل لـه في التـاريخ الحـديث، ويـرى المفكـرون أنهـا بهـذه الطريقـة في التنفيـذ، تكـون قـد حملـت رسـائل كثـيرة فضّـل أصـحابها أن تسـطر بالمـداد الأحمـر، ليكـون مـن الصـعب جـدًا محوهـا مـن ورقـة التـاريخ. ومـن هذه الرسائل:

أولًا: إن الغـزوة - بمـا تمتعـت بـه مـن النوعيـة في الأداء - تقـول للعـالم أجمـع، إن حركـة الجهـاد قـادرة علـى الفعـل، وباسـتطاعتها صـناعة الحـدث، الـذي يصـل في فعاليتـه إلى التـأثير علـى مجـريات

---

(204) مقال بعنوان: كفاءة منفذي هجمات 11 سبتمبر في إخفاء تحضيراتهم تثير القلق. أرشيف البتار.

الحياة، ويفرض على العالم إعادة تشكيل الخريطة من جديد، في إشارة واضحة إلى أن المجاهدين – بما يملكونه من الكفاءة والأمانة – هم الرقم الصعب، في معادلة الصراع القائم بين الأمة وأعدائها في الداخل والخارج.

ثانيًا: إن الغزوة – بما تمتعت به من النوعية في الأداء – تدعو الجميع إلى محو تلك الصورة المشوهة التي حرص الأعداء على رسمها للمجاهدين، وأنهم مجموعة من البسطاء. فقد ظهر للعالم أجمع أنها صورة مكذوبة، روجتها الأداة الإعلامية المعادية لتحقيق أغراض خبيثة وأهداف قذرة، كان أهمها خلق حاجز نفسي بين الأمة الإسلامية وطلائعها المجاهدة للإبقاء على حالة الاستسلام والتبعية. وإذا كانت الحركة الجهادية قد أبانت عن قدراتها المتميزة، عندما هدمت ما كان يعرف بـ"الاتحاد السوفيتي"، فإنها بغزوة الثلاثاء، تكون قد رسخت هذه الحقيقة بما لا يترك مجالًا للتحفظ، ودللت على أنها تملك ما يجعلها أهلًا لأن تنال ثقة الأمة في قدرتها على القيادة.

ثالثًا: إن الغزوة — بما تمتعت به من النوعية في الأداء — تكون قد بشرت بجيلٍ جديدٍ من المجاهدين، لعل أخص ما يميزه، هو أنه رغم الثبات على المبادئ التي سار عليها الأولون، فإنه لا يألو جهدًا في الإفادة من الأدوات التي يتيحها الواقع، ولا يتوانى عن تفعيل كل ما هو شرعي من الأساليب والوسائل التي تتعدد وتتنوع بتجدد حركة التطور، مستندًا في ذلك إلى رصيدٍ كبير من الخبرات المتراكمة عبر التجارب السابقة، وهذا بالضبط ما يتيح له مجالًا أكبر للمناورة، ويفتح أمامه أفاقًا جديدة في صراعه مع العدو. نجزم أن غزوة ثلاثاء الفتح، ما هي إلاّ الفصل الأول من المعركة، وأن الدرس لازال مستمرًا.

رابعًا: إن الغزوة بما تمتعت به من النوعية في الأداء، رسالة إلى العدو، بأن المجاهدين قادرون على رد الصاع صاعين، وفي عقر داره، وبالطريقة التي يعجز أن يدركها خياله، وما غزوة ثلاثاء الفتح، إلاّ نموذج للجيل الجديد من الضربات التي تنتظره، ولعل العالم قد اكتشف — خاصة بعد الحرب الصليبية العالمية — أن الحركة الجهادية كائن حي ومرن، ويتمتع بقدرة عالية على التأقلم مع الظروف مهما كانت استثنائية، وأنه لن يثني عزمها تلك التهديدات الجبانة، التي تطلق من وراء الجدر". ا. هـ

آثار وتداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا:

وعن آثار وتداعيات غزوات نيويورك وواشنطن على أمريكا، تحدث الشيخ أسامة بن لادن في خطبة عيد الأضحى عام 1423هـ فقال رحمه الله:

"وفي يوم الثلاثاء المبارك، في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام 1422 للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام 2001م للميلاد، كان التحالف الصهيوأميركي يحصد أبناءنا وأهلنا في أرض الأقصى المبارك، بطائرات ودبابات أميركية، وأيدٍ يهودية، وأبناؤنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أميركا وعملائها. وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقًا. وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويف عند المسلمين، إلا من رحم الله، فقد كانت بلاد العم سام في غيها سادرة، بطغيانها هادرة، مصعّرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحًا لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها، إذ رموا بثالثة الأثافي، وما أدراك ما ثالثة الأثافي، عندما وثب شعث الرؤوس، مغبرو الأقدام، المطاردون في كل مكان، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وربط على عقيدتهم، وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلًا، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب، ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برجا نيويورك، وبذلك الانهيار، انهار ما هو أعظم وأضخم، فانهارت أسطورة أميركا العظمى، وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة ال CIA، فلله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن، أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنُّه لنا الصليبيون، عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأميركي، وظهر على حقيقته البشعة. واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوَّة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله. وبدا ظاهرًا للناس أن أميركا هذه القوة الظالمة يمكن أن تُضرب، ويمكن أن تُذل وتُهان

وتُقهر. ولأول مرة يعي غالبية الشعب الأميركي حقيقة القضية الفلسطينية، وأن ما أصابهم في منهاتن، كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر، إن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة، وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة، والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها. وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها بإذن الله سترنح وتنكمش وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه. ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم، أن يقيموا الحجة على الناس، بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم، وأن ينفعوا قضايا أمتهم، أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلًا لنصرة الدين، وكما قال أبو هلالة:

وللنصر أسباب وللخُسر مثلها	وكل فريق يورث الخلد رابح
دروب العلا شتى وأقصرها التي	تريق الدما في جانبيها الزحازح

تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمّة الإسلامية:

بدون شك، أن تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمة كانت كبيرة وعظيمة جدًا، ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيلها المعلومة للجميع، غير أن هناك من كان تناوله لتلك التداعيات فيه تشبّه ببني إسرائيل عندما كانوا يتسخطون على نبي الله موسى عليه السلام ويقولون له لائمين متبرمين: (أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا) كأنهم – كما يقول الشيخ الشهيد سيّد قطب – لا يرون في رسالته خيرًا، أو كأنما يحمّلونه تبعة هذا الأذى الأخير. وهناك من يقرّ بأن الثمن كان باهظًا لكنه يستحق ذلك نسبة لأن الهدف غالٍ. وحتى نكون على بيّنة من أمرنا، أحببت أن أضيف هنا تناول أهل العلم الربّانيين لهذا الأمر، مجيبين ومفنّدين لكل تلك التساؤلات والشبهات التي أثيرت حول الحدث، إلى جانب دروس التوحيد من أقوال ومواقف أكثر المتضررين من تلك التداعيات، وهم الطالبان وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، وقادته الميامين.

شبهات حول أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

في كتابه تساؤلات حول الحرب الصليبية الجديدة، يقول الشيخ يوسف العُييري رحمه الله:

"حين تتابعت الانسحابات في أفغانستان من قبل الإمارة الإسلامية، وبدأت تفقد بعض المكتسبات ومنها المدن والآليات، دب اليأس إلى كثير من المسلمين، وانتابهم شعور بالهزيمة ودنو نهاية المجاهدين هناك، ومن خلال هذا الشعور بدأ همس هنا وهناك بأن المجاهدين قد أخطئوا حساباتهم، وأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه، وأنهم كانوا قد تعجلوا وجرّوا إلى أنفسهم معركة لم تكن متكافئة.

ولما كانت مثل هذه الخطرات لم يسلم منها الأكثرون - حتى من بعض أهل العلم - فقد كان لزامًا أن نقف معها بعض وقفات، هي بمثابة محطات للمتأمل في هذه القضية وفي غيرها.

تساؤلات:

هل جرَّ المجاهدون الأمة إلى معركة غير متكافئة؟

للإجابة على هذا السؤال، نطرح الأسئلة التالية ونجيب عليها:

هل كانت عمليات المجاهدين سببًا ومبررًا في حرب الغرب للأمة؟

هل كان الغرب يخطط لغزو أفغانستان والعراق وغيرها من بلاد الإسلام من قبل عمليات 11 سبتمبر؟

ما الذي دفع المجاهدين للتحرش بأقوى قوة عسكرية بشرية في العالم؟

هل يشترط التكافؤ بين المسلمين وأعدائهم لكي يجاهدوهم؟

هل من الحكمة إدخال الأمة الإسلامية الضعيفة في معركة مع الغرب القوي؟

هل نعطل الجهاد لاحتمال وقوع رد قوي من العدو؟

هل يمكن لعمليات تفجير صغيرة هنا وهناك أن تهزم الغرب القوي؟

هل يمكن لحرب العصابات بالأسلحة الخفيفة أن تهزم الجيوش الجرارة؟

مجيبًا على هذه التساؤلات يقول الشيخ يوسف العُييري رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء في كتابه (تساؤلات حول الحرب الصليبية الجديدة) بتصرف طفيف:

" إن دعوى أن المجاهدين جرّوا إلى أنفسهم، أو جرّوا أنفسهم إلى معركة غير متكافئة، أو استدرجوا إليها يستلزم الوقوف مع ما يلي:

1) **هل كان ما نسب إلى المجاهدين من هذا العمل، حقًا هو الدافع لأمريكا أن تأتي إلى أفغانستان؟** إن أمريكا كانت منذ زمن تريد وأد طالبان والجهاد، وقد صرح وزير الخارجية الباكستاني الأسبق نياز زينك، أن مسؤولين كبارًا في الحكومة الأمريكية، أبلغوه في منتصف شهر يوليو من عام 2001م، بأن الولايات المتحدة ستتخذ إجراءات عسكرية ضد أفغانستان بحلول منتصف شهر أكتوبر 2001م. وقال نياز: "إن المسؤولين الأمريكيين أبلغوه أنه إذا لم يتم تسليم بن لادن على الفور، فإن الولايات المتحدة ستقوم بعمل عسكري لاعتقاله أو قتله هو والملا عمر زعيم حركة طالبان". ويشير المسؤول الباكستاني إلى أن الهدف الأوسع من تلك العملية سيكون إسقاط حكومة طالبان، وتنصيب حكومة انتقالية من الأفغان المعتدلين من الممكن أن يتزعمها ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه. وشكك المسؤول الباكستاني السابق في إمكانية تراجع الولايات المتحدة عن خططها، حتى إذا تم تسليم بن لادن على الفور من قبل الإمارة الإسلامية.

نعم ربما لم تكن أمريكا تستطيع جمع كل هذا التحالف والتأييد وبهذه السرعة لولا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لكن هذا لا يعني أن تكون تلك الأحداث سببًا لجر أمريكا ومن ثم إلى معركة غير متكافئة، لاسيما إذا أُخذ بالاعتبار ما لأمريكا من أطماع في المنطقة. فليس ما حدث إذًا سوى تعجيل لمجيئ العدو إن صدق أنه تعجيل.

فهل عمليات الحادي عشر من سبتمبر عمل متعجّل جر على المجاهدين معركة غير متكافئة؟ هل يشترط التكافؤ بين المسلمين وأعدائهم لكي يجاهدوهم؟ هل من الحكمة إدخال الأمة الإسلامية الضعيفة في معركة مع الغرب القوي؟

أولًا: ما معنى التكافؤ؟ هل التكافؤ هو المساواة في العدة والعتاد والرجال أيضًا؟

إن انتظار المعركة المتكافئة حتى ولو نسبيًا كما قد يقال، هو في الحقيقة يؤدي في النهاية إلى ألا تكون معركة أصلًا، بل العدو يزداد قوة وما يزيدنا الوقت إلا ضعفًا من حيث المنظور العسكري. إن التاريخ يشهد أنه ما من معركة انتصر فيها المسلمون على عدوهم وكانوا أكثر منه عددًا وعدة، بل العكس، لاسيما في المعارك المشهورة، كمعارك النبي ﷺ بلا استثناء، ومعارك أصحابه رضي الله عنهم، كالقادسية واليرموك وغيرها في التاريخ كثير. بل لما أُعجب المسلمون بكثرتهم في حنين، هُزموا أول

الأمـر كمـا قـال سبحانه: ﴿وَيَـوْمَ حُنَـيْنٍ إِذْ أَعْجَبَـتْكُمْ كَثْـرَتُكُمْ فَلَـمْ تُغْـنِ عَـنْكُمْ شَـيْئًا وَضَـاقَتْ عَلَـيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾.

ثانيًـا: أيـن التكـافؤ في غـزوة مؤتـة؟ والمسـلمون ثلاثـة آلاف والعـدو مائتـا ألـف. نسـبة لا تخطـر علـى بالـ(100:1.5)، وإن شـئت قلـت كـل مجاهـد مـن المسـلمين، يقابـل أكثـر مـن سـتة وسـتين مقـاتلًا مـن العـدو. ومـع ذلـك قاتـل المسـلمون وأبلـوا بـلاءً حسـنًا، حـتى قتـل قـادة المعركـة كلهـم، زيـد وجعفـر وابـن رواحـة ﷺ أجمعـين. ولقـد كـانوا تـرددوا لمـا علمـوا بكثـرة عـدد العـدو، لكـن ابـن رواحـة رضـي الله عنـه شـجعهم علـى المضـي. ولمـا رجعـوا لم يعـاتبهم النـبي ﷺ علـى دخـولهم المعركـة غـير المتكافئـة، بـل العكـس، فـإن المسـلمين اسـتقبلوهم يحثـون في وجـوههم الـتراب، ويقولـون يا فـرار أفـررتم في سـبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ، ليسوا بفرار ولكنهم كُرار إن شاء الله.

ومـن فوائـد هـذه الغـزوة، أن مـن مقاصـد الجهـاد إظهـار عـزة الإسـلام وهيبتـه وقوتـه، وأن أهلـه لا يهـابون المـوت، وإن لم يتحقـق بـذلك نصـر حاسـم، كمـا هـو الشـأن في هـذه الغـزوة. إن عـدم التكـافؤ، هـو حـين يقصـر المسـلمون في إعـداد أنفسـهم، ولا يبـذلون الوسـع والطاقـة في ذلـك. أمـا حـين يأخـذون بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ فإن ما فوق ذلك ليس مما كلفوا به.

ثانيـا: إذا ترتـب علـى الجهـاد رد مـن العـدو. وهاهنـا سـؤال: **هـل نعطـل الجهـاد إذا ترتـب عليـه رد من العدو؟** وللإجابة على ذلك نقول:

أولًا: لقـد خـرج النـبي ﷺ يـوم بـدر يريـد عـير قـريش، إذًا لقـد كـان هدفـه ضـربة للعـدو عسـكرية واقتصادية ولنتأمل هذه الغزوة:

فلقـد كـان مـن المحتمـل بـل مـن شـبه المؤكـد، أن النـبي ﷺ حـين يغـير علـى قافلـة قـريش التجاريـة، أنـه سـيكون ردّهـا عنيفًـا قاسـيًا لأنهـا لا تحتمـل المسـاس بتجارتهـا واقتصـادها. ويؤيـد ذلـك الواقـع حيـث اسـتنفرت قـريش قوتهـا ورجالهـا للـذود عـن تلـك القافلـة، وخرجـت بخيلهـا وخيلائهـا لتـؤدب مـن همـوا بذلك. مع هذا كله، ومع أن النبي ﷺ يدرك ذلك، فهل اعتبره مانعًا من تنفيذ تلك العملية؟

بـل إن غـزوة أُحـد، مـا هـي في الحقيقـة إلا رد فعـلٍ مـن قـريش علـى غـزوة بـدر، وقـد كـانوا ينـوون اجتيـاح المدينـة، وحصـلت المصـيبة في هـذه الغـزوة علـى المسـلمين، فهـل نـزل العتـاب مـن السـماء علـى تعجـل المسـلمين في بـدر وجـرهم العـدو إلـيهم؟ أم أن العتـاب كـان علـى معصـية القائـد والتعجـل إلى الـدنيا؟ وإذا كـان المسـلمون انتصـروا في بـدر فـإنهم لم يكونـوا يقطعـون بهـذه النتيجـة، فلـو كـانوا أصـيبوا

فهل كان ذلك ليغير الحكم في أصل خروجهم للعير، بمعنى أن يقال: إنهم إذًا جرّوا قريشًا لمعركة لا يكافئونهم فيها، وأثاروها عليهم وتعجلوا في ذلك. والشيء نفسه يقال في غزوة حنين وتبوك وكذلك مؤتة.

ثانيًا: إن هذا المنطق، وهو خشية أن يجر عمل من أعمال الجهاد ردة فعل عنيفة من العدو، قد يؤدي في نهاية المطاف إلى تعطيل كثير من مظاهر الجهاد، بل حتى الجهاد بالكلمة والقلم والنصح والبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فما من عملٍ من تلك الأعمال التي لا يحبها الكافرون أو الجاهلون والمعرضون، إلا ويقابلها ردة فعل منهم تتفاوت شدةً وضعفًا. وإذا علم العدو الكافر أو المخالف الجاهل، أن هذا الحس - وهو خشية ردة الفعل - يسيطر على أهل الحق، فإنه سيشيع الإرهاب الفكري وبث الرعب، ويشجع على ترسيخ هذا الإحساس حتى يبني له سياجًا دفاعيًا لا يكلفه سوى حملات إعلامية، إضافة إلى بعض التأديبات التي تؤكد أن ردة فعله قوية.

ومن أخذ بهذا المنطق المشار إليه، يلزمه ألا يؤيد أي عمل في فلسطين، لأن ردة الفعل اليهودية عنيفة، والأمثلة كثيرة تقع كل يوم. فما من عملية للمجاهدين في الأرض المقدسة يقتل فيها يهودي واحد أو يجرح، إلا ويقابلها قصف عنيف ربما يسقط به عشرات، وتضييق على العمّال الفلسطينيين وغير ذلك.

وهكذا كل عمل من هذا القبيل، ولئن كان هذا المثال (فلسطين) يُناقش به الإسلاميون، فإنه حجة أيضًا على القوميين. فما من عمل من أعمال المقاومة (المشروعة) كما يسمونها، إلا وهي من جنس أعمال الحادي عشر، بل ولا ترقى أن تكون مثلها من حيث المكاسب.

وكذلك الحال في الجهاد القائم في أفغانستان من الثلة المؤمنة ضد قوى الكفر ومن تحالف معهم، فإنها مقاومة مشروعة على وفق جميع القوانين، وبمثال فلسطين، يُناقش كل من يؤيد قضية فلسطين من الحكومات التي تزايد عليها، فما يجوز في حق اليهود ويُشرع ويُؤيد ويُدعم، فأولى به من وراء يهود وهو رأس الأفعى اليهودية الغاشمة.

ثالثًا: لِمَ نقيس الأمور بنتائجها الآنية الظاهرة؟ وإنما الميزان القسط، هو تقييم أصل العمل إن كان مستوفيًا للشروط، وليس يضيره بعد ذلك ألا يحقق الهدف منه.

إن القيـاس بالنتـائج فحسـب، لـيس مـن شـأن المؤمنين الـذين يعلمـون أن النتـائج بيـد الله تعـالى، ومـا علـى العبـد إلا أن يجتهـد ويتحـرى، ومـن ذلـك الاسـتفادة والاعتبـار مـن التجـارب السـابقة، والمشـاورة بـين أهـل الخـبرة في ذلـك، ثم يعـزم ويتوكـل علـى الله تعـالى كمـا قـال سـبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. فـإذا أخـذ المـؤمن بـذلك فإنـه قـد اجتهـد، فـإن أصـاب فله أجـران، وإن أخطأ فلـه أجـر واحـد. وأما أن يقـال بعـد ذلـك إن عملـك حـين لم يـؤد النتيجـة المطلوبـة، أو ترتـب عليـه مفسـدة معينـة فهـو خطـأ في أصـله وتعجـل، فـإن هـذا خلـل في التقيـيم والميـزان، والله تعـالى يقـول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾، ويقـول: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾، ويقـول: ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ والله تعـالى قـال لنبيـه الـذي يتنـزل عليـه الـوحي ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ﴾، وقـال: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، وقـال: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾. قـال الطـبري رحمـه الله 172/13: يقـول تعـالى ذكـره لنبيـه محمد ﷺ، " وإمـا نرينّـك يا محمد في حياتـك بعـض الـذي نعـد هـؤلاء المشـركين بالله مـن العقـاب علـى كفـرهم، أو نتوفينـك قبـل أن نريـك ذلـك، فإنمـا عليـك أن تنتهـي إلى طاعـة ربـك فيمـا أمـرك بـه مـن تبليغهم رسـالته " ا. هـ وقـال سـبحانه: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، والآيات في أن العبد ليس عليه إلا ما أمر به، وليس عليه النتيجة كثيرة.

وفي الصـحيحين عـن النـبي ﷺ: (فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطَ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ، وَالرَّجُلَيْنِ وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ) فهـل يا تـرى مثـل هـؤلاء الأنبيـاء علـيهم السـلام، يمكـن أن يخطـر علـى بال مسـلم أنهم قصروا في الأخذ بالأسباب في دعوتهم؟ حاشاهم وربي من ذلك.

وإذا هُـزم المسـلم وانكسـر وابتلي بقتـل أو كلـم أو أسـر، فهـذا هـو شـأن الجهـاد، ولا ينبغـي أن يُعـد ذلـك مـن خطـأ الأصـل، مـا دام مبنيًا علـى أسـس صـحيحة. والله تعـالى يقـول: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، فـذلك كلـه مـن حِكم الجهاد، ومن مراد الله تعالى فيه، فما لنا نختزل كل ذلك في النصر الأرضي العاجل؟

وهـذه الآيات مـن سـورة آل عمـران، لنـا معهـا وقفـات إن شـاء الله، لعظـم مـا فيهـا مـن المعـاني الـتي قـد نغفـل عنهـا. وفي الصـحيح عـن ابـن عمـر رضـي الله عنهمـا، أن النـبي ﷺ قـال: (مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ

سَرِيَّةٍ، تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تُخْفِقُ وَتُصَابُ، إِلَّا تَمَّ أُجُورُهُمْ).

ولعل البعض حين سمع ببعض الأخبار من قتل بعض المجاهدين أو أسرهم، أو حتى تعرض بعض العوائل للأذى والقصف والتشريد، أصابه من الأسف والحزن ما قد أنساه بعض تلك المعاني المشار إليها، وربما أوقعه ذلك في الوقيعة فيمن لا سبيل له عليه. نعم إن القلب ليتقطع أسىً وألما حين يبلغ المسلم خبر إصابة لأخيه أو أخته وإن دقت، لكن لا ينبغي بحال أن ننسى ما في هذه الآيات والأحاديث من البيان الجلي للمعاني العالية التي علينا أن نتعلق بها، وأن ما يصيب هؤلاء هو بإذن الله من الاصطفاء واتخاذ الشهداء، أو الابتلاء الذي تمحص به الذنوب، وترفع به الدرجات، ويعتز به الإسلام. وقد كان النساء يجاهدن مع رسول الله ﷺ، مع احتمال أسرهن وقتلهن. وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين ﵁، قصة أسر امرأة من المسلمين.

وهكذا كل من ينفر للجهاد عليه أن يربي نفسه ويوطّنها على احتمال المتغيرات، وأن يجعل في حسابه جميع التوقعات، وأن يكون لديه من مدد الإيمان والتوكل وشيء من العلم ما يثبته في الملمات. ومن النماذج التي تُذكر في هذا الصدد: إحدى الأخوات العربيات في قندهار، تعزم على زوجها وتستحلفه بالله أن إذا دخل في عملية استشهادية أن يصحبها معه، لتعينه على الجهاد وتنال الشهادة معه في سبيل الله، فيكتب الله أن تقع قذيفة من قذائف راعية السلام وحامية حقوق الإنسان فتقتلهما جميعًا، جمعهما الله في منازل الشهداء آمين.

وإذا كان هذا شأن المؤمنين، فإن من صفات غيرهم أنهم تستخفهم النتائج، ليلقوا باللائمة على الأعمال التي أنتجتها والعاملين فيها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

من كسَب المعركة؟

على ضوء ما تقدم بيانه فيما سبق، فإن ذلك الهجوم الذي نفذ في أمريكا بالمنظور العسكري كسب للمبادرة في المعركة، وهذا مهم لدى العسكريين، وربما كان سببًا للانتصار في نظرهم، وهي حقًا مبادرة أربكت أمريكا بجميع أجهزتها، وهدّت من معنويات شعبها، وأورثتهم رعبًا وهلعًا، وألجأتهم لاستعجال الخطط العسكرية والرد قبل استكمال التخطيط والتجهيز، وقبل التهيئة الشعبية والسياسية الكافية، وقبل رصد التوقعات المحتملة وغير ذلك، **هذه واحدة**.

الثانية: أن ذاك الهجوم هو كسب للمعركة قبل خوضها، بمعنى أن أمريكا غاية ما ستفعله هو القضاء على من كان في أفغانستان من طالبان والعرب، وذلك لا يوازي بحال ما حصل لها من كوارث وهزائم سياسية واقتصادية وأمنية، جراء هجوم الحادي عشر، مع أن القضاء على من كان في أفغانستان لن يقضي على عداوة أمريكا في نفوس المسلمين ومنهم من يبيع نفسه لله من أجل حربها. بل كلما أوغلت في تنفيذ حملتها العسكرية وما يتبعها من حملات مخابراتية وملاحقات مالية، ضاعف ذلك من أعدائها وعِدائها، وأجّج من عداوتها في النفوس، علمًا أن المجاهدين يرون أن تأجيج عداوة أمريكا في نفوس المسلمين، والدعوة إلى جهادها وبغضها والسعي إلى الإضرار بها، يعد مربحًا يستحق التضحية من أجله، لأنه سيكون سببًا ولو بعد حين لجهاد أمريكا جهادًا شاملًا.

الثالثة: أن هجوم الحادي عشر من سبتمبر، نجح في جر أمريكا إلى الأرض المطلوبة للمعركة، حيث يحسنها المجاهدون، ويجهلها الأمريكيون، وكل الخيارات المطروحة لأرض المعركة لا يمكن أن تكون أنسب من أفغانستان. ونجح الهجوم أيضًا في تحديد زمن المعركة، ونجح في إخراج أمريكا من الحرب المستترة والمتوارية، ودعم هذا وذاك إلى خوضها المعركة بنفسها وظهورها للناس مسلمهم وكافرهم، وهذا له آثاره من حيث إثارة عداوتها في نفوس المسلمين، وكراهيتها وإذكاء روح الجهاد في قلوبهم، مما قد لا يظهر في حروبها على المسلمين في أنواع أخرى. وظهورها أيضًا أمام العالم كله بغطرستها وكبريائها وهي تلاحق مجموعة من الناس في الجبال، ثم لا تستطيع الآن لو هزمت – نسأل الله ذلك – أن تخفي هزيمتها، وهي التي تقود المعركة بنفسها.

وإنا لنطمع أن ينطبق على أمريكا هذه الآيات البينات الشافيات من سورة براءة، والتي ختمت بالوعد بالنصر عليهم يقول الله جل ذكره:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ *كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قد يسلّم البعض بكل ما تقدم ولكنه يقول: "**تلك قضية خاسرة، فماذا عسى أن يفعل مجموعة من المتفرقين في الجبال والملاحقين من الأمريكان ومن عملائهم، في مقابل القوة الأمريكية وترسانتها الحربية؟** "

والجواب كما يلي:

1) ليس من خيار أمام المجاهدين غير الدفاع عن أنفسهم، وإلا فإنهم سيكونون بين الإبادة والأسر، وهل يمكن لمسلم أن يأمرهم بالاستسلام لذلك؟

وليس صحيحًا أن يقف المجاهدون لانتظار العدو كي يصل إليهم ليدافعوا عن أنفسهم، وهم يعلمون يقينًا أنه أحرص عليهم من حرصه على الحياة، وهم أحرص الناس على حياة. وخير وسيلة للدفاع هي الهجوم، وعليهم أن يبذلوا ما بوسعهم لقطع الطريق على العدو بشتى السبل والوسائل، وعلى المسلمين أن يعينوهم على إنقاذ أنفسهم فضلًا عن محاربة هذا العدو اللدود.

وإذا كان الفقهاء قالوا: **لو أن مسلمًا أسر لدى الكفار، لوجب على جميع المسلمين فكاكه، ولو تركوه أثموا جميعًا، فكيف بمن يلاحقه الكفار في أرضه؟**

2) إن إطلاق قاعدة القضية الخاسرة على كل عمل لم تظهر بوادر نجاحه عاجلًا، يمكن أن ينهدم بها قضايا ومشاريع واجتهادات، مما يقتنع به القائل بهذه القاعدة فمنها:

أ – قضية فلسطين، فلا داعي للجهاد فيها وبذل الأنفس والأموال لأنها قضية خاسرة وفق هذا المنظور، فإذا كانت القضية في أفغانستان خاسرة، فمن باب أولى أن تكون القضية في فلسطين خاسرة، لأن المجاهدين في فلسطين أقل من المجاهدين في أفغانستان، من حيث المقومات الجغرافية والقوة والعدد والعدة.

ب – بعض قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحيانًا قد يقال فيها أنه لا فائدة من الأمر أو النهي في هذه القضية أو تلك، ولكن الله أجاب عن ذلك بقوله: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، أفيبخل المسلمون على المجاهدين بما عساه أن يكون معذرة لهم عند الله ولعلهم ينصرون؟ وهل يبخل المجاهدون أيضًا على أنفسهم بعمل يكون لهم معذرة ولعلهم ينصرون؟

ج – بعض قضايا الدعوة أيضًا، فقد لا تظهر النتيجة في بادئ الأمر، فهل يتراجع الداعية ويقطع الدعم، لأن المؤشرات تقول لا نتيجة؟

3) لا خلاف بين الناس فضلًا عن أهل العلم، أن المريض الميؤوس منه لا يجوز تركه يموت، مع إمكان بذل شيء له. وما زلنا نرى الملايين تنفق في معالجة مرضى السرطان، مع أن نسبة الشفاء منه قد لا تتجاوز 10%، وما رأينا أحدًا أنكر ذلك. فهلا اعتبرنا المجاهدين من مرضى السرطان، فبذلنا لهم بعض ما نبذل لأولئك بدلًا من اعتبار القضية خاسرة؟

4) ذكر الفقهاء وجوب فكاك الأسير، وبذل الأموال الطائلة في سبيل مسلم واحد، فكيف بمن هم أعظم من ذلك؟

5) هذه القضية ليست خاسرة بالمنظور الإسلامي، فقد أخذ المجاهدون استعدادهم المتاح، وبذلوا ما يرونه واجبًا عليهم، ولم يقصّروا إن شاء الله في شيء من ذلك، وهذا جهدهم وبهذا لم يدخلوا في قضية خاسرة، وإلا فما عسى أن تقارن قوة واستعداد النبي ﷺ ومن معه من المسلمين يوم بدر باستعداد قريش؟

وماذا يمكن أن يقال في غزوة مؤتة: ثلاثة آلاف في مقابل مائتي ألف بأحدث الأسلحة والمؤن والتجهيز؟ لم يتراجع المسلمون في مؤتة ويقولوا إنها قضية خاسرة، ولم يعاتبهم النبي ﷺ على دخولهم في قضية خاسرة، بل لما أراد المسلمون انتظار المدد، شجعهم عبد الله بن رواحة ﷺ على المضي، وما بلغنا أن النبي ﷺ خطّأ ما صنع ابن رواحة، بل ولا تلميحًا، ولو كان فيه من خطأ،

لما ترك البيان لهم رسول الله ﷺ، وهو الحريص على البيان لأمته بالمؤمنين رؤوف رحيم، بآبائنا هو وأمهاتنا. وماذا عن خروج سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وحده خلف الغزاة من فزارة، الذين أغاروا على سرح النبي ﷺ، وهي المسماة غزوة ذي قرد التي أخرجها مسلم مطولة والبخاري مختصرة، أفكان مضيًا في قضية خاسرة؟

وماذا عن الذين كانوا بماء الرجيع رضي الله عنهم، بقيادة عاصم بن ثابت حيث لم يستسلموا للعدو وكانوا عشرة نفر، ولأهمية القصة وفوائدها إليكموها من البخاري 307/7، 378 رقم (3989، 4086): (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالهَدَةِ بَيْنَ عَسْفَانَ، وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمُ التَّمْرَ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ، فَقَالُوا: تَمْرُ يَثْرِبَ، فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا حَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى مَوْضِعٍ فَأَحَاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ: أَنْ لاَ نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا القَوْمُ: أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ عَلَى العَهْدِ وَالمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، وَاللَّهِ لاَ أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي بِهَؤُلاَءِ أُسْوَةً، يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَانْطُلِقَ بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِنَةِ...) الحديث.

ففي هذه القصة لجوء هؤلاء العشرة، وهم عشرة فقط إلى الجبال ليتحصنوا بها، ولم يقبلوا الاستسلام، ولذا بوب عليه البخاري في موضع آخر (هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر).

وفي القصة جواز المقاتلة وجواز الاستسلام، وكلاهما فعله بعض الصحابة هنا، وإن كان القائد عاصم وأكثر من معه لم يقبلوا الاستسلام، ومن قبل الاستسلام فقد قتل بعد الأسر، وناله شيء من الإيذاء، ولذا فإننا نختار ألا نستسلم للعدو بأي حال من الأحوال، وهذا أخذ بالعزيمة، وإنما الاستسلام رخصة، كما ذكر ذلك ابن حجر رحمه الله في الفتح 374/7، ونقل عن سفيان الثوري كراهة الاستسلام. ا. هـ قلت: ولا يبعد حرمته للقادة وأهل الشأن خاصة.

ولأن استسلام المجاهد مع ما فيه من الانهزام وشيء من الذل، وما فيه من كسر قلوب المسلمين، وثلمةٍ في موقف المجاهدين، وما فيه من سرور العدو وغبطته، وشماتته بالمجاهدين والمسلمين عامة، ورفع معنوياته. مع ما في الاستسلام من جميع تلك المفاسد، إلا أنه أيضًا لا يحقق للمستسلم ما خاف على نفسه منه وهو الموت، فإنه سيصير إلى قِتلة أشنع وأذل مما سيقتل عليها لو لم يستسلم، هذا إن لم يمر قبل ذلك على التعذيب والتنكيل، وانتزاع المعلومات التي قد تضر غيره.

نعود إلى الشاهد من هذه القصة، وهو أن هؤلاء الصحابة العشرة ﷺ، لم يعتبروا قضيتهم خاسرة فيستكينوا. ولو علم بهم النبي ﷺ وكان يمكنه مساعدتهم بما يستطيع ما تردد في ذلك، وحاشاه حتى وإن أدرك أنهم لن ينجوا مما هم فيه. ولو استقرأنا السنّة والسيرة والتاريخ، لوقفنا على أمثلة كثيرة من هذا القبيل. ولم يُنقل أن النبي ﷺ توقف في إمداد سرية، أو إنقاذ معصوم تذرعًا بالإياس من إنقاذه.

6) أخيرًا، من الذي أوقفنا على حقيقة الأمر وجلى لنا الغيب لنحكم بأنها قضية خاسرة، ومن الحكمة عدم إضاعة الوقت والمال والأنفس بالرهان عليها وهي خاسرة؟

7) على من اعتبر أن القضية خاسرة، ألا يخذّل غيره وأن يكتفي بكف يده ورفعها، وترك من يرى غير ذلك أن يقدم معذرته إلى ربه ويبرئ ذمته وليس عليه منهم من سبيل، وما هو عليهم بحفيظ.

والقضية بإذن الله ليست خاسرة، لأنها بين النصر أو الشهادة، وتلك الأمور لا يمكن أبدًا أن يعدها المسلم خسارة بأي حال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾، فسماهما الله حسنيين وبين تلك الحسنيين بقوله: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فنيل الشهادة لذاتها والبحث عنها في كل موطن، يعد غاية ومقصودًا للمسلم. وهذا الأمر يدل عليه أكثر من ثلاثين دليلًا من الكتاب والسنة، سوى أقوال أهل العلم في ذلك، ولا مجال للإطالة في ذكرها، ولعلنا نقف معها في مواطن أخرى. والحسنى الثانية التي بينها الله في كتابه هي:

﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

والذي أنزل الفرقان، ونصر الإسلام بيوم الفرقان، لنرجو أن نكون تحت راية أمير المؤمنين، ممن تنطبق عليهم هذه الآيات من سورة الحج حيث قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ). ا. هـ

هل يمكن لحرب العصابات بالأسلحة الخفيفة أن تهزم الجيوش الجرارة؟

هل يمكن لعمليات تفجير صغيرة هنا وهناك أن تهزم الغرب القوي؟

الإجابة من حلقات (الحرب الصليبية على العراق) للشيخ يوسف العُييري رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء، وكتاب (المدخل للثقافة العسكرية) لهانئ أحمد الدرديري، وكتاب (هكذا نرى الجهاد وهكذا نريده) لحازم المدني – نفع الله به – بتصرف وزيادة.

" بثبات ويقين أقول نعم، بمقدور عصابة مؤمنة متسلحة بأسلحة خفيفة أن تهزم جيوشًا جرارة.

أولًا: يجب أن نوقن تمامًا أن الله عز وجل عندما أمرنا بقتال عدونا، أمرنا بإعداد العدة قدر الاستطاعة، ولم يكلفنا ما لم نستطيع فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الآية، ووعدنا إن نحن أعددنا ما نستطيع أن ينصرنا نصرًا من عنده، لا بسبب العدة والعتاد والعدد. والناظر في المعارك التي دارت منذ البعثة المحمدية وحتى وقتنا الحاضر، يعلم تمام العلم أن المسلمين كانوا في الغالبية العظمى من تلك الوقائع أقل عددًا وعدة، ومع ذلك نصرهم الله على عدوهم. فالعدة والعتاد والعدد ماهي إلا أسباب للنصر الذي ينزله الله على عباده متى استوفوا شروط النصر. والأمة اليوم هي أضعف ما تكون بسبب بعدها عن دينها، وتسلط الأعداء عليها، فلا يفسحون لها المجال للتسلح وبناء قوتها العسكرية، وغاية ما تملكه الأمة اليوم من السلاح الفعال ضد العدو: الإيمان في قلوب أبنائه وحرب العصابات، فهي حرب لا تحتاج إلى قاذفات قنابل عملاقة، ولا إلى حاملات طائرات نووية، ولا إلى صواريخ عابرة للقارات، ولا إلى قنابل ذكية، بل غاية ما تحتاجه هو رجل عصابات ذا عقيدة صحيحة، وإيمان راسخ ماهر في

استخدام الأسلحة المختلفة، وسلاح خفيف ينكي بالعدو، بدءًا من البنادق وحتى المتفجرات والقنابل.

ثانيًا: إن ضرب العدو في عمليات صغيرة ومتفرقة على مناطق شاسعة من الأرض وبشكل مستمر، أو ما يسمى بحرب العصابات، يعتبر من أشد الأسلحة التي يمتلكها الضعفاء، ممن ليس لديهم جيوش جرارة، ولا سلاح جوي ولا بحري. وللتدليل على أهمية هذا النوع من الحروب، نذكّر بالنتائج التي حققتها العصابات الصينية ضد الغزاة اليابانيين، والسوفيتية ضد الألمانيين، والجزائرية ضد الفرنسيين، والفيتنامية ضد الفرنسيين ثم الأمريكيين، وقوات حركة موختي باهيتي في بنجالديش ضد القوات الباكستانية، وليس ببعيد سقوط الاتحاد السوفييتي أكبر قوة عسكرية بشرية عرفها التاريخ، على أيدي مجاهدين قلائل يقاتلونها بأسلحة خفيفة، وكذلك دحر القوات الروسية من الشيشان في الحرب الأولى، كان بسبب حرب العصابات كذلك.

بل إنه ليس أدل على أهمية هذا النوع من الحروب، من أن دولًا كالولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا الاتحادية، وفرنسا، قد استفادت من فكرتها بإنشاء قوات تنهج أسلوب رجال العصابات، بالرغم مما تملكه هذه الدول من إمكانات التعبئة النظامية.

فحرب العصابات في أفغانستان والعراق مثلًا مع القوات الصليبية، منعهم من استخدام السلاح الجوي والسلاح الصاروخي الذي يتفوق فيه العدو الصليبي. ففي هذا النوع من الحروب، تشل قدرات العدو من استخدام جميع تلك الأسلحة، بل إننا لم نسمع في حال حصول حرب مدن أو حرب عصابات عن قصف القاذفات الاستراتيجية، ولم نسمع عن قصف صواريخ (توما هوك)، ولا حتى القنابل التقليدية من مختلف الأوزان، وربما لن نسمع عن قصف مدفعية الميدان إلا ما ندر، لأن حرب المدن خاصة وحرب العصابات عامة، تعطل كل تلك الخيارات التي أمام العدو الصليبي، لأن جنوده متواجدون داخل المدن، ولن يستخدم أي سلاح يمكن أن يضر بجنوده. إضافة إلى ذلك، أنه لن يستخدم هذه الأسلحة لعدم تمكنه من تحديد القوات التي تتخذ من حرب العصابات أسلوبًا لها، كما هو الحال الآن في العراق وأفغانستان. فبعد تورا بورا، لم يسمع أحد عن استخدام القاذفات الاستراتيجية، أو الصواريخ الموجهة بالأقمار أو القصف الكثيف، لعدم تمكن العدو من تحديد مواقع المجاهدين، الذين يضربونه في الوقت وبالأسلوب الذي يروق

لهـم، ثم يختفـون لينهـك العـدو بالبحـث عـنهم دون مـواجهتهم، فهـذه أحـد الإيجابيـات الـتي تتميـز بهـا حروب العصابات عامة.

وقـد هـزم الفيتنـاميون علـى مـر 12 عامًـا، هزمـوا الجـيش الأمريكـي بعـد أن كبـدوه مـا يقـرب مـن 67 ألـف قتيـل، قبـل أن يعلـن هزيمتـه رسميًـا. وكـان القـادة الفيتنـاميين يفتخـرون ويـرددون الطرفـة القائلـة، بأنهـم خاضـوا الحـرب، ولم يسـتطع الجـيش الأمريكـي أن يـدمر لهـم دبابـة واحـدة، في إشـارة إلى أن الجـيش الأمريكـي أعلـن هزيمتـه، وخـرج مـن الحـرب في المرحلـة الأولى مـن مراحـل حـرب العصـابات، قبـل أن يملـك الفيتنـاميون الأسـلحة الثقيلـة. وبالفعـل لم تـدمر دبابـة واحـدة للفيتنـاميين، لأنهـم لم يصـلوا إلى مرحلـة امـتلاك السـلاح الثقيـل، فـإذا كانـت المرحلـة الأولى في فيتنـام، كبـدت الجـيش الأمريكـي هـذه الخسـائر، فكيـف لـو أن الجـيش الأمريكـي أصـر ولم ينسـحب حـتى دخـل في المرحلـة الثانيـة والثالثة؟

وبـنفس الأسـلوب تعامـل الأفغـان مـع الاتحـاد السـوفييتي، وخاضـوا حـرب عصـابات ضـده علـى مـر 10 سـنوات، تكبـد أكـبر جـيش في العـالم آنـذاك خسـائر فادحـة في المرحلـة الأولى مـن الحـرب، وأعلـن الجـيش الأحمـر انسـحابه وهزيمتـه في أفغانسـتان، قبـل أن تنتقـل الحـرب إلى مرحلتهـا الثانيـة علـى جميـع قطاعـات أفغانسـتان، حيـث كانـت هنـاك قطاعـات مثـل جـلال آباد وخوسـت وقنـدهار وغيرهـا، تحولـت أثنـاء وجـود السـوفييت إلى المرحلـة الثانيـة، إلا أن التحـول بشـكل كامـل لم يحصـل إلا بعـد انسـحاب السـوفييت، لتنتقـل الحـرب إلى المرحلـة الثانيـة ضـد حكومـة نجيـب الشـيوعية لمـدة سـنتين ونصف تقريبًا، ثم حصل الانهيار في الحكومة الشيوعية ليكون الحسم خلال شهرين فقط.

وهـا هـم الأمريكـان اليـوم، يصـرخون ويسـتجدون العـالم أجمـع مشـاركتهم في العـراق، ويسـتجلبون المرتزقـة مـن كـل بقـاع الأرض ليقـاتلوا معهـم، ومـا ذلـك إلا توفيـق مـن الله عـز وجـل، ونصـر مـن عنـده، ثم بسـبب النزيـف المتواصـل الـذي تسـببت لهـم فيـه حـروب العصـابات، والضـربات الـتي يظـن الـبعض أنهـا لا تـؤثر جهـلًا منـه بالثقافـة العسـكرية، وتاريـخ الحـروب. ونحـن موقنـون بإذن الله، أن نصـر الله قريب، وفرجه آتٍ، ويومئذ يفرح المؤمنون". ا. هـ

إضـافة إلى مـا سـبق ذكـره مـن إجـاباتٍ وافيـة للشـيخ يوسـف العُيـيري – رحمـه الله – لكـل تلـك الشبهات، **قد يتساءل متسائل فيقول: ألا ترى أن الثمن كان باهظًا؟**

يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، مجيبًا على مثل هذا التساؤل في كتابه تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف:

" وجوابي نعم، ثمن باهظ لهدف غال يستحق ذلك الثمن. يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾.

ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر...

ثم إن هذا هو الطريق. يكفي أن أضرب مثالًا بالفتوحات الإسلامية، التي أنشأت في قرن واحد دولة، علّمت الدنيا التوحيد ومكارم الأخلاق من الأندلس لأطراف الصين. كم كان ثمن هذا التحول التاريخي في مسيرة البشرية؟ عشرات الآلاف من شهداء الصحابة والتابعين وتابعيهم ﷺ، الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله". ا. هـ

وعن نفس الموضوع يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني:

" هب أن أهلنا وإخواننا في أفغانستان قد بادوا جميعًا، فهل من بقي يرتع في هذه الحياة ويتنعم بها يستحق أن يقال عنه سعيد وهو يعيش مهينًا حقيرًا مستعبدًا؟

أما إذا وقع الوعد الإلهي بالنصر - وهو أمل كل المؤمنين - فضريبة هذا النصر تستحق كل هذا العناء بل وأكثر منه والله لكنها رحمة الله تعالى.

إن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة والله، وجود أمثال أمير المؤمنين ملّا محمّد عمر الذي أحيا صوت السلف، وجهاد الآباء والأجداد، ومواقف الإيمان، وستبقى هذه الصورة للأجيال القادمة أملًا يصبو إليها كل من عرف قيمة الإيمان، وأهمية مواقف الرجال.

والله إنها منحة من الله تعالى، وما كان للمنح الإلهية أن تنزل إلا بالمحن، ووالله إنها طريق التمكين، وما كان للتمكين أن يكون إلا بابتلاء، فهل نسي اهل الإسلام هذا الذي سمعوه من الخطباء والمدرسين وقرؤه من كلمات السلف؟!

وأنا أريد أن أسأل بعض أصحاب القلوب الضعيفة سؤالًا: كيف تتصورون الجهاد؟ وكيف تتوقعون بناء دولة الخلافة؟ وكيف يحق لأحد أن يحلم بأن يكون عزيزًا مهيب الجانب من غير طريق الابتلاء والمحن والجهاد؟ " ا. هـ[205]

لا يختلف اثنان في أن الصراع بين الحق والباطل، وبين أولياء الرحمن وفراعنة الشيطان صراع قديم يدور رحاه حول تحرير الإنسان، وأرقى منازل ذلك التحرير هي أن يتحرر الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية ربّ العباد، وطاعته دون سواه من العباد.

فإذا كانت كل معارك الاستقلال والتحرر من العبودية للاستعمار التي خاضتها الشعوب المسلمة، قد خلّفت على سبيل المثال في الجزائر مليون شهيد، ومئات الآلاف من اليتامى، ومثلهم من الأرامل، وأضعافهم من الجرحى والمعوقين، فإذا كانت الشعوب تسترخص كل ذلك الثمن الفادح ليتمخّض عنه بعد ذلك دولة اشتراكية شعبية، أو ديمقراطية حرّة تستمد أحكامها وقوانينها وشريعتها من زبالات عقول البشر، فلماذا يستكثر الناس على المجاهدين ذلك الثمن الفادح في سبيل التحرر من عبودية النظام الدولي الذي تهيمن عليه أمريكا، والذي يقف حجر عثرةٍ في سبيل تعبيد الناس لرب العالمين؟.

دروسٌ عملية من دروس التوحيد:

مما لا شكّ فيه أن أكثر من تضرر من تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر هم الطالبان، وبالرغم من ذلك لم يعرب الطالبان عن موصوف ولا صفة، ولم ينطقوا ببنت شفة بشجب أو إدانة أو استنكار لهذه العمليات، بل ولم يُلقِ الطالبان ولو همسًا بالائمة على الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، ناهيك عن مساءلته، أو إحالته للقضاء لأنّه تسبب في كل تلك التداعيات المأساوية التي تعرّضوا لها، وعلى العكس من ذلك، لقد أصبح الشيخ أسامة بن لادن رمزًا لعزّتهم وموضع فخرهم وتضحيتهم من أجله بأغلى ما يملكون، وأصبحت تلك المواقف الرجولية المشرّفة – التي لم يشهد التاريخ لها مثيلًا – التي وقفها أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، ورفاق دربه الميامين تجاه الشيخ أسامة بن لادن مضربًا للمثل، ودروسًا عملية من دروس التوحيد وعزة الإسلام في كيفيّة التعامل مع الأحداث، وفي كيفية الصمود والثبات على المبادئ، يتوجّب علينا أن نتأملها ونتعلمها ونقف على مدلولاتها.

---

(205) مقالٍ للشيخ أبي قتادة الفلسطيني بعنوان " الرؤية الشرعية لأحداث أمريكا "

ففي خطابه التاريخي الذي استنصر به المسلمين والعلماء في كل مكان بعد أقل من شهر من الأحداث بتاريخ 1422/7/16هـ، الموافق 2001/10/3م، تحدّث أمير المؤمنين، الملّا عمر رحمه الله، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، والقائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجّلين نبينا محمد القائل: (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) رواه أحمد وأبو داوود.

أما بعد: فيا أمة الإسلام العظيمة، يا خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، يا من آمنتم بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا، أيها المسلمون جميعًا:

لا شك أنكم تتابعون بكل عناية واهتمام الحملة الصليبية السافرة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، بدعم دولي من بريطانيا ودول أوروبا النصرانية، وحلف شمال الأطلسي وروسيا والدول الشيوعية السابقة، ومن انضم إليهم من ملل الكفر والمرتدين وخبالة المسلمين، يجيشون الجيوش، ويحزبون الأحزاب ضد الإمارة الإسلامية في أفغانستان، لتحقيق أهدافٍ أعلنوا عنها في مقدمتها الإطاحة بالحكومة الإسلامية في أفغانستان، والقضاء على ما يسمونه قواعد الإرهاب.

ولا شك أنكم تدركون أن الأسباب التي يدعي هؤلاء أنها وراء حملتهم الصليبية هذه، ليست إلا مجرد ذريعة لتحقيق أهداف مبيته عندهم، أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها في كتابه العزيز حيث قال: **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن**

دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

إنهم يريدون أن يقضوا على هذه الدولة الإسلامية، لأنها إسلامية، وإلا ففي أي شرع أو قانون تجوز معاقبة شخص لمجرد شبهة اتهام لم تثبت، فضلًا عن معاقبة أمة بسبب ذلك الشخص؟

إن مما اتفقت عليه الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، ولكنهم يقاتلوننا لأننا أقمنا نظام حكم إسلامي مستقل، وهذا في الحقيقة، أشد عليهم من الهجمات التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن.

أيها المسلمون في العالم:

إن السؤال الآن لم يعد حول ما إذا كانت العمليات التي تمت ضد أمريكا صوابًا أم خطأ، فالذي حصل حصل، أيده من أيده وعارضه من عارضه. إن السؤال المطروح الآن هو: ما هو واجب الأمة الإسلامية تجاه هذه الحملة الصليبية الجديدة على أفغانستان؟ وما هو حكم من يتولى هؤلاء الصليبيين، ويقف إلى جانبهم بأي نوع من أنواع الدعم والمساندة؟

إن مما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، واتفق عليه الأئمة، أنه في مثل هذه الحال التي نحن فيها اليوم، يصبح الجهاد ضد هؤلاء الغزاة فرض عين على كل مسلم، لا إذن لوالد على ولده، ولا لسيد على عبد، ولا لزوج على زوجه، ولا لدائن على مدينه، لا خلاف في هذا بين العلماء. هذا عن حكم الجهاد ضد هؤلاء الغزاة، وواجب المسلمين في ذلك.

أما حكم من تعاون مع هؤلاء، فقد بينه الله سبحانه أكمل بيان، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

لقد بين الله سبحانه في هذه الآيات عدة أمور، منها:

1- النهي عن موالاة اليهود والنصارى ودعمهم ومظاهرتهم.

2- أن من يتولاهم ويعينهم ويظاهرهم حكمه حكمهم.

3- أن موالاتهم من خصال المنافقين وأخلاقهم.

وقد بين سبحانه أن موالاة المشركين تنافي الإيمان بالله ورسوله، فقال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾. ومن هذه الآيات وغيرها، أخذ العلماء أن مظاهرة المشركين على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام، يحكم على صاحبه بالردة والخروج من الملة.

يا علماء الإسلام الكرام، ويا أيها الدعاة إلى الله في كل مكان: إن واجبكم الأول هو الصدع بهذه الحقائق، لا تخافون في الله لومة لائم، فذلك مقتضى الميثاق الذي أخذه الله تعالى على أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، فبينوا للناس دينهم، وحرضوهم على الجهاد في سبيله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.

ويا أيها التجار وأصحاب الأموال: إن واجبكم الأول هو الإنفاق في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ويا شباب الإسلام: إن واجبكم الأول هو الجهاد والاستعداد والضغط على الزناد، فقد قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ويا أيها المسلمون في كل مكان: إن رسول الله ﷺ يقول: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ)، وفي لفظ: (يُقَاتِلونَ عَلَى الحَقِّ) لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ إلى قِيامِ السَّاعَةِ) رواه مسلم. فهذا الحديث قسم الناس إلى ثلاث طوائف:

1- الطائفة المنصورة: وهم أهل الإسلام القائمون به المقاتلون عليه.

2- الطائفة المخالفة: وهم اليهود والنصارى وأهل الكفر والردة وخبالة المسلمين.

3- الطائفة المخذلة: وهم من قعد عن نصرة الطائفة المسلمة وزين ذلك للناس.

وليس هنالك طائفة أخرى، فلينظر كل مسلم من أي هذه الطوائف هو. وفي هذا الحديث أيضًا أن هذه الطائفة المنصورة، لا يضرها من خالفها من المشركين، ولا من خذلها ممن ينتسبون للإسلام، فهي منصورة لا محالة، ونحن على يقين من هذا النصر الذي وعدنا الله به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولكن هذا النصر الموعود، مشروط بنصرتنا لدين الله، والإخلاص في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وعندما ينصرنا الله تعالى، فلا تستطيع أمريكا وحلفاؤها وأنصارها الوقوف أمامنا، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾.

إن أمريكا وحزبها مهما أوتوا من قوة، فإن قوتهم لا تساوي شيئًا بالنسبة لقوة القوي الجبار، فالله تعالى يقول: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

إن جنود أمريكا لا تخيفنا أعدادها ولا عددها؛ لأننا من جند الله القائل: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

والقوة الاقتصادية الأمريكية لا ترهبنا، فالله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾.

وميزانياتها الدفاعية لا تفزعنا، فالله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

وأنظمة الدفاع الأمريكية المتطورة لا تفت في عضدنا، فالله سبحانه يقول: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

فيا أيها المسلمون: ثقوا بنصر الله تعالى الذي وعدكم به، إن الله لا يخلف الميعاد، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

* ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادم الإسلام أمير المؤمنين / ملا محمد عمر مجاهد".

وهذا خطاب آخر لأمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله، موجّه بصفة خاصّة إلى الشعب الأفغاني يحثّهم فيه على التوكّل على الله، والصبر والثبات، والتصدّي للعدوان:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

إلى أمة الإسلام وإلى الشعب الأفغاني الغيور:

هذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا، كلكم على علم أن الإنجليز هجموا على أفغانستان، فبأي حق هجموا على أفغانستان؟ هل كان هناك أسامة؟ وكذلك هجم الروس على أفغانستان، هل كان هناك أسامة؟ وهذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا، وكلكم على علم أن المسألة ليست قضية أسامة، وإنما هي قضية الإسلام، فهم يعادون الإسلام والمسلمين...

اعلموا أن المخرج من هذه الأزمة هو الاعتماد والتوكل على الله والصبر والثبات، فهذا هو الطريق الوحيد، فإذا هاجمتنا أمريكا ب كروز أو غيره وهجمت على البلاد، فلا بد من مواجهتها والتصدي لها.

وإذا كان الله أراد هذا فلا بد أن يُقضى، والمخرج هو التوكل على الله والتصدي للعدوان، فعلى المسلمين أن يفكروا وينظروا إلى الإسلام وإلى حميتهم الإسلامية، وأن لا يخافوا ولا يحزنوا، فلا بد من هذه المشاكل، والذي يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام فهذه لذة وسعادة تفوق كل لذة وسعادة في الدنيا، لأنه لا مفر من الموت، فإذا كان الموت من أجل الإسلام فذلك هو الفوز العظيم، فليثبت المسلمون وليصبروا وليتوكلوا على الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. فهل نعتمد على قول الله تبارك وتعالى، أم على قول أمريكا؟

وإذا كانت المشاكل لا بد منها أن تقع فلتقع ومن الذي لا تأتي عليه المشاكل؟ الإنجليز والروس قتلوا الملايين من شعبنا ولكن الله أهلكهم بسبب تضحياتنا، وإن لم تضحوا وتغاروا، على دينكم فانظروا إلى الدول في العالم، سلب منهم إيمانهم وغيرتهم وسلب منهم كل شيء، لماذا نخاف ونحن الذين هُزمت إمبراطوريتا الإنجليز والروس بأيدي شعبنا ومُزقوا كل ممزق؟

أفغانستان هي أفغانستان السابقة، وغيرتها هي غيرتها السابقة، ودينها هو دينها السابق، وإيمانها هو إيمانها السابق، فما هو المشكل إذًا؟

إنه لا أكثر من أن يموت الناس، فليموتوا لكن مع الإيمان والإسلام، فليس في هذا غضاضة، وإنما المصيبة الكبرى أن يسلب منهم الإسلام والإيمان ويموتوا بغير الإسلام والإيمان، فلا يخف أحد، وليكن كل واحد على استعداد للجهاد، وليُبدِ كل منا استعدادًا للقيام بأي عمل يكلف به عند الحاجة، وأي تضحية دون إيمانه ودون دينه ودون كلمة (لا إله إلا الله محمّد رسول الله) فلينوِ كل أحد هذا وليعزم عليه، فالله ينصركم ويقضي على جميع الفتن والبلايا.

إنكم إن جبنتم، ولم تغاروا على دينكم، فعليكم أن تنظروا إلى تاريخ أجدادكم الأماجد، وانظروا إلى هؤلاء المعوقين الذين قطعت أطرافهم في الجهاد ضد الروس، كيف غاروا على دينهم وكيف سووا الإمبراطورية الروسية بالأرض، وأنتم ترون المجاهدين وهم أحياء.

إن ما يحصل هو تدبير وإرادة من الله تبارك وتعالى، فلا تخافوا ولا تحزنوا ولا تلوموا الطالبان ولا أسامة، فأقسم بوحدانية الله أننا لو سلمنا إليهم أسامة لا تنتهي المشكلة، وسيقولون بعده لماذا فعلتم هذا أو ذاك؟ افعلوا هذا وافعلوا هذا كما نقول ونأمركم، فأين يكون إيماننا وديننا في تلك الحالة؟

هذه فقط وفقط هي الإمبراطورية الثالثة تفرض نفسها على العالم، يغريها بذلك ويزينه لها العلمانيون وضعاف الإيمان الذين يقفون بجانبها، بل وقف إلى جانبها من يفترض أنهم أعداؤها، لقد وقف الجميع ضدكم.

فعلى كل مسلم أن يتذكر إيمانه ودينه ويثبت في جميع الأحوال، وإلا كان في قلق واضطراب ولا ينجيه ذلك من الموت لأن الموت لا بد منه. إنه يجب أولًا على المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يغاروا على دينهم ويذودوا عنه وعن أفغانستان، وأن يستعدوا لكل تضحية من أجل الإسلام،

وإن لم يفعلوا فعلى شعب أفغانستان أن يثبتوا على إيمانهم وغيرتهم وشجاعتهم ويجددوا تاريخهم الجليل.

عندما هجم الإنجليز على أفغانستان، وعندما هجم الروس لم أكن أنا ولا أسامة بن لادن، وقد تصدى لهم الشعب الأفغاني بكل شجاعة، ودون أن آمرهم أنا أو أسامة بذلك، ولكن الشعب الأفغاني ضحى وغاروا على دينهم وإيمانهم، وهذه الآن أيضًا حلقة من سلسلة هذه المواجهات، فيجب على كل مسلم أن يثبت، ولو كلفه ذلك حياته فهذا هو طريق الفوز، ولا شك في هذا وليعتمد كل مسلم على ربه وليثق بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

إن الإيمان ليس دعوى باللسان فقط (أن يقول أنا مسلم) دون أن يُخلص في هذا ويصدق، فلا بد من الإيمان الواقعي وبعد الإيمان الواقعي يكون الفوز حليفك، وهذا وعد من الله تبارك وتعالى ولا يخلف الله الميعاد.

إنني لا أخاف ولا أداهن أعداء الإسلام والمسلمين، وسلطتي وحكمي ورئاستي حتى حياتي في خطر، وأنا مستعد لكل تضحية إن شاء الله. ولو أنني أداهن الكفار وأسالمهم مخالفًا للإسلام فسيؤمنون لي الإمارة والسلطة، ويمدونني بالمال، وأكون في سعة ورخاء كما يعاملون رؤساء سائر البلاد، ولكني أضحي حتى بنفسي، وأغار على ديني الإسلام، وعلى هذا الوطن المبارك، فما بال فرد من الأفراد العاديين الذين ليس عندهم ما يخافون عليه لا يغار على دينه ووطنه، ويخاف ولا يحضر الجهاد ويفر خارج البلاد؟ فما بالهم وليس عندهم ما يخافون عليه عجبًا؟!

إن حكمي وسلطتي وحياتي كلها في خطر، ومع هذا أغار على ديني وأدافع عنه فما بالك أنت لا تغار على دينك وتخاف؟ إن هناك ضعفًا وهوانًا في إيمانك، فإن كنت مؤمنًا حقًا يكون الإيمان عزيزًا عظيمًا عندك، فعليك أن تضحي في سبيله.

إنني مستعد لكل هذه التضحيات إن شاء الله، فأعجب منك كيف لا تستعد؟!!، فإن كان عندك إيمان أو غيرة فلتثبت، وإلا فلا أبالي بك ولا أستمع لك، ولماذا أستمع لك وليس عندك غيرة ولا إيمان؟ أنت تشير علي أن أفعل هذا وأدع هذا، فإن كان معك إيمان فلا تتنازل عن دينك وإيمانك، ولا تقبل بما فيه خطر على الإيمان والإسلام واستقلال الوطن، فإذا كنت تتنازل عن كل شيء وتقبل كل شيء فظاهر أن فيك ضعف إيمان، فيجب عليك أن تقوي إيمانك وتعيد النظر

في منهجك، لأن الذي معه إيمان قوي ويريد أن يحافظ علي إيمانه فلا يقبل أمرًا يكون فيه خطر على الإيمان والإسلام.

فيجب على كل مسلم أن يفكر بعمق ويغار على الإسلام والقرآن، فالله رؤوف رحيم وسوف يكرمنا بالفوز، والفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك، وهذا هو طريق رفع راية الإسلام، وليس رفع راية الإسلام ولا رفع كلمة لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله في غير هذا الطريق، في غير هذا الطريق هدم الإسلام لأن هدم الإسلام أن تقبل ما يقوله الكفار ويأمرونك به، فهذا هو طريق هدم الإسلام، وأنت بفعلك هذا سويت اسم الإسلام وقدره بالأرض. لا تسقط راية الإسلام بالموت والتضحية، وإنما تسقط بأن تقبل ما يخالف الإسلام ويكون فيه خطر على الإسلام.

عندما يكون هناك استنفار للجهاد فيجب على كل أحد أن يستعد. وأنا لا أقول لكم هذا من أجل الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة، ففكروا جيدًا فلو كنت أريد مجرد البقاء في السلطة فيمكنني ذلك بالمداهنة في الدين والتنازل عن الإسلام – لا قدر الله – فلو فعلت ذلك فسوف يحمونني ويمدونني بالأموال، حتى بالقوات العسكرية، وليس طريق البقاء في الحكم أن يستعد الإنسان للتضحية، وأنتم تعلمون أنني لا أقاتل من أجل الحكم والسيطرة ولا أحرضكم لأجل ذلك، وإنما هذا أمر القرآن الكريم فانظروا في القرآن الكريم بماذا يأمركم وإلى أي طريق يهديكم؟

وصيتي لكم هو ما وصّاكم الله به في القرآن الكريم، فعلى كل مسلم أن يكون على يقظة في الأمور وألا يخاف، ولا تخدعكم وسائل الإعلام فتضعف إيمانكم، والله يوفق جميع المسلمين إلى أن يثبتوا على الإيمان والإسلام، ومن الله التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادم الإسلام أمير المؤمنين / ملا مُحَمَّد عمر مجاهد".

رحمك الله يا أمير المؤمنين، فقد أقمت الحجة على أئمة الضلال والتراجعات، ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول، فقد كان من السهل عليك أن تحتفظ بسلطتك وحكمك بالتمحّك في قاعدة المصالح والمفاسد فتطلب – على أقل تقدير – من الشيخ أسامة أن يغادر، لأن شعبك يقتل ويشرّد، وبلادك تدمّر، والمساجد تهدم، والأموال تنهب، والأعراض تنتهك، لكنك لم تفعل وآثرت رغم كل تلك المآسي أن تعلّم الأمّة درسًا غاليًا من دروس التوحيد، هو أن الفوز الأكبر هو الموت على الإيمان، فالقضية هي قضية إسلام وكفر، ونحن بين خيارين اثنين لا ثالث لهما، كما

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وهذا درس آخر من دروس التوحيد، نتعلّمه من الملّا مُحَّد حسن رحماني، الذي كان واليًا لقندهار، ونائبًا لأمير المؤمنين الملّا عمر رحمهم الله جميعًا. وكان مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان، في لقائه مع الملّا مُحَّد حسن، قد وجّه له السؤال الآتي: "بالنسبة لقراركم بعدم إبعاد أسامة بن لادن، أو بتسليمه للأمريكيين، لكنتم جنّبتم الشعب الأفغاني كل هذه المآسي التي يعاني منها الآن، فهل أنتم نادمون على قرار عدم تسليم أسامة بن لادن؟"

انظروا ماذا كان ردّ الملّا مُحَّد حسن رحمه الله. قال: "**تعلمون جيدًا بأن الطالبان مجاهدون يؤمنون بعقيدةٍ قوية وإيمانٍ راسخ، ويجاهدون من أجل ذلك. لذا كيف يعقل بأن يندم المجاهدون على عدم تسليم أسامة بن لادن. إن من أساسيات عقيدتنا وإيماننا، هو أن نحفظ كل مسلم من الكفر، وأن ننقذه من الكفر وأهله، إذ لا يعقل أبدًا، ولا يمكن أن يساورنا أي تفكير بالندم على عدم تسليمه للعدو، فهو محل فخرنا واعتزازنا، ونحن نعتز بوقوفه في وجه الكفر وأهله، ومواجهة أعداء الإسلام. والشيخ أسامة وهكذا غيره من المسلمين، لا نقبل بتسليمهم إلى الكفر وأهله، ولا يمكن أن نسلم أي مسلم بأي حال من الأحوال، وهذا ما لن يحدث أبدًا**"[206]

وعن طبيعة العلاقة مع الشيخ أسامة وجّه مراسل قناة الجزيرة للملّا مُحَّد حسن هذا السؤال: "كيف علاقتكم مع أسامة بن لادن الآن؟ أين هو الآن؟ هل لكم علاقة معه؟ كيف علاقتكم مع تنظيم القاعدة؟ هل يشاركون في المعارك التي تخوضونها ضد القوات الغربية في أفغانستان؟".

فكان جواب الملا مُحَّد حسن رحماني رحمه الله: "**الشيخ أسامة من كبار المجاهدين، ولا يمكن أن نفشي سر مكانه، ولا أين يقيم في أي حال من الأحوال، ومن المعلوم بأن المسلم أخو المسلم، وكل المسلمين عونًا لبعضهم ويدًا واحدة، مصدر قوتنا بوقوف المسلمين معنا، وكل المسلمين متعاونون معنا ونحن محتاجون إليهم، فالمسلمون يشاركوننا جهادنا بأموالهم وأبدانهم**

---

(206) تفريغ لمقابلة الملّا مُحَّد حسن رحماني رحمه الله، مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان بتاريخ 25/ 7/2008م.

ودعـائهم، ونحـن محتـاجون إلى وقـوف كـل مسـلم. والشـيخ أسـامة في صـحة وعافيـة وراجـون الله بأن يحفظه وندعو الله أن يكلأه بحفظه ويخيب أعداء الأمة في الوصول إليه وإلى مكانه".



الملّا مُحَّد حسن رحماني – تقبّله الله



الملّا مُحَّد حسن رحماني رحمه الله، أثناء لقائه مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان

وهـذا المـلّا داد الله رحمـه الله، مثـالٌ آخـر لواحـد مـن أولئـك الأشـاوس، الـذين سـطّروا بـدمائهم عـزّ ومجـد هـذه الأمـة، لا تملـك إلا أن تقـف مشـدوهًا أمـام قـوة موقفـه مجيبًـا علـى أسـئلة وجههـا لـه

الصحفي أحمد زيدان مراسل الجزيرة، وهي: **ما هي طبيعة علاقتكم مع تنظيم القاعدة؟ وهل لديكم صلات بهم الآن؟**

فأجاب الملّا داد الله رحمه الله:



الملّا داد الله رحمه الله، أثناء لقائه مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان

" العالم كله يعرف أننا ضحينا بحكومتنا من أجل مجاهدي (القاعدة)، وهذه كانت فريضة إسلامية علينا، فكيف نفقد الصلة بهم؟ والآن نحن وإياهم في جبهة واحدة، وساحة واحدة ضد العدو المشترك، وسنبقى في هذه المعركة حتى النصر أو الشهادة بإذن الله. فهدفنا مواصلة الجهاد، فديننا واحد، وهدفنا واحد، وعدونا واحد أيضًا، وإن شاء الله سنبقى مع الإخوة في (القاعدة)، شيئًا واحدًا حتى نلحق الهزيمة بعدونا الصليبي المشترك".

ويسأله الأستاذ أحمد زيدان: هل أنتم نادمون على مساندتكم لتنظيم (القاعدة) بعد أن خسرتم حكومتكم؟

فيجيب الملا داد الله رحمه الله: "كلامنا هو كلام الشهيد حين يوضع في القبر فيقول: تمنيت أن أُحيا ثم أقتل مرة ثانية، وذلك للمشاركة في الجهاد ليستشهد مرة ثانية، لما يرى من

المكانة السامية التي يراها بسبب جهاده واستشهاده، ونحن نقول: ليتنا نستولي على الحكومة مائة مرة ثم نفقدها، ونضحي بأنفسنا من أجل هؤلاء المجاهدين من تنظيم القاعدة"[207].

كذلك سُئل سفير طالبان السابق الملّا عبد السلام ضعيف وقيل له: هل تشعرون بالندم بسبب موقفكم؟

فقال بكل ثبات وطمأنينة: "**لا لقد فعلنا مقتضى ما جاء في ديننا وفعلنا كل ما بوسعنا ولو قدر لنا أن تعاد الأحداث ثانية لما تغير موقفنا أبدًا**".

وهذا سؤال تم توجيهه من مركز الدراسات والبحوث الإسلامية للأخ مُحَّد الطيب آغا مدير مكتب أمير المؤمنين الملا مُحَّد عمر رحمه الله، فانظروا ماذا كان ردّه.

س: تردد في أوساط بعض الأفغان أن وقوف حكومة طالبان مع الشيخ أسامة بن لادن هو السبب في الحرب الأمريكية ضدها، وأنه كان يمكن تجنب هذه الحرب في حالة التخلّي عن حمايته، فما رأي حركة طالبان في هذه المسألة؟

ج: نحن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأننا مستهدفون من قبل الكفر العالمي بقيادة أمريكا، لسبب أساسي هو إعلاننا تحكيم شرع الله، ورفضنا التبعية لأية قوة كفرية، وكل الأسباب الأخرى التي يرددها الكفر، نابعة من هذا السبب الأساسي، ولو كنا قبِلنا – لا سمح الله – بالتخلّي عن حماية الشيخ أسامة لما اكتفوا بذلك منا، فكانوا سوف يفتحون لنا موضوع حقوق الأنسان، وموضوع المرأة، وموضوع المخدرات التي قضينا عليها باعتراف الأُمم المتحدة،... الخ.

هذه حقيقة أكد عليها أمير المؤمنين مرارًا، فرفض فتح باب التنازل أصلًا، لأن حقيقة هؤلاء قد أخبرنا الله عنها بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

وبمثل هؤلاء –كما قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله – تقام الأُمم، وتحيا المبادئ، وتنتصر العقائد.

---

(207) التبرئة للشيخ الدكتور أيمن الظواهري

نجـومُ سمـاءٍ كلمـا غـاب كوكـبٌ بـدا كوكـبٌ تأوي إليـه كواكبـه

ومـا زال مـنهم حيث كـان مسـودٌ تسير المنـايا حيـث سـارت كتائبـه

أُولَئِــكَ آبَائِــي فَجِئْــنِي بِمِــثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَــا يَا جَرِيــرُ المجَــامِعُ

مستخلصًـا بعـض الـدروس مـن أحـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر يقـول الشـيخ أبـو قتـادة الفلسطيني – حفظه الله – في مقالٍ له بعنوان " الرؤية الشرعية لأحداث أمريكا":

"لقد تعلمنا الكثير من هذه الأحداث، فقد تعلمنا:

1- أن الإيمـان موقـف، وأن الإسـلام حالـة، وأن الموقـف والحالـة تحتـاج للضـريبة والـثمن، ومـا كـان لشيء يستحق القيمة إلا بعد أن تبذل في سبيله الأرواح والمهج والتضحيات.

2- تعلمنـا أن الانتسـاب للسـلف لـيس تصـوُّرًا عقـديًا بحتًـا، بـل الانتسـاب هـو عمـل وقـول، فقـد سـقط الكثير مـن أولئـك الـذين قـد ثـروا بهـذه النسـبة كـذبًا وزورًا، وبان مـن كـان يعبـد الله علـى حـرف، ومن هو مستعد أن يموت في سبيل الله وفي سبيل دينه.

3- تعلمنـا أن الزهـد ليسـت حالـة فرديـة شخصـية، فلـم نكـن نعلـم أبـدًا، ولم نقـرأ في كتـاب أن الزهـد هـو موقـف دولـة كـذلك، كـانوا يقولـون إن الزهـد في الـدنيا يعـين علـى طاعـة الله، وأن الرغبـة في الـدار الآخـرة تهـوِّن عليـك مصـائب الـدنيا، لكننـا تعلمنـا في هـذه الأحـداث أن زهـد الدولـة كـذلك يجعلهـا تقـف هـذا الموقـف، فلـو كانـت أفغانسـتان مـن تلـك الـدول الـتي رُفعـت فيهـا البنـايات المليئـة بالزجـاج والبلـور، وفيهـا النـاس في رغـد وهنـاء، وكـان حكامهـا لهـم الأرصـدة المتخمـة في بنـوك الغـرب أكانـت هـذه الحركـة تقـف هـذا الموقـف الإيمـاني؟ لا والله، فحالـة الزهـد القـدري الـذي قـدره الـرب في أفغانسـتان هـو الـذي أعـان حركـة طالبـان وزعيمهـا أمـير المـؤمنين مـلا مُحَّد عمـر – رحمـه الله – أن تقـف هذا الموقف الإيماني.

فلا نامت أعين من خاف ذهاب دنياه فضحى بدينه من أجلها.

4- تعلمنـا كيـف يكشـف الله سـتر مـن كـاد لـدين الله تعـالى، وأنّ المحـن طريـق كشـفه، فمثـل هـؤلاء الشـيوخ الـذين أكثـروا الفسـاد في الأرض، ومثـل هـؤلاء الحكـام الـذي غـيّروا الـدين وبـدلوا الملّـة مـا عـاد أحـد يثـق بهـم، ومـا عـاد أحـد يسـتطيع أن يـدافع عـنهم، لأن رائحـتهم قـد فاحـت، وقـذارة أقـوالهم ومواقفهم غطّت على محاولات الترقيع.

5-علّمنا الحدث أن قدر الله اقوى من قدرة البشر، وأن مهما بلغت قدرة الطاغوت، ومهما تبجح وتكبر فإن الله إذا قدّر أمرًا أمضاه، لا يرده سلطان ولا إرادة فهو صاحب الأمر كله، فالله هو القوي المتين، وأن سحر الشيطان لا ينفذ إلا على عباده ممن يخشونه ويهابونه، وأما أولئك الذين يخشون الله تعالى فهم الذين لا يأبهون لسلطان ولا لعاتٍ مهما بلغ أمره وشأنه.

6-علّمنا الحدث أن هذه الأمة أقوى من كل عوامل التعرية والإفناء، وأن في الزوايا خبايا، وأن ما يقرأه الناس عن الأوائل ليس ضربًا من الخيال ولا أسطورة من الوهم، وأن عالم القيم والإيمان ما زال يُحدث أثره في الوجود، بل هو المؤثر الأول والقوي في حياة البشر وصناعة التاريخ، فإذا كان الناس يهربون من أمام النار والحريق، فإن لهذا الدين أبناء لا يحلو لهم إلا الطيران الى فطان الموت والشهادة، وأن النار لا ترهبهم بل هم يشتهون أن يكونوا وقودها ومسعريها.

7-علّمنا الحدث أن هذه الأمة لا يستنفرها شيء سوى التحدي، وكلما كان الخصم أقوى وأوضح كلما كان تفاعل الأمة أقوى وأعظم " ا. هـ

حجر الأساس لبداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية:

كانت التداعيات التي حققتها غزوات الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا كارثية من كل النواحي وبكل المقاييس، فهذه الضربات قد أصابت أمريكا في مقتل في عقر دارها، ورمز عزتها. ولسنا هنا بصدد ذكر هذه التداعيات العظيمة التي تناولها الكتاب والباحثون والمحللون، وأُشبعت بحثًا من كل جوانبها وزواياها العسكرية والاقتصادية والأمنية والسياسية والمعنوية، لكننا بصدد الوقوف والتأمّل في جزئية واحدة فقط من هذه التداعيات، وهي مسودّة اتفاق الدوحة الأخير الذي وقعته أمريكا مع إمارة أفغانستان الإسلامية، والذي يثبت بجدارة حقيقة ما ذكره الكاتب سيف الدين الأنصاري في مقالٍ له بعنوان: "غزوة نيويورك وواشنطن قراءة تأصيلية" حيث يقول: **"غزوة نيويورك قد دشنت بداية العد العكسي لأكبر دولة إجرامية عرفها التاريخ الحديث، ووضعت الحجر الأساس لبداية النهاية للإمبراطورية الأمريكية"**. انتهى كلامه.

مصداقًا لهذا الكلام، فقد شهد العالم كله بداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية في الحرب التي خاضتها أمريكا في أفغانستان، والتي انتهت أخيرًا بمسودّة اتفاق وقعته أمريكا مع إمارة أفغانستان الإسلامية، يقضي بخروج القوات الأمريكية وقوات حلفائها الأخرى من أفغانستان، وفق جدول زمني محدد.

فأمريكـــا الـــتي أنفقـــت التريليـــونات مـــن دولاراتهـــا في بنـــاء ترســـانتها العســـكرية، لتكـــون القـــوى العظمـى، والقطـب المهـيمن الأوحـد في العـالم، لم تسـتطع علـى مـدى تسـعة عشـر عامًـا كاملـة – مـع أكثـر مـن أربعـين دولـة مـن حلفائهـا مـن دول النـاتو وغـير النـاتو – أن تحقـق نصـرًا عسـكريًا حاسمًـا علـى مجاهـدي الإمـارة الإسـلامية وأنصـارها في أفغانسـتان، وترنّحـت تحـت وقـع ضـرباتهم، ممـا اضـطرها أخيرًا أن تنحني صاغرة، وتجلس معهم على طاولة التفاوض.



توقيع اتفاق خروج القوات الأمريكية وحلفائها من أفغانستان

ولطالمـا تشـدقت أمريكـا ردحًـا مـن الـزمن، بأن لا تفـاوض[208] ولا حـوار ولا سـلام مـع مجاهـدي الإمـارة الإسـلامية، وصـنّفتهم علـى أنهـم جماعـة إرهابيـة وقتلـة، هـا هـي اليـوم تجلـس معهـم وجهًـا لوجـه، ونـدًّا لنـد علـى طاولـة واحـدة، لتوقـع معهـم مسـودة اتفـاق، يـدل بطريقـة دبلوماسـية علـى حقيقـة أجمـع عليها الكُتّاب والمحللون وأرباب السياسة، وهي هزيمة واستسلام الولايات المتحدة الأمريكية.

(208) جديرٌ بالذكر أن الأمريكان كانوا يريدون التفاوض مع حركة طالبان منذ عام 2010م، وأصرّت حينها الإمارة الإسلامية أن يكون أساس التفاوض هو خروج أمريكا وحلفائها من أفغانستان، وحينها رفضت أمريكا وواصلت القتال، ثم ما لبثت أن رضخت عام 2018م لمبدأ التفاوض على نفس الأساس السابق الذي رفضته أوّل مرة، فلله الحمد والمنّة.

لقد كان زمام المبادرة في هذه المفاوضات بيد إمارة أفغانستان الإسلامية، فكانت تفاوض من منطق قوّة وثبات فاشترطت بادئ ذي بدء شروطًا محددة على أساسها يتم التفاوض، واستجابت أمريكا صاغرة لتلك الشروط التي كان من أبرزها:

1- اشترطت الإمارة الإسلامية أن تكون قطر - وليس أي دولة أخرى منافسة لها - هي الدولة المضيفة لجولات التفاوض.

2- اشترطت الإمارة الإسلامية أن يكون البند الرئيسي للتفاوض، هو خروج القوات الأمريكية وقوات حلفائها الأخرى من أفغانستان، وفق جدول زمني محدد أقصاه أربعة عشر شهرًا.

3- لم تقبل الإمارة الإسلامية إدراج مسألة تطبيق الشريعة كنظام للحكم على طاولة المفاوضات.

4- اشترطت الإمارة الإسلامية إطلاق سراح الآلاف من مجاهدي الإمارة الإسلامية، وبعض قيادات الحركة المأسورين في معتقلات أمريكا ورفع أسمائهم من القائمة السوداء حتى يتمكنوا من المشاركة في عملية التفاوض.

5- اشترطت الإمارة الإسلامية رفع جميع العقوبات الأمريكية والدولية الجائرة المفروضة على الحركة بما في ذلك وصفها بالإرهاب.

6- لم تقبل الإمارة الإسلامية الدخول في أي عملية تفاوضية مع حكومة كابول، قبل توقيع اتفاق خروج القوات الأمريكية والقوات الحليفة لها.

7- اشترطت الإمارة الإسلامية بألا تتدخل أمريكا في شؤون أفغانستان، ولا تتعدى على استقلالها، ولا تمس سيادتها، ولا تستعمل القوة ضدها، ولا تعتدي على أراضيها.

8- ومع أن الإمارة الإسلامية تعهّدت من جانبها بعدم السماح للجماعات الجهادية بتهديد أمن أمريكا وحلفائها انطلاقا من أفغانستان، إلا أنها في المقابل رفضت الدخول في أي صراع أو مواجهة مع تلك الجماعات، وأنها هي من يحدد الطريقة التي ستتعامل بها معهم، كذلك احتفظت الإمارة الإسلامية بحقّها في منح حق اللجوء لكل من أراد من المستضعفين من المؤمنين أن يستجير بها ويأمن في حماها.

مفارقات عجيبة:

1–من المفارقات العجيبة جدًا، بل وليس غريبًا أن نضيفها إلى عجائب الدنيا إن كانت بالفعل كما يقولون سبع، فالناس كلهم يتحدّثون ويتساءلون كيف حققت حركة طالبان من اللا شيء – بعد أن فقدت دولتها – هذا النصر العظيم على دولةٍ تمتلك من أسباب القوّة المادية ما جعلها "أقوى وأعظم دولة" في العالم؟ هل من المعقول أن أمريكا وخمسين دولة من لم حلفائها – على مدى عشرين سنة – لم يستطيعوا أن يحققوا نصرًا عسكريًا حاسمًا على حركة طالبان وأنصارها في هذه الحرب، ثمّ بعد كل ذلك ينتهي الأمر بموجب اتفاق يقضي بانسحابها هذا الانسحاب المذل، الذي أجمع المراقبون وأرباب السياسة في كل العالم بأنه هزيمة ساحقة لأمريكا، بينما تصوّره أمريكا – من باب ذر الرماد في العيون – على لسان رئيسها المعتوه جو بايدن بأنه انتصار لها، وأنه لا جدوى من وجود قواتها في أفغانستان بعد أن حققت أهدافها التي دفعتها إلى هذه الحرب، وهي مقتل الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، وضمان أن لا تسمح إمارة طالبان الإسلامية للجماعات الجهادية بتهديد أمن أمريكا وحلفائها انطلاقًا من أفغانستان؟

يا سبحان الله، ما يقارب التريليونين من الدولارات أنفقتها أمريكا في هذه الحرب، وأكثر من ستة آلاف من الجنود والمتعاقدين الأمريكيين قتلوا، وعشرات الآلاف من الجرحى والمعاقين إعاقة دائمة، ومثلهم من الذين عادوا إلى بلادهم سالمين لم يسلموا من أمراض نفسيةٍ مزمنة، وغيرها وغيرها من التداعيات، فهل هذا الثمن يستحق أن تدفعه أمريكا لتحقيق هذين الهدفين؟ ألم يكن باستطاعة أمريكا التي تمتلك أكبر وزارة خارجية في العالم، وأكبر جهاز استخبارات في العالم تحقيق هذين الهدفين عن طريقهما؟ لا يسعنا هنا سوى أن نقول صدق سبحانه وتعالى القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

2–لقد كانت هذه الشروط – وغيرها من الشروط الاستباقية لقيام عملية التفاوض – نصرًا في حد ذاتها، دلّ على مدى الإذلال والصّغار الذي ألحقته الإمارة الإسلامية بالولايات المتحدة الأمريكية. ولم تستطع "سيدة العالم الأولى أمريكا" أن تملي شروطها الاستعلائية المذلة، التي طالما أملتها لكثير من الأنظمة الحاكمة، وهي استبعاد أحكام الإسلام بالكلية من نظام الحكم. لقد كان هذا الشرط الذي من أجله شنّ الأمريكان حربهم على إمارة أفغانستان الإسلامية خطًّا

سيادياً أحمر، لم يجرؤوا على الاقتراب منه، لأن مفاوضي الإمارة الإسلامية، لم يقبلوا ابتداءً إدراجه للمناقشة على طاولة التفاوض.

3- كذلك من المفارقات العجيبة في هذه المفاوضات التي نجحت فيها إمارة أفغانستان الإسلامية في تحقيق وفرض ما تريد، أن مفاوضي الإمارة لم يكونوا من السياسيين المخضرمين الذين عركتهم وحنّكتهم ميادين السياسة، ولم يكونوا من علماء النفس الماهرين في عمليات التفاوض، ولا من القانونيين الخبراء في دراسة العلاقات الدولية وكيفية هندسة المفاوضات، بل ولم يتخرّج أيّ منهم من أيّ جامعة من جامعات العالم التي يُزعم بأنها مرموقة، كهارفرد وأكسفورد والسوربون. **لقد تخرّج مفاوضي الإمارة الإسلامية من مدرسة واحدة، ومن جامعة واحدة، تستقي مناهجها وتعاليمها من كتاب ربّها وسنّة نبيّها علمتهم كيفيّة صناعة الرجال، وكيفية هندسة الثبات والصمود. لقد تخرّج مفاوضي الإمارة الإسلامية من جامعة الجهاد الأفغاني المتخصصة في هزيمة الإمبراطوريات العظمى، وفي كيفية إلحاق الذل والهوان والصغار بها، لقد تخرّجوا جميعًا من ساحات المعارك والنزال، التي ربّتهم فيها صيحات الله أكبر، على أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.**



الملا عبد الغني برادر

حفظه الله



الملا خير الله خير خواه

حفظه الله



الملا عبد السلام ضعيف

حفظه الله



الملّا مُحَمَّد فاضل

حفظه الله



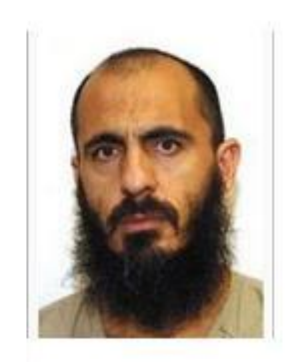
الملّا نور الله نوري

حفظه الله



الملّا عبد الحق وثيق

حفظه الله



الملّا مُحَمَّد نبي عمري

حفظه الله

قادة طالبان الذين كانوا أسرى في جوانتانامو وشاركوا في مفاوضات الدوحة(209)



الجندي الأمريكي بوي بريجدال المحرر مقابل قادة طالبان الخمسة الكبار

4–ومن المفارقات العجيبة جدًا التي دلّت على أن الإمارة الإسلامية مرّغت أنف أمريكا في وحل الهزيمة والعجز والذلة، هي أن الكثير من مفاوضي الإمارة الإسلامية الذين شاركوا في عملية التفاوض وجهًا لوجه مع المفاوض الأمريكي، كانوا أسرى في معتقلات أمريكا، وعلى رأس هؤلاء المفاوضين الملّا عبد الغني برادر الذي كان مسجونًا لتسع سنوات تحت عين ونظر المخابرات الأمريكية في سجون عملائهم في باكستان، ثم أخلي سبيله وعيِّن رئيسًا للمكتب السياسي

(209) هذه الصور عندما كانوا أسرى في جوانتانامو.

للإمارة الإسلامية في قطر ليباشر ما يقارب السنتين عملية التفاوض مع المحتلّين الأمريكيين، وليوقّع معهم – نيابة عن الإمارة الإسلامية – مسودّة اتفاق الدوحة.

كذلك شارك في هذه المفاوضات مفاوضين قضوا عدة سنوات أسرى في معتقل جوانتانامو، كان من بينهم الملّا عبد السلام ضعيف، الذي كان سفيرًا لحكومة طالبان في باكستان. وكان أمير الإمارة الإسلامية الشيخ "هبة الله أخند زاده" حفظه الله – مزيدًا في إذلال أمريكا – قد أصدر مرسومًا بتعيين قادة طالبان الخمسة في المكتب السياسي للإمارة الإسلامية في قطر ليمارسوا التفاوض مع الأمريكان.

وكان هؤلاء القادة قد أُطلق سراحهم معزّزين مكرّمين في يونيو 2014م بموجب صفقة مبادلتهم بالجندي الأمريكي الأسير بوي بريجدال، بعد ثلاثة عشر عامًا من الأسر قضوها في معتقل " جوانتانامو " وهم:

أ- الملّا مُحَمَّد فاضل [رئيس أركان الحرب إبان حكم الإمارة الإسلامية].

ب- الملّا نور الله نوري [الرئيس التنسيقي للإقليم الشمالي وحاكم ولاية بلخ سابقًا].

ت- الملّا خير الله خير خوا [وزير الداخلية ووالي هرات سابقًا].

ث- الملّا عبد الحق وثيق [مساعد الرئيس العام للاستخبارات سابقًا].

ج- الملّا مُحَمَّد نبي عمري [قائد لواء الحدود سابقًا].

5–ومن المفارقات العجيبة كذلك أن إرادة الله شاءت أن يتمّ هذا الاتفاق، وتوقع أمريكا على هزيمتها بانسحابها دون تحقيق أي مكاسب تذكر قبل ظهور جائحة كورونا. فلو كان هذا الاتفاق قد تم بعد ظهور الجائحة لقال الناس إن كورونا وليست عمليات الطالبان هي السبب الذي أجبر أمريكا على الانسحاب، لكن شاءت إرادة الحكيم الخبير أن تذوق أمريكا الذلّ والعذاب والويلات أولًا على هذه الأيدي المتوضّئة، ليشهد العالم أجمع هزيمة الامبراطورية الثالثة على أيدي المجاهدين في أفغانستان، ثمّ بعد ذلك لتذوق بيد جنديٍ واحدٍ من جنود الله لا يرى بالعين المجرّدة لونًا آخر من العذاب أشدّ وأنكى عليها من العذاب والويلات الذي لاقته على أيدي الطالبان وأنصارهم، وصدق القويُ العزيز في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

فهل بعد ذلك من شك، في أن غزوات نيويورك وواشنطن بالفعل قد دشنت ووضعت حجر الأساس، لبداية النهاية للإمبراطورية الأمريكية.

من أقوالهم عن مفاوضات الدوحة: هذا هو الدرس يا عرب!

يقول الدكتور مصطفى يوسف اللداوي من رابطة أدباء الشام في مقالٍ له بمجلّة الصمود العدد 169معلّقًا على نتائج مفاوضات الدوحة:

" فحركة طالبان التي قاتلت الأمريكيين طوال عقدين من الزمن، فاوضتهم سنتين فقط، حصلت خلالهما على ما تريد، وحققت كل ما كانت تتطلع بالبندقية إليه، إذ استعادت أرضها كلها، ولم تتنازل لأمريكا عن بعضها، ولم تقبل بتصنيفها وتجزيئها، ولم ترض ببقاء جنديٍ أمريكيٍ على أرضها، ولم تمنحه صفةً أخرى أو تقايضه على وضعٍ آخر، ورفضت أن تكون وصيةً على الأفغان في حواراتهم الوطنية وخلافاتهم الداخلية، وأصرت على أن يكون من حقها العودة إلى القتال في حال أخلت أمريكا بشروط الاتفاق، أو بدلت فيها وغيرت. تجربة طالبان تؤكد لنا أن العدو لا يحترم غير الأقوياء، ولا يخضع لغير الذين يوجعونه ويؤلمونه، ويجبرونه على البكاء والندم، وهو لا يحترم الضعفاء، ولا يتنازل لمن تخلوا عن السلاح، وقبلوا أن يكونوا له عيونًا ولأمنه حراسًا، وارتضوا أن يعملوا عنده وأن يطمئنوا إليه ويصدقوه، وأن يثقوا به ويعتمدوا عليه، فمن أراد أن يفاوض فلا يفاوض عن ضعفٍ، ولا يخضع لشروطٍ، ولا يتخلّى عن سلاحٍ، ولا يعجّل بخلع الثياب ونزع البزة، بل يبقي يده على الزناد ويفاوض إن أراد، ويقبض على البندقية ويحاور إن شاء".

كذلك في نفس العدد علّق على الحدث مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني بقوله:

" لا شك في أن مجريات عملية التفاوض الطويلة تمثل هزيمة مدوية للأمريكيين سياسيًا وعسكريًا، فبعد تصنيفهم الحركة بأنها (إرهابية)، ووعيد القادة الأمريكيين بسحقها، وتصريحات رامسفيلد وديك تشيني وجورج بوش عام 2001م، ها هم يُوفدون مبعوثًا خاصًا إلى مقر المكتب السياسي لطالبان في الدوحة، ليجلس مع هؤلاء (الإرهابيين)، ويتفاوض معهم بمستوى الند للند... ولا شك أيضًا، في أن خليل زادا مكلّفٌ بالخروج بصيغةٍ تحفظ ماء وجه أمريكا بعد عجزها عن تحقيق نصرٍ عسكري على (طالبان)، بحيث تتمكن واشنطن من

القـول لمواطنيهـا إننـا خرجنـا مـن هـذا البلـد بعـد تأسـيس نظـامٍ سياسـيٍ جديـد، أو أننـا ببسـاطة تركنـا شـيئًا ذا قيمـة بعـد خروجنـا، لـذلك يصـر خليـل زادا علـى فـرض صـيغة الحكـم في أفغانسـتان بعـد الانسـحاب ومسـتوى مشـاركة (طالبـان) في هـذه الصـيغة، لكنـه يـدرك أنـه إذا انسـحبت القـوات الأجنبيـة مـن أفغانسـتان فسيصـبح نظـام الحكـم شـأنًا داخليًـا يـتحكم فيـه الأقـوى، وهـو حركة طالبان".

وفي تغريدة للمدوّن طارق المطيري يقول في نفس العدد السابق:

" مـا الـذي حـوّل حركـة طالبـان مـن حركـة (إرهابيـة) في عـين أمريكـا وبحسـب وصـفها إلى حركـة توقـع معهـا اتفاقيـة سـلام؟! ليسـت الديمقراطيـة ولا حقـوق الإنسـان، ولا تراجـع عـن الفكـرة والأيـديولوجيا، ولا الخيـار السـلمي بـل الجهـاد والسـلاح في يـد أصـحاب الحـق، هـذا هـو الـدرس يا عـرب... أيـن أسـراب الطـائرات؟ أيـن سـلاحها النـوعي؟ أيـن بارجاتهـا وغواصـاتها؟ أيـن صـواريخها الباليسـتية؟ أيـن دفاعهـا الجـوي؟ أيـن اسـتخباراتها؟ أيـن حلفاءهـا الـدوليين؟ أيـن ميزانياتهـا المليارية؟ أيـن تـوازن القـوى؟ هـذه اشـتراطات القعـود والتعجيـز الـتي لم تتوقـف عنـدها طالبان وتوقف عندها الكثيرون! "

وفي تغريدة أخرى للمدون الدكتور مهمت كانبيكلي نقلتها مجلّة الصمود العدد 176:

" سـاقوه – يعـني المـلا مُحَّد نـبي العمـري – معـتقلًا إلى غوانتـاناموا مكـبلًا، وربمـا وهـم يصـرخون بوجهـه ويشـتمونه ويلقبونـه بأخطـر إرهـابي في العـالم، ثم يأتي زمـان يقـف فيـه هـذا المعتقـل السـابق ليحـاور وزيـر الخارجيـة الأمريكـي علـى شـروط انسـحاب أمريكـا مـن بلـده " الانتصـار لا يعـانق من ينتحب، بل يعانق من تكبد وعثاء السفر في سبيل تحقيقه".

كذلك نقل نفس عدد المجلة السابق تغريدة للصحفي عبد الباري عطوان يقول فيها:

" أن يقــف بومبيــو صــاغرًا وذلــيلًا إلى جانــب وفــد طالبــان المفــاوض طالبًــا الصــفح والغفــران، ومســتجديًا انســحابًا آمنًــا لقواتــه مــن أفغانســتان فهــذا درس للعــرب وللفلســطينيين خاصــة. أعــرف الطالبــان جيــدًا لا تملــك قيــادتهم طــائرات خاصــة، ولا يلبســون الحريــر، ولا يعرفــون الكــذب، ولهــذا انتصروا وفرضوا شروطهم".

هل هي ضرب من الجنون؟:

عندما خاض المجاهدون في أفغانستان حربهم الأولى على أقوى دولة في العالم آنذاك؛ الاتحاد السوفيتي، كان الناس يرمون المجاهدين بالجنون، وعندما سعّر الشيخ أسامة بن لادن – رحمه الله – هذه الحرب على أمريكا، نسي الناس أنه بفضل الله وحده انتصر المجاهدون على الاتحاد السوفيتي، ومرّة أخرى كانوا يرددون: (غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ)، أنتم مجانين، أنتم تحلمون، أنتم تزرعون في الهواء، كيف تقاتلوا أمريكا، ليس لكم أمل في البقاء أحياء، وسوف تمحيكم أمريكا من الوجود... الخ، وكان الرئيس الأمريكي السابق بوش قد توعّد الطالبان في بداية هذه الحرب وقال بصريح العبارة (we will smoke them) أي سوف نبخّرهم؟.

كانت هذه هي أحاسيس كثير من الناس ومشاعرهم وتوقعاتهم تجاه هذه الحرب، لكنها لم تكن كذلك لمن خالط الإيمان بشاشة قلوبها، وعرفوا طبيعة هذا الدين، وطبيعة هذا الصراع.

فقد جاء في السيرة أن رسول الله ﷺ بعد وفاة عمّه أبي طالب – وكان حينها في أضعف حالاته – أتى قبيلة بكر بن وائل يطلب منهم المنعة والنصرة، فرفضوا ذلك وقالوا له: "لا مَنَعة، جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نُجير عليهم". فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: "فتجعلون لله عليكم إنْ هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهَم أنْ تسبِّحوا الله ثلاثًا وثلاثين، وتحمدوه ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّروه أربعًا وثلاثين". قالوا: ومن أنت؟ قال: "أنا رسول الله". ثم انطلق.

وكان عمَّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مرَّ أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم هذا في الذروة منا، فعن أيِّ شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: "زعم أنه رسول الله"، قال: "ألا لا ترفعوا برأسه قولًا، فإنَّه مجنون يهذي من أُمِّ رأسه". قالوا: "قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر".

نعم، لقد اعتبرت بكر بن وائل دعوة الرسول ﷺ لها وكلامه في شأن فارس ضربًا من الجنون، لأن فارس كانت في ذلك الوقت دولة عظمى وأحد قطبي العالم، ولا أحد من العرب يجرُء على أن يخرج عل نظامها الدولي.

وها هو رسول الله صلّى الله عليه وسلم يعلمنا مرّة أخرى معاني الثقة في موعود الله في أضعف حالات الجهد والبلاء التي تميز المؤمنين من المنافقين، ففي غزوة الأحزاب عندما كان المسلمون

يحفرون الخندق بشّرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم بأنه قد أُوتي مفاتيح الشام، ومفاتيح فارس، ومفاتيح اليمن، ومع أن المسلمين كانوا في أضعف أحوالهم من الجوع والخوف، إلّا أنهم تقبّلوا هذه البشارات تقبل المؤمن الموقن المصدق بوعد الله، لأنها وعود على لسان من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، بينما كان تقبل أهل النفاق لها بقولهم: "ألا تعجبون من مُحَمَّد، يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق، وأن نغنم كنوز فارس والروم، ونحن هنا لا يأمن أحدنا أن يذهب إلى الغائط، والله لما يعدنا إلا غرورًا".

لذلك حريٌ بنا جميعًا أن نقف طويلًا أمام موقف أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله، عندما قال في أحلك ظروفه تلك الكلمات المعدودات التي تقشعر لها الجلود وتخشع أمام جلالها القلوب: "**لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق**". لقد كان أمير المؤمنين يرى أن هناك وميض نار توشك أن يشبّ لها ضرام، ومع ذلك لم يلن، ولم يعط الدنية في دينه عندما هددوه بوعيد الرئيس الأمريكي بوش، بل قال تلك الكلمات وكله ثقة ويقين واطمئنان بموعود الله عز وجلّ القائل ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وأن العاقبة للمتقين ولو كره الكافرون.

نعم يا أمير المؤمنين، نم قرير العين، فقد صدق الله وعده، ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وتحققت كلماتك أخيرًا، فها هو العالم أجمع يرى بأم عينه " الدولة العظمى " الولايات المتحدة الأمريكية، صاحبة أكبر ترسانة عسكرية على وجه الأرض، تخرج كما خرج أسلافها من قبل صاغرة ذليلة من أفغانستان. ها هي ذي الولايات المتحدة الأمريكية وصويحباتها سارعن في تفكيك قواعدهن، ولملمت ترساناتهن العسكرية التي لم تغني عنهن شيئًا. ها هو الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف متحسّرًا بعظمة لسانه أنهم لم يتعلموا الدرس إلّا بعد عشرين عامًا، ويقول بكل صراحة: "**<u>الأحداث التي نراها الآن هي إثبات بأنه ما من قوّة عسكرية من شأنها أن تبني الاستقرار في أفغانستان، فهي معروفة بأنها مقبرة الامبراطوريّات</u>**". ها هي ولايات أفغانستان ومدنها قد تطهّرت من رجس أمريكا، وعادت مرّة أخرى في سرعة ماراثونية واحدة تلو الأخرى إلى حضن الإمارة الإسلامية. ها هي يا أمير المؤمنين مراكز الدراسات والبحوث وخلايا الأزمات، تخسر رهانها أمام الصورة الحضارية التي ظهرت فيها حركة طالبان، مقتديةً بهدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم فتح مكّة، بأنّ اليوم يوم المرحمة، فأعلنت العفو الشامل لصناديد أمريكا من

العسكريين والمدنيين والمسئولين، قائلةً لهم: "إذهبوا فأنتم الطلقاء"، غير أن أفغانستان أبت إلّا أن تلفظ خبثها من هؤلاء المنافقين عبّاد الصليب، الذين يأنفون العيش في ظل الإمارة الإسلامية، فعجّت المنافذ الحدودية ومطار كابل بعشرات الآلاف منهم أبوا إلّا اللحاق بفسطاط الكافرين والعياذ بالله.

ها هم يا أمير المؤمنين جنودك الأشاوس الأبطال، بلباسهم الأفغاني البسيط، وبعمائمهم ولحاهم الطويلة، وبتكبيراتهم المتعالية على كل من طغى وتجبّر، قد حققوا وقطفوا بفضل الله وحده، أعظم ثمرة للنصر في هذه الحرب، ألا وهي الثبات والصمود على الثوابت والمبادئ، وعدم الانكسار لأئمّة الكفر من الطغاة والجبابرة.



لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق



الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف بأن أفغانستان مقبرة الغزاة







أفغانستان تلفظ خبثها من عشرات الآلاف من الأفغان المتعاونين مع الصليبيين

ملحمة تورا بورا:

كان الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله – بعد الغزوات المباركات على نيويورك وواشنطن، وحتى سقوط كابل في 13 نوفمبر 2001م – يتحرك بين جبال تورا بورا وأماكن وبيوت آمنة في مدينة جلال أباد، وفي العاصمة كابول وولاية لوجر، ومدينة خوست، وأحيانًا كان الشيخ أسامة ومرافقوه يفترشون الأرض ويلتحفون السماء في السهول والوديان والشعاب. وكان مرافقو الشيخ أسامة في هذه التحركات هم الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله، والشيخ سليمان أبو الغيث فكّ الله أسره، كذلك كان الأخ مُحَمَّد رحيم الأفغاني فك الله أسره[210]، من الإخوة الأفغان الثقات الذين

(210) أسير في جوانتانامو مع مجموعة الكبار، الذين يعتبرهم الأمريكان أسرى ذوي قيمة عالية، نسأل الله الكريم أن يعجّل بفكاك أسرهم جميعًا.

كان الشيخ أسامة يعتمد عليهم في قضاء الكثير من الأمور، فكان من المرافقين الأساسيين في مثل هذه التحرّكات، لما لوجوده من أهمية كبيرة في الحركة، وفي التواصل والاتصالات، فهو من أهل البلد، وفي ذات الوقت من ولاية ننجرهار.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، يتوقّع أن الطالبان سيصمدون فترة من الزمن، وأن منطقة تورا بورا بسلسلة جبالها المرتفعة الوعرة، وأشجارها العالية، ستكون بإذن الله مصيدة ومقبرة للغزاة الأمريكان، غير أن إرادة الحكيم الخبير كانت غير ذلك، فسرعان ما بدأت مدن الشمال في التساقط في أيدي الصليبيين، حتى تبعها سقوط كابل في 13 نوفمبر 2001م. وعلى إثر ذلك، انسحب أغلب العرب وغيرهم من الأنصار متوجهين نحو ولاية لوجر، وخوست وجرديز في ولاية بكتيكا. كذلك انسحب عدّة مئات من الإخوة واتّجهوا شرقًا نحو مدينة جلال أباد.

وفي كابل - قبل سقوطها بليلة واحدة - كان الشيخ أسامة على موعدٍ مع الشيخ أبي سليمان المكي[211] حفظه الله، وكان الأمريكان قد عثروا في أحد السيّارات التابعة للشيخ أسامة، والتي كانت قد تُركت في أسفل تورا بورا على شريط فيديو لهذا اللقاء، وفيه كان الشيخ أسامة يروي للشيخ أبي سليمان شيء من تفاصيل العمليات، وتوقعاته لما سيحدث للأبراج بعد الضربات. كذلك تناول الحديث قصّة الرؤيا التي كان قد رآها الأخ أبو الحسن الصعيدي في جلال أباد عام 1996م. وكان الأمريكان قد دندنوا كثيرًا على هذا الشريط، واعتبروه دليلًا دامغًا على مسئولية الشيخ أسامة للعمليات.

وبعد انتهاء اللقاء مع الشيخ أبو سليمان المكي توجّه الشيخ أسامة ومرافقوه إلى جلال أباد، وباتوا ليلتهم تلك في أحد البيوت الآمنة. وفي صباح اليوم التالي نقلت وكالات الأنباء خبر سقوط كابل في أيدي قوات تحالف الشمال، فأمر الشيخ أسامة بالخروج من البيت والتوجه إلى مزارع الزيتون المحيطة بمدينة جلال أباد، وهناك انتظر الجمع حتى حلول الظلام، ثمّ أعطى الشيخ أسامة أوامره بالتوجّه إلى تورا بورا، وعند الوصول تُركت السيّارات في المعسكر أسفل الجبل، وحمل كلٌ

---

(211) من طلبة العلم الذين نفروا للجهاد الأول في أفغانستان، وكان له دور بارز في الدروس والمواعظ التي كان يلقيها في الجبهات، وقد أصيب في جبهة جلال أباد إصابة أصابته بشلل نصفي فأقعدته. وبعد الأحداث، ومع أن الله قد عذره وحاول معه أقاربه كثيرًا أن يبقى إلّا أنه رفض القعود، وأبى إلّا أن ينفر مرّة أخرى إلى أفغانستان.

متاعه على ظهره ليكمل المشوار الذي يستغرق حوالي ثمانية ساعات سيرًا على الأقدام صعودًا إلى أعالي تورا بورا، وكانت تلك هي المرة الثانية التي يصعد فيها الشيخ أسامة إلى هناك.



لقاء الشيخ أسامة مع الشيخ أبي سليمان المكي

وكان الشيخ أسامة قد وجّه كل الإخوة المتواجدين في جلال أباد والمنسحبين من كابل بالصعود سريعًا إلى جبال تورا بورا، حيث توزعوا في مجموعات على قمم الجبال، وبدأت كل مجموعة في اتخاذ الأسباب القتالية اللازمة، من حفر الخنادق وتمويهها و... و... الخ.

وكان موقع الشيخ أسامة يكمن في قمّة عالية، يوجد بها غرفة مموهة بصورة جيدة تحت أشجار الصنوبر الكثيفة، كانت مأوى للمجاهدين الأوائل أيام الروس. وكانت مهمة التموين قد تولّى بها رجلٌ من خيرة الرجال من نفس المنطقة، اسمه معراج الدين[212]؛ فكان رجاله يمدوننا بالماء، والتموين بالغذاء، وينقلون الذخائر على ظهور البغال، وكانوا قد تولوا أيضًا مهمة حفر المزيد من

(212) كان التحالف الصليبي قد تواصل معه عبر المنافقين ليتعاون معهم، لكنه رفض ولم يبع دينه بعرض من الدنيا، فقصفوا بيته وقتل على إثر ذلك سبعة عشر فردًا من أفراد عائلته، ولم تنجو من القصف إلا أمّه. أسأل الله العظيم أن يتولاه بحفظه إن كان حيًا، وأن يتغمّده بواسع رحمته إن كان غير ذلك.

الخنـادق في أمـاكن متفرقـة ومتباعـدة في تلـك السلسـلة الجبليـة. أيضًـا كـان رجـال القبائـل مـن نفـس المنطقـة يتوافـدون علينـا، فجـاء بعضـهم طالبًـا العمـل كحفـر الخنـادق، وبعضـهم جـاء يريـد رؤيـة المجاهدين والشيخ أسامة، ومنهم من جاء يريد تقديم المساعدة وواجب الضيافة.

وكانـت أنظـار الأمـريكيين بعـد سـقوط مدينـة جـلال أباد في 14 نـوفمبر 2001م قـد تحولـت نحـو سلسـلة جبـال تـورا بـورا، فقـد كـانوا يعلمـون علـم اليقـين عـبر منـافقيهم أن الشـيخ أسـامة متواجـدٌ فيهـا. وكانـت طـائراتهم التجسّسـية يُسـمع صـوتها لـيلًا ونهـارًا حيـث لم تـترك موضـع شـبرٍ في تلـك الجبـال إلّا أشـبعته مسـحًا وتصـويرًا بأبعـاده الثلاثـة، ورغـم ذلـك فقـد عـزف قائـد القـوات الأمريكيـة، وجـبُن عـن اتخـاذ قـرارٍ باقتحـام الجبـل خوفًـا مـن الخسـائر الكبـيرة الـتي مـن المتوقّـع أن تتكبّـدها قواتـه، وكـان خيـاره المفضّـل تقـديم قـوات عميلـة مـن الأفغـان بقيـادة حجّـي ديـن مُحَمَّد وحضـرة علـي وحجّـي مُحَمَّد زمـان، بعـد التمهيـد لهـا بقصـف مجنـون بطـائرات ال بي اثنـين وخمسـين، وال أف 16، والأباتشـي وغيرهـا، والصـواريخ المخصصـة لاخـتراق الكهـوف، والقنابـل زنـة سبعة طـن، وغيرهـا ممـا خفـي علينـا مـن أنـواع الأسلحة.



الشيخ أسامة بن لادن والشيخ الدكتور أيمن الظواهري يتنقلون في أحراش وجبال تورا بورا



الشيخ أسامة يتحدث أمام مجموعة من الإخوة في تورا بورا عن فضل الشهادة في سبيل الله

وكانت طائرات ال "بي اثنين وخمسين" ترسم فوق سماء تورا بورا دائرة من دخانها المتكثف، كأنهم يقولون لنا أنتم محاصرون، سلموا أنفسكم. ولأكثر من ثلاثة أسابيع تواصلت تلك القصوفات ليلًا ونهارًا، وكانت كلها في معسكر التركستانيين في سفح الجبل، وهو نفس المكان الذي حلّ فيه الشيخ أسامة أول مرة عندما قدم من السودان. وفي هذا الفترة من القصف المتواصل لم يقتل – بفضل الله وحده – سوى عدد يسير من الإخوة لا يتعدّى أصابع اليد الواحد



طائرة " بي اثنين وخمسين " ترسم دائرة من دخانها المتكثف فوق جبال تورا بورا

وبعد منتصف رمضان، كان القصف قد بدأ يقترب شيئًا فشيئًا نحو الأعلى، وكان مما لا شك فيه أن المنافقين المدسوسين أكدوا للأمريكان تواجد الشيخ أسامة على القمة، لذلك كان لا بدّ من تحرّك سريع لتأمين الشيخ أسامة ومرافقيه، وعلى إثر ذلك تحوّلوا جميعًا إلى الجبل الذي تعتبر قمّته أعلى قمّة في سلسلة تورا بورا، وكان يبعد عدّة ساعات مشيًا على الأقدام من غرفة القيادة التي كان يتولاها الأخ البحريني عبد القدّوس(213).

وفي ذلك الجبل – الذي انتقل إليه الشيخ أسامة – وليس بعيدًا من القمّة، كان الأفغان قد حفروا عدّة خنادق في أكثر من مكان، وسقفوها بجذوع الأشجار، وخصصت هذه الخنادق لتكون مكان الشيخ أسامة ومرافقيه، وكان بعض الإخوة اليمنيين متواجدين أيضًا في نفس المكان. وكالعادة كان الأفغان يأتون إلى الموقع بالماء وكل الاحتياجات على ظهور البغال، وبطبيعة الحال لم

(213) كان مدربًا في معسكر الفاروق في منطقة جهاد وال، ومن الإخوة الذين شاركوا في الصومال.

نكن نعرفهم، ورغم ذلك لم يساورنا أي شك على أي أحد منهم، لكن كان لا بدّ من أخذ كل إجراءات الحيطة والحذر.

لم يمكث الشيخ أسامة في المكان الجديد سوى عدّة أيام حيث كان قد رأى رؤيا توجّس منها، فكان قد رأى عقربًا في خندقه. وفي صبيحة اليوم التالي طلب الشيخ أسامة من فريق الحراسة أن يشدّوا رحالهم قليلًا إلى الأعلى. وبالطبع لم تكن هناك خنادق محفورة في المكان، لكن كان هناك مكان جيّد مغطّى بالأشجار من ثلاثة جوانب، هيأناه ليكون مأوىً للشيخ أسامة ومرافقيه من المشايخ. ورغم أن الطقس كان باردًا جدًا في تلك الأيام، والثلوج تغطّي المكان، إلا أن أكياس النوم العسكرية التي كانت معنا، كانت من النوع المحشو بالريش، فكانت كافية لتقي أحدنا من البرد القارس.

وفي ساعة متأخرة من أول ليلة أو ثاني ليلة بعد الانتقال للأعلى -كانت ليلة الرابع والعشرين من رمضان - وأثناء نوبة حراسة كاتب هذه الصفحات، قصفت إحدى الطائرات أسفل منا - في نفس اتجاه خندق الشيخ أسامة الذي كان فيه - وكان صوت الانفجار هائلًا ومدويًا.

وفي صباح اليوم التالي تبين الخبر، فقد أصبح خندق الشيخ أسامة رحمه الله، أثرًا بعد عين. فحمدنا الله كثيرًا على سلامة الشيخ أسامة، والشيخ الدكتور أيمن، والشيخ سليمان أبو الغيث، لكن كان هناك خبرٌ آخر، فقد استشهد أخٌ واحد كان نائمًا في الخندق تلك الليلة، اسمه أسامة العدني (الزمبياكو). وسبحان الله كان هذا الأخ هو اليمني الوحيد مع إخوة جزائريين، وكان موقعهم يبعد بالتقريب خمسة إلى ستة ساعات مشيًا على الأقدام من موقع خندق الشيخ المقصوف، ويشاء الله في ذلك اليوم أن تحرك الأخ من موقعه الأول، ليكون في صحبة الإخوة اليمنيين، غير أن الله سبحانه وتعالى كان قد اصطفاه واختاره ليكون في جوارٍ خير جوارهم، فهنيئًا له الشهادة. ومن فضل الله لم يُصب أحدٌ من الإخوة الأخرين بسوء، فقد كانت خنادقهم بعيدة عن الخندق المقصوف.

وفي أواخر رمضان، كان الشيخ أسامة بالتشاور مع الإخوة قد اتخذ قرار الانسحاب من تورا بورا، ولعل السبب الرئيسي في ذلك القرار هو الحفاظ على الإخوة بسبب كثافة القصف، ولقلّة الذخائر التي أوشكت على النفاد بسبب الحصار الذي فرضه المنافقون والعملاء على مداخل ومخارج تورا بورا. وبالفعل تم الاتفاق مع بعض أهل المنطقة لتهريب الشباب على مجموعات عبر

الجبال إلى باكستان. وكانت مجموعة حراسة الشيخ أسامة مع إخوة آخرين، هي أول المجموعات التي غادرت تورا بورا، وكان عددهم واحد وثلاثين فردًا. وللأسف الشديد كانت هناك خيانات من بعض الذين تولوا عملية التهريب، فبدلًا من تهريب الإخوة إلى القرى السُّنية في باكستان حسب المتفق عليه، تمّ تهريبهم إلى مناطق الشيعة – القريبة من مدينة بريشنار – الذين تظاهروا بضيافة الإخوة وحسن استقبالهم، وفي النهاية قاموا بتسليمهم وبيعهم للشرطة الباكستانية.

أما الشيخ أسامة والشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ سليمان أبو الغيث، والشيخ بصير (ناصر الوحيشي)، والأخ الحبيب حمزة الغامدي، وأبناء الشيخ أسامة عثمان ومُحَمَّد، فقد انقسموا إلى مجموعتين، وبفضل الله خرجوا بسلام وأمان من دائرة الخطر. وكان الذي تولّى عملية إخراج الشيخ أسامة من دائرة الحصار رجل اسمه نور مُحَمَّد[214]. وكان هذا الرجل من أهل المنطقة، وكان مسئولًا مع رجاله عن جزء من دائرة الحصار المضروبة على الإخوة في تورا بورا، غير أن حبه للمجاهدين وكرهه للكافرين دفعه بأن يصعد الجبل ليقابل الشيخ أسامة، وهناك أخبره بأنه رهن إشارته، وتعهّد له بأنه لن يصل إليه أي ضرر من جانبه. وبالفعل وفّى نور مُحَمَّد رحمه الله بعهده مع الشيخ أسامة، فكان هو الذي أنزله وأخرجه من دائرة الحصار في تورا بورا، وأسلمه لأيدي أخرى أمينة تولّت هي الأخرى خروجه من جلال أباد، وكان بطل تلك المخاطرة الكبيرة هو معلم أول جل رحمه الله.

جدير بالذكر أن الشيخ أسامة ومرافقيه – قبل سقوط مدينة جلال أباد – كانوا يأوون أحيانًا لأيامٍ في بيت معلّم أول جل، وكان رحمه الله – عقب سقوط المدينة – قد تواصل مع الشيخ أسامة في الجبل، وذكر له بأن تحالف الشمال قد استبقاه في منصبه الذي كان يشغله – وهو رئاسة فرقة جلال أباد – فماذا يشير عليه؟ فأشار عليه الشيخ أسامة بأن يخذّل عنهم ما استطاع.

وكان شيخ بصير قد أخبرني، أن معلّم أول جل هو الذي نقل بسيارته الشيخ أسامة بعد نزوله من تورا بورا، وعبر به بكامل هيئته ما يقارب الثلاثين نقطة دون تفتيش. وكان الشيخ أسامة أثناء الطريق يردد قول الله عزّ جل ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ

---

(214) اغتيل – رحمه الله – في بيشاور لمساعدته للشيخ أسامة بالخروج من تورا بورا.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾. وكـان الأفغـان المـرافقين للشـيخ أسـامة غـير مصـدّقين لمـا يـروا بأم أعيـنهم، واعتـبروا ذلـك كرامةً من الله لولي من أوليائه.

وعنـدما اسـتتب الأمـر للأمريكـان تبـيّن لهـم مـا قـام بـه معلـم أول جـل في عمليـة تهريـب الشـيخ أسامة، وبناءً عليه تم أسره وترحيله لمعتقل جوانتانامو.

وكـان لنجـاة الشـيخ أسـامة مـن دائـرة الحصـار في تـورا بـورا وقـع سـيئ في نفـوس الأمريكـان؛ فقـد كـان الرجـل في متنـاول أيـديهم، ومـا هـي إلا سـاعات حتى ينـالوا منـه كمـا كـانوا يظنّـون، ولكـن خيّـب الله ظنـونهم، وجعلهـم يتحسّـرون علـى تفـويتهم لتلـك الفرصـة، ويلقـون باللائمـة علـى قائـد العمليـات، الـذي جـبن علـى اقتحـام تـورا بـورا، وأوكـل هـذه المهمـة علـى قـوات النفـاق والـردّة، الـتي كـان يقودهـا حجّي دين مُحَمَّد وحجّي زمان وحضرة علي أخزاهم الله.

وجـدير بالـذكر أن الشـيخ أسـامة رحمـه الله — أثنـاء حصـار تـورا بـورا – كـان قـد أرسـل برسـالة نصـيحة وإشـفاق لحجّـي ديـن مُحَمَّد، يـذّكره فيهـا بالله – عسـى أن تنفعـه الـذكرى – بأنـه كـان يومًـا مـن الأيام مــن الــذين يجاهــدون أعــداء الله الــروس الملاحــدة، فكيــف يقاتــل اليــوم في صــفّ الصــليبيين إخوانـه المسـلمين. وكـان ممّـا قـال لـه في تلـك الرسـالة: "إنّ أباك قـد سمّـاك **ديـن محمّـد**، **ولم يسـمّك دين بوش**".

وجـزى الله الشـيخ أسـامة خـير الجـزاء بهـذه النصـيحة الغاليـة، فقـد أدّى مـا عليـه، وقـام بواجـب النصح، وأسمع لو نادى حيًّا ولكن لا حياة لمن ينادي.

وهنـا نفسـح المجـال للشـيخ أسـامة، لـيروي لنـا جـزءًا مـن تفاصـيل معركـة تـورا بـورا، ففـي رسـالته لأهل العراق بعنوان "بشائر وتذكير وتحريض ومؤآزرة " بتاريخ 11 فبراير 2003م، قال رحمه الله:

" تلـك المعركـة العظيمـة، الـتي انتصـر فيهـا الإيمـان علـى جميـع القـوى الماديـة لأهـل الشـر، بالثبـات علـى المبـدأ بفضـل الله سـبحانه وتعـالى، وسـأذكر لكـم طرفًـا مـن تلـك المعركـة العظيمـة، للتـدليل علـى مدى جبنهم من جهة، ومدى فعالية الخنادق في استنزافهم من جهة أخرى.

فقـد كـان عـددنا يصـل إلى ثلاثمائـة مجاهـد، وكنـا قـد حفـرنا مائـة خنـدق منتشـرة في مسـاحة لا تزيـد عـن ميـل مربـع، بمعـدل خنـدق لكـل ثلاثـة اخـوة، حـتى نـتلافى الإصـابات البشـرية الكبـيرة مـن القصـف، وقــد تعرضــت مراكــزنا منــذ الســاعة الأولى للحملــة الأمريكيــة – في العشــرين مــن رجــب لعــام ألــف وأربعمائـة واثنـين وعشـرين للهجـرة الموافـق السـابع مـن أكتـوبر لسـنة ألفـين وواحـد ميلاديـة – لقصـف

مركـز، ثم اسـتمر ذلـك القصـف بشـكل متقطـع إلى منتصـف رمضـان، وبعـدها في صـبيحة السـابع عشـر مـن رمضـان بـدأ قصـف شـديد جـدًا، وخاصـة بعـد مـا تأكـدت القيـادة الأمريكيـة بوجـود بعـض قيـادات القاعـدة في تـورا بـورا، بمـا فـيهم العبـد الفقـير والأخ المجاهـد الـدكتور أيمـن الظـواهري، وأصـبح القصـف علـى مـدار السـاعة، فلـم تكـن تمـر علينـا ثانيـة بـدون طـائرات حربيـة فوقنـا لـيلًا أو نهـارًا، حيـث تفرغـت غرفـة قيـادة وزارة الـدفاع الأمريكيـة، مـع جميـع القـوى المتحالفـة معهـا لنسـف وتـدمير هـذه البقعـة الصـغيرة وإزالتهـا مـن الوجـود. فكانـت الطـائرات تصـب حممهـا فوقنـا، وخصوصًـا بعـد أن أنهـت مهماتهـا الأساسـية في أفغانسـتان، وكانـت القـوات الأمريكيـة تقصـفنا بالقنابـل الذكيـة، والقنابـل ذات آلاف الأرطـال، والقنابـل العنقوديـة، وكـذلك كانـت القنابـل الخارقـة للكهـوف، وقـد كانـت قاذفـات القنابـل كطـائرات "بي اثنـين وخمسـين" تحـوم الواحـدة منهـا لأكثـر مـن سـاعتين فـوق رؤوسـنا، وترمـي في كـل دفعـة مـن عشـرين إلى ثلاثـين قنبلـة، وكانـت طـائرات السـي مائـه وثلاثـين المعدلـة، ترمينـا لـيلًا بالأبسطة المتفجرة، وغيرها من القنابل الحديثة.

ورغـم ذلـك القصـف الهائـل، مـع الإعـلام الـدعائي الرهيـب الـذين لم يسـبق لهمـا مثيـل علـى مثـل هـذه البقعـة الصـغيرة المحاصـرة مـن جميـع الجهـات، بالإضـافة لقـوات المنـافقين الـتي دفعوهـا لقتالنـا لمـدة نصـف شـهر متصـل، والـتي صـددنا موجـاتهم اليوميـة كلهـا بفضـل الله سـبحانه وتعـالى، وأرجعنـاهم في كـل مـرة مهـزومين يحملـون قـتلاهم وجرحـاهم، رغـم ذلـك كلـه مـا تجـرأت القـوات الأمريكيـة علـى اقتحـام مواقعنـا، فـأي دلالـة أظهـر مـن ذلـك علـى جبـنهم وخـوفهم، وكـذبهم في أسـاطيرهم المـدعاة لقواهم المزعومة.

خلاصـة المعركـة: الفشـل الهائـل الـذريع لتحـالف الشـر العـالمي بجميـع قـواه علـى مجموعـة صـغيرة مـن المجاهـدين، علـى ثلاثمائـة مجاهـد في خنـادقهم داخـل ميـل مربـع، في درجـة حـرارة بلغـت عشـر درجـات تحـت الصـفر، وكانـت نتيجـة المعركـة إصـاباتنا في الأفـراد بسـت في المائـة تقريبًـا، نرجـو الله أن يتقـبلهم في الشهداء، وأما إصاباتنا في الخنادق، فكانت بنسبة اثنين في المائة والحمد لله.

فـإذا كانـت جميـع قـوى الشـر العـالمي لم تسـتطع أن تحقـق مرادهـا علـى ميـل مربـع بعـدد بسـيط مـن المجاهـدين بإمكانيـات متواضـعة جـدًا، فكيـف يمكـن لهـذه القـوى الشـريرة أن تنتصـر علـى العـالم الإسلامي، فهذا محال بإذن الله، إذا ثبت الناس على الدين، وأصروا على الجهاد في سبيله". ا. هـ

معادن الرجال:

لقد كشفت لنا ملحمة تورا بورا معادن الرجال، فقد عاشرنا رجالًا لم تربطنا بهم من قبل أي معرفة سوى أخوة الإسلام، ونِعِمّ بها من أخوة، فقد حللنا في بلادهم وفي ديارهم، وهم يعلمون أن طائرات أمريكا وقنابلها تتعقب آثارنا حيث ما حللنا، ورغم ذلك فتحوا لنا بيوتهم، ورحبّوا بنا في بلادهم، وعرّضوا أنفسهم وأبناءهم بسببنا إلى خطر عظيم. فهذا معراج الدين الذي قام على خدمتنا، وقدّم لنا كل ما يستطيع، تواصل معه التحالف الصليبي عبر المنافقين وساوموه على التعاون معهم لكنه رفض ولم يبع دينه بعرض من الدنيا، فقصفوا بيته وقتلوا على إثر ذلك سبعة عشر فردًا من أفراد عائلته، ولم تنجُ من القصف إلا أمّه العجوز، وعندما جئنا نعزيه كان بعضنا يبكي وكان هو يقول: "**ماشي مشكلة أهم شيء أن الشيخ أسامة بخير**". وعندما نزل الشيخ أسامة لينسحب من الجبل، قابله معراج الدين في أسفل الوادي، فبكى عندما علم أن الشيخ أسامة سيخرج من تورا بورا، وظل يردد: "**عار على الأفغان خروج العرب من أفغانستان، عار على الأفغان خروج العرب من أفغانستان**". أسأل الله العظيم أن يتولاه بحفظه إن كان حيًا، وأن يتغمّده بواسع رحمته إن كان غير ذلك.

كذلك أذكر أن رجلًا مسنًّا، كان يأتي إلينا بين حينٍ وآخر بكمية كبيرة من ثمر الجوز (نوع من أنواع المكسرات)، فجزاه الله عنا خير الجزاء. وذات مرّة في أواخر شهر رمضان، أوى الشيخ أسامة في قرية صغيرة من قرى المنطقة في بيت أحد الأفغان، وعندما أراد الشيخ أسامة مغادرة المكان، طلب منه صاحب الدار أن يكتب له ورقة، لكي يحتفظ بها مفتخرًا لأحفاده أن الشيخ أسامة بن لادن قد آوى إلى بيته يومًا من الأيام. وبالطبع لم يخيب الشيخ أسامة طلب الرجل، فكتب له شاكرًا ومقدرًا ضيافته وكرمه.

وفي المقابل رأينا مسخًا باعوا دينهم وإخوانهم بعرض من الدنيا قليل؛ فوقعوا في الكفرِ البواح والردّة الصراح، كانوا بالأمس - كحجّي دين مُحَمَّد، وحضرة علي، وحجّي زمان - محسوبين على المجاهدين، يقاتلون الروس الملاحدة تحت راية الإسلام، لكنهم اليوم يقاتلون المجاهدين تحت راية الصليب. جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا). فأي فتنة سقط فيها هؤلاء، نسأل الله العافية والثبات.



حجّي زمان، أخزاه الله

حضرة علي، أخزاه الله

ملحمة قلعة جنكي[215]:

كانت جميع الفصائل المناوئة لطالبان بعد سقوط كابل في أيديهم في 27 سبتمبر عام 1996م قد توحدت تحت مسمى تحالف الشمال، وكان الطالبان قد دخلوا مع هذا التحالف في صراع مرير، ومعارك كرٍ وفرٍ أسفرت بعد تضحياتٍ كبيرة على سيطرة طالبان على معظم ولايات الشمال. ومع بداية الحرب الصليبية بقيادة أمريكا في 7 أكتوبر 2001م، لم يبق مع التحالف الشمالي إلا ولاية بدخشان ووادي (بنشير).

وكان أمير المؤمنين الملا مُحَّد عمر رحمه الله في أواسط عام 2001م، قد أمر بتشكيل لواء من جميع المجاهدين غير الأفغان – من العرب والباكستانيين ومجاهدي وسط آسيا – ليباشر مهام قتالية في شمال أفغانستان، في ولاية قندوز و تخار، ووقع اختيار أمير المؤمنين على القائد جمعة باي – المسؤول العسكري للأوزبك – لرئاسة وإدارة ذلك اللواء، الذي أطلق عليه أسم اللواء (21)، وربطه بالقيادة العسكرية لجيش الطالبان (كولو أوردو).

وكان أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله، قد علق آمالًا كبيرة على ذلك المشروع، ودعمه بكل ما أوتي من إمكانيات. وكان عدد المشاركين في ذلك اللواء يزيد على ألف ومئتي مجاهد، من غير الأفغان. وبطبيعة الحال استعان جمعه باي في إدارته العسكرية لذلك اللواء بنخبة من الإخوة القادة من العرب والباكستانيين والتركستانيين. ومع بدايات الهجوم الأمريكي على أفغانستان، قدر الله أن تسقط قذيفة طيران في منطقة قرب مزار شريف – قبل سقوطها – على نقطة تجمع للمجاهدين من ذلك اللواء، ليستشهد جمعة باي مع 12 من أبرز قادة اللواء من العرب والأوزبك، رحمهم الله جميعًا[216].

وهنا نترك الشيخ عبد الهادي العراقي (نشوان عبد الرزاق عبد الباقي) فكّ الله أسره، ليروي لنا تفاصيل تلك الملحمة، التي وقف فيها العالم مشدوهًا على شجاعة وصلابة أولئك الرجال، الذين سطّروا بدمائهم وأشلائهم مواقف أشبه بالخيال، يعجز القلم أن يجد لها ما يناسبها من القول سوى

---

(215) القصّة كلها من رواية الشيخ عبد الهادي العراقي، فكّ الله أسره. بتصرّف.

(216) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

قول الله عزّ وجلّ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

يقول الشيخ عبد الهادي، فكّ الله أسره:

" ملحمة قلعة جنك.. الملحمة المنسية.. ملحمة الشهداء.. ملحمة الشهداء المنسيين.. شهداء قلعة جنك المجهولين.. أبطال رفضوا الهوان..

حقيقة احترت في اختيار عنوان لهم، يعبّر عما قاموا به من بطولة ورفض للهوان والذل الذي يمكن أن يتعرضوا له لو بقوا أحياء. فهم ليسوا كباقي القطعان الحية، يسوقهم أعداء الله بالعصا وهم راضخين أذلاء، مقابل البقاء أحياء متمتعين بزيف الدنيا.

كنت أميرهم، ولكن أقدار الله شاءت أن أبتعد عنهم في اللحظات الحاسمة الصعبة، وهي ليست المرة الأولى التي أراها بعيني، فالشهادة اختيار واصطفاء من الله.

عدة شهور مضت على اتخاذ قرار المشاركة في جبهات شمال أفغانستان، فاخترت المجموعة الأولى من المجاهدين، الذين أمضوا فترات طويلة في جبهة شمال كابول، فشكلت منهم مجموعة طيبة صابرة لا توصف بعطائها وبذلها.

أسود جميعهم، لا تكاد تفاضل أحدهم على الأخر، وحسبنا أنهم ذهبوا إلى جوار رحمن رحيم كريم، في أشرف ساحات الوغى وميادين الرجال، ضد أعداء الله من الأمريكان والمنافقين.

كانت الحملة الصليبية الأمريكية قد بدأت على أفغانستان بعد عمليات مركز التجارة والبنتاغون البطولية، التي رد فيها المجاهدون بقوة على الاستعلاء الأمريكي، واحتلالهم للمقدسات الإسلامية، وإعانتهم لليهود ضد إخواننا الفلسطينيين. وكان القصف قد اشتد على مزار شريف خصوصًا، لفسح المجال أمام قوات دُوستم وحلفائه الهزارة (الشيعة) وغيرهم للسيطرة على المدينة والمطار، لعمل موطئ قدم ينزل فيه الأمريكان لتوسيع عملياتهم لاكتساح مواقع الطلبة الصامدة إلى تلك الأيام أمام القصف العنيف والهجمات الشرسة، حتى أنهم – الأمريكان – تحيّروا وكادت خططهم أن تفشل، وأصيبوا بالإحباط لولا التطورات اللاحقة التي حصلت وحيرت المراقبين، بل وغالبية الطلبة أنفسهم، ومن كانوا يشاركونهم الدفاع عن دولة الشريعة والقرآن.

وكانت أوامر أمير المؤمنين لازالت واضحة قوية: (اصمدوا واجتهدوا في الدفاع عن مواقعكم إلى أخر رجل. وأن الحياة ليست ملكًا لبوش، الذي يهدد بسلبها ممن سيبقى ويصمد).

بدأ القصف يزداد عنفًا لحظة بعد لحظة، وبدأت المعنويات تنهار شيئًا فشيئًا؛ فالقصف العنيف أخذ يتضاعف، وبدأ ينتشر على كل جبهات مزار شريف، ويمتد إلى خارج مركز قندهار، إلى القرى المحيطة بعاصمة أمير المؤمنين ومخزن قواته، بحجة أن هناك مواقع مشبوهة ممكن أن يتواجد فيها أمير المؤمنين والشيخ أسامة بن لادن. وبدأت أعداد الضحايا المدنيين في ازدياد، على عكس الضحايا في الجبهات، فقد كانت نسبتهم قليلة جدًا إذا قورنت مع شدة القصف. ودخلت أخيرًا قنابل زنة 7 طن و8 طن التي تأتي على سقف الأسلحة التقليدية قبل مرحلة القنبلة النووية، وأصيبت نفسيات الطلبة بالضعف الشديد، وهم يرون الأهوال من تلك القنابل، وتم الانسحاب من مزار شريف بدون ترتيب وبلا سابق إنذار، وبعدها صدرت الأوامر بالانسحاب من جبهات تخار التي كان الإخوة العرب موجودين فيها، وهم محور قصتنا هذه.

كانت مواقع لواء المجاهدين[217] (وهم يزيدون عن 1200 مجاهد، شكلهم أمير المؤمنين من المجاهدين غير الأفغان قبل عدة شهور) تمتد من ضفاف نهر جيحون على مركز مديرية خوجة غار، (وخط الجبهة يمتد من هناك إلى تخار وفيه الإخوة الطلبة). وكان القائد العسكري لشمال أفغانستان – الملّا فضل – حفظه الله، قد أصدر أمرًا بالانسحاب من مقدمة جبهة تخار، والعودة إلى قندوز (التي تبعد حوالي 70كم عن طالقان مركز ولاية تخار)، لتقليل الخسائر وتنظيم الصفوف. خصوصًا أن الشمال – بعد سقوط مدن مزار شريف وسمنجان وبول خمري وبعدها باميان بأيدي قوات التحالف الشمالي الموالي للأمريكان والصليبيين – كان قد انفصل عن القيادة المركزية للطالبان في جنوب أفغانستان، وحدثت فوضى واضطراب شديدين في صفوف الطالبان، على الرغم من نداءات أمير المؤمنين المتكررة بالصمود والدفاع، وكلمته المشهورة التي رددها:

[إما الحياة بعزة وغيرة على دين ومحارم الله، أو الموت والشهادة (زندي به غيرت يا مرگ به شهادت)].

في البداية – في ضوء المعنويات المرتفعة – رفض الإخوة في اللواء الانسحاب، فهم وعلى مدى يومين سابقين، كانوا قد صدوا عدة هجمات للعدو، أخرها استمر لمدّة 12 ساعة متواصلة، لم يستطع العدو التقدم شبرًا واحدًا على الرغم من القصف المدفعي الثقيل الشديد، والدعم الجوي الكبير للطيران الأمريكي الصليبي. وإلى أن أقنع قادة الطلبة الإخوة بالانسحاب، كان قد مر على

---

(217) نفس اللواء الذي شكّله أمير المؤمنين.

انسحاب بقية قطعات الطلبة أكثر من نهار كامل، ومع هذا تأخرت مجموعة يتراوح عددها بـ 25 أخًا عربيًا، رفضت الانسحاب إلى ما بعد يومين من استكمال انسحاب الجميع، طبعًا حاصرهم العدو، ولكن لم يستطع اقتحام مواقعهم.

وكان خط الانسحاب من خوجة غار إلى دشت آرجي وإلى قندوز مكشوفًا، يمر بمنطقة تلال صعبة قاحلة من أي أشجار، وطوال الطريق كان الطيران يقصف الآليات، ولكن لم تحدث أية خسارة على الإطلاق بتوفيق الله وحفظه.

وحين استقرت هذه القوات كلها حول مدينة قندوز، كانت قوات التحالف الشمالي قد أطبقت الحصار على المدينة، فمن ناحية كانت قوات جلام جم (دُوستم والهزارة) قد وصلت من مزار شريف، وقوات شورى نظار (والتي كان قائدها المشهور مسعود قد اغتيل قبل أسابيع) من ناحية أخرى، وكانت المنافسة شديدة بينهم، فمن يدخل المدينة أولًا سينال الحظوة والأموال والمكافأة. وكانت قوات دُوستم محسوبة على الأمريكان، وقوات شورى نظار تتلقى دعمها الكامل من روسيا وإيران، على الرغم من أن الطرفين يتمتعان بالدعم الجوي الأمريكي المباشر.

رمى دوستم (الجنرال الشيوعي السابق) ثقله كاملًا لإجراء مفاوضات لدخول قندز سلمًا، وعرض على الطالبان الاستسلام مقابل العفو وإيصال المقاتلين إلى أماكن سكناهم. وكانت هناك ضغوط شديدة من أهالي المنطقة لخروج الطالبان أو استسلامهم لتجنب مناطقهم الدمار من جراء القصف الجوي الذي لا يميز بين قطعة عسكرية وبين قرية أو تجمع سكاني مدني. كذلك كان دُوستم قد زاد في الحاحه على الطالبان بالتسليم مقابل ضمانات كثيرة، ليسبق خصمه مُحَمَّد فهيم قائد شورى نظار، ويدخل قندوز ويضيفها إلى مناطق نفوذه، ليقوي بها موقعه ومكانته عند أسياده الأمريكان.

لا ندري ما جرى حقيقة في المفاوضات، فقد حصل الاتفاق فجأة على خروج غير الأفغان من هناك، والتوجه إلى مزار شريف للحفاظ عليهم ابتداءً، وعند وصولهم إلى هناك، يستكمل تسليم بقية قوات الطالبان لقوات دُوستم. وانطلقت السيارات الشاحنة تقل 350 مجاهد، منهم 154 أخ من العرب، مع 100 أخ من الأوزبك والطاجيك، والبقية من المجاهدين الباكستانيين، وقليل من الطالبان. وكان في صحبة الشاحنات 4 سيارات صغيرة من قوات دُوستم، ومن أفراد الكمندان ناصر خروي البشتوني بالتحديد كأمان لهم ودليل.

وخلال الطريق، لم يعترض الشاحنات أحد، وحين اقتربوا من مدينة مزار شريف كان الليل قد اقترب من نهايته، وبدأ الدليل يخفّض من سرعة السيارة، إلى أن توقف قائلًا: "إنّ وجهتنا إلى بلخ الواقعة خلف مدينة مزار شريف، وهناك طريقان، أحدهما طويل يلتف حول مزار، والآخر قصير يخترق المدينة ولكنه خطر لأن هناك قوات من الهزارة، وهم لا يطيعون لنا ونخاف أن يتعرضوا لكم وتكون هناك مشاكل، ولكن الطريق الطويل خطر أيضًا، لأننا نريد أن نوصلكم إلى بلخ بدون علم دُوستم، وإذا طلع النهار ممكن استخبارات دُوستم تكشف الموضوع ويعرقل الأمر، فلهذا سنرسل سيارة لتأمين طريق المدينة، ثم تعود لتسير بالقافلة". المهم تحركت السيارة باتجاه المدينة بسرعة، وبعد ساعة تحركت السيارة الثانية بحجة أن الأولى تأخرت، وعند بزوغ ضوء النهار تحركت الثالثة، وبعدها بقليل الرابعة لاستكشاف الأمر. بدأ الشك يزداد عند الإخوة، نظروا حولهم فإذا هم في منطقة سهلة، ليست فيها أي تضاريس أو وادي أو مرتفع، وفجأة سمعوا صوت مدرعات تتجه صوبهم، أمعن الذين في المقدمة فإذا هي فعلًا مدرعات، ولكنها لا تسير باتجاههم مباشرة، بل قسم منها ينحرف بعيدًا إلى اليمين، والأخر بعيدًا إلى اليسار.

تشاور المسئولون بسرعة، وقرروا تشكيل خط دفاعي دائري، يكون العرب في المقدمة، والأوزبك على الجناحين، والباكستانيين يحمون المؤخرة. وفعلًا وبسرعة تنم عن خبرة قتالية توزعت الأعداد، وأخذ المجاهدون أماكنهم، وكانت الأسلحة لحد الآن لم تسحب منهم، عندها كانت قوات العدو قد استكملت حصار المنطقة كاملًا، تخندق الإخوة وسحبوا أقسام الأسلحة استعدادًا لأي طارئ.

بدأت إحدى السيارات التي كانت قد غادرت لترتيب أمر عبور المدينة تتجه بسرعة إلى مركز تواجد الإخوة، تركها الإخوة تقترب، نزل مسؤولها وهرول إلى مسؤول المجموعات وكان الخوف يملأه.

المهم أن الأفغاني بدأ مهتمًا بتهدئة الإخوة قائلًا إن الأمور بخير، ولكن هناك مشكلة بسيطة وهي أن الجنرال دُوستم قد عرف الأمر، وهو يصر على أن يذهب الجميع لمراكزه ليحافظ عليهم، فقط عليهم الآن تسليم أسلحتهم. طبعًا انتفض الإخوة، فكيف يكون ذلك، ولحد هذه اللحظة لم يستطع المنافقون الاقتراب منهم؟ ولقد صدوا العديد من هجماتهم المدعمة بالقصف الأمريكي الصليبي العنيف، وعندما رأي الدليل الأفغاني إصرار الإخوة على عدم تسليم الأسلحة، اقترح

عليهم أن يتصلوا بالملّا فاضل في قندوز، ليأخذوا منه التعليمات، وكان الإخوة قد نصبوا المخابرة في الميدان.

المهم بعد انتهاء اتصالهم بنا تكلموا مع ملا فضل وطلب منهم الرضوخ لمطالبهم، وتسليم الأسلحة للحفاظ على بقية الطلبة الموجودين في قندوز، قائلًا: "إننا لحد الآن لم نسلم أسلحتنا، ولكن إذا عملتم مشاكل فربما يبدؤون بقصفنا والتعرض علينا، خصوصًا أن قواتهم بدأت تدخل المدينة. وقال لهم عليكم السمع والطاعة، وأن عملي هذا الغرض منه إنقاذ حياة أكبر عدد ممكن من الطالبان بأمر أمير المؤمنين". تردد الإخوة بتسليم الأسلحة، فنادى ملّا فضل الملّا ذاكر عبد القيوم ليكلمهم على المخابرة، وكان ملّا ذاكر هو أمير قطاع عملياتنا في خوجة غار ودشت أرجي.



الملّا محمد فاضل – حفظه الله[218]

بعدها رضخ الإخوة للطلب، وتشاوروا على تسليم الأسلحة الكبيرة الظاهرة، وإخفاء القنابل اليدوية والمسدسات والسكاكين للطوارئ، وبدأ وضع السلاح على الأرض والأغلبية غير مقتنعة تمامًا، ومندهشة لما يحصل. وبعد استكمال تسليم الأسلحة، طلب الدليل من قسم من قوات

---

(218) كان يشغل منصب رئيس أركان الحرب في الإمارة الإسلامية، وكان من المقربين جدًا لأمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله، وكان من أوائل الأسرى في معتقل جوانتانامو، أطلق سراحه معززًا مكرمًا في يونيو 2014م، مع أربعة آخرين من كبار قادة طالبان، في عملية تبادل الأسير الأمريكي بوي بريجدال.

العدو الاقتراب واستلام الأسلحة، وطالب الإخوة بتسليم كل ما لديهم من سلاح، فأجابوه بأنه لم يبق شيء آخر، وإزاء هذا العناد طلب منهم التوجه إلى السيارات للتحرك إلى مزار شريف.

انطلقت أمام القافلة سيارة الجرحى مع دليلٍ واحد، وكان هناك أربعة من الجرحى، منهم أبو ناصر الأبيني وأسامة الحضرمي، وكانوا قد جرحوا في القصف سابقًا. أسرعت السيارة وسبقت القافلة، وعند وصولها إلى داخل المدينة، أوقفها حاجز لحزب وحدت الشيعي، وحينما عرفوا أن فيها عربًا، أنزلوا منها الدليل، ورغم توسله لهم قائلًا إنه منهم ومن أفراد كومندان ناصر، وهؤلاء مستسلمون، وسآخذهم إلى السجن، ولكن بدون فائدة، فبدأوا بضربه وبسبه بشتى الألفاظ القبيحة، وانهالوا بالضرب على الجرحى غير آبهين لحالتهم، واقتادوا الجميع للسجن عندهم وبدأوا بالتحقيق معهم.

وهنا ندع أخًا أفغانيًا من الطلبة - كان مجروحًا ركب معهم السيارة - يحكي القصة، حيث يقول: "بدأوا بضرب الجميع ضربًا شديدًا، ثم أوقفوا السيارة في الخارج، واستدعوني للتحقيق، فقلت لهم إنني لست معهم، بل أنا جريح وأتيت معهم فقط بالسيارة. فقالوا لي لا نعرف ذلك، وإذا أردت الخروج فكم ستعطينا؟ حينها تذكرت بأن الإخوة أخفوا مسدسًا وبعض الأموال التي جمعوها من بعضهم خوفًا من السرقة، وأخفوها في محرك السيارة، ففكرت أنهم سيأخذون السيارة كلها، فلأفدي نفسي بالمسدس، ففاوضتهم على إعطائهم له مقابل خروجي، فوافقوا فأرشدتهم إلى مكانه فذهبوا وأخرجوه، ولكن عندما عادوا قالوا هذا لا يكفي نريد ورق أخضر (يقصدون الدولار)، فأرشدتهم على مكان الأموال، وعندما رأوها قالوا لي اخرج واترك لنا هؤلاء العرب نبيعهم بالدولار. فخرجت من عندهم، وأنا أسمع صيحات وتأوهات الإخوة الجرحى، حيث بدأ المنافقون بضربهم، ثم نقلوهم إلى المستشفى، ثم سلموهم للأمريكان".

ثم نعود للقافلة الكبيرة، حيث أخذوا الإخوة إلى قلعة جنكي، وهي قلعة كبيرة على أطراف مزار شريف، ترتفع عن الأرض كثيرًا، يحيطها سور عريض، يمكن للدبابة أن تسير عليه، وخلفه قناة ماء. وكانت القلعة كبيرة جدًا، ومكونة من عدة طبقات، وفي الأسفل سراديب وغرف، وهي قلعة عسكرية مجهزة للقتال والصمود أمام الحصار، وفيها مخزن أسلحة وذخائر كثيرة.



قلعة جنكي

وعند الوصول للقلعة دخلت السيارات، وكان قد سبقهم إليها أكابر كمندانات حزب وحدت الشيعي، وأكابر كمندانات دُوستم ورئيس استخباراته، وكذلك قوات كبيرة تقدر بعدة مئات، كذلك مندوبين من القوات الأجنبية الأمريكية والCIA، وتم تقسيم الإخوة وتوزيعهم على الغرف، ثم بعد ذلك بدأت قوات العدو بفتح الغرف، غرفة غرفة وإخراج الإخوة لتفتيشهم، وتسجيل الأسماء وأخذ المعلومات.

وكان يشرف على التسجيل ضباط أمريكان، وكبار ضباط دُوستم والهزارة. وكان أفراد العدو والمحققين يتعمدون إساءة المعاملة والتلفظ بكلمات قذرة على الإخوة والجهاد والدين، ويستهزؤون بالجميع، وحين رأى الإخوة ذلك وقبل أن يستكملوا الغرفة الأولى، تبادل عدد من الشباب الإشارات، وتقدم الأول للتفتيش واضعًا يده في جيبه، وانتبه لذلك المحقق فصاح عليه أن أخرج يدك يا ابن.. فشد الأخ قبضة يده من جيبه، وفجأة دوى انفجار كبير أعقبه آخر، وقتل الأخ مباشرة، وقتل على إثر انفجار القنبلتين اليدويتين أيضًا المحقق الأمريكي ورئيس استخبارات مزار شريف، وأكبر كمندانات حزب وحدت، وعدد من كبار قادة دُوستم.

وساد الهلع قوات العدو، وبدأوا يتناثرون كذر غبار اشتدت به الريح، وسارع عدد من الإخوة إلى أسلحة المقتولين ليأخذوها، وسارع آخرون إلى بوابات القلعة ليغلقوها لمنع العدو وبقية الأمريكان من الفرار، وذهب البقية لفتح أبواب الغرف لإخراج إخوانهم، وسادت فترة قصيرة من الصمت، ولكنها كانت رهيبة، وانفتح بعدها باب جهنم على الأمريكان والأعداء الذين فوجئوا بما حدث، فهم لم يروا ذلك من قبل، ناس في الأسر لا يصبرون على إهانات، هي عندهم في أعرافهم أمور عادية يتبادلونها بينهم بفرح. ولكن أنى يكون ذلك لحرٍ عزيز ذاق طعم الجهاد، وما أنزل السلاح من على كتفه إلا قبل لحظات سمعًا وطاعة لأميره، ولكن على غير اقتناع وثقة في الطرف المقابل الذي وضع يده بأيدي الكفرة والصليبيين لهدم صرح دولة الشريعة.

ودارت معركة رهيبة، كان العدو فيها كالجرذان المرعوبة لا تدري أين الفرار؟ وبدأ قسم منهم يقفز من الجدران العالية، لا أحد منهم يجرؤ على المواجهة، فهم لم يأتوا للموت بل لجمع الأموال والتمتع بشهوة التسلط وما سينعم به الأمريكان عليهم. وما هو إلا وقت قصير قتل فيها الإخوة أغلب الذين كانوا موجودين من العدو والأمريكان.

وبدأ الجد مرة أخرى، فالساعة ساعة حزم وأمر، تقسمت المجموعات، وتوزعت المهام بدقة، فالناس أصحاب خبرة قتالية سابقة. توجهت مجموعة لكسر المخازن واستخراج الأسلحة، وأخرى لجلب الذخيرة وتوزيعها، وأخرى لاستخراج ونصب الرشاشات الثقيلة والهاونات وهكذا. وبعد فترة عادت المجموعة المكلفة بإحصاء وجرد إصابات العدو وإصابات الإخوة، والنتيجة كانت مذهلة [15 قتيل أمريكي تقريبًا، 200 قتيل من المنافقين]. لم يبق منهم أحد حي، لا خسائر ولا إصابات بين المجاهدين، عدا الأخ الذي ألقى القنبلتين اليدويتين في البداية.

ثم تشاور الإخوة وقرروا الصمود داخل القلعة لأن العدو بدأ يتجمع في الخارج، والمدرعات والدبابات بدأت تحاصر القلعة، وصوت الطيران يستكشف المنطقة. بدأ الشباب المجاهد توزيع المهام الدفاعية على الجميع، متوقعين أن العدو سيبدأ عملية اقتحام القلعة، بعدما رأوا كثافة نيران الرشاشات والمدفعية الموجهة عليهم ونداءات طلب الاستسلام.

وإلى صباح اليوم التالي لم يحاول العدو الاقتراب من عرين الأسود، ولكن مع إشراقة الصباح بدأ قصف جوي شديد، وكذلك قصف مدفعي من الأرض، واستمر الأمر إلى المغرب، ولم يستطع الإخوة عمل شيء أكثر من إخلاء الجرحى للطابق السفلي، وكذلك تقليل الأعداد الموجودة في

محيط القلعة للدفاع ضد أي معتدي، واستمر ذلك طوال الليل، ولم يكن هناك من الطعام إلا القليل جدًا مع الماء، هدأ القصف ليلًا، ليعود مرة أخرى في الصباح بشدة أكبر مع محاولات لاقتراب دبابات، إلا أن الإخوة ردوها على أعقابها، ومع اشتداد القصف بدأ الدخان يتصاعد، والذخائر تنفجر، والدمار يتجاوز الطابق العلوي إلى الطوابق السفلية، ومع نهاية اليوم الثالث من القصف العنيف المستمر، كان أغلب الموجودين قد دفن تحت الأنقاض، أو جرح جروحًا بليغة، ولم ينج من الجرحى إلا من لجأ إلى الخنادق العميقة تحت الأرض.

دخل عدد من أفراد العدو القلعة خفية، ليتأكدوا من مقتل الجميع، وأعطوا إشارة للبقية بانتهاء المقاومة ومقتل الجميع، وعند اكتشافهم وجود عدد من الجرحى في الأنفاق، دخل اثنان من العدو لإخراجهم، فأخرج أخ مسدسه وقتل الاثنين، ورفض الجميع نداءات العدو للخروج من الأنفاق، ففتح عليهم الماء لإجبارهم على الخروج فلم يفلحوا، فبدأوا بإغراق هذه الأنفاق والملاجئ بالديزل والبنزين وأشعلوا فيها النار، عندها اضطر من بقي على قيد الحياة إلى الخروج لينجو من الحرق والاختناق.

وكان عدد من تبقى من هذه المذبحة 80 أخًا أغلبهم من الباكستانيين، وكان من بين الجرحى الأخ الأمريكي جون ووكر الذي أحرج وجوده بوش، فقد كان غير مصدق لوجود أمريكي في صفوف الطالبان.

وهكذا انتهت هذه الملحمة التي سطرها الشباب المجاهد، الرافض لهذا الهوان الذي تعيشه الأمة، وفضَّل لقاء ربه الكريم على حياة ملؤها الذل والخنوع، وما خاب وما خسر في اختياره، بل هو خروج من هذا السجن الكبير، إلى جنات الرضوان مع الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – وصحبه الكرام في أعلى عليين.

وبعد: **فهذه أحداث عايشناها ورأيناها، حفرت أخاديد عميقة في عقولنا وقلوبنا، أبطالها إخوة أفاضل سبقونا إلى ما كنا قد وضعنا أعيننا وتعاهدنا عليه، رضا الرحمن وجنات الرضوان، فنحن على طريقهم لن نكّل ولن نمّل، وقسمًا نبره؛ فقد بعنا، وقد اشترى الرحمن. صفقة لن نندم عليها أبدًا، نرويها لمن كان له قلب، وما زال به ذرة من إيمان أو رجولة أو نخوة لعل الله ينفعه بها. نسأل الله القبول، ولأمتنا الاستيقاظ والنهوض، ولشبابنا العودة إلى الطريق التي ارتضاها الله لنا**".

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الهادي العراقي

أخر ذو الحجة 1422هـ،

الموافق 14 مارس 2002م



الشيخ عبد الهادي العراقي (نشوان عبد الرزاق عبد الباقي)، فكّ الله أسره

عمليات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر:

إني لأشــــهد أنهــــم مــــن كـــل بتـــار أحـــدّ
يا طالمـا خاضـوا الصـعاب وطالمـا صـالوا وشـدوا
شـتان، شـتان بـين الـذين لـربهم باعـوا النفوسـا
البـاسمين إلى الـردى والسـيف يـرمقهم عبوسـا
الناصـبين صـدورهم مـن دون دعـوتهم تروسـا
إن أطبقـت سـدف الظـلام وعضـنا ناب أكـول
وديارنا طفحـت دمًـا ومضـى بـه البـاغي يصـول
ومـن الميـادين اختفـت لُمـع الأسـنة والخيـول
وعلـت علـى الأنّات أنغـام المعـازف والطبـول
هبـت عواصـفهم تـدك صـروحه ولـه تقـول
لـن نوقـف الغـارات حـتى عـن مرابعنـا تـزول[(219)]

بعـد بـدء القصـوفات الهسـتيرية علـى أفغانسـتان، وسـقوط الكثـير مـن القتلـى في أوسـاط المـدنيين، كان الشيخ أسامة رحمه الله، قد أدلى بتصريح مقتضب وجّهه للأمريكان قال فيه:

"ولـيس مـن الإنصـاف أن تهنـؤوا بالعـيش وإخواننـا في غـزة في أنكـد عـيش! وعليـه، فبـإذن الله غاراتنا عليكم ستتواصل ما دام دعمكم للإسرائيليين متواصلًا".

وكمـا عُهـد علـى الشـيخ أسـامة بأنـه لا يهـدد مـن فـراغ، وأن تهديداتـه وتصـريحاته الـتي كـان يـدلي بهـا، كانـت دائمًـا تُحمـل علـى محمـل الجـد. وبالفعـل كـان الإخـوة قـد رتّبـوا لعاصـفة مـن العمليـات المتزامنـة، تسـتخدم فيهـا الطـائرات حسـب مـا ذكـر الشـيخ أسـامة في تصـريحه، كـان مـن المفـترض أن تنفّذ بعد غزوتي نيويورك وواشنطن.

وكـان أبطـال هـذه العمليـات هـم، عبـد الجبّـار الجامـايكي (ريتشـارد ريـد) بريطـاني الجنسـية، وسـاجد مُحَمَّد بادات مـن أصـول هنديـة يحمـل الجنسـية البريطانيـة، وزكـريا موسـوي المكـنّى ب

(219) من كلمات الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

(صحراوي) ويحمل الجنسية الفرنسية. واستعدادًا لهذه العمليات، أخذ هؤلاء الإخوة عدّة دورات في المتفجرات، على يد خبير المتفجرات الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر رحمه الله.



الأخ عبد الجبّار الجامايكي

(ريتشارد ريد) فكّ الله أسره



الأخ ساجد مُحَّد بادات



الأخ صحراوي

(زكريا موسوي)

فكّ الله أسره

عملية الحذاء المفخخ في الطائرة الأمريكية في 2001/12/22م:

كان خطة هذه العمليات أن يستقل كل من الأخ عبد الجبّار والأخ ساجد طائرتين مختلفتين متجهتين إلى الولايات المتّحدة، وعندما تكون الطائرات في المحيط، يقوما بتفجير حذائيهما المفخخين بمواد متفجرة غير قابلة للكشف. وفي يوم 22 ديسمبر 2001م، ركب الأخ عبد الجبار من مطار باريس طائرة أمريكية كانت متوجهة إلى ميامي في أمريكا. ولم يشأ الله لهذه العملية أن تتم، فقد حاول بطلنا أن يشعل فتيل التفجير، غير أنه لم ينجح في ذلك بسبب الرطوبة، واشتمّ الركاب رائحة الاشتعال. ولما كانت الأجواء مشحونة بالرعب والخوف من جرّاء أحداث الحادي عشر، التي لم يمض على وقوعها سوى ثلاثة أشهر، لم يسعف الركاب الأخ عبد الجبّار فاشتبكوا معه وشلّوا حركته.

وأثناء محاكمة عبد الجبّار قال له القاضي: "أترى هذا العلم يا سيد ريد؟ هذا العلم يمثّل الحرية، وسيبقى يرفرف عاليًا بعد ذهابك أنت وأعوانك، أخرجوه". فردّ عليه عبد الجبّار قائلًا: "**هذا**

العلم سيسقط قبل يوم القيامة، ثمّ سيحكم الله بيني وبينك"، وقال أيضًا: "**لن أعتذر لكم، فأنتم قد قتلتم أكثر من مليونين من أطفالنا، واغتصبتم نسائنا. انا لستُ إرهابيًا، نحن في حرب معكم وانا جندي، ولائي للإسلام ولأسامة بن لادن**"[220]. نسأل الله العظيم أن يعجّل بفكاك أسره.

أما بالنسبة للأخ ساجد، فعندما سمع بفشل عملية الأخ عبد الجبار تملكه الخوف وأحجم عن خوض العملية، وقطع كل علاقة له بالإخوة المنسّقين معه في باكستان. وفي نوفمبر 2003م، تمّ إلقاء القبض على ساجد وحكم عليه في فبراير 2005م بالسجن ثلاثة عشر عامًا. ونظرًا لأنه انسحب من تنفيذ العملية، ووافق على التعاون مع المخابرات البريطانية والأمريكية، أطلق سراحه في مارس 2010م.

أمّا بالنسبة للأخ صحراوي، فقد كان من المفترض أن يقوم بتنفيذ عملية داخل الأراضي الأمريكية، لا ندري شيئًا عن تفاصيلها، غير أنه كان يتدرب على قيادة الطائرات في أحد مدارس التدريب في مدينة نورمان بأوكلاهوما، لكنه من المؤكد، كما تبين للأمريكان من التحقيقات، لم تكن له أي علاقة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وغير صحيح ما هو شائع عنه بأنه رقم عشرون، الذي كان من المفترض أن يكون ضمن المجموعة. ولم يشأ الله لصحراوي أن ينفّذ ما كان ينوي عليه، فقد أعتقل قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر في 2001/8/16م. نسأل الله العظيم أن يعجّل بفكاك أسره.

---

(220) الذئب الفردي عدو أمريكا. يحي المهاجر

عملية جربة في تونس 11 أبريل 2002م:



كنيس اليهود في جزيرة جربا جزيرة جربا بتونس

كانت عملية جزيرة جربة هي أول عملية على اليهود بعد أحداث 9/11، قام بتنفيذها الأخ سيف التونسي رحمه الله في 11 أبريل 2002م. وكان الأخ سيف نموذجًا للعزيمة والهمة العالية، والإصرار على بلوغ الهدف مهما طال الزمن، فقد كان يعمل لوحده لما يقارب الثلاثة سنوات، فبعد أن أخذ دورات خاصة في المتفجرات والالكترونيات، جُهّز جوازه باسم نزار، وغادر أفغانستان سنة 1999م إلى أوروبا، ودخل بعدها تونس كأنه مغترب عائد إلى بلده، فجمع المعلومات والمتفجرات، وجهز السيارة وقام بالتنفيذ على كنيس لليهود في جزيرة جربا، ليحصد لوحده رحمه الله، ستة عشر روحًا من اليهود، منهم أربعة عشر ألمانيًا وفرنسيان وثلاثين جريحًا.

ضرب ناقلة النفط الفرنسية العملاقة (لمبورج) في المكلا باليمن في 2002/10/6م.

تزامنًا مع الذكرى الأولى لغزوات الحادي عشر من سبتمبر، وفي عملية ناجحة خطط لها كل من الشيخ أبو علي الحارثي، والشيخ قاسم الريمي، وفوّاز الربيعي رحمهم الله جميعًا، وآخرون، تمكن بفضل الله وحده مجاهدو القاعدة في جزيرة العرب في 2002/10/6م، من ضرب ناقلة النفط الفرنسية الضخمة ليمبورج. وقام بتنفيذ هذه العملية الأخَوان ناصر عوض ناصر فرج الكِندي، المكنى (أبو خيثمة الحضرمي)، وحسين البدوي، المكنى (أبو الحارث البدوي) تقبلهم الله جميعًا.



الشيخ أبو علي الحارثي

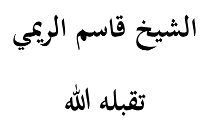
تقبله الله



الأخ فرقان (فوّاز الربيعي)

تقبله الله





الشيخ قاسم الريمي

تقبله الله



أبو خيثمة الحضرمي – تقبله الله



ناقلة النفط الفرنسيّة لمبورج

وكـان الشـيخ أسـامة بـن لادن رحمـه الله، بمناسـبة مـرور سـنة علـى بـدء الحـرب الصـليبية الأمريكيـة الجديدة قد أشاد في بيانٍ له بالعملية فقال:

" نهنـئ أمتنـا الإسـلامية بالعمليـات البطوليـة الجهاديـة الجريئـة، الـتي نفـذها أبناؤهـا مـن المجاهـدين الـبررة في الـيمن ضـد ناقلـة البـترول الصـليبية، وفي الكويـت ضـد قـوات الغـزو والاحـتلال الأمريكيـة. فقـد ضـرب المجاهـدون بتفجـيرهم لحاملـة البـترول في الـيمن الحبـل السـري، وخـط التمـوين والتغذيـة لشـريان حيـاة الأمـة الصـليبية، مـذكرين الأعـداء بثقـل فـاتورة الـدم، وفداحـة الخسـائر الـتي سـيدفعونها ثمنًا لاستمرار عدوانهم على أمتنا، ونهبهم لخيراتنا وثرواتنا.

إن تـزامن ضـرب هـدف عسـكريٍ بأهميـة قـوات المـارينز في الكويـت، وتفجـير هـدف اقتصـاديٍ بحجـم ناقلـة بـترول في الـيمن، وإصـدار بيـانات مسـموعة ومقـروءة مـن قيـادات طالبـان والقاعـدة، الـذين راهنـت أمريكـا علـى القضـاء علـيهم، تـزامن كـل ذلـك مـع مـرور سـنة علـى بـدأ الحـرب الصـليبية، لـيس مـن الصـدفة في شـيء، وإنمـا هـو رسـالة واضـحة وقويـة لكـل الأعـداء والأصـدقاء علـى حـد سـواء،

بأن المجاهدين بفضل الله ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، وأن الله رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا"[221].

أيضًا كان تنظيم القاعدة قد أصدر بمناسبة هذه العملية البيان التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

"بيان من تنظيم القاعدة حول تفجير ناقلة البترول الصليبية في اليمن

قال الله عز وجل: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة.

بعد أن ظنت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الصليبيون أنهم قد قضوا على خطر المجاهدين، وأمّنوا مصالحهم الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية في المنطقة، وأوهموا أنفسهم وشعوبهم في الداخل، وحلفاءهم والعالم في الخارج بذلك.

وبعد أن بذل نظام حكم الخيانة والعمالة في اليمن كل ما يستطيع وما لا يستطيع في ملاحقة ومطاردة واعتقال الشباب المسلم المجاهد في اليمن.

وتزامنًا مع مرور عام كامل على الحرب العالمية الصليبية على الجهاد والمجاهدين في العالم، ومرور حولين كاملين على تدمير المدمرة الأمريكية (يو أس أس كول) في ميناء عدن اليمني.

في هذا الوقت بالذات، وفي اليمن بالتحديد، وبمقربة من المكان الذي دمرت فيه المدمرة في عدن، وعلى مسافة ليست بعيدة من باب المندب ذي الأهمية الاستراتيجية، ضرب المجاهدون من جديد هدف استراتيجي صليبي هو ناقلة بترول تحمل علمًا فرنسيًا في الشواطئ اليمنية. وضرب هدف اقتصادي بهذا الحجم، وفي هذا الوقت، وفي مثل هذه الظروف، وبهذه الطريقة، له أكثر من دلالة ومعنى؛ فهو يعني فيما يعني:

أولًا: أن كل الجهود العسكرية والأمنية والسياسية وغيرها مما بذلته أمريكا وحلفاؤها لتأمين مصالحهم الاستراتيجية في المنطقة، ذهبت كلها أدراج الرياح.

---

(221) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

ثانيًـــا: أن المجاهــدين – بفضــل الله – لازالــوا يملكــون زمــام المبــادرة والقــدرة علــى مباغتــة العــدو، وضرب مفاصله ومقاتله الاستراتيجية، وفي الزمان والمكان المناسبين اللذين يحددانهما.

وسـواء كانـت القاعـدة هـي الـتي قامـت بهـذه الضـربة، او كـان غيرهـا مـن (قواعـد المجاهـدين)، الـذين ينتمـون لـنفس العقيـدة والفكـرة والمـنهج، فكلتـا الفرضـيتين سـيئة بالنسـبة للأمـريكيين وحلفـائهم مـن الصـليبيين، لأن فرضـية أن القاعـدة هـي الـتي قامـت بالهجـوم، تعـني أول مـا تعـني أن القاعـدة مازالـت قويـة، وقـادرة على الضـرب في نفـس المكـان الـذي ضـربت فيـه مـن قبـل، وأن كـل الهالـة الإعلاميـة الـتي أحـاط بهـا الامريكـان مـا يسـمونه (الحـرب علـى الإرهـاب)، ونجاحـاتهم الخارقـة في (استئصـال الإرهـاب والقضــاء علــى رؤوســه وقواعــده وجــذوره)، مجــرد دجــل إعلامــي، وتضــليل كلامــي تبخــر مــع أول سحب الدخان المتصاعدة من السفينة.

وإذا كـان غـير القاعـدة مـن المجاهـدين الـذين علـى منهجهـا هـم مـن قـام بالهجـوم، فـالأمر أخطـر، لأنـه يعـني ببسـاطة أن القاعـدة الـتي يتزعمهـا الشـيخ أسـامة بـن لادن، لـيس إلا قاعـدة مـن (قواعـد) عديدة منتشرة في هذه الأمة، وعلى امريكا وحلفائها الصليبيين أن يحسبوا لها ألف حساب.

وحـتى لا نقـدم استشـارة أمنيـة مجانيـة للعـدو، فلـن نحـدد لـه أي الفرضـيتين هـي الصـواب، ونتركـه يغـرق في كـل الفرضـيات والاحتمـالات الـتي تحاصـره منـذ سـنتين، دون أن يصـل إلى شـيء في قضـية تدمير المدمرة (يو أس أس كول).

ثالثًـــا: كمـا كشـفت العمليـة عـن جانـب مـن الخطـر الحقيقـي الـذي يمثلـه المجاهـدون للمصـالح الاسـتراتيجية الاقتصـادية والعسـكرية للعـدو الصـليبي، فـإذا كـان زورق بحـري لا يسـاوي ألـف دولار قـد اسـتطاع مـن قبـل أن يـدمر مـدمرة قيمتهـا الماديـة فـوق المليـار دولار، وقيمتهـا المعنويـة لا تقـدر بمقـدار، وكــان زورق مماثـل قـد اسـتطاع الفتـك بناقلـة بـترول بهـذا الحجـم، فلنـا أن نتصـور حجـم المخـاطر الـتي تهـدد عصـب الحيـاة الاقتصـادية الغربيـة، وهـو البـترول الـذي ترقـد المنطقـة علـى أكـبر احتياطاتـه، وتنـتج أكبر كمياته، وتضم أهم معابره وممراته.

إن عمليـة ضـرب ناقلـة البـترول الفرنسـية ليسـت ضـربة عـابرة لناقلـة عـابرة، بـل هـي ضـربة لخـط نقـل البترول الدولي بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

رابعًـــا: وفــوق الــدلالات الأمنيــة والعســكرية والاقتصــادية، حملــت العمليــة رســالة سياســية قويــة لحلفـاء واشـنطن في حربهـا وعـدوانها ضـد الأمـة الإسـلامية، بأنهـم لـن يبقـوا إلى الأبـد بمنـأى عـن يـد

انتقـام الله ثم المجاهـدين، وأن علـيهم إذا تمـادوا في هـذا التحـالف أن يسـتعدوا لـدفع ثمـن ذلـك فـاتورة ثقيلة من دمائهم ومصالحهم.

وهـذه رسـالة حملتهـا عمليـة ناقلـة البـترول هـذه للفرنسـيين، كمـا حملتهـا للألمـان عمليـة ضـرب المعبـد اليهـودي في تـونس الـتي قُتـل فيهـا بضـعة عشـر المانيًـا يهـوديًا. فعلـى الـذين لم يفهمـوا رسـالة تجنـب المجاهـدين للبـدء باسـتهدافهم أن يفهمـوا الرسـالة المقابلـة، ولازال خـط الرجعـة مفتوحًـا لمـن أراد إعادة النظر في موقفه قبل فوات الأوان.

وفي الختـام: فإننـا نبـارك للشـعب اليمـني البطـل هـذه العمليـة البطوليـة الرجوليـة الـتي يضـيفها لرصـيده الملـيء بالأمجـاد والجهـاد والاستشـهاد، الزاخـر بالبـذل والعطـاء، والتضـحية والفـداء؛ فقـد كـان أهـل الـيمن عـبر تاريـخ الإسـلام أخـف النـاس إلى الثغـور، وأسـرعهم لميـادين الجهـاد. وقبـور شـهداء الـيمن المتنـاثرة في جبـال أفغانسـتان، ووديان الشيشـان، وقـرى البوسـنة وغيرهـا مـن بـلاد الإسـلام، شـاهد بهذه الحقيقة.

ونحـن إذ نبـارك هـذه العمليـة، ونهنـئ بهـا الأمـة، فإننـا نـدعو الشـباب المسـلم في كـل مكـان للسـير علـى هـذا الطريـق، والمضـي في هـذا الـدرب، درب العـزة والكرامـة والشـهامة، والبطولـة والرجولـة، والجهاد والاستشهاد ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. الأنفال.

والله أكبر، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون.

(المكتب السياسي لتنظيم قاعدة الجهاد)

الأحد 6شعبان 1423هـ، الموافق 13 أكتوبر 2002م"

عملية على الجنود المارينز في جزيرة فيلكا بالكويت 8 أكتوبر 2002:

استجابة لأمـر رسـولنا ﷺ بإخـراج المشـركين مـن جزيـرة العـرب، ففـي 8 أكتـوبر 2002، قـام بطـلان مـن أبطـال الكويـت، همـا أنـس أحمـد الكنـدري وجاسـم مُحَمَّد الهـاجري - بالتـزامن مـع ضـرب ناقلـة البـترول الفرنسـية في (المكـلّا) بالـيمن - بالهجـوم علـى جنـود مـارينز أمريكـان، كـانوا يتـدربون على أرض جزيرة فيلكا الكويتية.



أنس الكندري، تقبّله الله



جاسم محمد الهاجري، تقبله الله



جزير فيلكا – بالأحمر

فبعد استطلاع الهدف، وتأكيد المعلومة المستطلعة قبل الهجوم، وتحديد الوقت المناسب للهجوم، بناءً على دقة المعلومة للبرنامج اليومي للجنود، الذين كانوا في حالة راحة واسترخاء يمارسون بعض الأنشطة الترويحية مجردين من أسلحتهم، قام البطلان باختراق جميع الأطواق الأمنية، والاحتياطات العسكرية، وأجهزة المراقبة الدقيقة، وفتحوا نيران أسلحتهم الرشاشة على الجنود، وأوقعوا في صفوفهم خسائر فادحة من القتلى والجرحى(222).

دلالات عملية فيلكا(223):

1- أكدت هذه العملية القدرة العسكرية الفائقة للمجاهد المسلم الذي أحسن التدريب وحمل السلاح، وأنه لا توجد قوة على الأرض تقف حائلًا أمامه عندما ينطلق لتأدية أمر الله تعالى في قتال أعدائه.

2- دكت العملية الرائعة النظرية الأمنية الأمريكية للمرة الثانية، بعدما غادروا البر العربي للإقامة في الجزر العربية بالمياه الإسلامية، وبهذه العملية تكتمل حلقة الرعب على التواجد الأمريكي في المنطقة، فقد ضربوا في البر، وسحقوا في الجو، وحُصدت أرواحهم في جزر البحر، وفي بارجاتهم العائمة، فأين يذهبون؟

(222) من بيان تنظيم القاعدة حول عملية جزيرة فيلكا الكويتية. بتصرّف.

(223) من مقال بعنوان: شفاء صدور المؤمنين [بين يدي العمليات في المكلا وفيلكا وبالي] بقلم: سالم المكي.

3- كما أكدت على رداءة الجندي الأمريكي، وضعف مستواه التدريبي من خلال رد فعلهم الضعيف إزاء عملية الإغارة المباغتة في المكان والزمان، ومن رجلين إثنين فقط من أبطال الأمة، أسالوا نهرًا من دماء عدوهم.

4- انتصار الإرادة الإسلامية للشعب الكويتي على محاولة تغريبه وإفقاده هويته الإسلامية من قبل الولايات المتحدة، مؤكدين بنموذج مثالي في التضحية والفداء، أن صد الهجوم الأمريكي الصليبي على العراق يبدأ من الكويت، في تجسيد رائع لوحدة الأمة.

5- بينت واقع الاحتلال الأليم، وقاع الذل المهين الذي ترزح فيه الأنظمة الحاكمة المتجبرة على شعوبها، المذللة لخدمة أعداء الله، في صورة مخزية حينما انبطحت وحدات الأمن الحكومية الكويتية على بطونها، وجُردت من أسلحتها على أرضها، ومُنع دخول وزيري الدفاع والداخلية للنظام الحاكم، ولا عزاء للسيدات.

6- أنّ الولايات المتحدة تسير من فشل لفشل، ومن حفرة لمنحدر، وأن العداء لهم استشرى في جسد الأمة مما يؤكد أن أمتنا بخير، وشعوبنا واعية ومستعدة أن تبذل مهجها خلف نخبها الصادقة وقادتها المخلصين. فإلى قادة الجماعات والتنظيمات الإسلامية: خذوا بيد أمتكم لعز الدنيا والأخرة.

تدمير الملهى الليلي في بالي بأندونيسيا في 2002/10/12م.

كان الشيخ أسامة رحمه الله – في مقابلته مع مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بتاريخ 2001/10/7م – قد أرسل تهديدًا قوي اللهجة لكل الدول التي تشارك الرئيس الأمريكي بوش في حملته الصليبية على أفغانستان بأن تراجع حساباتها. وكان من بين هذه الدول التي خصّها الشيخ أسامة بالذكر أستراليا، فقال:

" والحرب كما وُعدنا بها وما هي قائمة بالأساس اليوم بيننا وبين اليهود، فأي دولة تدخل في خندق اليهود، فلا تلومن إلا نفسها. وإن كان الشيخ سليمان أبو غيث صرح في بعض تصريحاته السابقة خصّ أمريكا وبريطانية، فهذا ليس للحصر، وإنما إعطاء فرصة للدول الأخرى تراجع حساباتها. فما شأن اليابان وشأننا؟ من الذي يدخل اليابان في هذه الحرب الصعبة، القوية، الشرسة، في اعتداء سافر على أبنائنا في فلسطين؟ ولن تحتمل اليابان أن تدخل معنا في حرب،

فلها أن تراجع نفسها. ما شأن أستراليا في أقصى الجنوب وحال هؤلاء المستضعفين في أفغانستان، وحال المستضعفين في فلسطين؟"[224].

ولما لم ترعو استراليا، كان لا بد من معاقبتها بتطبيق المعادلة الصحيحة التي أقرها الشيخ أسامة في كثير من رسائله: **كما تَقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وكما تهدرون أمننا نهدر أمنكم، والجواب ما ترون لا ما تسمعون**. فكانت عمليات جنوب شرق آسيا التي خطط لها مسئول العمل الخارجي، البطل خالد الشيخ مُحَّد - فكّ الله أسره - بالتعاون مع أبطال إندونيسيا. وكان الهدف هو منتجع بالي في منطقة كوتا السياحية، الذي يرتاده كثير من السياح الأستراليين، وغيرهم من رعايا الدول الأوربية المشاركة في الحملة الصليبية.

ففي يوم 12 أكتوبر 2002م، وقع أكبر هجوم في تاريخ إندونيسيا، حيث قام الأخ الاستشهادي بتفجير عبوّته المحمولة في حقيبة ظهره داخل ملهى بادي الليلي (أيضا يسمّى حانة بادي الآيرلندية)، مما تسبب في العديد من الإصابات. وعندما سارع المتواجدين داخل الملهى إلى الفرار إلى الشارع، كان بانتظارهم سيارة ميتسوبيشي مفخخة، انفجرت خارج ملهى ساري المقابل لملهى بادي، بعد عشرين ثانية من الانفجار الأول. أسفر الهجومان عن مقتل 202 شخصًا (بينهم 88 أسترالي، 27 بريطاني، 7 أمريكان، 6 سويديين)، وبلغ عدد الجرحى 209 شخصًا، وشفى الله صدور المؤمنين.

وبعد شهر من عمليات بالي، أرسل الشيخ أسامة رحمه الله بتاريخ 7 رمضان 1423هـ، الموافق 12 نوفمبر 2002م، رسالة إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية، جاء فيها:

من عبد الله أسامة بن لادن، إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية الظالمة.

السلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

" **فإن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل**، وإن ما حدث منذ غزوتي واشنطن ونيويورك إلى يومنا الحالي:

- كقتل الألمان في تونس،

(224) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

- والفرنسيين في كراتشي،
- وتفجير الناقلة العملاقة الفرنسية في اليمن،
- والبريطانيين والأستراليين في جزيرة بالي،
- وعملية موسكو الأخيرة،
- وقتل المارينز في فيلكا،
- مع بعض العمليات المتفرقة هنا وهناك،

ما هو إلا رد فعل، وتعامل بالمثل قام بها أبناء الإسلام الغيورون ذودًا عن دينهم، واستجابةً لأمر ربهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام.

إن ما يقوم به بوش فرعون العصر من قتل لأبنائنا في العراق، وما تقوم به إسرائيل حليفة أمريكا بقصف المنازل بمن فيها من شيوخ وأطفال ونساء بالطائرات الأمريكية في فلسطين، كان كافيًا للعقلاء من حكامكم للابتعاد عن عصابة الإجرام هذه، فأهلنا في فلسطين يُقتلون ويُسامون سوء العذاب منذ قرن من الزمان تقريبًا.

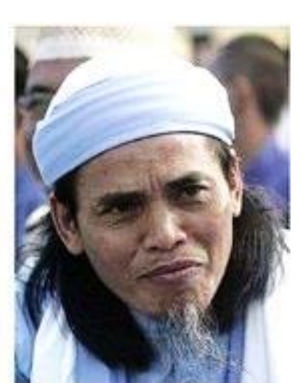
فإذا دافعنا عن أهلينا في فلسطين قام العالم واضطرب، وتحالف ضد المسلمين تحت مسمى مكافحة الإرهاب بغيًا وزورًا. فما شأن حكوماتكم للتحالف مع عصابة الإجرام في البيت الأبيض ضد المسلمين، أما تعلم حكوماتكم أن عصابة البيت الأبيض هم أكبر سفاحي العصر!

فهذا رامسفيلد جزار فيتنام، قتل مليونين من البشر فضلًا عن الجرحى، وها هما تشيني وباول فعلا من القتل والدمار في بغداد أكثر مما فعله هولاكو. فما شأن حكوماتكم بالتحالف مع أمريكا في الهجوم علينا في أفغانستان، وأخص بالذكر بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا وألمانيا **وأستراليا**.

وأستراليا هي تلك التي حذرناها من قبل عن مشاركتها في أفغانستان، فضلًا عن سعيها المذموم في فصل تيمور الشرقية، فتجاهلت التحذير، إلى أن استيقظت على أصوات الانفجارات في بالي، ثم زعمت حكومتها بهتانًا وزورًا أنهم غير مستهدفين.

فإن ساءكم النظر إلى قتلاكم وقتلى حلفائكم من الرجال في تونس وفيلكا وبالي وكراتشي وعمان، فتذكروا قتلانا من الأطفال في فلسطين والعراق يوميًا، وتذكروا قتلانا عن عمد في الأفراح والأعراف في أفغانستان"[225]. ا. هـ

وشاءت إرادة الحكيم الخبير أن يقع بعض القائمين على عملية بالي في الأسر، كان منهم علي أمروزي، وهدى بن عبد الحق، وإمام سامُدرا، وفيما بعد حكمت عليهم محكمة الطاغوت بالإعدام رميًا بالرصاص. أمّا نور الدين مُحَّد توب، فقد قتل مع ثلاثة آخرين بعد مقاومة شرسة لمداهمة تمت عليهم في 19 سبتمبر 2009م، نسأل الله أن يتقبلهم جميعًا في أعالي الجنان.







علي أمروزي بن حجّي نور حسين تقبّله الله

هدى بن عبد الحق تقبّله الله

نور الدين مُحَّد توب تقبّله الله

إمام سامُدرا تقبّله الله

أبطال عملية بالي تقبّلهم الله

ضربات اليهود في شرق افريقيا؛ إطلاق صاروخين على طائرة إسرائيلية وتدمير فندق إسرائيلي في 23 رمضان 1422هـ الموافق 2002/11/28م:

بعد نجاح عملية تفجير المدمرة الأمريكية كول، وافقت هذه المرحلة أحداث عالمية بالغة الأهمية والأثر على العالم الإسلامي، كان في طليعتها اشتعال الانتفاضة الفلسطينية، وانتقالها من مرحلة

(225) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

ثـورة الحجـارة إلى مرحلـة العمـل المسـلح والعمليـات الاستشـهادية. وبنـاء علـى ذلـك قـرر الشـيخ أسـامة – رحمـه الله – مواصلـة الضـربات في شـرق افريقيـا، وتوجيههـا هـذه المـرة علـى اليهـود. فكلـف الشـيخ أسـامة الأخ هـارون فضـل القمـري للقيـام بهـذه المهمـة، فاختـار الأخ هـارون رحمـه الله، بعـض الإخـوة ليكونـوا ضـمن خليتـه الـتي بلـغ عـددها 11 أخـاً، كـان مـنهم الأخ أبـو يوسـف التنـزاني المعـروف بـ(صالح نبهـان)، وأبـو الحسـن الكيـني، وطلحـة السـوداني، الـذي كلـف فيمـا بعـد بتـولي قيـادة العمـل في شرق افريقيا، رحمهم الله جميعًا.



الأخ هارون فضل

تقبله الله



الأخ طلحة السوداني

تقبله الله



الأخ صالح نبهان

تقبله الله

وكانـت المهمـة تقضـي بأن يقـوم الشـباب بضـرب مراكـز ومصـالح اليهـود المنتشـرة في منطقـة شـرق افريقيـا، ردًا علـى مقتـل الطفـل الشـهيد مُحَمَّد الـدّرة في حضـن والـده أمـام عدسـات القنـوات الفضـائية. والجـدير بالـذكر، أن الإخـوة منفـذي عمليـة نـيروبي في كينيـا عـام 1998م، كـانوا يريـدون اسـتهداف السـفارة اليهوديـة بجانـب السـفارة الأمريكيـة، ومـا مـنعهم مـن القيـام بـذلك إلا وجـود مدرسـة أطفـال كينيّين بجوار مبنى السفارة.



الطفل الفلسطيني مُحَمَّد الدّرة يحتمي بظهر والده قبل لحظات من مقتله

وكانت الأهداف بعد رصدها ودراستها، عبارة عن استهداف طائرة العال اليهودية بصاروخين سام 7، بالتزامن مع استهداف فندق بارادايس الذي كان ينزل فيه اليهود. وكانت طائرة العال تقوم برحلتين في الأسبوع في موسم السياحة في كينيا، حيث كانت تأتي بسياح يهود وتأخذ آخرين، وكلهم كانوا ينزلون في نفس الفندق.

وفي يوم الخميس 23 رمضان 1422هـ، الموافق 2002/11/28م سجد الإخوة لله شكرًا، فقد أذاعت البي بي سي سواحيلي خبرًا مفاده أن سيارة مفخخة اقتحمت منطقة الاستقبال في فندق بارادايس، وانفجرت أثناء وجود 150 إسرائيليًا في الاستقبال. وكان منفذ عملية الفندق هو الأخ أبو سعيد الكيني رحمه الله. أمّا المحاولة الثانية، فكانت عملية استهداف الطائرة الإسرائيلية العال أثناء إقلاعها من مطار ممباسّا، لكن الصواريخ أخطأت الهدف[226]. وكان تنظيم القاعدة قد أصدر بيانًا حول العملية جاء فيه:

(226) الحرب على الإسلام. هارون فضل. رحمه الله.

"بيان من تنظيم القاعدة

حول عمليتي مومباسّا الكينية ضد اليهود

الحمد لله القائل: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

في هذا الشهر الكريم، وفي هذه العشر المباركة الأخيرة منه، نتوجه إلى أهلنا في فلسطين أولًا، وإلى أمتنا الإسلامية ثانيًا، بالتهنئة والتبريك والتي تعمدنا تأخيرها لتتزامن مع عمليتي مومباسّا الكينية – ضد المصالح الإسرائيلية – فتكون التهنئة ذات معنى في ظل الظروف التي تعانيها الأمة على أيدي أعداءها من الصليبيين واليهود.

فمن نفس المكان الذي ضرب فيه (التحالف الصليبي اليهودي) قبل أربع سنوات، وبالتحديد في نيروبي ودار السلام ضد سفارتي أمريكا، ها هم المجاهدون من (تنظيم القاعدة)، يعودون مرة أخرى ليوجّهوا ضربة موجعة لهذا التحالف الغادر، ولكن هذه المرة ضد اليهود، موصلين لهم بذلك رسالة مفادها: أن ما تمارسونه من إفساد في الأرض، واحتلال لمقدساتنا، وأعمال إجرامية ضد أهلنا في فلسطين من قتل للأطفال، والنساء، والشيوخ، وهدم للمنازل، وقلع للأشجار، وحصار جائرٍ، لن يمر دون عمل يماثله في النوع، ويفوقه في التأثير بإذن الله. فمقابل أطفالنا أطفالكم، ومقابل نسائنا نساؤكم، ومقابل شيوخنا شيوخكم، ومقابل بيوتنا صروحكم ومعالمكم، ومقابل حصار اللقمة والعيش، حصار الرعب والخوف، نلاحقكم به بإذن الله أينما كنتم برًا وبحرًا وجوًا.

لقد صدق المجاهدون بما عاهدوا الله عليه من نصرة دينه، ووفّوا لأمتهم ما قطعوه على أنفسهم من إعزازها ورفع الذل والمهانة عنها، وذلك بتوجيههم ضربات موجعة، وعمليات موفقة بفضل الله عز وجل، ضد (التحالف الصليبي اليهودي) الغادر، حيث قاموا ولله الحمد من قبل ومن بعد، بـ:

1- تدمير السفارة الأمريكية في نيروبي.

2- تدمير السفارة الأمريكية في دار السلام.

3- تدمير المدمرة الأمريكية (كول) في عدن.

4- تدمير برجي التجارة العالمي في نيويورك.

5- تدمير القلعة العسكرية الأمريكية (البنتاغون)

6- خطف طائرة الركاب الأمريكية في (بنسلفينيا)، والتي كانت متوجهة إلى الكونجرس الأمريكي.

فجن بذلك جنون أمريكا بعد ما أصابتها حالة من الهول والذعر والذهول لما ترى وتسمع، ولم تتحمل ما أصابها وهز كيانها، وأُسقطت هيبتها إلى الأبد، فأرغمت العالم كله على الانضواء تحت رايتها، وضمن فسطاطها، فشن بوش حملته الظالمة - والتي لم يشهد التاريخ لها مثالًا لا في القديم ولا في الحديث - على هذه العصبة المؤمنة المجاهدة، والدولة الإسلامية الفتية، ظانين بذلك أنهم قادرون على إطفاء جذوة الجهاد، والقضاء على جند الله.

وتحول العالم كله إلى مكتب من مكاتب إدارة الاستخبارات الأمريكية، تلاحقهم فوق كل أرض وتحت كل سماء، ونسي هؤلاء أن العقيدة الإسلامية إنما تقوى وتشتد وتتجذر عند الشدائد والمحن والكروب، وهذا ما برهنه المجاهدون واقعًا عمليًا حيث استطاعوا - بفضل الله تعالى - توجيه ضرباتهم، وشن هجماتهم خلال عام من الملاحقات والمطاردات والتضييق، فحاولوا ونفذوا منذ انطلاق الحملة الصليبية على افغانستان في منتصف رجب 1422هـ إلى يومنا هذا، العمليات الآتية:

7- عملية جربا ضد المعبد اليهودي في تونس.

8- الحذاء المفخخ في الطائرة الأمريكية.

9- ضرب العسكريين الفرنسيين في باكستان.

10- ضرب ناقلة النفط العملاقة في (المكلا) باليمن.

11- قتل الجنود المارينز في جزيرة فيلكا بالكويت.

12- تدمير الملهى الليلي في بالي، وما صاحبه من عمليات أخرى في نفس اليوم بإندونيسيا.

13- عمليتي مومباسّا في كينيا ضد المصالح اليهودية (إطلاق صاروخين على طائرة إسرائيلية وتدمير فندق إسرائيلي).

14- عشرات العمليات في أفغانستان وأماكن أخرى غيرها في بقاع شتى من العالم.

15- وعمليات أخرى لم تذكر لاعتبارات خاصة.

مؤكدين بأن ضرباتهم ستتواصل بإذن الله عز وجل، ليعلم العالم بأسره أن الحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين قد باءت بالفشل، فلن تنجح، ولن تؤتي أكلها وثمارها كما يشتهي مسعروها من اليهود والصليبيين؛ لأنها باختصار حرب بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين العدل والظلم، وأن الله ناصرٌ لهذا الدين، ومؤيدٌ لعباده المجاهدين.

إن عمليتي مومباسّا – في كينيا ضد أهداف إسرائيلية – تأتي في هذا الوقت بالذات، لتؤكد عددًا من الحقائق المهمة والدلالات الخاصة فمن ذلك:

1- أن المجاهدين نجحوا في الوصول إلى هدفهم المختار – بعناية فائقة ولله الحمد – في وقت يقف العالم بأسره شرقه وغربه ضدهم، بل ويطاردهم في كل بقعة من الأرض، مما يدل على هشاشة هذه الحملة وتفككها ووقوفها عاجزة أمام تحركات وهجمات المجاهدين الموفقة بفضل الله.

2- كما تأتي هاتين العمليتين، لتقضي على كل أحلام (التحالف اليهودي الصليبي) في تأمين مصالحهم الاستراتيجية في هذه المنطقة، وتؤكد على فشل أمريكا وحلفائها الذين حشدوا أساطيلهم البحرية الضخمة لتطويق ومحاصرة القرن الأفريقي، بهدف مطاردة المجاهدين في هذه المنطقة، ومنعهم من التسلل إليها، أو إيصال الإمدادات لهم، وضمان عدم تكرار مثل هذه الهجمات التي طالتهم قبل أربع سنوات.

3- كما تأتي هاتين العمليتين – بفضل الله لتصفع الموساد الإسرائيلي صفعة أخرى – كما صفعته في ضرب المعبد اليهودي في جربا، وكما صُفعت جميع أجهزة الأمن الأمريكية من قبل – لتقضي على أسطورته وصورته التي أرهب بها العالم، من قدرته على الاختراق والوصول لمن يريد، ولتقطع الذراع التي أعلن شارون أنها ستطال كل من يحاول العبث بأمن إسرائيل داخليًا وخارجيًا.

4- كما تأتي هاتين العمليتين، لتضع ألف علامة استفهام وتعجب أمام دول هذا التحالف، والذي أنفق المليارات على برامج حماية الطائرات من الداخل، وإذا به يواجه عاصفة المجاهدين من الخارج فأنى له بهذه؟

5- كما تأتي هاتين العمليتين، لتؤكد على أن الشعوب التي تدفع بالسفاحين والقتلة ومجرمي الحروب إلى سدة الحكم –كما يفعل الأمريكان واليهود وغيرهم – ستتحمل تبعات أفعالها ورغباتها، ولن تفلت من الانتقام الإلهي على أيدي عباده المجاهدين، وجديد أدلتنا الملموسة على ما نقول، ما حدث في بالي وما تبعه من تداعيات أقضّت مضاجع أعداء الأمة في كل مكان.

6- كما تأتي هاتين العمليتين، لتبشر المسلمين في كل مكان بأن المجاهدين: مع أهلهم في فلسطين متضامنين، وعلى الطريق ماضين، ولِما يُصيبهم في سبيل الله محتسبين، وعلى رفع الذل عن أمتهم عازمين، وأنهم وبفضل الله وحده مازالوا يملكون زمام المبادرة والقدرة على مفاجأة العدو، وضرب مفاصله الحيوية في الزمان والمكان المناسبين اللذين يحددانهما.

7- وتأتي هاتين العمليتين أخيرًا، لتعلن أن الأمة – عربها وعجمها، سودها وبيضها – قد وقفوا وقفة رجل واحد في وجه هذا العدو، وأمام هذه الهجمة المعلنة ضد المسلمين.

ونحن هنا ندعوا كل إخواننا أصحاب السواعد السمراء في هذه القارة – وهم أكثر الشعوب معاناة من الاستعمار الذي اغتصب أراضيهم، وسلب خيراتهم، وجعلهم سخرة له، وحرمهم من أبسط حقوق البشر – أن يحذوا حذو أبطال عمليتي مومباسّا، فيجعلوا الأرض جحيمًا تحت أقدام المحتلين من اليهود والصليبيين.

وختامًا: فإننا ندعوا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، كما ندعوهم لتحمل مسئولياتهم كاملة أمام هذه الهجمة – الصليبية اليهودية – والتي تهدف أول ما تهدف إلى استئصال المسلمين، وطمس عقيدتهم، واحتلال ديارهم، وسلب خيراتهم وثرواتهم، وأن يعلموا حقيقةً أنهم قادرون على فعل شيء ضد هذا العدو، فعقدة (الضحية) والتي صاحبتنا أكثر من قرن قد ولّت بلا رجعة، وسنوات التيه والهزيمة، التي أراد عدونا أن نعيشها، قد تحولت بإذن الله إلى أيام نصر وعز وتمكين. ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ المائدة.

وما قدمه لكم إخوانكم من براهين من خلال عملياتهم، وما دفعوه من دمائهم، وما بذلوه من أموالهم وأوقاتهم، لدليل كاف على قدرة هذه الأمة على العطاء والمواجهة والصمود والانتصار بأذن الله. ولا يفوتنا في هذه المناسبة المباركة، أن نذكر المسلمين من خطورة الوقوع في خطيئة الرضا بما تعدّه أمريكا وحلفاؤها ضد الشعب العراقي المسلم، وعليهم أن يهبوا لنصرة إخوانهم بما يملكون، وأن لا يسمحوا بموطئ قدم لمحتل أمريكي على أراضيهم، وأن يقاوموه بشتى الوسائل والطرق، حتى يشعر أنه على أرضٍ لا تسعه، وتحت سماءٍ لا تظله، وبين شعوبٍ تعاديه وتمقته.

والله أكبر، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون(227)". ا. هـ

ما تقدّم ذكره من عمليات، ما هو إلا غيض من فيض لعشرات العمليات في أفغانستان، وأماكن أخرى في بقاع شتى من العالم، وعمليات أخرى لم تذكر لاعتبارات خاصة. وتأتي هذه العمليات العظام، لتؤكد ما ذكره الشيخ أسامة في قسمه الشهير بأنكم أيها الأمريكان لن تحلموا بالأمن قبل أن نعيشه واقعًا في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع جيوشكم الكافرة من أرض مُحَمَّد صلي الله عليه وسلم. وما أشبه هذا القسم بمقولة الصحابي الجليل خالد بن الوليد لأهل مدينةٍ أغلقوا حصونهم في وجهه، فقال لهم: "أين تذهبون منا؟ والله لو صَعدتم إلى السُحب لأصعَدَنا الله إليكم أو أَمْطَرَكم علينا".

ومن خلال النقاط التالية سنمر في نشوة النصر على ما تحقق من نتائج تلك العمليات(228):

1- نجاح دعوة الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، في إشعال خط التماس في أرجاء المعمورة بين الحلف الإسلامي من رجال الأمة وطليعتها المباركة (القاعدة)، وبين التحالف اليهودي الصليبي المتسلط على مقدسات المسلمين وثرواتهم.

2- أكدت على مستوى الوعي الرائع لشباب الأمة في انطلاقتهم للفتك بعدوهم، وعدم استنزافهم في معارك جانبية مع الأذناب والمرتدين. فتوحيد الهدف، وحشد الجهود، وصرف الطاقات للعمل عليه، من أهم المبادئ العسكرية لمن درس علم الحرب، وأتقن فنها.

3- أن شجرة التدريب التي غرس فسيلتها تنظيم القاعدة في معسكراته بأفغانستان، قد نمت في قلوب الشباب المسلم، وآتت ثمارها في أرجاء العالم. فهذه القوافل التي تمحق الباطل، تَخرّج أغلبها من معسكر الفاروق.

4- بينت القاعدة بمحاولة ضرب طائرة أمريكية في بلاد الحرمين، وتفجير المعبد اليهودي في تونس، والفتك بسفينتين في اليمن، والهجوم على قاعدة فيلكا في الكويت، ونسف دور اللهو

---

(227) أرشيف البتّار.

(228) مقال بعنوان: شفاء صدور المؤمنين [بين يدي العمليات في المكلا وفيلكا وبالي] بقلم: سالم المكي.

والفجـور في إندونيسـيا، أن لا حـرج لـدى القاعـدة في الضـرب داخـل الأراضـي الإسـلامية والعربيـة على حد سواء، طالما أن الهدف لم يخرج عن التحالف اليهودي الصليبي.

5- أن الآلـة الأمنيـة الأمريكيـة ومخابراتهـا، بكافـة أنواعهـا وأقسـامها القـديم منهـا ومـا اسـتحدثوه بعـد غـزوة سـبتمبر المباركـة، مـا هـي إلا تهويـل إعلامـي وأكذوبـة كـبرى، لا تنطلـي علـى الصـادقين مـن أبناء الأمة المقبلين على الله بقلوبهم.

6- أن الحملـة الأمريكيـة علـى القاعـدة في أفغانسـتان قـد نقلـت القاعـدة نقلـة نوعيـة خطـيرة، حيـث اختفـى جسـمها البـارز في أفغانسـتان، وتحولـت مـن التمركـز في مكـان معـروف إلى بـرنامج سـري معقـد، ومشـاريع شـهادة منتشـرة في كـل أرجـاء المعمـورة، وأن القضـاء علـى القاعـدة بات أمـرًا مسـتحيلًا، ولتحصـد الإدارة الأمريكيـة حماقاتهـا. قـال تعـالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ النور.

7- أن القاعــدة نجحــت في تصــدير فكرهــا الأصــيل النــابع مــن عقيــدتها الإســلامية، ليكــون البضـاعة الرائجـة لـدي الأمـة الـتي قبلتهـا وحملـت الرايـة بعقـل واع وقلـب مطمـئن، وانطلقـت بهـا في أصقاع الأرض تدك الباطل وتحصده.

8- أن القاعـدة نجحـت في إسـقاط الهيبـة الأمريكيـة مـن قلـوب أبنـاء الأمـة، كمـا أنها بصـرت الأمـة بنقاط ضعف عدوها، واساليب ضربه وإنهاكه، وسبل القضاء عليه. ا. هـ

الحرب الفكرية:

وبجانب تلك الحرب الشرسة التي يخوضها المجاهدون مع أعدائهم، كذلك يخوضون نوعًا آخر من الحروب الفكرية، متمثلةً تارّة في شبهات المتراجعين عن الجهاد باسم المراجعات، وتارّة أخرى في الغمز واللمز والتجريح، وذبح الحقيقة، وتذوير الوقائع المسموع والمقروء الذي يصدر أحيانًا من بعض رموز العمل الجهادي.

يقول الشيخ عبد اللهِ بْن نَاصِرِ الرَّشيد في كتابه هشيم التراجعات:

" بعث الله عز وجلّ رسله بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدِّينِ كلِّه ولو كره الكافرون، وجعل دون ظهور الدين ونصر المؤمنين ابتلاءاتٍ وتمحيصًا لحكمةٍ بالغةٍ منه، وما خلق الله الموت والحياة إلاّ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. ولئن تاقت نفوس المؤمنين إلى النصر واستعجلوه، فإنّ لله في تأخيره حكمًا عظيمةً، ولطفًا منه بعباده المؤمنين، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾، فلو توالت الانتصارات فلم تتوقف وكان اليوم خيرًا من أمس، والغد خيرًا من اليوم، لدخل الصف الموحّد من ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾، و﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

والله أمر بالطاعة والعبادة في الأحوال المختلفة، من المنشط والمكره والعسر واليسر، وهو عزّ وجلّ يُحبُّ أعمالًا في مواطنَ من مواطنِ اليسر، وأخرى في مواطن من مواطن العُسر، فشاءت حكمته أن يتقلّب عبادُهُ بين حالي العسر واليسر، والرخاء والضُّرّ، ليعلم سبحانه الشاكرين الصابرين...

وإذا كان هذا في العبادة عمومًا، فإنَّ ذروةَ السَّنامِ وسياج الإسلام: الجهاد في سبيل الله الذي ميزَ بما فيه من القرح والبأس والشدّة والألم والجراحة والقتلِ والأسرِ، مع نقص الأموال والثمراتِ، وتلف الأنفسِ وفقدانِ كثيرٍ مما تألفه النفس وترى أن لا غنى عنه، إنَّ هذه الشعيرة العظيمة النفيسة لأبينُ موطنٍ تظهرُ فيهِ هذه العبوديَّةُ ويُخاطب المكلَّف فيها بالصبر على الحالين، فقد أُمر الناس ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾).

وفي حالٍ كهذه الحال، وعبادةٍ كهذه العبادةِ، لا يُستغرب تراجع من يتراجع، ونكوصُ من ينكُصُ، ولولا ذلك لما كان للابتلاء والفتنة معنىً، ولما كان للصابرين الصادقين في الفتن والابتلاءات ميزةٌ عن غيرِهم". ا. هـ

يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله، في كتابه فرسان تحت راية النبي:

" هدفت حملة البطش منذ اغتيال أنور السادات إلى كسر إرادة الحركة الإسلامية، وخاصة نواتها الصلبة المتمثلة في الجماعات الجهادية. وقد اتخذت هذه السياسة منحىً تصاعديًا خطيرًا منذ تسلم زكي بدر لوزارة الداخلية، حيث بدأ يتبجح علنًا، بأن علاج الجماعات الإسلامية هو **الضرب في سويداء القلب**.

وكان هدف حملة البطش واضحًا، ألا وهو **زرع اليأس في قلوب الشباب المسلم، وإيهامهم بأن أية مقاومة لا جدوى منها، ولن تؤدي بأصحابها إلا إلى الكوارث والنكبات، وأن السبيل الوحيد هو الاستسلام**. وكان السكوت عن الرد على هذه الحملة نتيجته المؤكدة هو فقدان الحركة الإسلامية لثقتها في نفسها، وتراجعها إلى الخلف والانزواء والصمت والعودة إلى عهد الرعب الناصري، وكان هذا **التيئيس من جدوى أية مقاومة، هو حجر الزاوية في سياسة التوسع اليهودي في المنطقة**. فقد أدرك اليهود **أن قمع المقاومة المضادة لهم، لن ينجح ألا إذا زرعوا روح اليأس في نفوس المسلمين**". ا. هـ

لقد فقه اليهود من أين تؤكل الكتف، ونجحوا مع وكلائهم في المنطقة، عبر سياسة البطش والضرب في سويداء القلب، في زرع روح اليأس في نفوس بعض الجماعات الجهادية، وبعض رموزها من جدوى أي مقاومة. ونتيجة لذلك، أعلنت تلك الجماعات وأولئك الرموز استسلامهم باسم المراجعات، فخرجت إلى العلن ما عرف بتراجعات الجماعة الإسلامية، كذلك خرجت وثيقة " ترشيد العمل الجهادي" للدكتور فضل (سيد إمام) حفظه الله، كذلك تراجع بعض المشايخ الذين كانوا سندًا قويًا للجهاد والمجاهدين، نسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم، أن يردّهم جميعًا إلى الحقّ ردًّا جميلًا.



الدكتور فضل (سيّد إمام) حفظه الله

وخلاصة هذه التراجعات، هي:

التبرؤ من إخوانهم المجاهدين، وتشكيكهم في منهجهم، وإخراجهم من ميدان المواجهة بحجة العجز والضعف، وبحجة عدم توفر مقومات الجهاد، وبحجة اليأس من إمكان الحركات الجهادية من أن تحدث أي تغيير(229).

ومما لا يخفى على كل ذو لبٍ، أن هذه التراجعات تخدم بالدرجة الأولى مصالح وأهداف اليهود والصليبيين. يقول روهان جواناراتنا(230)

" لا بد من توجيه رسالة؛ أن القاعدة ومنظماتها المشاركة لها ليست منظمات قرآنية، وأنها تمثل نسخة فاسدة من الإسلام عن طريق إساءة تفسير وإساءة تمثيل القرآن والنصوص الأخرى. ولا يمكن أن يقل التهديد الإرهابي الحالي والناشئ، إلا **بمجابهة اعتقاد أن المسلم الصالح يجب أن يجاهد**". ا. ه أي أنه يطالب بإسقاط ومحاربة فرضية الجهاد العينية في هذا الزمان ضد الغزاة

(229) تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرّف.

(230) روهان جواناراتنا هو رئيس المركز الدولي لبحث العنف السياسي والإرهاب في معهد الدفاع والدراسات الاستراتيجية في سنغافورة، وزميل أكبر في مركز مكافحة الإرهاب التابع للجيش الأمريكي. وهو صاحب كتاب (داخل القاعدة)، الذي ذكر فيه أن خصوم الشيخ عبد الله عزام –رحمه الله– المصريين يعتقد أنهم قد قتلوه، ونقل عنه هذه الكذبة تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر، كما سيأتي إن شاء الله.

الكفار المحتلين لديار الإسلام، حتى تنعم هذه القوات الغازية بالأمن والسلامة، وتستمر في سرقة ثروات المسلمين وتقسيم أراضيهم، وتوسيع رقعة إسرائيل[231].

ومن هنا يتبين المقصد الخبيث وراء تلك البحوث وأولئك الباحثين. ورغم أن كل أمم الأرض تعتبِر أن مقاومة الغازي المعتدي حق طبيعي، إلا إن هذا الحق محرم على المسلمين، لأن البحث المسمى بالعلمي والإعلام والدعاية، كلهم يعملون ضمن منظومة الحملة الصليبية ضد الإسلام والمسلمين. ثم يزيد الأمر وضوحًا بذكره، أن التهديد الإرهابي الحالي والقادم لن يقل إلا بمحاربة هذه الفرضية العينية. أي باستسلام الأمة المسلمة للغزو الصليبي اليهودي، وحينئذ يصبح المسلمون معتدلين بريئين من تهمة الإرهاب، أما إذا قاوموا فهم إرهابيون[232].

ولعل خير ما يعبّر عن هذه التراجعات قصيدة للشيخ حسين بن محمود يقول فيها:

قتل حربي صائلٍ جريمة لا تُغْتَفَر   وهتكُ عرضِ المسلمات مسألة فيها نظر

ضع السلاح ودسّ رأسًا كالنعامة   وانسى الجهاد، ليس في القتل سلامة

اركن كتابًا مُنْزلًا وسنّة صحيحة   فليس أحق أن تستفتي منك القريحة

شيخ تولّى حاكمًا خيرٌ من ملَكْ   هو المعصوم فحط رّحلًا، لا أمّ لَك

أنا أُخيّ ناصحٌ فخذها مني قاعدة   إن أردت العيش عيشَ حياة واعدة

بشَّ للنصارى والثم جبهة اليهودِ   واسأل الله وطئ حاكمٍ مِنكَ الخدود

كن مسلمًا معتدلًا بمقياس راندِ   وإن يُجهل عليك فاقتدي بغاندي

ليس لخالدٍ وسعدٍ والمثنى حقيقة   أضغاث أحلام الأزمان السحيقة

لا يهمّك غير جمع قوت أهلك   دينٌ، جهادٌ، ليس هذا من شُغلك

لا تكلَّف نفسٌ إلا نفسها   وإن هتك العلوج عرض أختها

فارق الخوارج والفئات الضالة   وإن هي في الوغى لجيش الكفر فالّة

هم العدو وليس بوشٌ أو أوباما   إنما الصديق من لهتك العرض رامَ

وإن حرّض ابن لادن يومًا لحربِ   وصاح في الرجال من كل صوبِ

---

(231) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(232) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

تزيّنــــت حـــــوراء تبتغــــي الوصــــالا فالعُــذر منــك أن قــد دعــي الرجــالا

يقول الإمام الشيخ أسامة رحمه الله في بيانٍ له بعنوان: "أبو رغال العصر وخيانة الأمة"، بتاريخ 28 مارس 2002م:

" إن هذه الأحداث العظيمة، هي الجهاد المبارك الذي واصل مسيره نحو الهدف المنشود والخبر الموعود، وجاء ليفضح تلك المقولة الهزيلة، والحجة المدحوضة. فهذه المقولة (**ماذا عسانا أن نفعل، ليس بأيدينا شيء، الأمرُ ليس لنا**) لم يعد لها مكان، ولا يتسع لها قلب، ولا يرضاها ضمير حي، في ظل الأحداث الدامية التي تتعرض لها أُمتنا، فالكل مطالب اليوم بالجهاد والعمل الجاد، وعلى القيادات الشعبية بجميع شرائحها أن تتحرك لوقف هذا النزيف الهادر، وفضح تلك الخيانات المكشوفة، ومن لم يستطع الحركة من هذه القيادات بسبب ما وقع عليه من ضغط وإرهابٍ في ظل هذه الأنظمة، فلا أقل من أن يفسح المجال لغيره من الطاقات الجريئة - والقادرة على التغير، ووضع الأمور في نصابها الصحيح - وليحذر من القعود والتخذيل، وليتجنب عملية التربص المذموم والاحتكار المحرم، فالجهاد الذي أخرج أولئك الفتية الذين استجابوا لقوله تعالى:

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:5].

إن هذا الجهاد قادِرٌ على إخراج وتحريك غيرهم من أبناء الأمة، فالجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة، أما نحن كأفراد فأيامُنا معدودة، وسنقف بعدها بين يدي الله عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:7-8](233). ا. هـ

ورحم الله الشيخ عبد الله عزام، فقد وضع النقاط على الحروف عندما قال: "**ولن تهزم أمة تلتف على عقيدة صحيحة، تعيش من أجلها وتجاهد لإحيائها مهما كان أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى وأحكمت خطط أعدائها**"(234).

ومع أن أعداء الله يمكرون الليل وصلًا بالنهار، وأن مكرهم لتزول منه الجبال، إلّا أن دين الله حتمًا منصور، وأن العاقبة للمتقين، وأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، وأنه لا تزال طائفة من هذه

(233) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(234) خط التحول التاريخي. للشيخ عبد الله عزام.

الأمـة ظـاهرين علـى الحـق لا يضـرها مـن خـذلها ولا مـن خالفهـا، كمـا اخـبرنا بـذلك رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم حيـث قـال: (لَا تَـزَالُ طَائِفَـةٌ مِـنْ أُمَّتِي قَائِمَـةً بِأَمْـرِ اللهِ، لَا يَضُـرُّهُمْ مَـنْ خَـذَلَهُمْ أَوْ خَـالَفَهُمْ، حَـتَّى يَأْتِيَ أَمْـرُ اللهِ وَهُـمْ ظَـاهِرُونَ عَلَـى النَّـاسِ) وفي روايـة: (لَا تَـزَالُ عِصَـابَةٌ مِـنْ أُمَّـتِي يُقَـاتِلُونَ عَلَـى أَمْـرِ اللهِ، قَـاهِرِينَ لِعَـدُوِّهِمْ، لَا يَضُـرُّهُمْ مَـنْ خَـالَفَهُمْ، حَـتَّى تَأْتِـيَهُمُ السَّـاعَةُ وَهُـمْ عَلَـى ذَلِـكَ) رواهمـا مسلم.

وليـت هـؤلاء المتراجعـين بسـبب اليـأس والعجـز الـذي أصـابهم قعـدوا وكفّـوا ألسـنتهم بالتشـكيك والشـبهات في مـنهج إخـوانهم المجاهـدين. ليـتهم أخـذوا الحكمـة مـن عتبـة بـن ربيعـة، عنـدما قـدّم نصـيحة غاليـة لقـريش قـائلًا لهـا: "يَا معشـر قُـرَيْش أَطِيعُـونِي واجعلوهـا بِي، خلـوا بَـين هَـذَا الرجـل وَبَـين مَـا هُـوَ فِيـهِ واعتزلـوه، فـوَاللَّه لَيَكُـونن لقَوْلـه الَّـذِي سَمِعـت نبـأ عَظِـيم، **فَـإِن تصـبه الْعَـرَب فقـد كفيتمـوه بغـيركم، وَإِن يظْهـر علـى الْعَـرَب فملكـه ملككـم وعـزه عـزكم وكنـتم أسـعد النَّـاس بِـهِ**". لكـن يأبى الله إلّا أن تمضـي حكمتـه وهـي: ﴿أَمْ حَسِـبْتُمْ أَن تَـدْخُلُوا الْجَنَّـةَ وَلَمَّـا يَعْلَـمِ اللَّهُ الَّـذِينَ جَاهَـدُوا مِـنكُمْ وَيَعْلَـمَ الصَّـابِرِينَ﴾. نسـأل الله الكـريم، ربّ العـرش العظـيم، أن يـربط علـى قلوبنـا ويثبتنـا علـى دينـه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، اللهم آمين.

عندما تُذبح الحقيقة، ويُزوّر التاريخ:

وهنـاك نـوع آخـر مـن الشـبهات تصـدر أحيـانًا مـن بعـض رمـوز العمـل الجهـادي الـذين غيّبـت عقـولهم أفكـار نظريـة المـؤامرة، وبعضـهم طغـت عليهـا تصـوّرات مثاليّـة للعمـل الجهـادي، وعنـدما يكـون العمـل مخالفًـا لمـا يتصـورون لا يسـلم إخـوانهم مـن ألسـنتهم بالتجـريح والطعـن والغمـز واللمـز، وحسـبنا الله ونعم الوكيل.

[[وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً... عَلَى الْحُرِّ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ]]

سـألني بعـض الإخـوة عـن حقيقـة مـا تناولـه الشـيخ أبـو وليـد (مصـطفى حامـد) حفظـه الله، في بعـض كتبـه ومقالاتـه مـن غمـزٍ ولمـزٍ وتجـريحٍ للقاعـدة وللشـيخ أسـامة رحمـه الله، فقلـت لهـم: إن أردتم الوقـوف علـى حقيقـة ادعـاءات الشـيخ أبي الوليـد فعلـيكم بالرجـوع إلى رسـالة الشـيخ أحمـد حسـن أبـو الخـير رحمـه الله – في وثـائق أبـوت أباد الدفعـة السادسـة – ففيهـا جـوابًا شـافيًا وافيًـا لمـا تناولـه الشـيخ أبو الوليد في كتبه.

وحتّى تعمّ الفائدة، وتتضح الحقيقة لما أثاره الشيخ أبو الوليد في كتبه، آثرت أن ألحق في هذا الفصل رسالة الشيخ أحمد حسن أبو الخير - رحمه الله - كاملة، ليطّلع عليها من لم يتيسر له الحصول عليها، سائلين الله عزّ وجل أن يرينا الحقّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، اللهم آمين.

رسالة الشيخ أحمد حسن أبو الخير المصري رحمه الله، للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الأخ الكريم الأستاذ الفاضل مصطفى حامد حفظه الله ورعاه:

السلام عليكم رحمة الله وبركاته.

نسأل الله تعالى أن تكونوا على خير حال في الدين والدنيا.

نحن بخير ولله الحمد والمنّة، ونسأل الله أن يجمعنا وإياكم على خير حالٍ في الدنيا والآخرة.

أخي الكريم:

لقد اطلعت ومجموعة من الإخوة[235] - الذين تعرفهم ويعرفونك وتثق بهم وعايشتهم سنوات طويلة في ساحات القتال، ومعامع المعارك، وغبار السير في سبيل الله - على بعض ما نشر باسمكم من كتب ومقالات عن الجهاد والمجاهدين في أفغانستان، وبالذات ما جاء في كتابَي (صليب في سماء قندهار وحرب المطاريد).

وقد لفت انتباهنا بعض ما تضمنته تلك المنشورات، وبالأخص ما احتواه كتاب (صليب في سماء قندهار) من أمورٍ تستحق التوقف عندها، فالكتاب إلى جانب بعض ما ذكر من الحقائق الصحيحة، فقد ضخّم أمورًا أخرى لا صلة لها بالواقع، وليست لها أية علاقة بالحقيقة.

وأنا ومن باب النصح الأخوي العام الذي هو حق للمؤمن على أخيه المؤمن، وبحكم علاقة الأُخوة الخاصة التي ربطتني بك سنوات في أرض الجهاد، ومن باب بيان الحقيقة للجميع وتوثيقها،

---

(235) كتبت هذه الرسالة بتاريخ 22 أغسطس 2009م، وحينها كان الشيخ أبو الخير المصري أسيرًا في سجون إيران، وكان هؤلاء الإخوة الذين يتحدث عنهم الشيخ أبو الخير متواجدين معه في الأسر، وهم الشيخ سيف العدل والشيخ أبو مُحَمَّد المصري، والشيخ سليمان أبو الغيث، والشيخ أبو حفص الموريتاني، وغيرهم.

رأيت من الواجب عليَ أن أنقل لك تعليقاتي وتعليقات الأخوة على بعض تلك الأمور التي تضمنها الكتاب، والتي تخالف الحقائق التي كنت وإياك وهم شاهدين عليها أكثر مع غيرنا من الأخوة الذين لا زالوا على قيد الحياة.

وأرجو أن يتسع لي صدرك، فأنت من مزاياك المعروفة جرأتك في النقد، وحدّثك فيه أحيانًا، ومن منح نفسه هذا الحق، فلن يبخل به على إخوانه. وسوف أحاول أن يكون تعليقي على بعض ما تضمّنه الكتاب متمثلًا في نماذج من الحقائق والوقائع التي عشتها أو أكثرها معك، وعاشها معنا إخوة كثيرون هم محل ثقتي وثقتك، ولا زالوا على قيد الحياة ولله الحمد.

وقبل الشروع في صلب الموضوع، أريد أن أؤكد على حقيقتين مهمتين:

1- وهي أنني كنت إلى غاية قراءتي للكتاب قبل شهرين، أعتقد أن الأستاذ مصطفى حامد لا يقول ولا يكتب إلا ما يعتقد هو على الأقل أنه الحقيقة، وكانت مشكلته مع بعض أصدقائه هي طريقة نشره للحقيقة، وليست عدم صدقه في نقله لها.

ولعلك تتذكر أنني قد أرسلت لك من قبل، واقترحت عليك تأجيل نشر بعض الحقائق أيام (هاشم المكي)[236] لأنّي أرى أن الوقت ليس مناسبًا لنشرها في تلك الظروف، والمستفيد من نشرها يومئذ هم الخصوم والأعداء في رأيي، ولم أختلف معك يومها أن كثيرًا منها حقائق، ولكني بعد قراءة الكتب الأخيرة وخاصة (صليب في سماء قندهار) اهتزت قناعتي السابقة، واكتشفت أن حجم تشويه الحقائق الموجود في الكتاب يصعب تفسيره أو تبريره، أو إيجاد مخرج لائق له، وكان من الصعب عليّ أن أقف وبقية الإخوة صامتين بينما تذبح الحقيقة ويزوّر التاريخ، من أجل أهدافٍ أعرف أنك أول من يكفر بها.

وهذا الأمر جعلني أشك في نسبة الكتاب إليك حقيقة، فأنا أستبعد صدور مثل هذه الأمور عن شخصك الكريم. ولذلك فأنا في هذا التعليق أنسب الأقوال للكتاب وليس لك شخصيًا، (مع أنني سأذكر كلامي بصيغة المشار إليه وهو أنت لكونه صدر باسمك الكريم)، لأنني أستبعد أن تكون أنت الذي كتبت هذه الأمور المنكرة.

---

(236) في فترة من الفترات كان الشيخ أبو الوليد يكتب مقالاته باسم هاشم المكّي.

ومهما يكن، فسوف تبقى لك شيخنا الكريم مكانتك ومنزلتك وسابقتك في الجهاد محفوظة عندي وعند الله وعند الناس إن شاء الله.

2- لا أشك أن الكتاب هو كتابٌ نقدي ينقد مرحلةً من المراحل بما فيها من إيجابيات وسلبيات، ولكن من المعلوم عند النّقاد المنصفين أن النقد لا يكون بصيغة الهدم المطلق، والتحقير والتسفيه والاتهام المباشر للبعض إلى حدٍ وصل أحيانًا إلى التخوين، وكل ذلك بلا دليلٍ ولا برهان، مما يوحي للقارئ أن هناك معركة لا زالت نارها تشتعل بين جنبي الكاتب مع بعض من عاصروه وعايشوه، وقد وجد الفرصة المناسبة من خلال قلمه لتصفية الحساب بينه وبينهم دون النظر إلى ما يؤديه ذلك من نتائج سلبية قاتلة - هذا فيما لو كانت الاتهامات صحيحة فكيف وهي مشكوك بها ولا دليل عليها.

3- واضح أن الكاتب آذاه ما وصل إليه الحال بعد الأحداث، وكأنه يريد النجاح حليفه وحليف من معه دائمًا، وكأنه لا يعلم أن هناك أخطاء وابتلاءات وتمحيص وتنقية واختيار، ليميز الله الخبيث من الطيب، ولولا أنني والإخوة نعرفك جيدًا ونعرف صدقك لقلنا أن أبا الوليد ينتقم بكلامه ممن أدخله بهذه الورطة، مع أنه (أبا الوليد) كان من أكبر وأكثر المدافعين والمؤيدين له، ينتقده اليوم ويهاجمه ويتهمه، بل كان مستشاره السياسي بجدارة[237].

أخي الكريم: وقبل الدخول في تفاصيل التعليق وذكر الأمثلة، أريد أن أذكر بعض الملاحظات العامة على الكتاب.

الملاحظة الأولى: هي أن القارئ للكتاب من أوله إلى آخره يدرك بسهولة أن الكتاب في جوهره هو هجوم كاسح - بسبب وبدون سبب - على أهم شرائح المجاهدين، وفي مقدمتهم المجاهدون الذين تصفهم (بالسلفية) وتمثلهم من وجهة نظرك (القاعدة وأميرها الشيخ أسامة)، ومن على شاكلتهم من المجاهدين في الشيشان أو البوسنة..... الخ.

كما نالت حركة طالبان نصيبًا مقدرًا من هذا الهجوم. ولم يسلم من هذا الهجوم الكاسح إلاّ قلة من الإخوة الأوزبك والطاجيك، الذين شفعت لهم علاقتهم بك وبالجمهورية الإسلامية على ما يبدو، فسلِموا من هذا الهجوم الكاسح، بل نالوا نصيبًا وافرًا من الإطراء والمديح.

---

(237) المشار إليه هنا هو الشيخ أسامة رحمه الله.

وما تضمنه الكتاب من أمور أخرى هي في الحقيقة سيقت لخدمة هذا الهدف. وفي الوقت الذي أُقرّ لك بحق النقد البنّاء، إلّا أنني أرى أنّ نقدك للمجاهدين وقياداتهم لم يكن موضوعيًا ولا متوازنًا، بل كان ظالمًا متحيزًا، فقد ظلمتهم حين اتهمتهم تهمًا باطلة لم تكلف نفسك عناء محاولة إثباتها، وظلمتهم مرة أخرى حين لم تذكر لهم حسناتهم وتضحياتهم بما يتناسب مع حجمها، مع أنك مطلع عليها بدقة. وسوف تأتي معنا أمثلة تفصيلية لهذا الكلام.

وفي المقابل، ففي الوقت الذي حمّلت تيار أصحاب (العقيدة الصحيحة) على حد تعبيرك مسئولية التآمر على الجهاد والمجاهدين، والكوارث التي حلت به، لم تحمل أصحاب (العقيدة الفاسدة) مسئولية ما قاموا به من دور مكشوف كانوا ولا زالوا يفاخرون به في التآمر على الجهاد وخيانة المجاهدين، وأنت مطلع عليها بالكامل. فهل هذا من الإنصاف والعدل أخي الكريم؟

الملاحظة الثانية: أن الكتاب في سبيل خدمة فكرته المتمثلة في هدم هذا التيار الجهادي الذي سبق الحديث عنه وفكره، وتحميله مسئولية ما قام به وما لم يقم به، حشد كمًا هائلًا من التهم التي ما أنزل الله بها من سلطان. وهذا ما سنراه من خلال النماذج والأمثلة التي سنذكرها فيما يلي:

المثال الأول: حول عمليات 11 سبتمبر:

تكلم الكِتاب على عمليات سبتمبر من عدة نواح، وقد جاء كلامه في معظمه مخالفًا للحقيقة، مليئًا بالمغالطات. فمن حيث الجهة التي قامت بالعمليات، تبنى الكتاب وجهة نظر غريبة عجيبة، فهو تارة يشكك في كون تنظيم القاعدة هو الذي قام بها، فيقول مثلًا: "ولو صحّت الادعاءات الأمريكية أن بن لادن نجم جلال أباد يقف وراء تدمير مباني مركز التجارة الدولي...." (الصليب ص 46). وتارة يعترف بحقيقة أن القاعدة هي التي قامت بالعمليات، ولكنه يحرص على أن يسلبها أي شرف في ذلك، فيدعي أن المخابرات الأمريكية هي التي استدرجتها للعمليات، وسهلت مهمتها للقيام بها. يقول الكتاب بالحرف: "ولكن النظرية التي يتبناها الكاتب هي أنّ أمريكا كانت تجهز لعملية "عاصفة الطائرات" منذ عام 1997م، وتستدرج إليها تنظيم القاعدة عبر اختراق أمني للتنظيم بعناصر تعيش في أوروبا وباكستان".

وتارة يتنفل فيضيف دورًا آخر في العمليات للموساد الإسرائيلي (انظر ص 311 من كتاب صليب في سماء قندهار). وتارة أخرى يرى أن الدور الأمريكي في العمليات كان مقتصرًا على عدم إيقافها مع العلم بها. إقرأ معي كل ذلك في النص التالي:

يقــول الكتـــاب:"... وفى عاصــفة الطــائرات العربيــة (2001م) دلائــل كثــيرة تشــير إلى معرفــة جهــات أمنيــة أمريكيــة بعمليــة "عاصــفة الطــائرات" قبــل تنفيــذها. وأن تحــذيرات عديــدة وصــلت إلى المسئولين الأمريكيين على أعلى مستوى، وقد تم تجاهلها جميعًا".

لاحـظ أنـه في هـذا الـنص يثبـت مجـرد علـم الأمريكـان بالعمليـات، وفي الـنص الـذي قبلـه يثبـت أنهـم هــم الــذين كــانوا يجهــزون للعمليــات. وتارة أخــرى يــرى أن الــدور الأمريكــي تجــاوز مرحلــة تجاهــل التحذيرات إلى مرحلة تسهيل المهمة.

تابع معي قول الكتاب:

" بـل الأدهـى مـن ذلـك دلائـل علـى أن هـذه العمليـة قـد تم إفسـاح الطريـق لمنفـذيها وتسـهيل إنجازهم لها.

" الإجـراء الوحيـد الـذي تم اتخـاذه أمريكيًـا هـو عـدم ذهـاب المـوظفين اليهـود يومهـا – وعـددهم أربعـــة آلاف – إلى عملهـــم في أبـــراج التجـــارة، كمـــا لم يـــذهب زملاؤهـــم اليهـــود إلى أعمـــالهم فى البنتاجون الذي صدمته طائرة أخرى، حسب ادعاء السلطات الأمريكية.

" إذن مـا حـدث في 11 أسـبتمبر 2001م، كـان ببسـاطة مـؤامرة حاكتهـا الإدارة الأمريكيـة علـى شـعبها لأجـل اسـتدراجه لتأييـد مشـروعها الامـبريالى، "وتهويلاتهـا العسـكرية" الـتي تغـير بهـا الحقـائق السياسـية في العـالم". والأعجـب أنهـا اسـتدرجت وسـهّلت العمـل لمنظمـة "إرهابيـة دوليّـة" كـي تـدمر منشـآت وتقتـل مـواطنين، مفـروض علـى تلـك الحكومـة أن تحمـيهم. هـذا مـا حـدث لتبريـر "الحـرب العالمية على الإرهاب" الإسلام " والتي بدأت بالحرب على أفغانستان.

" وكمـا كانـت "تهمـة" حيـازة أسـلحة دمـار شـامل، تهمـة جامعـة بـين أفغانسـتان ثم العـراق لتبريـر الحـرب، نـذكر بأن تهمـة "الإرهـاب" كانـت أيضًـا تهمـة مشـتركة، فالقاعـدة ضُـبطت متلبسـة بالجريمـة التى أعدتها لها الحكومة الأمريكية وسهلت لها القيام بها بأيسر وأتم صورة.

" وإذا كـان صـدام حسـين قـد مـارس إرهـاب الدولـة بعيـون مفتوحـة واتفـاق واضـح مـع الـولايات المتحدة، فإن القاعدة مارست "إرهاب التنظيم الدولي" بعيون مغلقة، وباستدراج أمريكي كامل."

(النصوص السابقة منقولة من كتاب صليب في سماء قندهار ص 280 وما بعدها).

إنه لعجب أن يتبنى كتاب يتحدث عن موضوع بهذه الدرجة من الأهمية هذه النظرية الغريبة التي تخالف رواية من قاموا بالعمليات، ومن كانوا هدفًا لها، ومن كانوا شهودًا عليها. والكتاب يبني على نظريته هذه أمورًا واستنتاجات مهمة، فهو يرى أن الأمريكيين لم يردّوا على تدمير مدمرتهم كول في عدن، لأن ذلك لو تم قبل عاصفة الطائرات التي يخططون لها مع القاعدة سيلغي المخطط الأمريكي في حربه على الإرهاب حسب زعم الكتاب.

جاء في الكتاب ما نصه: "وكان توجيه ضربة قوية للقاعدة قبل تنفيذ "عاصفة الطائرات"، انتقامًا لضرب المدمرة كول، كان سيلغي المخطط الأمريكي في شن حرب عالمية على الإسلام بدعوى "مكافحة الإرهاب الإسلامي" لذا مرت عملية كول بلا عقاب". (الصليب ص 181)

وأنا لن أعقّب طبعًا على هذا الكلام، الذي لا شك أنك تعرف جيدًا أنه غير صحيح، ولكني أسأل سؤال وهو: إذا كانت أمريكا قد استدرجت القاعدة منذ سنة 1997م لعاصفة الطائرات حسب زعم الكتاب، ولم تضرب القاعدة بعد ضرب المدمرة كول حتى لا تفوت فرصة شن حرب شاملة على الإرهاب كما يزعم الكتاب، فلماذا شنت عاصفة صواريخ كروز سنة 1998م على أفغانستان والسودان، وهو تاريخ بعد سنة من بدء تحضيرها المفترض لعاصفة الطائرات واستدراج القاعدة إليها؟

لماذا لم تسكت على ضرب سفارتيها في شرق إفريقيا حتى لا تفوت الفرصة الثمينة التي كانت بدأت تستدرج القاعدة لتهيئتها؟

لقد تبنى الكتاب وجهة نظر المخابرات الإيرانية تمامًا، وهي نظرية يعرف الكاتب قبل غيرها أنها نظرية أقل مساوئها تعمدها اختلاق الأكاذيب وترويجها، مدفوعة بالحقد الطائفي والسياسي.

وإذا انتقلنا قليلًا إلى كتاب (حرب المطاريد) وفي جانب آخر يتعلق بأحداث سبتمبر، نجد الكتاب يناقض نفسه في أكثر من موضع، فالكتاب عند حديثه عن معاملة العدو في الحرب يروّج لمبدأ وجوب معاملة العدو بالمثل، واستخدام أسلحة تدميرية تفوق قدرته على التحمل. ومما جاء في الكتاب بنصه " العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم".

" لقد أخطأ المسلون كثيرًا عندما أهملوا ذلك القانون البسيط رغم كونه بديهيًا " (المطاريد ص 60).

" لن يتوقف برنامج الدمار هذا ما لم نواجه العدو بضربات تدميرية تفوق قدرته على التحمل" (المطاريد ص 84).

" إن امتلاك قوات المطاريد لقدرات رادعة من أسلحة متطورة أشد فتكًا أضحى ضرورة ومسألة حياة أو موت " (المطاريد ص 84).

هذا كلام الكتاب على أهمية امتلاك المطاريد لأسلحة فتاكة ذات قدرة تدميرية تفوق تحمل العدو. ونحن نؤيده في الجملة، ولكن الكتاب عندما علق على أحداث سبتمبر ناقض نفسه عندما قال: "ليس من الرحمة أيضًا قتل النساء والأطفال وغير المحاربين عمومًا " (المطاريد ص 59).

وعند تعليقه على أحداث سبتمبر أشار إلى نقطة ضعف خطيرة في المسار الأخلاقي والشرعي في الأحداث (أنظر المطاريد ص 77).

ونحن نتساءل هل يمكن أن نستخدم الأسلحة الفتّاكه التي تكلم عنها الكتاب أعلاه آخذين بمبدأ " العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم " دون أن تكون هنالك ضحايا من جنس ضحايا البنتاجون وأبراج التجارة في 11 سبتمبر؟

وهل إذا أخذنا بمنطق (العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم) الذي أكد الكاتب على ضرورة الأخذ به نبقى مع ذلك في هذا (الحرج الأخلاقي والشرعي)؟! وإذا كان الكتاب يرى أن قتل غير المقاتلين فيه حرج شرعي وأخلاقي، **فهل شعر بهذا الحرج عند قصف حزب الله لبنان المدن اليهودية في فلسطين؟**

طبعًا لم يشعر به بل أشاد بذلك العمل، كحال كل منصف ينظر بموضوعية وعدل للأمور. وليته نظر بعين الإنصاف والعدل ذاتها إلى عمليات سبتمبر، فالعدالة لا تتجزأ، والخلاف مع جهة ما لا يجوز أن يكون مسوغًا للجور في تقييم أعمالها.

المثال الثاني: كيل الاتهامات جزافًا للقاعدة والشيخ أسامة:

لقد شُحن الكتاب من أوله إلى آخره بالتهم الموجهة دون حساب لتنظيم القاعدة وللشيخ أسامة دون أن يكلف نفسه البحث عن الدليل على صحة تلك التهم، التي لا يصدق أكثرها الأعداء فضلًا عن غيرهم.

ومن هذه التهم على سبيل المثال:

1-أن الشيخ أسامة بن لادن يعمل بتوجيه من المخابرات الأمريكية، وأن أمريكا هي التي اختارته للعب الدور الذي حددته له حتى تحقق من وراء ذلك ما تريد من أهداف!!

فعند كلام الكتاب عن اختيار الأمريكيين لعدوهم قال: "لم يكن من وجهة نظرهم أفضل من بن لادن، فقد خبروا إمكاناته العملية والفكرية، وقدراته التنظيمية. لقد اختاروه عن وعي كي يلعب أمامهم دور العدو الإسلامي الإرهابي الشرس.

" فالعدو المعلوم إمكاناته خير من عدو مجهول المنشأ والقدرات والفكر، وذلك أمر محتم ظهوره، بحكم أن أمة كأمة الإسلام لا يمكن أن تستسلم لمثل هذا المخطط بدون إبداء مقاومة شرسة. والفضل إذن بحكم المنطق والعقل، أن يختار المرء عدوه، أو من يلعب أمامه ذلك الدور". (الصليب ص50).

وأنا أسألك أخي الكريم هل كنت على علم بهذه الحقيقة الخطيرة عندما كنت تعمل مع الشيخ أسامة بن لادن مستشارًا مقربًا وتلعب معه هذا الدور المحدد لكم من قبل أمريكا، أم اكتشفت هذه الحقيقة بعد أن أنهيت المهمة التي أنيطت بك من قبل الأمريكان؟

إنّ اتهامًا بهذا الحجم، كان يتطلب من صاحبه أن يقدم عليه ما يثبته من الأدلة وإلا فإنه شريكٌ فيه.

ونحن في الحقيقة لا ندري إذا طلب من أعدى أعداء الأمة أن يطعن في مجاهد كالشيخ اسامة ماذا يستطيع أن يقول أسوأ من هذا؟ كان لديك العديد من الأمور التي يمكن أن تنتقد بها (صديقك الشخصي) الشيخ أسامة، غير هذا الادعاء الباطل.

2- ومما هو على هذه الشاكلة ما جاء في الكتاب حول سعي أمريكا لمنع مغادرة الشيخ أسامة لأفغانستان، فقد جاء في الكتاب ما نصه:"(ذكرنا أن ضعيف كان مطلعًا على ضغوط أمريكا على طالبان لمنع بن لادن من مغادرة أفغانستان، وقد أوشك بن لادن أن يغادر ولم تكن الإمارة لتعارض، لكن ذلك كان سيعرقل خطة الغزو لذا عارضته أمريكا، ثم اعتقلت ضعيف حتى لا يفشى السر الذي يظهر أن قرار (الغزو كان سابقًا على أحداث سبتمبر). (الصليب ص 194).

إذا كانت أمريكا قد ضغطت على طالبان لمنع خروج بن لادن من أفغانستان، فلماذا لم تعلن طالبان هذه الحقيقة أمام العالم لترفع عن نفسها الضغوط التي وقعت عليها بسبب إيوائها للشيخ؟

فلماذا لم تقل طالبان إن الشيخ اسامة يريد مغادرة أفغانستان باختياره، وإن أمريكا هي التي طلبت منا منعه من ذلك؟ أم أن طالبان متورطة هي الأخرى في هذا المخطط الخبيث الذي تحيك خيوطه المخابرات الأمريكية واليهودية مع قيادات المجاهدين؟

وهل كان هذا الموضوع سرًا بين الأمريكان والملّا ضعيف، وليس لقيادات طالبان علم به؟ أليس الملّا ضعيف سفيرًا للإمارة الإسلامية يطلعها على اتصالات الأمريكيين المزعومة به؟ وكيف كان الأمريكيون يتوقعون تلبية طلبهم من الإمارة في الوقت الذي كان هذا الطلب سرًا بينهم وبين الملّا ضعيف في إسلام أباد؟ أم أن السفير كان يستطيع القيام بالمهمة من مقر السفارة ودون علم الملّا عمر؟

شيء عجيب!!

نحن كنا وإياك خلال هذه المدة في أفغانستان، فهل يمكن أن تتفضل فتذكر لنا البلد التي كانت على وشك استقبال الشيخ أسامة عند مغادرته لأفغانستان؟

نحن وإياك نعلم أنه لو كان هنالك مكان يمكن أن يخرج إليه الشيخ لخرج، ليرفع الحرج عن الطالبان من جهة، ويرفع القيود التي كانت على عمله من جهة ثانية.

3- ومن التهم الأشد غرابة مما هو على هذه الشاكلة، زعم الكتاب أن أمريكا كانت على وشك قتل الملّا عمر في الليلة الأولى من ليالي الحرب على أفغانستان، وأنها ألغت المهمة في آخر لحظة حرصًا على سلامة الشيخ بن لادن الذي كان موجودًا في المكان!!

لقد جاء في الكتاب: "والسؤال الهام هنا: لماذا ضيعت أمريكا الفرصة النادرة لإنهاء الحرب.. وقتل الملّا عمر داخل المسجد، في الضربة الجوية الأولى؟

" وهل كان لوجود بن لادن قريبًا من مجمّع الإمارة، واحتمال أن يصادف تواجده هناك، تهاطل الصواريخ على المسجد والمجمّع؟ هل كان لذلك أثر في إلغاء قرار قصف مقر الملّا عمر وقتله؟ " إذا كان ذلك صحيحًا: ألا يتناقض مع الادّعاء الأمريكي بأن بن لادن هو الخطر الأكبر الذي يواجه أمريكا في العالم، وأنه سبب الحرب على أفغانستان؟

" ألم تكن الفرصة مواتية لأن تنتهي أمريكا من أكبر خطرين يواجهانها في أفغانستان بواسطة صاروخ واحد، بينما الطائرات الأمريكية في السماء تحمل في باطنها عشرات الصواريخ الموجهة، وأجهزة التجسس الأرضي الحديثة والمتطورة تمدها بالمعلومات عبر الأقمار الصناعية.

" ألا يشير هذا الحادث بوضوح إلى وجود جواسيس للأمريكان ضمن الدائرة القريبة من بن لادن والملّا عمر، على اتصال بالأقمار الصناعية الأمريكية بواسطة أجهزة متقدمة، لرصد تحرك الرجلين؟

[من المحتمل أن تكون أمريكا قد ضحت برجلها الذي يراقب ويرافق الملّا عمر، والذى قتل غالبًا في السيارة المنتظرة أمام المسجد، لأنه منذ ذلك الوقت لم تسجل ضده محاولات متشابهة وحتى خروجه من قندهار].

" وطبقًا لنفس التحليل، على افتراض صحته، فإن رجل أمريكا المرافق لبن لادن، كانت مهمته دومًا تحديد موقعه حتى يتجنب الطيران قصفه، حفاظًا على سلامته.

" ولماذا هذا الإصرار العجيب والاستعجال في قتل الملّا عمر في ثلاث محاولات متتابعة للاغتيال الجوي، بينما لم تسجل ولا محاولة واحدة ضد بن لادن طوال مدة الحرب؟

" وهل بن لادن يمثل حالة استعصاء أمني، أم أنه يمثل لأمريكا ضرورة سياسية توفر لها ذرائع لسياسات يصعب قبولها دوليًا؟". (الصليب ص 225)

وظُهور بطُلان هذا الادعاء يُغني عن الرد عليه.

ولكن مع ذلك سوف أتركك أنت ترد عليه في موضع آخر من كتابك، حيث تقول في معرض حديثك عن جنون التكنولوجيا الأمريكية واستخدامها غير المسبوق في ملاحقة بن لادن ومحاولة قتله: "فكانت تقوم قاذفات (بي/2) الشبح التي لا يرصدها الرادار، بمطاردة مجموعة من المقاتلين الأفغان لا تزيد عن خمسة أفراد!! ثم تدعمها في تلك المهمة "المعقدة" طائرة (أف – 16) أو أن تقوم طائرات التجسس بضرب مجموعة من الأفغان لا تزيد عن خمسة عشر شخصًا بالصواريخ الموجهة، لأنها – أى الطائرة لاحظت أن المجموعة تعامل أحد أفرادها باحترام زائد!! فافترضت الطائرة الذكية، وصواريخها الموجهة بالليزر أن ذلك الشخص [قد] يكون بن لادن، فقتلت الجميع". (الصليب ص 304).

فهل نفهم من هذا الكلام حرص الأمريكان على سلامة بن لادن أم حرصهم على قتله واستخدام أحدث التكنولوجيا في ذلك؟

4- ومن الاتهامات الغريبة للشيخ أسامة أنه كان يعرقل مساعي الحصول على الأسلحة غير التقليدية التي كان يبذلها بعض مساعديه؟؟

جاء في الكتاب أن الشيخ أسامة: "عرقل كل محاولات وزير دفاعه من أجل تصنيع وامتلاك أحد تلك الوسائل.. حتى قتل وزير دفاعه في قصف أمريكي على مقر عمله في قندهار، كما غرق سلفه قبل خمس سنوات في بحيرة أفريقية، وفي ظروفٍ غامضة، وكان في مهمة خلف تلك الأسلحة للحصول على أحدها من سماسرة يجوبون الساحل الأفريقي". (الصليب ص 186)

وغرابة هذا الاتهام لا تكمن في عدم وجود أي دليل على صحته، بل في أن كل الأدلّة والوقائع تشهد بخلافه تمامًا، فالعديد من الإخوة الحاضرين يعلمون أن الشيخ كان أكثر الناس حرصًا على الحصول على مثل هذه الأسلحة، وقد بعث عدّة إخوة إلى جهات مختلفة سعيًا في هذه المهمة، وقد اعتقل بعضهم ولا زال رهن الاعتقال.

ولم يكن البحث عن تلك الأسلحة في إفريقيا، فإفريقيا ليست مظنة لتلك الأسلحة كما يعلم الجميع، وأبو عبيدة البنشيري رحمه الله، لم يكن في مهمة من هذا القبيل عندما توفي رحمه الله، كما يعلم الإخوة المطلعون على الأمر، وعلى افتراض أنه كان في مهمة من هذا القبيل، فما كان ليقوم بذلك دون علم وموافقة وتمويل الشيخ أسامة.

ولنفترض أنك لا علم لك بكل جهود الشيخ في هذا المجال، أليست شخصية الشيخ المتخصص في (التراجيديا الجهادية) على حسب تعبيرك شخصية يناسبها السعي في الحصول على سلاح من هذه القبيل، يمكن أن يشكل استخدامه على طريقة القاعدة فصل من فصول التراجيديا الجهادية غير التقليدية يكمّل فصول المأساة المستمرة من ربع قرن؟

ولنفترض أن الشيخ كان حصل على سلاح من هذا القبيل، فكيف كان سيستخدمه دون أن تشعر (بحرج أخلاقي أو شرعي) عندما يقتل (بعض الأبرياء)!!!

5- وقل مثل ذلك عن الاتهام الوارد في الكتاب للشيخ أسامة بأنه عرضت عليه صفقة أسلحة متقدمة من الروس وبثمن رخيص فأعرض عنها مفضلًا عليها الأسلحة القديمة غير الفعالة الموجودة في السوق!!

وهذا نص ما في الكتاب:

" لقد أهدر بن لادن فرصة نادرة عرضها عليه جنرالات روس في طاجيكستان، لتزويده بصواريخ حديثة مضادة للطيران، محمولة على الكتف، عن طريق قيادات عسكرية من تحالف الشمال. عرضًا مماثلًا وصل إلى الإمارة الإسلامية، مع استعداد روسي، بتزويدها بطائرات

هليكوبتر عسكرية، أو أي نوع من الأسلحة ترغب فيه، بشرط أن تدفع الإمارة نصف الثمن نقدًا بالدولارات، والنصف الآخر بمسحوق الهروين".

فهل يعقل أن يرفض مثل هذا العرض عاقل أو مجنون؟

ونحن لا نملك أمام هذا الكيل من التهم والافتراءات لرجلٍ كنت أنت أول من شجعه، وأول من وقف معه وزوده بتنظيراته السياسية والعسكرية، وبارك جهوده وجعله عباءة الأمة، إلا أن نقول إنها نظرية المؤامرة التي سيطرت على الكتاب بل الكتب، ومن ثم روح تصفية الحساب التي انتهجها الكتاب بسبب الورطة التي وقع فيها كاتبه بعد الأحداث.

ومن التهم الموجهة للقاعدة في الكتاب قوله: "فالقاعدة" لم تكن لتطيق ظهور جهاد إسلامي ذى مرجعية غير سعودية.. ولم يكن بن لادن ليطيق ظهور قيادة شابة منظمة جيدًا.. لتسيطر على جزء من العالم قد يخرج عن هيمنته الدولية التي لم تكن قائمة سوى في خياله الذي سيطر عليه الإعلام الدولي "

" وبالفعل كانت الحركة الإسلامية واقعه تحت ضغوط لا تطاق من جانب بعض التنظيمات الجهادية العربية في أفغانستان خاصة من القاعدة، من أجل خلق انشقاق سلفي يخرج من تحت القبضة الفولاذية (الطاغوتية!!) لمحمد طاهر.. وأن يلتحق ذلك الجناح بالقاعدة تحت إغراءات المال.. والشهرة، ومن هنا نشأت الأزمة التي أودت بروح الأخوة الجهادية بين الأوزبك والعرب.

" فقيادة الأوزبك ألقت القبض على إثنين من الجواسيس الروس واحتجزتهم فى السجن الخاص بها للتحقيق. ولكن هؤلاء فرّوا والتحقوا بمضافه القاعدة في كابل طالبين الحماية من طغيان تنظيمهم الأوزبكي الذي يضطهدهم لكونهم سلفيون "!! (الصليب ص 146)

هذه اتهامات باطلة لا أساس لها من الصحة، وأنت تعرف جيدًا أن القاعدة هي التنظيم الجهادي العالمي الوحيد الذي أخذ على عاتقه مهمة دعم الحركات الجهادية في مختلف أنحاء العالم، وبغض النظر عن مذهبها الفقهي.

وأنت تعلم أن المجاهدين من طاجيكستان وأوزبكستان الذين تثني عليهم فكريًا وعسكريًا وتنظيميًا تدربوا في معسكرات القاعدة، وكنت أنت شخصيًا تعطيهم دورات سياسية في هذه المعسكرات. وقد استمر دعم القاعدة المالي في حدود إمكاناتها المحدودة للأخوة الأوزبك وأميرهم مُحَمَّد طاهر بعد ذلك، ويفترض أنك بحكم علاقاتك بالجانبين تكون مضطلعًا على ذلك.

وفي المقابل، فإن المخابرات الإيرانية كما تعلم هي التي كانت وراء المأساة التي انتهى إليها حزب النهضة وجهاده من خلال الدور الخبيث الذي قامت به سواء بواسطة رباني ومسعود، أو من خلال الوساطة بين الحزب والحكومة الطاجيكية التي انتهت بما عليه الوضع الآن.

فمن الأولى باللوم، القاعدة التي تدربت عناصر الحزب في معسكراتها، أم الإيرانيون الذين قادوه إلى نهايته المأساوية؟

ثم من العجيب اتهامك للقاعدة بأنها تسعى لفرض سعودة الجهاد في العالم مع أنك تعلم علم اليقين أن الخلاف مع النظام السعودي وعلمائه هو من أبرز ما يميز تنظيم القاعدة في خطاباته السياسية والفكرية.

أما ما ذكرته من أن القاعدة كانت تسعى لشق صف الإخوة الأوزبك، وإغرائهم بالمال من أجل تحقيق هذا الهدف، فهذا كلام لم نسمعه إلا منك، وقد عشنا سنوات ونحن في قلب الأحداث فلم نسمع حتى من مُحَمَّد طاهر جان شكوى بهذا الخصوص.

والحادث الذي سقته للدلالة على هذه الدعوى سقته بشكل محرف جانبت فيه الحقيقة عن عمد، وللأسف الشديد. فالأخوة الأوزبك الذين لجأوا لمضافة القاعدة لم يكونوا جواسيس، كما ذكرت، بدليل أن مُحَمَّد طاهر أرجعهم لعملهم بعد المشكلة مباشرة، وكل المشكلة أنهم اختاروا ان يذهبوا إلى الجبهه مع شباب القاعدة وأنت تعلم ذلك. وتعلم أن القاعدة لم تكن تروج لمذهب فقهي معين، بل كانت تدعوا أتباعها وغيرهم لمراعاة المذهب الحنفي السائد في البلد، وعدم إثارة الخلافات المذهبية. والمعهد الشرعي في قندهار الذي كان يتردد عليه بل ويدرس فيه كثير من طالبان شاهد علي ذلك، وكانت القاعدة ترى ترك بعض السنن والمندوبات في الصلاة وغيرها إذا كان فعل ذلك يثير شقاقات وتنافرًا بين المسلمين.

والطريقة التي أخذ بها مُحَمَّد طاهر الأخَوين من مضافة القاعدة كانت طريقة حمقاء كادت أن تؤدي إلى قتال بالأسلحة النارية لولا الله ثم تدخل بعض العقلاء الذين كانوا موجودين في المكان (أبو بلال

النوبي) رحمه الله، وتهدئتهم للأمور. وقد أدرك مُحَمَّد طاهر ذلك فاعتذر عن خطئه.

ومع الإهانة التي ألحقها هذا التصرف بالقاعدة فإن الشيخ أسامة لم يطالب بأكثر من حكم قضائي شرعي في المسألة من قضاء الإمارة الإسلامية، فمن الأحق باللوم في هذا الموضوع؟

6- ومن الكلام السيئ الذي حفل به الكتاب ضد الشيخ أسامة ما ذكره من أن معظم العرب " دخل تحت سطوته اقتناعًا أو إذعانًا " (الصليب ص 128)

وأنا أسألك سؤال هل تعرف رجلًا واحدًا من العرب أو العجم دخل في تنظيم القاعدة أو بقي فيه إذعانًا؟

لو كان هنالك من هذا القبيل لكنت أنت على علم به، وأنت الرجل الذي عشت مع التنظيم قرابة عشرين سنة، وتربطك بقياداته وأفراده أقوى الروابط.

7- ومن الكلام الجارح المشين ضد تنظيم القاعدة بصورة عامة ما تفضلت به من كرم حاتمي في وصفهم بمختلف الأوصاف المعيبة وغير اللائقة عندما قلت إنهم " ضربهم الغرور والتعالي والثقة الزائدة بالنفس، واستصغار شأن الآخرين، أو احتقارهم أحيانًا. وكانوا عن ثقة يعتقدون بأن الحركة الإسلامية أجمع يجب أن تنضوى تحت لوائهم". (الصليب ص 115)

8- ومن جميل كرم الكاتب وصف المجاهدين الأبرار" ببغال التحميل" وغيرها من عبارات النقد الجارح الهدّام.

سامحك الله، ورزقك من العدل والإنصاف ما يرد بعض هذا الإجحاف!!

هذه أمثلة على بعض التهم التي كالها الكتاب جزافًا ضد القاعدة والشيخ أسامة بن لادن دون أن يكلف نفسه عناء الاستدلال على صحتها.

وهنالك تهم أخرى غيرها كثير ضاق المجال عن سردها. وإذا كانت القاعدة قد نالت نصيب الأسد من هجوم الكتاب، فإن حركة طالبان قد نالت هي الأخرى نصيبًا لا بأس من ذلك. ومن الأمثلة على ذلك:

1- ما جاء في الكتاب من أنهم كانوا قد أعطوا (التزامات سرية) لبعض الدول بعدم دخول (ممر سالانج من الجنوب).

يقول الكتاب: "وضعت أمريكا خطًا أحمر على عبور (طالبان) ممر سالانج.. وبالأحرى سلسلة جبال الهندوكوش، ويتوافق ذلك مع الرؤية الروسية التي عبر عنها " إلكساندر ليبد "كما سبق ذكره: "الالتزام السرّي من جانب حركة طالبان بعدم اقتحام ممر سالانج من طرف المدخل

الجنـــوبي في جبـــل الســـراج أدى إلى وجـــود شـــرخ عميـــق في مـــوقفهم الاســـتراتيجى علـــى المســـتويين (السياسي والعسكري " (الصليب ص 109)

ونحـن نقـول: أيـن الـدليل علـى وجـود مثـل هـذا الالتـزام؟ وإذا كـان سـريًا فكيـف اضـطلع عليـه الكاتـب؟ ولمصـلحة مـن أعطـت طالبـان هـذا الالتـزام السـري؟ أم أن طالبـان هـي جـزء مـن المـؤامرة حتى على نفسـها؟ وهـل يعقـل أن يعطـي المـلاّ عمـر مثـل هـذا الالتـزام فيـترك الـدخول للشـمال عـبر ممـر سـالانج وهـو قـادر عليـه، ليتكلـف عنـاء ومشـقة فـتح الشـمال عـبر الطـرق الأخـرى ذات التكلفـة العالية في الرواح والمعدات والوقت والجهد؟؟

2- ومـن الـتهم الموجهـة لطالبـان ايضًـا مـا جـاء في الكتـاب مـن أنهـم بعـد احـتلال موقـع القنصـلية الإيرانيـة في مـزار شـريف تلقـت المجموعـة الـتي احتلتهـا أوامـر مـن باكسـتان بقتـل الدبلوماسـيين الإيرانيين.

جـاء في الكتـاب مـا نصـه: "فعنـدما اقـتحم "المنقمـون" مبـنى القنصـلية الإيرانيـة في المدينـة قتلـوا بعـد فـترة انتظـار قصـيرة أحـد عشـر دبلوماسـيًا. " شـهود قـالوا إن فـترة الانتظـار القصـيرة دارت أثناءهـا اتصـالات تلفونيـة جـاءت فيهـا أوامـر بقتـل الدبلوماسـيين، وأنّ هـذه الأوامـر كانـت مـن إسـلام أباد!! " (ص 100)

يا للعجـب، قـوات طالبـان تتلقـى أوامرهـا في أدق تفاصـيلها مـن إسـلام أباد ولـيس مـن قيادتهـا في كابـل أو قنـدهار!! إنهـا الروايـة الإيرانيـة للحـدث، والـتي يعلـم الكاتـب أنهـا مجـرد اخـتلاق مخـابراتي لتبريـر السياسة العدوانية للجمهورية الإسلامية تجاه الإمارة الإسلامية.

والعجيـب أن إيـران لم تؤاخـذ الحكومـة الباكسـتانية الـتي أعطـت الأمـر بقتـل دبلوماسـييها، بـل أقامـت معهـا علاقـات حميمـة في الحـرب علـى الإرهـاب وغيرهـا، وإنمـا عاقبـت الإمـارة الإسـلامية الـتي لم تعط الأمر بقتل الدبلوماسيين!!

3- وقـد طعـن الكتـاب حركـة طالبـان في الصـميم مـرة أخـرى عنـدما زعـم أن خـط كابـل سـقط بالـدولار، ولـيس بالقصـف الأمريكـي، حيـث جـاء في الكتـاب: "معلـوم أن كسـر الخـط الـدفاعي لطالبـان علـى جبهـة شمـال كابـل تم بالـدولار الأمريكـى ولـيس بقاذفـات "بي 52" أو حـتى قنابـل "الأطنان السبعة" (ص 138).

والحقيقة غير ذلك أخي الكريم، فالحقيقة هي ما صرح به الرئيس الإيراني الأسبق خاتمي عندما صرح مع مساعده مُحَمَّد أبطحي وأكد الأمريكيون تصريحاتهم تلك.

وملخص تلك التصريحات أن الحكومة الإيرانية بعد شهر من القصف المتواصل على معاقل طالبان دون جدوى قدمت للأمريكيين خريطة عسكرية للمواقع التي يتعين عليهم التركيز عليها لكسر الخط، وبالفعل لما أخذ الأمريكيون بالنصيحة الإيرانية انكسر الخط، كما صرحت بذلك ممثلة الولايات المتحدة في اللجنة المشتركة.

وهذه الاعترافات التي يتفاخر بها المسئولون الإيرانيون والأمريكيون جاءت مفصلة في أكثر من مصدر منها برنامج (إيران والغرب) الذي أذاعته قناة الجزيرة، وهو لدي مسجل.

ومن العجيب أخي الكريم أنك تطلع على الأسباب السرية الخفية للكوارث وتجزم بها، في حين تتجاهل الأسباب المعلنة التي يتفاخر بها أصحابها!!

4- ومن هذا القبيل أيضًا مما جاء في الكتاب قوله " إهمال الإمارة الإسلامية قضية تأمين العاصمة السياسية للبلاد، يرقي إلى مرتبة الجريمة المتعمدة". (الصليب (ص 191)

نكتفي بهذا القدر عن طالبان من الأمثلة الكثيرة التي حفل بها الكتاب. وننتقل إلى أمثلة أخرى مما ورد في الكتاب من الأمور المجافية للحقيقة، باختصار، فمن ذلك:

1- ما ورد في الكتاب في أكثر من موضع من تهم للأخ المرحوم الشهيد خطاب – نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، وهي من جنس التهم ذاتها الموجهة للشيخ اسامة. وكان الواجب على الكاتب أن يذكر الأدلة التي تثبت ما يقول.

2- ما جاء في الحديث عن شيخ المسجد الجامع في مشهد الذي قامت السلطات بتهديده عدة مرات، وألجأته إلى الهروب إلى أفغانستان، وهدمت مسجده، ومكتبته الضخمة بالبلدوزرات، وحولت المكان إلى حديقة عامة، ثم واصلت ملاحقة الشيخ في أفغانستان حتى قتلته في الجامع الكبير في هرات مع عدد من المصلين بعد صلاة الجمعة، بعد عدة محاولات اغتيال قبل ذلك أصيب في بعضها.

هذا الشيخ الإمام، لم تزد عند ذكرك له على وصفه بأنه " معارض إيراني سني " وبرأت المخابرات الإيرانية من قتله، وألصقتها بجهة أخرى، رغم أن القرائن والشواهد تقول خلاف ذلك!! إنها الرواية الإيرانية مرة أخرى كما عرفناها منهم.

3- ومن الأمور العجيبة التي وردت في الكتاب أمور يتعجب منها القارئ، لمصلحة من تم اختلاقها وتلفيقها.

ومن هذه الأمور:

- ما جاء في الكتاب من ذبح بعض العرب أمام نسائهم وأطفالهم. (ص 212)

- ما جاء عن انتحار بعض الأسر العربية حتى لا تقع في الأسر. "كما شاعت أخبار(ثم تأكدت) عن انتحار جماعي لأسر عربية لتحاشى الأسر. (ص 254)

- وجاء في (ص 143) أن بعض المجاهدين: "فضّل قتل عائلته وقتل نفسه حتى لا يعتقل أويعود مرة أخرى إلى حضارة الغرب.."

- ما جاء عن فقد بعض الأمهات لأطفالهن في حافلات النقل الباكستانية من شدة الهول!! " حتى أن الباكستانيين وجدوا أطفال عرب حديثي الولادة وقد أسقطوا من أمهاتهم العربيات في وسائل النقل العامة!! ومن شدة الهول لم تشعر الأمهات أنهن فقدن أطفالهم.. وأنهن يحملن بين أحضانهن مجرد لفافات خالية!! " (ص 254)

وهذه أمور لم يقع منها أي شيء، وإنما هي اختلاق محض للتهويل والتشنيع، فمن هم الذين فضلوا قتل عوائلهم؟! ومن هم الأطفال الذين فُقدوا؟! ومن الذين سقطوا في عربات النقل؟! فنحن كنا في قلب الأحداث قبل وبعد خروج كل الأُسر، وكانت أُسرنا مع الأُسر التي ذهبت لباكستان، ونعلم علم اليقين أن شيئاً من هذا لم يقع. ونحن نتمنى عليك ان تذكر ولو اسم أُسرة واحدة كما تعودنا منك في سرد كثير من الأحداث. إن التراجيديا الجهادية التي تقول إن بن لادن قد تخصص فيها لا يضاهيها في مأساويتها إلّا التراجيديا العلمية التي ظهرت بها هذه الكتب.

أخي الكريم: بقيت هنالك ملاحظتان سوف أختم بهما هذا الموضوع:

الملاحظة الأولى:

هي أنك في كتابتك عن بعض الأمور التي كنت شاهدًا عليها، لا تذكر أنك كنت شاهدًا إلّا عندما يكون ذكر ذلك يدعم وجهة نظرك الحالية في الموضوع، وليس بالضرورة وجهة نظرك فيه عندما كنت شاهدًا عند وقوعه، مع العلم أن عندنا من الأخوة من أشركته بجلسة من الجلسات التي حاولت فيها دعم وجهة نظرك، وهي جلسة ساخنة وفيها أخذ ورد كبيرين، وعندما سألناه

عـن فحـوى الجلسـة أخـبرنا بأنـه لم يجلسـها ولم يكـن فيهـا ولم يـرك إلا مـرةً واحـدة في جلسـة عـابرة لم يتخللهـا حـديث بهـذا الحجـم والأهميـة (وهـو مـن وصـفته بالـداعم المـالي مـن الإخـوان المسـلمين لـبن لادن)، وليتـك تجلـس معـه يومًـا لتعـرف منـه كـم أنّ ظنونـك ونظريـة المـؤامرة الـتي سـيطرت علـى الكتاب، قد نحت بك بعيدًا عن الواقع والحقيقة.

أمـا عنـد حـديثك عـن الأمـور الـتي كنـت شـاهدًا عليهـا - ولكـن ذكـرك لشـهودك عليهـا لا يخـدم مـا تريـد - لا تـذكر أنـك كنـت شـاهدًا عليهـا، فضـلًا عـن أن تـذكر الـدور الـذي قمـت بـه فيهـا. والكتاب حافل بالأمثلة على ذلك.

والملاحظة الثانية:

هـي حرصـك عنـد التعريـف بنفسـك في كتبـك علـى أن تصـف نفسـك بأنـك صـديق شخصـي للشـيخ اسـامة، فهـل حرصـك علـى هـذا الأمـر نابـع مـن صـداقة فعليـة يشـهد بهـا مـا تضـمنته هـذه الكتب، أم أنّ المراد منه إعطاء نوع من المصداقية لما تكتبه ضد الرجل بحق وبغير حق؟!

الخاتمة:

لقـد تناقشـت مـع الإخـوة الموجـودين معـي، وأنـت تعـرف أن أغلـبهم في مجلـس شـورى القاعـدة، وجميعهم عـاش الأحـداث الـتي ذكرتهـا لحظـة بلحظـة، والعجـب كـل العجـب أنـك عشـتها معنـا!! فقـد هالهم حجم التزوير وقلب الحقائق وتبني النظرية الإيرانية في تفسير الأحداث.

وهـذه السـطور الـتي بـين يـديك هـي جـزء يسـير مـن نقـاش طويـل مـع الإخـوة رأيـت أن أنقـل مـن خلالها بعـض تعليقـاتهم وعلـى عجالـة. وأمـا الـبعض الآخـر مـنهم فقـد ألجـأه حجـم التزويـر إلى الـذهول ثم الصمت. وخلاصة رأيهم فيما نشر باسمك أن من الأهداف التي دفعت إلى نشر هذه الكتب:

1- ضرب الحركة الجهادية السنية في كل مكان.

2- هـدم وتـدمير أي قيـادة لأهـل السُـنّة (اتهـام الشـيخ أسـامة والمـلّا عمـر بالخيانـة) وهـذا مـا لم تتجرّأ أمريكا ولا الغرب على قوله أو فعله.

3- إبـراز وتمجيـد الأحـزاب الـتي تخـرج مـن العبـاءة الإيرانيـة وقـادتهم (حـزب الله - الأوزبـك - الطاجيك).

من أجل هذه الأهداف تم التزوير على نطاق واسع للأحداث مما أدي إلى ظهور كثير من التناقضات في الكتب، وكأن المخرج أعدها على عجل!!.

يبقي تساءل يفرض نفسه وهو: أن القوم يدعمون حماس بكل قوة؟

والجواب لا يخرج الأمر عن الدعاية والإعلام، وإلّا فأين هم من قضايا المستضعفين من المسلمين التي لا تكاد تخلو منها دولة مثل (الشيشان –كشمير- دارفور- الصومال – البوسنة)، بل أنهم تأمروا على بعضها مثل الأفغان، وهذا لا يخفي على عوام الناس فضلًا عن المختصين، بل أن القوم شهدوا على أنفسهم صراحة في برنامج حوار مفتوح علي الجزيرة مع مُحَّد شريعتي مستشار خاتمي، حيث قال: **دعم حماس هو من أجل الدعاية والإعلام**، وذلك في معرض اتهاماته وانتقاداته لأحمدي نجاد.

ثم هل ما يفعلونه بنا الآن من خطفٍ وتغييبٍ وإيذاءٍ وحرمانٍ لأبنائنا وبناتنا من أبسط حقوقهم في التعليم والعمل والحرية هو في مصلحة المسلمين والحركة الجهادية وأبنائها؟؟ أم هو السّر الذي حاول الكتاب إغفاله وتجاهله؟!

بقي الكثير والكثير ولعل فيما يأتي من الأيام متسع له.

شيخنا الحبيب أرجوا أن تعذرني وبقية الأخوة إذا كنّا قد أثقلنا عليك في العتاب، فرصيد الثّقة بيننا يسمح لي ولهم بذلك دون أن تتأثر أخوتنا القديمة، وأدعوا الله أن يُنجينا وإياك من أيديهم، وأن يجمعنا مرة أخرى مجاهدين في سبيله، رافعين لرايته، مصححين ما قد انحرف في هذه المسيرة المباركة، وإلى أن نراك في ظروف أفضل إن شاء الله أستودعك الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد حسن أبو الخير

1 رمضان 1430هـ،

الموافق 22 أغسطس 2009م



الشيخ أحمد حسن أبو الخير (عبد الله رجب) – تقبّله الله

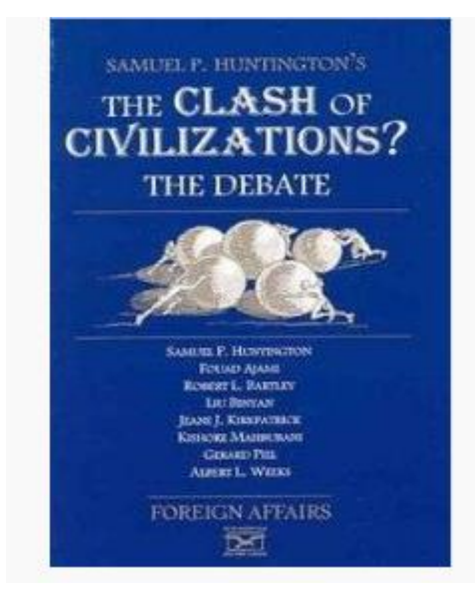
رسالة القاعدة:

يقول الدكتور عبد الله النفيسي في دراسةٍ له بعنوان " العالم بعد غزوة مانهاتن":

" بعد ذوبان الاتحاد السوفياتي 1992م وتشرذمه إلى خمس عشرة جمهورية، تعالت الأصوات في الولايات المتحدة: إذن من العدو القادم؟ فالأمريكان دائمًا بحاجة إلى عدو خارجي لتفريغ ترسانتهم العسكرية فيه وتشغيلها معه. وظهر علينا ريتشارد نيكسون (الرئيس الأمريكي الأسبق) بكتابه الخطير الموسوم: «انتهزوا الفرصة Seize the Moment» ليقول للأمريكان إن الفرصة مواتية لهم وقد سقط الاتحاد السوفياتي أن يفرضوا على العالم وبالقوة ما أسماه ب «الريادة الروحية الأمريكية Leadership Spiritual American» قبل أن يستيقظ (المارد الأخضر) قاصدًا الإسلام والأمة الإسلامية!".

وكان الغرب بأسره بعد غزوات نيويورك وواشنطن، قد أدرك أنه أمام بداية جديدة لنوعٍ جديدٍ من أنواع الصراع العالمي، كان قد تنبأ به صمويل هنتنجتون في كتابه نظرية صدام الحضارات.

وملخص نظريته، **أن العالم لا يتسع لحضارتين أو ثلاثة، وأنه يجب أن تسود حضارة واحدة تفرض نظامها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، حتى يسود السلام العالم كله**[238].





العلج صمويل هنتنجتون كتاب صدام الحضارات

لقد صدق هنتنجتن وهو كذوب، فنحن كمسلمين نوافقه فيما ذهب إليه، ونرى أن العالم فعلًا لا يتسع لحضارتين في آنٍ واحد، ونقول له، قد جئت بنظريتك هذه متأخرًا ألفًا وأربعمئة سنة، فقد أخبرنا الله بها في كتابه العزيز فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. كذلك بشّرنا نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام بأن ديننا سيدخل كل بيت على ظهر هذه الأرض[239]. عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ). رواه الإمام أحمد.

وباختصار شديد، لم تأتِ قاعدة الجهاد برسالةٍ جديدة، ولا بفكرٍ بِدعي جديد يخالف أو يشذّ عن الشريعة، فكل ما فعلته أنها نذرت نفسها لتؤدّي واجبًا شرعيًا وفرضًا عينيًا - تكاسل وتقاعس عن أدائه غيرهم – وهو القتال وتحريض الأمّة على القتال في سبيل الله، حتّى تتحقق الرسالة والغاية التي من أجلها فرض الله القتال وهي: **حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**.

---

(238) أرشيف مجموع مقالات الاستاذ عبد الله بن محمد.

(239) المصدر السابق. بتصرّف.

ولما كان موضوع هذا الكتاب يتناول شيئًا من تاريخ القاعدة، كان لا بد لنا أن نذكر الأسباب والدوافع التي من أجلها حملت القاعدة السلاح لتحقيق رسالتها من القتال وهي، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

لماذا نقاتل أمريكا؟

ذكرنا من قبل، أن أحداث اجتياح اليهود للبنان عام 1982م بمباركة أمريكا، كانت قد انتجت في نفس الشيخ أسامة شعورًا عارمًا يرفض الظلم، وولدت فيه تصميمًا قويًا على معاقبة الظالمين. ومرت الأيام والسنون، وظل هذا الإحساس حبيسًا تتأجج ناره في دواخل الشيخ أسامة.

وعندما تقاطر الشباب لنصرة إخوانهم في أفغانستان، كانت تلك فرصة ذهبية كبيرة أراد الشيخ أسامة والشيخ عبد لله عزام –كما ذكرنا سابقًا – استغلالها بأفضل ما يمكن أن تستغل به. لقد كان الشيخان يطمعان ويتطلعان إلى أن يأتي إلى ساحة أفغانستان أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، ليتشبّعوا بفكر الجهاد ثم يحملوه بعد ذلك إلى بلادهم. وكان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله يقول: "**أريد أن يأتي من كل بلدٍ عربي ولو أربعين مجاهدًا، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد**".

أمّا الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، فلم يرد أن يكون الجهاد ردة فعل مجردة، خال من أي فكر يقوده وينظمه، ولم يرد أن يكون الجهاد محدودًا في حدود سايكس بيكو، فقد كان يريد أن تكون للمجاهدين قوات تدخل سريع ضاربة منظمة، كلما سمعوا هيعة أو فزعة طاروا لنجدة المسلمين ولو كانوا في الصين. وحسب تصور القاعدة، فإن مشروع الجهاد الإسلامي، لا يتوقف عند حدود بلد أو دولة، إنما يتعداها ليشمل الأرض كل الأرض، لتتحرر من عبادة العباد الى عبادة الله وحده[240]. وقد أعلن الشيخ أسامة ذلك الهدف –كما سبق ذكره – فقال:

"ونحن بهذا الجهاد، لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة لتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي لتدريبهم، حتى

(240) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد.

يكونــوا بإذن الله، نــواة الجــيش الإســلامي مــع إخــوانهم المجاهــدين في أفغانســتان لتحريــر باقــي أراضي المسلمين".

وبالفعــل –كمــا مــرّ علينــا مــن قبــل - كانــت أفغانســتان نقطــة تحــول كبــيرة، حققــت فيهــا الجماعــات الجهاديــة مكاســب كثــيرة كــان مــن أخطرهــا عولمــة التيــار الجهــادي فكــريًا وحركيًــا، حيــث أحيــا المجاهــدون فريضــةً غائبــة – حُرمــت منهــا الأمــة ردحًــا مــن الــزمن- بالقتــال في أفغانســتان وكشــمير والبوســنة والشيشــان. كــذلك حطمــت معــارك الجهــاد في أفغانســتان في أذهــان الشــباب المســلم المجاهــد وهــم القــوة العظمــى، فمــا عــادوا يهابونهــا، ولا يهــابون بطبيعــة الحــال مــا دون ذلــك مــن القــوى الذنبيــة المتســلّطة في بــلاد المســلمين، فكــان ذلــك الجهــاد دورة تدريبيــة في غايــة الخطــورة لإعــداد الشــباب المســلم المجاهــد، لخــوض معركتــه المنتظــرة مــع القــوة العظمــى الــتي تفــردت بزعامــة العــالم الآن؛ أمريكا[241].

وكانــت دعــوة النظــام الســعودي للقــوات الصــليبية الأمريكيــة، إلى المجــيء إلى بــلاد الحــرمين في 7 أغســطس 1990م بحجــة تحريــر الكويــت[242] –كمــا يزعمــون – مصــيبة عظيمــة لكــل المســلمين اعتبرهــا المجاهــدون احــتلالًا لــبلاد الحــرمين الشــريفين بتواطــؤ مــع حكّامهــا. وعــن هــذ الأمــر يقــول الشــيخ أسامة:

"وكــان آخــر هــذه الاعتــداءات أن أُصــيبَ المســلمون بمصــيبة مــن أعظــم المصــائب الــتي أُصــيبوا بهــا منــذ وفــاة النــبي، ألا وهــي احــتلال بــلاد الحــرمين – عقــر دار الإســلام، ومهــبط الــوحي، ومنبــع الرســالة، وبهــا الكعبــة المشــرفة قبلــة المســلمين أجمعــين – وذلــك مــن قبــل جيــوش النصــارى مــن الأمــريكيين وحلفائهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[243].

وعنــدها تــيقّن الشــيخ أســامة بحتميــة المواجهــة المباشــرة مــع أمريكــا، وآنــذاك لم تكــن بيــده حيلــة؛ فقــد كــان رهــن الإقامــة الجبريــة في بــلاد الحــرمين. وشــاء الله أن تســنح أول فرصــة لتلــك المواجهــة بعــد اجتيــاح أمريكــا الصــومال في أوائــل ديســمبر عــام 1992م، وحينهــا كــان الشــيخ أســامة في الســودان. وقــد مــر علينــا مــن قبــل كيــف اســتغلت القاعــدة تلــك الفرصــة الذهبيــة لمواجهــة أمريكــا ومحاولــة اســتنزافها

(241) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. للشيخ أبي مصعب السوري. بتصرّف.

(242) راجع فقرة التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه صفحة 104.

(243) بيان أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.

اقتصاديًا وبشريًا ومعنويًا في الصومال، غير أن أمريكا سريعًا ما أدركت أنها قد دخلت مستنقعًا مشابهًا لدخول الروس في أفغانستان، فهي تواجه شعبًا بأكمله وليس جنرالات حروب كما كانت تدّعي، لذلك ما أن بلغت خسائرها الثمانون قتيلًا حتى اتخذت أمريكا في مارس 1994م قرار انسحابها من الصومال.

وأذن الله لرياح التغيير أن تهب، ففي صبيحة اليوم الأول من السنة الهجرية للعام 1417هـ الموافق 18 مايو عام 1996م، أُبعد الشيخ أسامة من السودان، وما أن لامست عجلات الطائرة الخاصة، المقلة للشيخ أسامة ورفاقه مطار جلال أباد، حتّى بدأت حينها مرحلة جديدة تهيأت فيها بفضل الله وحده أسباب المواجهة المباشرة، وجهًا لوجه مع هبل العصر أمريكا. وحينها كان لا بدّ مما ليس منه بدّ، وهو استنهاض الأمة المسلمة وحثها وتحريضها، لتقوم بواجبها الشرعي في نصرة الدين والدفاع عن أقدس مقدسات المسلمين، فأرسل الشيخ أسامة رحمه الله، أُولى رسائله إلى إخوانه المسلمين في العالم كافة، وجزيرة العرب خاصة، وهي بيان " **أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**"، معلنًا فيه الحرب والجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين. وفي ذلك البيان يقول الشيخ أسامة:

" في ظلال هذا الواقع الذي نعيشه، وفي ظل الصحوة المباركة العارمة التي شملت بقاع العالم والعالم الإسلامي خاصة، ألتقي اليوم معكم بعد طول غياب فرضته الحملة الصليبية الظالمة التي تتزعمها أمريكا على علماء الإسلام ودعاته، **خشية أن يحرضوا الأمة الإسلامية ضد أعدائها**، تأسيًا بعلماء السلف رحمهم الله كابن تيمية والعز بن عبد السلام. وهكذا قام هذا التحالف الصليبي اليهودي، بقتل واعتقال رموز العلماء الصادقين والدعاة العاملين – ولا نزكي على الله أحدًا – فقام بقتل الشيخ المجاهد عبد الله عزام، واعتقال الشيخ المجاهد أحمد ياسين في مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، والشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن في أمريكا. كما اعتُقِل بإيعازٍ من أمريكا عددٌ كبيرٌ جدًا من العلماء والدعاة والشباب في بلاد الحرمين، من أبرزهم الشيخ سلمان العودة، والشيخ سفر الحوالي وإخوانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان وأفغانستان؛ مما أدى إلى هذا الغياب الطويل، ولكن بفضل الله تيسر وجود قاعدة آمنة في خُرسان، فوق ذرى الهندوكوش، تلك الذرى التي تحطمت عليها – بفضل الله – أكبر قوة عسكرية ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها

أسطورة القوى الكبرى أمام صيحات المجاهدين الله أكبر. واليوم من فوق نفس الذرى من أفغانستان، نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من التحالف اليهودي الصليبي، وخاصة بعد احتلاله مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، واستباحته بلاد الحرمين، ونرجو الله أن يمن علينا بالنصر، إنه ولي ذلك والقادر عليه". ا. هـ

وتتابعت رسائل الشيخ أسامة لأمريكا في بياناتٍ عديدة، وضّح لهم بكل شفافية ماذا يريد. ففي رسالته الثانية إلى الشعب الأمريكي، بتاريخ 29 أكتوبر 2004م، بعنوان: الحرب؛ أسبابها ونتائجها يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

" فهذه هي الرسالة التي حرصنا على إبلاغها لكم - قوليًا وعمليًا - مرارًا منذ سنين قبل أحداث الـ"الحادي عشر"، وطالعوها إن شئتم في لقائي مع "سكوت" في مجلة "التايم" عام 96م، وكذلك مع "بيتر أرنيت" في السي أن أن عام 97م، ثم لقائي مع "جون مِلر" عام 98م، وطالعوها عمليًا إن شئتم في نيروبي وتنزانيا وفي عدن، وطالعوها في لقائي مع عبد الباري عطوان، وكذلك لقاءاتي مع "روبرت فيسك""[244].



سكوت ماكليود	روبرت فيسك	تيسير علّوني
مراسل مجلّة التايمز الأمريكية	مراسل صحيفة الإندبندنت البريطانية	مراسل قناة الجزيرة

(244) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

وفي إجابته لمراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل عن: ماذا يريد الشيخ أسامة؟ قال رحمه الله: "الذي نريده ونطالب به هو حق لأي كائن حي، نحن نطالب بأن تحرر أرضنا من الأعداء، وأن تحرر أرضنا من الأمريكان، فهذه الكائنات الحية قد زودها الله سبحانه وتعالى بغيرة فطرية، ترفض أن يدخل عليها داخل. فهذه أعزكم الله الدواجن، لو أن الدجاج دخل عليها مسلح عسكري، يريد أن يعتدي على بيتها فهي تقاتله وهي دجاجة. فنحن نطالب بحق لجميع الكائنات الحية، فضلًا عن الكائنات الإنسانية البشرية، فضلًا عن المسلمين. الذي حصل على بلاد المسلمين من اعتداء خاصة على المقدسات، المسجد الأقصى حيث قبلة النبي ﷺ الأولى، ثم استمر العدوان من التحالف اليهودي الصليبي الذي تتزعمه أمريكا وإسرائيل، حتى أخذوا بلاد الحرمين ولا حول ولا قوة إلا بالله. فنحن نسعى **لتحريض الأمة كي تقوم بتحرير أرضها، والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، لتحكّم الشرع وتكون كلمة الله هي العليا**".

وفي نفس رسالته إلى الشعب الأمريكي، يقول الشيخ أسامة:

" إنّ مرادنا ما لخّص في القسم بعد الحادي عشر من سبتمبر؛ أن تكف أمريكا عن شرّها كدعم اليهود، وتترك المسلمين وشأنهم ليتيسّر لنا إقامة دولة الإسلام، التي يكون فيها الدين كله لله".

واختتم الشيخ أسامة تلك الرسالة بقوله:

" أقول لكم – وأصدقكم القول – إن أمنكم ليس بيد كيري أو بوش أو القاعدة، إن أمنكم هو في أيديكم أنتم، وأن كل ولاية لا تعبث بأمننا، فهي تلقائيًا قد أمّنت أمنها"[245].

كذلك سأل مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل الشيخ الدكتور أيمن الظواهري قائلًا له:

ما الذي تريد أن توصله من رسالة إلى مصر والعالم الإسلامي من خلال عملكم وإمرتكم جماعة الجهاد المصرية[246]؟

فأجابه الشيخ الدكتور أيمن بقوله: "أنا أريد أن أوصل رسالة إلى إخواني المسلمين في كل مكان كرجل مسلم، ودعك من هذه الألقاب والمسميات. نحن نريد أن نوصل رسالة إلى إخواننا

(245) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(246) تم هذا اللقاء الصحفي في ديسمبر 1998م قبل انضمام جماعة الجهاد للقاعدة.

المسلمين في كل مكان؛ **إذا أردنا أن نعيش أعزة، وأناس لهم كرامة ولهم عزة، يجب أن نخوض الحرب الصليبية الجديدة ضد أمريكا وإسرائيل**. ونحن هذه رسالتنا إلى إخواننا في العالم العربي والإسلامي وفي مصر، أن يكونوا معنا ضد عدونا إسرائيل وأمريكا، كل بما يستطيع... العالم المسلم يجب أن يحافظ على استقلال الأزهر، الذي كان قلعة الصمود في مصر في وجه الطغيان والاحتلال، والذي نتيجةً لسيطرة الحكومة عليه واستيلائها عليه، أصبح يدعو الحاخام الإسرائيلي لزيارة الأزهر.

الطالب المسلم عليه أن يخوض انتخابات اتحاد الطلاب من أجل أن ينشر روح المقاومة ضد أمريكا وإسرائيل، الأب والأم المسلمين يجب أن يعلموا أبناءهم القرآن والحديث، ويحرصوا على تعليمهم أن فلسطين أرض مسلمة اغتصبها اليهود، وأن كل هذه الاتفاقيات والعهود والمعاهدات باطلة، ويجب أن يشرحوا لهم أن أمريكا تحتل الآن مصر، وأن الحرم محتل، والمدينة المنورة محتلة، والبترول مسروق، وأن ينشئوهم على هذا. فهذا واجب على كل شاب ومهني ونقابي في مصر، أن يقوم في وجه أمريكا وإسرائيل"(247).

وفي لقائه الأول مع مؤسسة السحاب بعد عام من الحملة الأمريكية على أفغانستان، قال الشيخ الدكتور أيمن الظواهري:

"فعلى أمريكا وحلفائها أن يعلموا أن جرائمهم لن تمر دون عقاب بإذن الله، وننصحهم أن يُسارعوا بالرحيل من فلسطين وجزيرة العرب وأفغانستان وسائر بلاد الإسلام، قبل أن يفقدوا كل شيء. وقد وجهنا بعض الرسائل لحلفاء أمريكا لكي يكفوا عن تورطهم في حملتها الصليبية، فقد وجه الشباب المجاهد رسالة لألمانيا، وأخرى لفرنسا، فإذا كانت الجرعات غير كافية، فنحن مستعدون بعون الله لزيادتها"(248).

وفي خطاب آخر صدر في سبتمبر 2005م، بعنوان وصايا فرسان غزوة لندن، وضّح الشيخ الدكتور أيمن الظواهري رسالة القاعدة فقال:

---

(247) بن لادن والجزيرة وأنا. للصحفي جمال إسماعيل.

(248) الكتاب الجامع لكلمات ورسائل الشيخ أيمن المفرّغة.

"فيا شعوب التحالف الصليبي، قد عرضنا عليكم من قبل الدخول في الإسلام، الدين الذي يؤمن بأنبياء الله جميعًا، صلوات الله وسلامه عليهم، ويؤمن بكتبه المنزلة، والدين الذي بقي كتابه المعجِز محفوظًا لم يُحرف ولم يُبدل، بل ويتحدى أن يؤتى بمثله. ثم عرضنا عليكم على الأقل أن تكفوا عدوانكم على المسلمين، وعرض عليكم أسد الإسلام المجاهد، الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، هدنة حتى تخرجوا من ديار الإسلام. ألم يخبركم الشيخ أسامة بن لادن، أنكم لن تحلموا بالأمن قبل أن نعيشه واقعًا في فلسطين، وقبل أن تخرج كل الجيوش الكافرة من أرض مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم؟ ولكنكم أجريتم أنهرًا من الدماء في ديارنا، ففجّرنا براكينًا من الغضب في دياركم. إن رسالتنا لكم واضحة جلية قاطعة: **لا نجاة لكم إلا بالانسحاب من أرضنا، وإلا بالتوقف عن سرقة بترولنا وثرواتنا، وإلا بكف الدعم عن الحكام الفاسدين المُفسدين**"[249].

وفي مقالٍ له بعنوان "تحت ظلال الرماح" يجيب الناطق الرسمي باسم تنظيم القاعدة قبل أسره، الشيخ سليمان أبو الغيث فكّ الله أسره، على هذا السؤال، **لماذا نقاتل أمريكا؟** فيقول:

"أما المبررات التي ننطلق منها نحن كتنظيم، ونبني عليها تحركاتنا، ونرسم من خلالها منهجنا وأسلوبنا في التعامل، فهي مبررات عملية واقعية تشهد بها الوقائع وقراءات الأحداث، وهي أيضًا مبررات علمية شرعية تضفي علينا شعورًا من الاطمئنان واليقين بما نقوم به نصرة لديننا وأمتنا. وليس قصدي من تسطير وتحبير هذه المبررات هو تبرير ما حدث، وإنما أضعها بين أيديكم تأكيدًا لاستمرارنا في العمل على ضرب الأمريكان واليهود، واستهدافهم بشرًا كانوا أو منشآت، وأن ما سيأتي للأمريكان لن يكون بإذن الله تعالى بأقل مما جاءها، فلتتربص أمريكا ولتستعد ولتأخذ أهبة الاستعداد ولتربط أحزمة الأمان فسنأتيهم بإذن الله وحوله من حيث لا يحتسبون ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

أما عن مبرراتنا العملية الواقعية فهي كثيرةٌ تفوق الحصر، وأكتفي هنا بالإشارة إلى بعضٍ منها تاركًا للقارئ الكريم حرية التفكير في غيرها من الأمور التي لن يتعب كثيرًا في اصطيادها.

فأمريكا هي رأس الكفر في عالمنا المعاصر، وهي زعيمة النظام الديمقراطي الكافر الذي يقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، وأن يحكم الشعب بالشعب من خلال تقنين القوانين

---

(249) الكتاب الجامع لكلمات ورسائل الشيخ أيمن المفرّغة.

المصادمة لمنهج الله عز وجل، والتي تبيح ما حرم الله عز وجل، وهي بذلك ترغم الدول الأخرى على التحاكم إلى هذه القوانين وتلك المناهج، وتعتبر أي دولة تتمرد على هذه القوانين خارجة عن نظام المجتمع الدولي وقانونه، فتتخذ بذلك ذريعة لمعاقبتها ومحاصرتها ومن ثمّ مقاطعتها، وهي بذلك تريد أن يكون الدين لغير الله في هذه الأرض، والله يأبى إلا أن يكون الدين كله له.

وأمريكا بشراكة اليهود هي رأس الفساد والانحلال، سواءً كان ذلك الفساد أخلاقيًا أم فكريًا أم سياسيًا أم اقتصاديًا، وهي تتعمد نشر الرذيلة بين الناس، وتشيع الفاحشة بينهم من خلال الإعلام الرخيص والمناهج التعليمية الساقطة.

وأمريكا هي سبب كل ظلم وحيف أو بطشٍ يقع على المسلمين، وهي وراء كل النكبات التي حلت وتحل بالمسلمين، فهي غارقة بدماء المسلمين لا تستطيع أن تخفي ذلك أو تتستر عليه.

ففي فلسطين ومنذ خمسين سنة يمارس اليهود بمباركة الأمريكان ومعاونتهم ومساندتهم والوقوف وراءهم في المحافل الدولية – يمارسون – أبشع صور القتل والبطش والتنكيل والتشريد [وأحداث جنين الأخيرة وما قبلها وما سيتبعها من الشواهد التاريخية التي لا تنسى أكبر شاهد على ذلك] فقد شرد اليهود ما يقارب (5.000.000) فلسطيني، وقتلوا ما يقارب (260.000) وجرحوا ما يقارب (180.000) وعوقوا ما يقارب (160.000).

وفي العراق وبسبب القصف والحصار الأمريكي يُقتل أكثر من (1.200.000) مليون ومائتي ألف مسلم، وخلال العشر سنوات الأخيرة يقتل وبسبب الحصار أكثر من مليون طفل، أي ما يعادل (83.333) طفل في الشهر، أي ما يعادل (2.777) طفل يوميًا، وفي ملجأ العامرية وفي يومٍ واحد يقتل (5.000) عراقي، فهل هذه الأرقام لمنشئات عسكرية؟؟؟!!!

... وفي الصومال قتلت أمريكا أكثر من (13.000) صومالي، وفعلوا أشكال الفاحشة بالصبيان والنساء.

أما موقف أمريكا من نصارى العالم ضد المسلمين فأمطِ اللثام وحدث ولا حرج، ففي السودان والفليبين وإندونيسيا وكشمير ومقدونيا والبوسنة وغيرها من المآسي ما يندى له الجبين.

أما ما تفرضه أمريكا من حصار على الدول الإسلامية عقابًا لها على تمردها على قوانينها فقد طفح الكيل بها، وتحمل المسلمون بسببها الخسائر الاقتصادية ما يفوق الخيال.

فبعد هذا كله، ألا يحق للفريسةِ وهي تربط وتجر إلى منحرها أن تتفلت؟!! ألا يحق لها وهي تذبح أن ترفس برجلها؟!! ألا يحق لها بعد ذبحها أن تصيب ناحرها بدمها؟!!

أبعد هذا كله، يذرف البعض دموع التماسيح لما حل بدولة الكفر، ويحاولون تبرئة الإسلام (كالبله) مما يجري لها، ويطلبون عطفها ولطفها في التعامل مع المسلمين، ويرسلون الرسل والمراسيل للمجاهدين برجاء الكف عن مناطحة [هبل] وهل يظنون منا ذلك؟!

فلا والله فإننا قد نبذنا إلى الأمريكان وهم نبذوا إلينا، فلا نجونا إن نجوا...، ولا خير فينا إن تراءت نيراننا...، ولا عزة ولا كرامة إن لم نثأر لإخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان وفي كل مكان.

بل نحن نحمد الله عز وجل أن جعل رأس هذا التحالف هم الأمريكان، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ آل عمران. ونحمد الله ثانيًا أن أعلنوها صريحةً أنها حرب صليبية، فقد اتضحت الراية، فما ثمَّ إلا خندق الإيمان أو خندق الكفر، ونحمد الله ثالثًا أن جعل العالم الكافر ومن معه من المرتدين يتميزون حتى تتجلى للأمة الحقيقة وتتضح الصورة ويرتفع الملام"[250].



الشيخ سليمان أبو الغيث – فكّ الله أسره

(250) مقالٍ بعنوان " تحت ظلال الرماح " للشيخ سليمان أبو الغيث.

ما هو السبيل إذن؟:

وحتى تتحقق تلك الرسالة، كان لا بد من استنهاض الأمة التي طال رقادها وقعودها، ودبّ الوهن في أوصالها، وحتى تتحمّل الأمّة تبعات ذلك الأمر العظيم كان لا بد من حثّها وتحريضها على القتال، فتحرير بلاد المسلمين من المحتلين الغاصبين، وإقامة دين الله عز وجل، لا يمكن أن يتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله.

ففي رسالته إلى الأمة الإسلامية بتاريخ 12 ذو القعدة 1424هـ، الموافق 4 يناير 2004م يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"أما الحديث عن كيفية دفعِ هذه القوى المعادية من الخارج، فذلك يستلزم منا أن ننظر في الحروب الصليبية السابقة على بلادنا، لنأخذَ منها الدروس والعبر بما يعيننا لصد هذه الهجمة، وأخذ التصور عن أهم أسباب تلك الهجمات، وكيف تم دفعها ومقاومتها. فأقول: إن احتلال الغرب لبلادنا قديم جديد، والتدافع بيننا وبينهم والمناطحة وكسر القرون قد بدأ منذ قرون، وسيستمر، لأن سنة التدافع بين الحق والباطل ماضيةٌ إلى قيام الساعة، وصلاح البلاد والعباد بإقامتها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة:251]، قال أهل التفسير: "**أي لولا مدافعة المؤمنين بالقتال للكافرين، لغلب عليها الكافرون ولفسدت الأرض بإفسادهم**"، فانتبهوا إلى سنة التدافع هذه، ولا حوار مع المحتلين إلا بالسلاح.

وبنظرةٍ لطبيعة الصراع بيننا وبين الغرب، نجد أنهم قد غزوا بلادنا قبل أكثر من ألفين وخمسمائة عام، فلم يكن لهم دينٌ قويم ولا خلق سليم، وإنما كانت دوافعهم السلب والنهب، فبقي أجدادنا في الشام تحت احتلالهم لأكثر من عشرة قرون. ولم نستطع أن نهزمهم إلا بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتزامنا بالإسلام حقًّا، الذي أعاد تشكيل وصياغة الشخصية العربية، فحررها من الجاهلية ونوّرَ قلبها وعقلها وفجّرَ طاقاتها، وعند ذلك لم يقف في وجه كتائب الإيمان أحد، لا العرب ولا العجم، وتهاوى أمام صيحات " الله أكبر"؛ الفرس والتتر، والترك والروم والبربر، وكانت ريادة العالم بأيدينا، ننقذهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه.

ثم لما ضَعُفَ تمسكنا بديننا وفسد حكامنا؛ أصابنا الوهن، فأعاد الروم علينا الكرة بعد قرونٍ بحروبهم الصليبية المشهورة، إلى أن أخذوا منا المسجد الأقصى، ولكن بعد تسعين سنة، استعدنا قوتنا بعودتنا لديننا، فاسترجعنا المسجد الأقصى – بفضل الله – على يد قائد حكيم ومنهج قويم.

فالقائد؛ صلاح الدين رحمه الله والمنهج؛ الإسلام وذروة سنامه؛ الجهاد في سبيل الله، وهذا ما يلزمنا اليوم وهو ما يجب أن نسعى إليه.

وكذلك الحال؛ لم يتم تحرير بلاد العالم الإسلامي في القرن الماضي من احتلال الصليبيين العسكري، إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله، والذي يستميت الغرب اليوم لتشويهه، وقتل من يحمل رايته تحت اسم " مكافحة الإرهاب"، ويناصرهم في ذلك المنافقون، **لأنهم يعلمون جميعًا، أن الجهاد هو القوة الفعّالة لإحباط جميع مؤامراتهم**.

فهذا هو السبيل فاتبعوه، لأننا إذا ابتغينا دفعهم بغير الإسلام، فسنكون كالذي يدور في حلقة مفرغة، وسيكون حالنا كحال أجدادنا الغساسنة، كان همّ الواحد من كبرائهم، أن يكون ضابطًا للأمن عند الروم، وإن أُطلق عليه لقب "ملك"، ليقوم بحماية مصالحهم، وذلك بقتل إخوانه من عرب الجزيرة، وهذا هو حال "الغساسنة الجدد"؛ حكام العرب اليوم.

فيا أهل الإسلام:

إن لم تأخذوهم بجريرتهم في القدس وأرض الرافدين، أخذوكم بخذلانكم وسلبوكم أرض الحرمين، فاليوم بغداد وغدًا الرياض، وهلّم جرًا – إلا أن يشاء الله – وحسبنا الله ونعم الوكيل".

وفي نفس الخطاب يقول الشيخ أسامة:

"فينبغي على دعاة الإصلاح أن يعلموا أن الطريق لإصلاح الأمة وتوحيدها تحت كلمة التوحيد؛ ليس بالمحاضرات النظرية وتأليف الكتب فقط، ولكن **لابد أيضًا من مشروع عملي تنخرط فيه الأمة**

كلها – كلٌ بحسبه – ابتداءً بالدعاء والابتهال إلى الله، وانتهاءً بالقتال في سبيل الله".

وفي رسالة تحريضية أخرى موجهة لأهل العراق خاصة والمسلمون عامة يقول الشيخ أسامة:

"فالموفّق من وفقه الله لنصرة دينه، وأما من قعد مع الخوالف دون ظلال السيوف مع تعين الجهاد، فقد ارتكب إحدى الكبائر العظام، فاعتبروا بقصص الصادقين ممن قعد قبلكم، فبكوا وندموا ندمًا شديدًا.

ففي قصة كعب بن مالك ﷺ يوم تبوك، عبرة لكم فقد كان يقول: (تجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معه، فأرجع ولم أقض شيئًا، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل يتمادى بي، حتى شمّر بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديًا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، فلم يزل يتمادى بي، حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت) اهـ.

وعلم الله أنه استمر بالناس الجد اليوم، وتسابق الصادقون إلى ساحات الجهاد، فاغتنم الفرصة يا عبد الله، وارتحل وأدركهم، ولا يأتين عليك يوم تقول فيه يا ليتني فعلت. فالبدار البدار. وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، عن رسولنا عليه الصلاة والسلام أنه قال: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) صحيح مسلم.

فما يقعدكم عن الجهاد بأموالكم، وأنتم تعلمون أنه واجب عليكم؟ وما يقعدكم عن الجهاد بأنفسكم؟ وأنتم تؤمنون بأن الأرزاق معدودة والآجال محدودة، وأن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم، لا محالة في موعده ولو كنتم في بروج مشيدة.

فاتق الله يا عبد الله، فأين ذهب عقلك حتى تضن بنفسك ومالك عن المالك؟ وهل يَضن بالمملوك عن مالكه عز وجل؟ إلا من خان أمانته، وضعف يقينه، ورق دينه. وتدبروا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. [النساء:77].

فهذا هو الجواب لمن خاف يوم الحساب، فمن قعد له شيطان من الإنس أو الجن في طريق الجهاد، وقال له: تجاهد فتُقتل، ويُقسم مالك، وتُنكح زوجتك، ويُيتم أطفالك، فليتل عليه قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. [النساء:77].

فيا عباد الله: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واحذروا كل الحذر من المثبطين والمرجفين والمعوقين، القائلين لإخوانهم هلم إلينا.

واحذروا الذين يحبون قول الحق ولا يستطيعونه إلا أن يختموه بقول الباطل، كمدح وتزكية الطواغيت، فهؤلاء قد ضلوا ضلالًا مبينًا، ولا تصح الصلاة خلفهم، فليتقوا الله في أنفسهم وأمتهم،

وليتوبوا عـن باطله. واحـذروا الـذين يريـدون قـول الباطـل، فيلبسـون الحـق بباطلهم ليمـرروه علـى النـاس. فتعـيُّن الجهـاد اليـوم في فلسـطين والعـراق، حـق علـى أهـل القطـرين، فـإن عجـزوا أو قصـروا أو تكاسـلوا، فعلـى مـن يلـيهم، وثمَ وثمَ، إلى أن تعـم الـدائرة جميـع بـلاد المسلمين، حيـث إن بـلاد المسـلمين كلهـا بمنزلة البلد الواحدة.

هـذه هـي فتـاوى العلمـاء رحمهـم الله، الـذين لم يأخـذوا في اعتبـارهم أهـواء الحكـام العمـلاء في العواصـم المحيطـة، كـالرياض وعمّـان، وحيـث إن العجـز واضـح في فلسـطين والعـراق، فـإن الجهـاد متعـين علـى مـن يلـيهم، كأهـل بـلاد الحـرمين وسـوريا والأردن وتركيـا وإيـران والكويـت، فـإن عجـز أو قصـر هؤلاء، فعلى من يليهم، فالجهاد في العراق وفلسطين حق، والتخذيل عنه باطل.

واحـذروا الـذين يتسـللون لـواذًا، الـذين يزاحمـون الربوبيـة والنبـوة بآرائهـم واهـوائهم، ثم يزعمـون إن هـذه مصـلحة الـدعوة فهـذا محـال، وفي آرائهـم الـدمار والبـوار، قـال الله تعـالى: ﴿لَا تَجْعَلُـوا دُعَـاءَ الرَّسُـولِ بَيْـنَكُمْ كَـدُعَاءِ بَعْضِـكُم بَعْضًـا قَـدْ يَعْلَـمُ اللَّهُ الَّـذِينَ يَتَسَـلَّلُونَ مِـنكُمْ لِـوَاذًا فَلْيَحْـذَرِ الَّـذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [النور:63].

فيا عباد الله:

إن الطريـق واضـح بـين، فقـد تركنـا رسـولنا عليـه الصـلاة والسـلام علـى المحجـة البيضـاء، ليلهـا كنهارهـا، لا يزيـغ عنهـا إلا هالـك. واقـرؤوا القـرآن والسـنة تبصـروا الصـراط المسـتقيم، **وكـلٌ يؤخـذ مـن قولـه ويُـرد**، إلا نبينـا عليـه الصـلاة والسـلام. واضـربوا بعـرض الحـائط آراء وأهـواء الرجـال، مهمـا عظمـوا وعلمـوا وفقهـوا، إذا عـارض قـولهم قـول الله تعـالى، أو قـول رسـوله عليـه الصـلاة والسـلام، حـتى وإن كانوا مخلصين صادقين، فهي زلة منهم لا تهدر مكانتهم وفضلهم، ولكن لا يُتابعوا في زلتهم.

وأمـا القعـود عـن الجهـاد المتعـين، فهـو مـن أبـرز صـفات المنـافقين، فقـد ذمهـم الله تعـالى، وقـال لهـم شـر مـا قـال لأحـد، ليحـذرنا مـنهم ومـن القعـود، وتوعـدهم الله بعـدم الهدايـة والعـذاب الألـيم، وطبـع علـى قلـوبهم ونفـى عـنهم العلـم والفقـه، وإن تعلّمـوا لأن ثمـرة العلـم خشـية الله، واقـرؤوا إن شـئتم سـورة التوبة.

فتـدبر هـذه الآيات التاليـة، فهـي توضـح طـريقين لا ثالـث لهمـا عنـد تعـيّن الجهـاد، طريـق إمـام المجاهـدين، وخـاتم النبيـين عليـه الصـلاة والسـلام، وطريـق القاعـدين. فـاختر لنفسـك. قـال الله تعـالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَـتْ سُـورَةٌ أَنْ آمِنُـواْ بِاللهِ وَجَاهِـدُواْ مَـعَ رَسُـولِهِ اسْـتَأْذَنَكَ أُوْلُـواْ الطَّـوْلِ مِـنْهُمْ وَقَـالُواْ ذَرْنَا نَكُـن

مَّعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ * لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [التوبة:86-88].

فيا عبد الله:

هذا سيد الورى، الذي لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو صاحب الشفاعة العظمى، ومع هذا كله حرص أن يجاهد والذين آمنوا معه بأنفسهم وأموالهم لنصرة لا إله إلا الله، فخرج يوم تبوك لقتال الروم في الضح والحرور، وتقعد أنت مع ذوات الخدور، ثم تزعم أنك متبع لنبينا عليه الصلاة والسلام، وأنك على هديه، قاتل الله الجبن والجبناء.

[[يرى الجبناء أن العجز حزم... وتلك خديعة الطبع اللئيم]]

فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت(251) ".ا. هـ

وكان الشيخ أسامة في رسائله التحريضية، كثيرًا ما يُهوّن على الناس مسألة قتال أمريكا، وإمكانية هزيمتها بإذن الله تعالى إن صدقت النوايا. وكان رحمه الله قد أجاب مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني عندما سأله قائلًا:

" شيخ أسامة بن لادن، تنظيم القاعدة يواجه الآن دولة تتسيّد العالم عسكريًا وسياسيًا وتكنولوجيًا، بأي منطق يمكن لتنظيم القاعدة، التي لم تصل بالتأكيد إمكاناته المادية إلى الإمكانات التي تملكها الولايات المتحدة، بأي منطق يمكن لتنظيم مثل القاعدة هزيمة أمريكا عسكريًا؟

فأجاب الشيخ أسامة بقوله: "الحمد لله، أقول إن المعركة ليست بين تنظيم القاعدة والصليبية العالمية، المعركة بين أهل الإسلام والصليبية العالمية. وهذا التنظيم، بفضل الله سبحانه وتعالى، كان مع إخواننا المجاهدين الأفغان، وكان الناس يقولون مثل هذا الكلام وأشد منه، كيف لكم أن تهزموا الاتحاد السوفيتي؟ والاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت كان قوة عظيمة جدًا ترعب العالم بأسره، وحلف الناتو (حلف شمال الأطلسي) يرتعد خوفًا من الاتحاد السوفيتي. فأين تلك القوة التي مُنَّ

---

(251) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

بها علينا وعلى إخواننا المجاهدين، وأصبح الاتحاد السوفيتي بفضل الله أثرًا بعد عين. لم يعد هناك الاتحاد السوفيتي، تقسم إلى دويلات كثيرة وبقيت روسيا. فالذي مدنا بمدد من عنده سبحانه وتعالى، وثبتنا سبحانه وتعالى إلى أن انهزم الاتحاد السوفيتي، هو قادر سبحانه وتعالى أن يمدنا مرة أخرى بمدد من عنده لهزيمة أمريكا على نفس الأرض بفضل الله سبحانه وتعالى، ومع نفس الأقوام، فذلك فضل الله سبحانه وتعالى. فنحن نعتقد أن هزيمة أمريكا هو أمر ممكن بإذن الله سبحانه وتعالى، وهو أيسر علينا بإذنه سبحانه وتعالى من هزيمة الاتحاد السوفيتي سابقًا".

تيسير علوني: كيف تفسرون ذلك؟ لماذا هو أيسر؟

الشيخ أسامة بن لادن: "جربنا من إخواننا الذين خاضوا قتالًا مع الأمريكان على سبيل المثال في الصومال، لم نجد هناك قوة تذكر، هناك هالة ضخمة جدًا على أمريكا والولايات المتحدة، بها ترعب الناس قبل أم يخوضوا قتالًا، فجرب إخواننا الذين كانوا هنا في أفغانستان وفتح الله عليهم مع بعض المجاهدين في الصومال، فخرجت أمريكا تجر أذيال الخيبة والهزيمة والخسران، لا تلوي على شيء، خرجت بأسرع مما كان يُتصور، ونست كل ذلك الضجيج الإعلامي الضخم عن النظام العالمي الجديد، وعن أنها هي سيدة ذلك النظام، وأنها تفعل ما تريد. نفت كل هذه الترهات ولمت جيشها، انسحبت مهزومة بفضله سبحانه وتعالى. فجربنا القتال ضد الروس من 79 إلى 89، عشر سنوات بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم واصلنا ضد الشيوعيين في أفغانستان. واليوم نحن في نهاية الأسبوع الثاني، شتان شتان بين المعركتين، وبين هذه الفئة وتلك، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يمدنا بمدد من عنده، وأن يكسر أنف أمريكا راغمة، أنه ولي ذلك والقادر عليه"[252].

كذلك يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري في معرض ردوده على مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل: "وأمريكا هزيمتها ليست صعبة. أمريكا هزمت في فيتنام، وطردت من لبنان، ومن الصومال، فلو وقفنا أمامها وقفة صادقة فقد تنتهي كما انتهى الاتحاد السوفيتي، كل شيء يعتمد على أن نخلص النية في المقاومة"[253].

يقول الشيخ أسامة رحمه الله في إحدى رسائله: "فالقتال في سبيل الله؛ جزءٌ لا يتجزأ من ديننا، بل هو ذروة سنام الدين، وكيف يبقى الدين بدون ذروته؟ وهو ضرورةٌ مُلِحّةٌ لحياة أمتنا

(252) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(253) بن لادن والجزيرة وأنا. للصحفي جمال إسماعيل.

وعزها وبقائها، وقد صدق عدونا وهو كذوب، إذ قال معلمًا لأبنائه: **(أنت تقاتل؛ إذن فأنت موجود)**، هذه هي الحقيقة التي يعلمونها أبناءهم ويرسلون إلينا بعكسها"[254].

الخيار الصحيح في أسلوب المواجهة:

تكمن فعالية الدواء بقوة تشخيص الداء، قاعدة لا يمكن أن يغفل عنها من يريد لمريضه الشفاء، وإذا أردنا لأمة مريضة أن تتعافى من سقمها الذي أنهك جسدها، فبذهاب أسباب المرض والتشخيص السليم نحن نتقدّم في عملية العلاج. والحقيقة أن هذه الأمة تمرض ولكنها لا تموت، وهذا وحده يعطي دفعة معنوية في عملية العلاج.

هناك من حاول مكافحة الفيروسات، وهناك من فكر باستهداف المصنع المنتج لهذه الفيروسات، الأول سيستفرغ جهده في عملية المكافحة وإنتاج برامج وقائية، والثاني سيختصر الوقت بتدمير المصنع ذاته، وهكذا فكرت القاعدة، وعلى هذا بنت استراتيجيّتها[255].

قد لا يختلف اثنان مع الشيخ أسامة رحمه الله بوجوب القتال، لكن ما هو الخيار الصحيح في أسلوب المواجهة؟ هل هو قتال الحكام المرتدين، عملاء الأمريكان العدو الأقرب والأغلظ كفرًا، أم قتال الأمريكان، العدو الأبعد الأوضح كفرًا؟

كانت استراتيجية التيار الجهادي بمختلف تنظيماته ومكوناته منذ الستينات وحتى أحداث الحادي عشر، هو الخيار الأول **ذو التوجّه القطري**، فقد كانت كلها بلا استثناء تقريباً منصرفة لأهدافها الخاصة في مواجهة حكومات بلادها. غير أنها بسبب سياسة الضرب في سويداء القلب – التي اتبعتها حكومات الردّة والعمالة في مواجهة الحركات الجهادية – وصل قيادات هذه الحركات إلى قناعة بأن السير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطياته يبدو مستحيلًا.

أما القاعدة – كما ذكرنا من قبل – فقد كان احتلال الصليبيين بقيادة أمريكا لبلاد الحرمين بحجة تحرير الكويت، نقطة تحول فارقة في تاريخ الصراع، وضع فيها الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، النقاط على الحروف، وحدد سياسة واستراتيجية القاعدة وهي: حتمية المواجهة المباشرة مع العدو الأبعد الأوضح كفرًا، أمريكا.

---

(254) رسالة إلى الأمة الإسلامية بعنوان التحريض والحث على الجهاد، بتاريخ 4 يناير 2004 م.

(255) اقتباس من دراسة بعنوان " القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ " للكاتب حسام الأموي.

وكمـا أسـلفنا مـن قبـل، أن الشـيخ أسـامة كـان قـد توصـل بتوفيـق الله إلى المعادلـة السياسـية الصحيحة بالنسبة لمواجهة أمريكا في بلاد الحرمين، وهي[256]:

(1) العلماء يضفون الشرعية على حكومة آل سعود.

(2) وآل سعود يضفون الشرعية على وجود أمريكا في جزيرة العرب.

وهناك إحدى طريقين للمواجهة مع آل سعود وهذه الأوضاع وهي:

أ- إما مواجهـة آل سـعود، وبالتـالي ضـرورة مواجهـة العلمـاء لكشـف نفـاقهم لإسـقاط شـرعية آل سعود، وهـي معركـة خاسـرة أمـام النـاس، لحجـم وثقـل المؤسسـة الدينيـة، ومـا زرعتـه مـن الشـرعية والهيبـة في عقول الناس عبر أكثر من سبعين سنة.

ب- وإمـا الطريـق الأسـلم، وهـو ضـرب الوجـود الأمريكـي، فيضـطر آل سـعود للـدفاع عنـه فتسـقط شـرعيتهم في أعـين المسـلمين في بـلاد الحـرمين، فتـدافع المؤسسـة الدينيـة عـنهم فتسـقط شـرعيتها معهـم، فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحًا أمام الناس.

فقـد كـان الشـيخ أسـامة رحمـه الله، يعتـبر أن المجاهـدين عملـةً صـعبة، فهـم كمـا يقـول عـنهم الشـيخ عبـد الله عـزام رحمـه الله: "قليـل مـن قليـل مـن قليـل". لـذلك كـان الشـيخ أسـامة يريـد أن تتوحـد كافـة جهـود المجاهـدين في كـل مكـان، وتركـز نشـاطها وهـدفها علـى عـدو واحـد لا ينـتطح فيـه عنـزان، ولا يختلـف فيـه عقـلان، هـو رأس الأفعـى هبـل العصـر أمريكـا. فقـد كـان رحمـه الله يـرى بالتجربـة علـى مـر السـنين، أن المجاهـدين وحـدهم يقـاتلون وينـاطحون أنظمـة تعمـل بالوكالـة لـدول الإسـتكبار الكـبرى، كلمـا هلـك نظـام جـاء آخـر أشـد كفـرًا وبأسًـا مـن سـابقه، مسـخرًا في يـده كـل أسـباب بقائـه - إلّا أن يشـاء الله - مـن أجهـزة الدولـة السياسـية والماليـة والعسـكرية والإعلاميـة والدعويـة، الـتي تمجـد وتسـبّح بحمـده صـباح مسـاء، فتضـفي علـى وجـوده الصـبغة الشـرعية، وتسـتعدي علـى المجاهـدين حاضـنتهم الشـعبية، حـتى إذا طـال زمـان الصـدام، وخـارت القـوى وفـترت العـزائم والهمـم مـع تـوالي الضـربات الموجعـة علـيهم، أدركـوا ووصـلوا إلى مرحلـة ألّا جـدوى، لتبـدأ بعـدها سلسـلة مـن التراجعـات والتنـازلات والفشـل باسـم المراجعـات ولا حـول ولا قـوّة إلا بالله. والشـواهد علـى ذلـك كثـيرة، كمـا حدث لقطاع كبير من شباب الحركات الجهادية في مصر وليبيا والجزائر وغيرهما.

(256) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

لـذلك حـرص الشـيخ أسـامة في دعوتـه كـل الحـرص، **أن يكـون ضـرب رأس الأفعـى أمريكـا – وخاصّـة في عقـر دارهـا – هـو الهـدف الأولى، لأنـه إذا أدبـرت أمريكـا منهزمـة مـن بـلاد الإسـلام بعون الله وقوته، فإن المعارك مع أعوانها ستكون أسهل وأيسر بعون الله وقوته. فأمريكا هي رأس الكفر فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان كما قال عمر رضي الله عنه للهرمزان عندما استشاره وقال له انصح لي فإنك أعلم بأهل فارس، قال نعم إن فارس اليوم رأس وجناحان فقال له: فأين الرأس؟ قال نهاوند، ثم ذكر موضع الجناحين، وقال الرأي عندي يا أمير المؤمنين أنك إن تقطع الجناحين يهن الرأس، فقال عمر كذبت يا عدو الله، بل أعمد إلى الرأس فأقطعه فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان.**

وكـان الشـيخ أسـامة كثـيرًا مـا يشـبّه سياسـة القاعـدة في مواجهـة أعـداء الأمّـة، بشـجرة خبيثـة سـاقها أمريكـي قطـره 50 سـم، وفروعهـا كثـيرة متفاوتـة الأحجـام، منهـا دول حلـف النـاتو، وغيرهـا مـن الأنظمـة العميلـة في المنطقـة، ونحـن نريـد أن نسـقط هـذه الشـجرة بنشـرها غـير أن طاقتنـا محـدودة، فـالطريق الأسـلم لإسـقاطها هـو بالتركيـز علـى نشـرها في أصـلها الأمريكـي، فلـو ركّـزنا في عمـق السـاق الأمريكـي حـتى وصـلنا إلى عمـق 30 سـم تقريبًـا، ثمّ سـنحت لنـا فرصـة تمكننـا مـن النشـر في الفـرع البريطـاني فـلا نفعـل مـع إمكانيـة النشـر في الأصـل الأمريكـي؛ لأنّ في ذلـك تشـتيت للجهـود، وتبديـد للطاقـة، ولـو اسـتمر النشـر في عمـق السـاق الأمريكـي حـتّى يسـقط، سـوف تتـداعى لـه بقيـة الأطـراف بالانهيـار. وخـير مثـال علـى ذلـك التـداعيات الـتي ترتبـت علـى قطـع المجاهـدين لسـاق شـجرة الاتحـاد السـوفيتي في أفغانسـتان، وسـقوط فروعـه تبعًـا لـذلك واحـدًا تلـو الآخـر مـن الـيمن الجنـوبي حـتى أوروبا الشرقية دون بذل أي جهد على إسقاط تلك الفروع.

وكـان بعـض الإخـوة يحـاج الشـيخ أسـامة ويـرى أولويـة قتـال الحكـام المرتـدين، ويقـول للشـيخ، نحـن مـا نسـتطيع للأمريكـان، أنـت سـتدخلنا في ورطـة... الخ. وكـان رد الشـيخ أسـامة لهـم في غايـة البسـاطة والوضـوح، فكـان يقـول لهـم: "**أنـتم تريـدوننا أن نقاتـل عميـل خلـف عميـل خلـف عميـل حـتى نصـل إلى أبي العمـلاء. دعـونا مـن أول مـرّة نـذهب ونقاتـل أبا العمـلاء مباشـرة وتكـون خاتمـة حسنة**"[257].

---

(257) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، رواية الشيخ بصير رحمه الله.

وكان رحمه الله يقول: "**إن التركيز على المرتدين وكثرة الحديث عنهم أمر لا تفقهه جماهير الأمة وبالتالي لا تتفاعل معه، بل كثير منهم ينفرون منه ويجعلنا نسير في بيئة غير محتضنة للحركة الجهادية، وبالتالي لا تمدنا بالدعم لمواصلة الجهاد واستمراره**"[(258)].

فالشيخ أسامة كان يهدف من هذه السياسة إلى كسب تعاطف الشعوب التي لا يختلف فيها اثنان على قتال الأمريكان الواضح للعيان كفرهم وظلمهم وجرائمهم، ودعمهم اللامحدود لليهود العدو التقليدي للمسلمين.

وبالرغم من كل ذلك يستثنى من تلك السياسة العامة — حسب ما جاء في وثيقة توجيهات عامة للعمل الجهادي – ما يلي:

1–والتركيز على رأس الكفر العالمي لا يتعارض مع حقّ الشعوب المسلمة في جهاد ظالميها بالقول واليد والسلاح. فمن حق إخواننا في الفلبين وبورما، وفي كلّ أرضٍ يعتدى فيها على المسلمين أن يجاهدوا من اعتدى عليهم.

2–عدم الاشتباك القتالي مع الأنظمة إلا إذا اضطررنا إلى ذلك، كأن يكون النظام المحلّي يشكّل جزءًا من قوّة الأمريكان كما في أفغانستان، أو يقاتل المجاهدين نيابة عن الأمريكان، كما في الصومال وجزيرة العرب، أو لا يقبل بوجود المجاهدين، كما في المغرب الإسلامي والشام والعراق.

وكان أخوف ما يخاف منه الشيخ أسامة في خضم التفاعل مع الأفعال ورُدودها بيننا وبين الخصوم، أن تنحرف استراتيجية القاعدة عن خطها ومسارها الصحيح، لذلك كان دائمًا في رسائله إلى القادة يذكّرهم ويؤكد على ضرورة أن يكون الهدف الأساس في الحرب مع أمريكا واضحًا نصب الأعين.

يقول الكاتب حسام الأموي في دراسة له بعنوان "القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ":

ولهذا أعظم ما تخشاه أمريكا هو استهدافها في عقر دارها، أو استهداف مصالحها في كل الدول، لذلك تسعى أمريكا بكل الوسائل، عبر لعبة الخداع التي تجيد ممارستها، أن تقنع بعض المنتسبين للجهاد بفشل هذه الاستراتيجية؛ التي تجعل أمريكا ومصالحها هي الهدف الأول

(258) وثائق أبوت أباد. الدفعة الأولى.

للمجاهدين، وتحويلهم إلى استراتيجية الصراع الداخلي بمفهوم قتال الكافر المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي...

وإذا كان البعض يقول أين ضربات أمريكا في عقر دارها؟ بعد حادثة بوسطن، وعمر الفاروق، وعملية الطرود وغيرها من العمليات؛ ليروّج لفشل استراتيجية الشيخ أسامة، فإن كان المجاهدون خلال السنوات الماضية وبعد فوضى الثورات العربية قد استدرجوا للصراع الداخلي، فإن تأخر عمليات ضرب أمريكا لا يعني فشل الاستراتيجية، ولا يعني أيضًا الاستجابة للرغبات الأمريكية؛ بتحويل الصراع إلى الداخل، وتجاهل أمريكا. بل إن لم يستطع المجاهدون ضرب أمريكا في الوقت الراهن – بسبب ظروف معينة – فإن النجاح هو في أن يحافظ المجاهدون على قوتهم، وعدم استنزافها في حرب داخلية، حتى تحين الفرصة؛ لتنشيط القسم الخاص بالعمليات الخارجية؛ وهذا ما يخشاه ساسة البيت الأبيض[259].

جديرٌ بالذكر أن الشيخ أسامة رحمه الله في رسالته الموجّهة للشعب الأمريكي في 20 يناير 2006م بعنوان "السبيل لإنهاء الحرب " قال: "**<u>وأما تأخر وقوع عمليات مشابهة في أمريكا لم يكن بسبب تعذر اختراق إجراءاتكم الأمنية، فالعمليات تحت الإعداد وستروها في عقر داركم حال الانتهاء منها بإذن الله</u>**".

وللأسف الشديد، رغم رمزية الشيخ أسامة رحمه الله، إلّا أنه لم ينجح في استمالة كثير من الجماعات الجهادية إلى توجهاته بتوحيد محور المواجهة تجاه أمريكا، سواء بالاندماج معه في جماعة واحدة، أو بالدخول في حلف الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد الصليبيين. وكانت المفاجأة في أن (الفكرة القطرية) وهي الإطاحة بالأنظمة المرتدة، بنفس الأساليب التقليدية في عمل التنظيمات لإقامة أنظمة تحكم بالشريعة الإسلامية، برزت لتسيطر على المرحلة الجديدة – مرحلة طالبان – مرة ثانية، حيث جعلت معظم التنظيمات هدفها هو نفس الهدف، الذي أثبتت الأيام فشله في ظل النظام العالمي الجديد. وعندما جاءت هجمة أمريكا على الإمارة، وتداعيات أحداث سبتمبر، أقنعت أمريكا الكل بترك أهدافهم والتفرغ لحربها[260].

يقول الشيخ أبو مصعب السوري – فكّ الله أسره — في كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

---

(259) الكاتب حسام الأموي في دراسة له بعنوان " القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ".

(260) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، للشيخ أبو مصعب السوري. بتصرّف.

"لقد كان الهجوم المظفر للشهداء الأبرار التسعة عشر على عقر دار الكفر والطغيان أمريكا، وذلك بضربها في صميم منشآتها الاقتصادية والعسكرية، عملًا جبارًا وتاريخيًا بكل المقاييس... وبصرف النظر عن تداعيات الحدث وطبيعة المواجهة التي حصلت من بعده، وطريقة إدارتها، لاسيما في أفغانستان... بصرف النظر عن كل ذلك، يمكن القول **بأن توجه الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، قد وضع المعركة بهذا الشكل في مسارها الصحيح. وذلك بفرض المواجهة بيننا وبين عدونا الحقيقي، الداعم من وراء الستار لكافة أعدائنا، في كل ساحات المواجهة التي نخوضها، بدءًا من صراعنا مع اليهود في فلسطين، ومرورًا بكل مواجهاتنا مع حكامنا المرتدين المدعومين من قبل أمريكا وحلفائها. فجزاه الله خيرًا**.

... وإذا سلمنا بهذه المقدمة عن حرب واقعة ومفروضة من العدو علينا، فنسلّم إذًا وفق مقتضيات ديننا الحنيف بأن علينا المواجهة. وأن جهاد الدفع قد صار فرض عين على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾. فإذا كنا سنواجه، فلابد من خسائر في هذه الحرب العالمية، **ويجب أن يكون واضحًا أمام من يريد الجهاد، أن من أهم ذلك مسألة (اختيار أسلوب المواجهة)، فإمّا أن ندخل المعركة وفق تصورات العدو، باستنزافنا جزئيًا هنا وهناك، وتحطيم طاقاتنا بالصراع مع الحكام المرتدين، ومن تبعهم من المنافقين والمكرهين والجاهلين من جيوشهم ورجال أمنهم – وهذا ما فعلناه عبر أكثر من ثلاثين سنة، وعبر عشرات التجارب الفاشلة الباهظة التكاليف – وإمّا أن نوجّه المعركة نحو العدو الأساسي والمحرك لكل أعدائنا المحليين، وأعني الثالوث الخبيث (إسرائيل – أمريكا – أوروبا الناتو)**"[261]. ا. هـ

وفي مقالٍ له عام 2006م بعنوان "هل تنتهي مشكلتنا مع الغرب بتأمين مصالحه في منطقتنا" يقول الدكتور عبد الله النفيسي[262]:

---

(261) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، للشيخ أبو مصعب السوري. بتصرف.

(262) نقلًا من دراسة بعنوان " القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ " للكاتب حسام الأموي.

"ولأن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل (مركز الثقل) بالنسبة للغرب، وهي الوريث لمشروع الهيمنة الأوروبي وبالذات البريطاني، فهو الذي يمد المشروع الصهيوني بأسباب البقاء والتفوّق العسكري، فلا يمكن تحقيق النقلة النوعية للأمة الإسلامية من هذه المرحلة الغثائية – كما وصفها رسول الله ﷺ – إلا من خلال التركيز على مقاومة (مركز ثقل) الغرب الذم تمثّله الولايات المتحدة. وينبغي التوضيح دائمًا أننا لا نقاوم إلا لحماية أنفسنا من عدوان الإدارات الأمريكية...

هدف استراتيجية المقاومة: – كما يرسمها العقل الاستراتيجي المسلم د. حامد عبد الماجد قويسي – هو إحداث خلخلة في النظام الدولي الآسر للأمة الإسلامية بالتصدي والمقاومة لمركز الثقل الغربي، الذي تمثّله الولايات المتحدة... نقولها بكل صراحة، بأنه **على الحركات الإسلامية – بشتى راياتها ومسمياتها – أن تعي بأن الغرب يستهدفها جميعًا؛ تلك التي تركب مراكب (العنف) والقوة المادية، وتلك التي تلوح ليلًا ونهارًا بأغصان الزيتون، إذ أن المستهدف هو الإسلام؛ كتابه ورسله وشريعته ولغته وحركته وتجمّعه البشري ومقدراته المادّية والأدبيّة"**. ا. هـ

إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر الحق فيم أقامك[263]؟:

ولعل خير ما يناسب المقام هنا بعد كل هذا الاسترسال، رسالة تحريض للشباب على القتال بعنوان: "**نداء عاجل إلى شباب المسلمين** " للشيخ سليمان أبو الغيث فكّ الله أسره، جاء فيها:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، نبي المرحمة والملحمة، والمبعوث بالسيف بين يدي الساعة القائل: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْتَزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

أما بعد: أيها الشباب:

صفات أربع لا تكون إلا بكم، ولا تتحرك إلا من خلالكم، ولا تثمر إلا بسعيكم هي: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل. ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

(263) العنوان مقتبس من خطبة بعنوان "إلحق بالقافلة " للشيخ أبي مصعب الزرقاوي.

إيمانٌ مـلأ قلبـه، وإخـلاصٌ نقـى سـريرته، وحماسـةٌ جـدت مـن سـعيه، ونصـحٌ صـادق كـان لـب عملـه. فمسـئولية ذلـك الرجـل هـي مسـئوليتكم، وسـعيه هـو واجـبكم، وعملـه هـو دوركـم في هـذه المرحلـة الخطـيرة الـتي تمـر بهـا أمـتكم. ومـن هنـا تضـاعفت حقـوق أمـتكم علـيكم، وثقلـت الأمانـة في أعناقكم.

أيها الشباب:

إن الصـخب المـدوي، والحـوادث المريعـة، والنكبـات المتتاليـة الـتي تلـدها أرحـام الليـالي الحبـالى في هـذا الزمـان، والجراحـات القاتلـة الـتي أُثخنـت بهـا أمتنـا، مـا كانـت لتكـون لـولا أننـا تركنـا الجهـاد في سـبيل الله تعـالى؛ فأُشـربت قلوبنـا حـب الـدنيا، وكرهـت المـوت، فمـاذا كانـت النتيجـة؟؟ خوفًـا مـلأ قلوبنا، وذلًا نكّس رؤوسنا، وهوانًا أرغم أنوفنا، وانكسارًا حطم شموخنا.

وهـذه الحالـة المثقلـة بكـل معـاني الضـعف والانهـزام، والـذل والانكسـار، لا ولـن تتبـدل إلا بسـعيكم المخلـص، وبـذلكم، وتضـحيتكم، وجهـادكم، ووقـوفكم أمـام الزوابـع العاصـفة، والسـيول الجارفـة، مـرددين قـول الحـق: ﴿قَـالَ الَّـذِينَ يَظُنُّـونَ أَنَّهُـم مُّلَاقُـو اللَّهِ كَـم مِّـن فِئَـةٍ قَلِيلَـةٍ غَلَبَـتْ فِئَـةً كَثِـيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أيها الشباب:

تلفتـوا حـولكم، وأمعنـوا النظـر في حـال أمـتكم، وشـعوبكم، ومجتمعـاتكم، هـل ترونـا إلا مسـتذلون لغـيرنا؟ محكومـون بغـير شـريعة ربنـا؟ منسـاقون وراء شـهواتنا؟ ديسـت أراضـينا، وانتهكـت أعراضـنا، وسلبت أموالنا، وعطلت شريعة ديننا في ديارنا؟؟.

هـل تـرون أحـدًا قـد سـلم مـن منـاورات الغصـب، ودسـائس الاسـتعمار، ومـؤامرات الخيانـة في جميـع أوضاعنا؟؟.

فمـاذا بقـي لنـا؟ وأي كرامـة نخـادع بهـا عقولنـا؟ وأي عـزة نمـني بهـا أنفسـنا؟ وأي سـلام نبتغيـه مـن عـدونا؟ وأي مصـلحة نرتجـي تحصـيلها؟! ثم لمـاذا الخـوف؟ وممـ الخـوف؟ وعـلام الخـوف؟ وإلى مـتى الخوف؟؟ فهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها؟!

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَأيها الشباب﴾.

إن حربًا مدمرةً على أبوبنا لن تخطف أرواحنا وتمزق أجسادنا فحسب، بل هي حرب خطط لها لابتلاع الأرض، وتدنيس العرض، وسلب الخيرات، ونهب الثروات، وتغيير وجه الأرض في عالمنا الإسلامي بما يناسب مصلحة اليهود والصليبيين. وهي قريبةٌ جدًا بحيث لن تدع لنا فرصة للتفكير، ولن تتيح لنا مجالًا للاختيار، ولن تمهلنا حتى نحزم أمرنا، أو نستشير كبراءنا فما هو المطلوب منا؟؟

أيها الشباب:

إن الواجب اليوم يتطلب منا عملًا واحدًا لا ثاني له، ولا بديل عنه، ولا نجاة بغيره ألا وهو القتال. ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾. النساء

والعدو الذي نواجهه اليوم هو عدو مشترك (من الصليبيين واليهود)، الذين لا يشك أحد في كفرهم، وعداوتهم للمسلمين، وحرصهم على استئصال شأفتهم ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، ويضاف إلى هذا أن أهدافه معلنه، ونواياه مكشوفة، يحرص هو على إظهارها والتبجح بها، ويعلن حربه على كل من يقف في طريق تحقيقها. فمن كانت هذه حالته، وهذا هو مراده وهدفه، فقتاله من أوجب الواجبات ومن أفضل القربات، ومن حالفه أو ناصره أو ظاهره ولو بالكلام، فقد ارتكب مكفّرًا مخرجًا عن ملة الإسلام...

فأقدموا لما فيه شرفكم وعزكم ونصركم في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين".

فيا إخواننا المسلمين في كل مكان، يا أحفاد خالد ومصعب والمثنّى، هذه هي رسالة القاعدة كما وضّحها مشايخنا الكرام، جلية بينة كالشمس في رابعة النهار، فبلاد المسلمين تحكم بغير ما أنزل الله، ومقدّساتهم محتلة، وثرواتهم منهوبة، ولا سبيل لتغيير هذه المنكرات العظام إلّا كما قال الشيخ أسامة رحمه الله:

"والسبيل أمامنا لإقامة الدين ورفع ما وقع بالمسلمين من بلاء، هو بإزالة الهيمنة الواقعة على البلاد والعباد، التي تحول دون بقاء أي نظام يحكم فيها بشرع الله، والسبيل لإزالة هذه الهيمنة هو بمواصلة الاستنزاف المباشر للعدو الأمريكي حتى ينكسر ويضعف عن التدخل في شؤون العالم الإسلامي".

ما هو منهج القاعدة؟:

يتسآءل كثيرٌ من الناس عن ما هو منهج القاعدة؟ كذلك كان بعض الإخوة قد اقترحوا على الشيخ أسامة رحمه الله، بأن يكون هناك منهج واضح بيّنٌ مكتوب تسير على نهجه الجماعة، ويميزها عن باقي الجماعات. وكان الشيخ أسامة رحمه الله يردّ على هؤلاء الإخوة بكل بساطةٍ أن منهجنا هو ما جاء في كتاب الله، وسنّة نبيّه عليه الصلاة والسلام، وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ومن تبعهم بإحسان من سلف هذه الأمّة.

وعن هذا الأمر يقول الشيخ حسين بن محمود في مقال له بعنوان " هذه هي القاعدة":

"والناظر في أدبيات القاعدة يرى أنه ليس عندها شيء خاص بها، فليس هناك عقيدة مكتوبة للقاعدة، ولا منهج مدوّن، كل ما هنالك: اجتهادات شخصية في بعض النوازل الفقهية التي يستعين فيها المجاهدون – في الغالب – بعلماء المسلمين في شتى بقاع الأرض... وليس عدم كتابة منهج أو عقيدة ناتج عجز أو جهل، بل هو من الحكمة، لأن المنهج الحقيقي لكل مسلم مكتوب محفوظ بحفظ الله، فلا داعي لكتابة منهج تستقل به جماعة عن المسلمين في تنظيم جديد تُقيم على أساسه عقيدة الولاء والبراء، هذا فضلًا عن أن كثير من علماء السلف كتبوا في المنهج الإسلامي الصحيح، والمجاهدون منهجهم: الدليل الصحيح المعتبر...

إن منهج "القاعدة" هو القرآن الكريم والسنة الثابتة على فهم سلف الأمة، وهذا هو الإسلام الذي نعرفه، وعقيدة "القاعدة" هي ما في القرآن والسنة الصحيحة على فهم سلف الأمة، وهذه هي العقيدة التي نؤمن بها، وليس "للقاعدة" منظّر بالمعنى المتعارف عليه عند بقية الجماعات، وإنما هناك: قرآن وسنة وعلماء يجتهدون في هذا النطاق الواسع من النصوص، علماء وطلبة علم يستعينون بكلام علماء الأمة قديمًا وحديثًا دون النظر إلى مذهب العالم الفقهي أو بلده أو انتمائه التنظيمي، أما من كان من أهل البدع والأهواء، فهؤلاء لا اعتبار لهم، وإنما المعتبر هو الدليل الشرعي، فمتى ثبت الأمر بمقتضى الدليل الشرعي: صار مذهبًا ومنهجًا عند "القاعدة".

من هنا يتبين بأن "القاعدة" ليست تنظيمًا بالمعنى المتعارف عليه، بل هي جزء من الأمة الإسلامية ككل: لا تنفك ولا تنفصل عنها ولا يمكن لأحد أن يفصلها عن جسد الأمة، وكم حاول الإعلام وحاولت الحكومات وحاول علماء السوء أن يطلقوا على المجاهدين الألقاب والمسميات كي يفصلوهم عن جسد الأمة، فقالوا: "إرهابيين"، وقالوا "الفئة الضالة" وقالوا

"المتنطعين"، وقالوا "أهل التفجير والتخريب" وقالوا "أهل العنف"، وقالوا "خوارج"، وقالوا "أهل التكفير" وغيرها من المسميات التي تكسّرت على صخرة الحقيقة الصلبة بفضل الله ومنّته.." ا. هـ

وفي إجابته لتساؤل مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني حول: ما هو مدى ارتباط تنظيم القاعدة، وجود تنظيم القاعدة بشخص أسامة بن لادن؟ يؤكّد الشيخ أسامة رحمه الله على هذه المعاني قائلًا:

"الحمد لله، أقول بالنسبة لما ذكرتم، وأكرر ما ذكرته من قبل، أن الأمر لا يخص العبد الفقير ولا يخص تنظيم القاعدة، نحن أبناء أمة إسلامية قائدها مُحَمَّد ﷺ، ربنا واحد سبحانه وتعالى ونبينا واحد عليه الصلاة والسلام وقبلتنا واحدة ونحن أمة واحدة، ولنا كتاب واحد، هذا الكتاب الكريم والسنة المطهرة عن نبينا عليه الصلاة والسلام ألزمتنا شرعًا بأخوة الإيمان، فكل المؤمنين إخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10].

فليست المسألة كما يصورها الغرب أن هناك تنظيم خاص باسم كذا، هذا الاسم قديم جدًا ونشأ بدون قصد منا، كان الأخ أبو عبيدة عليه رحمة الله البنشيري كوّن معسكر لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي، الغاشم، الملحد الإرهابي حقيقة للآمنين، فهذا المكان كنا نسميه القاعدة كقاعدة تدريب ثم نما هذا الاسم، أما نحن فغير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة ونحن جزء لا يتجزأ منها، وما هذه المظاهرات العارمة من أقصى المشرق من الفلبين إلى ماليزيا إلى إندونيسيا إلى الهند وباكستان وموريتانيا... نحن نتحدث عن ضمير الأمة، هؤلاء الشباب الذين ضحوا بأنفسهم نرجو الله أن يتقبلهم في نيويورك وواشنطن، هؤلاء هم المتحدثون على الحقيقة لضمير الأمة، وهم ضميرها النابض الذي يرى أنه لابد من الانتقام من الظالم، من الباغي، من المجرم، من الإرهابي على الحقيقة الذي يرهب الآمنين، فليس كل إرهاب مذموم، فهناك إرهاب مذموم، وهناك إرهاب محمود. فلو نأخذ بقولهم، فالمجرم اللص يشعر بالإرهاب من الشرطي من البوليس، فهل نقول لشرطي أنت إرهابي أرهبت اللص؟ لا، فهذا إرهاب البوليس للمجرمين إرهاب محمود، وإرهاب المجرم للآمنين إرهاب مذموم. فأمريكا تمارس الإرهاب المذموم، هي و"إسرائيل"، ونحن نمارس الإرهاب المحمود الذي هو يردع هؤلاء عن قتل أطفالنا في فلسطين وغيرها"[264].

(264) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة بن لادن.

إنّ في حركة طالبان لعبرةً لأولي الأفهام:

يقول الشيخ أبو مصعب السوري - فكّ الله أسره – في الجزء الثاني من كتابه " الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا " الذي انتهى من تأليفه قبل ثلاثين سنة في مايو 1991م:

" أكثر من خمسين عامًا مرت على بداية الحركة الإسلامية المعاصرة... أشكال متعددة من الإنجازات ومظاهر النجاح برزت وأصبحت ملء السمع والبصر. إلا أنه على مستوى الهدف المنشود، وهو إقامة الحكم الإسلامي في بلاد المسلمين، فإن الفشل هو الذي حصل وتكرر إلى الآن في أكثر من بلد، وقد ولد هذا الفشل الشاذ اتجاهات شاذة، وطروحات منحرفة في الحركة الإسلامية، وأفرز انشقاقات كثيرة في الحركات الإسلامية وأنتج ظواهر غريبة، وأوضاعًا طاغوتية مريرة، إنه وضع يقتضي من القائمين على العمل الإسلامي وقفة تأمل ومحاسبة وتقييم للممارسات والمناهج والأساليب المتبعة...

إن المحنة الحقيقية لهؤلاء الباحثين أنهم يتصورون أن هذا الواقع الجاهلي هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه ولكن الأمر غير ذلك تمامًا. إن دين الله هو الأصل الذي يجب على البشرية أن تطابق نفسها عليه، وأن تحور من واقعها الجاهلي وتغير حتى تتم هذه المطابقة، ولكن هذا التحور وهذا التغيير لا يتمّان عادة إلا عن طريق واحد، وهو التحرك في وجه الجاهلية لتحقيق ألوهية الله في الأرض وربوبيته وحده للعباد، وتحرير الناس من العبودية للطاغوت بتحكيم شريعة الله وحدها في حياتهم. وهذه الحركة يجب أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء، فيفتن من يفتن، ويرتد من يرتد، ويصدق الله من يصدقه فيقضي نحبه ويستشهد، ويصبر من يصبر ويمضي في حركته حتى يحكم الله بينه وبين قومه بالحق، وحتى يمكّن الله له في الأرض وعندئذ فقط يقوم النظام الإسلامي " ا. هـ

قبل أن استرسل، أود أن أنبه إلى أن هذا الخطاب ليس موجّه لمن بذل جهده وأستفرغ وسعه، وكان عمله لنصرة دين الله موافقًا لما جاء في كتاب الله وسنّة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ومع كلّ ذلك لم يحقق أي نتائج تذكر. جاء في الصحيحين: عن ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ،...) فكم من السنين مكث هؤلاء الأنبياء – عليهم رضوان الله – في تبليغ دعوتهم، علمًا بأنهم

مستقيمين على أمر الله، وأوتوا من أسباب البلاغ كالصبر والحكمة وحلاة المنطق وحسن الحديث ما لم يؤت غيرهم من الناس، ومع ذلك لم يحققوا أي نتائج، وكانت المحصلة مع بعضهم؛ يأت النبي وليس معه أحد، فهل يُعدّ ذلك فشلًا؟ وهل يشك أحدٌ أن هؤلاء الأنبياء قد قصّروا في مصلحة دعوتهم إلى الله، حاشاهم وربّي وكلّا، لكن الحقيقة هي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

فهذا الخطاب موجّه في المقام الأول للحركة الإسلامية، ولكلّ من حاد عن الشرع واتبع هواه، واعطى الدنيّة في دينه وتنازل عن ثوابت هذا الدين بحجّة الاستضعاف وغيرها من الحجج الواهية حتى أصبحوا في خاتمة المطاف جنودًا أوفياء للنظام الدولي يستخدمهم في حربه على المجاهدين، فوقعوا في الكفرٌ البواح والردّة الصراح، نسأل الله العافية والثبات.

بناءً على ما تقدّم من كلام الشيخ أبي مصعب، حريٌ بكل أطياف الصحوة الإسلامية من جهاديين وسلفيين وسروريين وتبليغيين العاملين لنصرة الدين، وإقامة حكم الله في أرضه. حريٌ بالحركة الإسلامية التي ناهز عمرها اليوم على المائة عام ولم تحقق شيئًا من تلك الشعارات الرنّانة التي بحّت بها أصواتنا عندما كنا نخرج في تلك التظاهرات المليونية نهتف بأن الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. حريٌ بنا جميعًا أن نقف طويلًا وقفة تأمل ومحاسبة وتقييم للممارسات والمناهج والأساليب المتبعة نأخذ منها العظات والعبر، ونسأل أنفسنا بكل تجرّد: لماذا نجحت حركة طالبان في إقامة حكم الله في أرضه بينما فشل الآخرون؟ كيف استطاعت حركة طالبان أن تقيم في فترة وجيزة إمارةً إسلاميةً – دامت خمس سنوات – عجز عن قيامها أحزاب الشقاق والنفاق المنتمين للحركة الإسلامية، وعجزت عن قيامها حكومة البشير في السودان التي مكّن الله لها حكم البلاد ثلاثين عامًا كاملة؟ كيف استطاعت حركة طالبان – رغم البون الشاسع في موازين القوّة – الثبات والصمود في تلك الحروب الضارية التي خاضتها على مدى ما يقارب الثلاثة عقود، مع المناوئين لها من الأحزاب في بداية نشأتها، ثم مع أمريكا وحلفائها الخمسين، علمًا بأن بوش في مؤتمره الصحفي في ثاني يوم من أحداث الحادي عشر من سبتمبر سئل عن كيفية الرد على الفاعلين فقال: "لا أستطيع أن أقول إلا أن الدولة التي حمت الإرهابيين سوف نمسحها من على خارطة العالم " وقال بصريح العبارة: (we will smoke them) أي سوف نبخّرهم؟ كيف استطاعت حركة طالبان رغم كل

ذلك الوعيد الرهيب أن تنتصر على هذه الجموع البربرية في ميادين النزال، وتحقق نصرًا آخر في دهاليز مفاوضات الدوحة، وتجبر أمريكا أن توقّع صاغرةً ذليلةً على هزيمتها بالخروج وخمسين دولة من حلفائها من أفغانستان؟ وإذا كانت أمريكا وحلفائها قد خاضوا هذه الحرب طوال تلك السنين من أجل أن يفرضوا نظامهم الديمقراطي بعد تبخير طالبان ونظام حكمهم الإسلامي كما زعموا، فكيف استطاعت حركة طالبان أن تفرض إرادتها أمام المفاوض الأمريكي، بأن نظام حكمها بعد انسحاب الأمريكان سيكون نظامًا إسلاميًا على أُسس الشريعة الإسلامية في أفغانستان؟ كيف حققت طالبان كل تلك المكاسب في أقل من عقدين من الزمان، بينما لم تستطع جموع الصحوة الإسلامية أن تحقق عشر معشار ما حققوه في بضع عقود؟ كيف وكيف وكيف، أسئلة لا نهاية لها سوى أن نقول ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

بداية قد يسوق لك قائلٌ سيلًا من الأسباب التي تسببت في نجاح حركة طالبان، وأيضًا يسوق لك مثلها سيلًا من الأعذار التي أعاقت وتسببت في فشل الحركة الإسلامية وغيرها من الجماعات التي تعمل لإقامة حكم الله في أرضه. لكننا لو وقفنا جميعًا بصدقٍ وتجرّدٍ لله، لوجدنا أن الإجابة الشافية الكافية الوافية لكل تلك التساؤلات تكمن في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله سبحانه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

أيها السادة، إن السبب الرئيسي الذي أدّى لنجاح حركة طالبان بينما فشلت فيه الحركة الإسلامية ومن على شاكلتها، هو أنها فقهت تمامًا قول الله عزّ وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾، فالله سبحانه وتعالى لم يتعبّدنا بطاعته إلّا بما وافق كتابه وسنة نبيّه، وكلٌ يؤخذ من قوله ويردّ إلّا صاحب هذا القبر عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام، وعلى هذا الأساس أفلحت حركة طالبان، بينما كان الفشل والتخبط والضلال حليف كل من خالف هذه القاعدة.

فمنذ اليوم الأول لنشأتهم فقه قادة طالبان – وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله – ماذا تعني لا إله إلا الله؟ وماذا تعني نصرة دين الله؟ فقهوا قول الإمام مالك ﵁ بأنّ آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها. فقهوا معاني بيعة العقبة، ومعاني بيعة الرضوان. فقهوا معاني

قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وسيرة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. فهموا حديث ورقة بن نوفل رحمه الله لرسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، في أول يوم نزل عليه فيه الوحي، فقبل أن تتنزل آيات الجهاد، وآيات الولاء والبراء، وآيات الأحكام، وغيرها وغيرها من آيات الكتاب، قال ورقة بن نوفل ﷺ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن سمع منه ما حدث له في الغار: "ليتني كنت فيها جذعًا - يعني شابًا قويًا يبالغ في نصرته - إذ يخرجك قومك". فاستغرب رسول الله ﷺ من قوله فقال: أو مخرجيّ هم. فقال له ورقة: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي. ولتكذبنّ ولتؤذينّ ولتخرجنّ ولتقاتلنّ". منذ اليوم الأول فقه الطالبان أن إقامة دولة الإسلام، ونصرة دين الله والمستضعفين من المؤمنين، ليس بالأمر السهل، فهو أمر بخلت وضنّت به جميع قبائل العرب - باستثناء الأنصار - عندما طاف عليهم رسول الله ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب، قبيلة قبيلة، يطلب منهم شيئًا واحدًا فقط هو: أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم، حتى يبلغ دين الله ولهم الجنّة. ورغم أن قبائل العرب في ذلك الزمان، كانت قبائل مشهود لها بالنجدة والنخوة والنصرة وحبها للقتال، إلا أنها ضنّت بنفسها عن قبول عرض رسول الله ﷺ لها ذلك الأمر، لماذا؟ لأنها كانت تعرف جيدا ثمن هذه البيعة. كانت قبائل العرب - وهي آنذاك على الشرك - تعرف جيدا ماذا تعني نصرة دين الله. فثمنها غال جدًا، وتكاليفها باهظة، وتبعاتها جسيمة. كانت قبائل العرب تعرف أن ذلك الأمر، أمر تكرهه الملوك، دونه بحارٌ من الدماء، وجبالٌ من الأشلاء. دونه هلكة الأموال وقتل الأشراف. دونه مناوأة العرب والعجم كافة، وأن تعضّهم السيوف.

وباختصار شديد، منذ اليوم الأول لنشأتهم، فهم قادة طالبان حقيقة الصراع بين الحق والباطل، لقد فهم قادة طالبان جيّدًا قول الله عزّ وجل ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وقوله سبحانه ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. لقد فهم الطالبان أن القضية في المقام الأوّل هي قضية دين، وليست قضية أسامة كما تتحجج أمريكا، ومن أجل ذلك قال أمير المؤمنين في أحد خطاباته: "**والذي يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام فهذه لذة وسعادة تفوق كل لذة وسعادة في الدنيا،**

لأنه لا مفر من الموت، فإذا كان الموت من أجل الإسلام فذلك هو الفوز العظيم... أن الفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك".

وبناءً على هذه الشفافية والوضوح في الفهم، لا عجب بعد ذلك أن يشهد العالم أجمع تلك المواقف البطولية المشرفّة التي تتصدّع أمامها الجبال، مواقف العزّة والاستعلاء والثبات على الدين التي وقفها أمير المؤمنين الملّا عمر وقادته الميامين، فرغم الضغوط التي تعرضت لها حركة طالبان إلّا أنها استعلت بإيمانها على الباطل، ولم تثنها آلامها وجراحاتها ومآسيها التي مرّت بها طوال تلك السنين أن تعطي الدّنيّة في دينها قيد أنملة، ولم تتنازل بتسليم رجل واحد للكافرين، حتى وإن كان ذلك على حساب التضحية بملكهم ودولتهم. لا عجب بعد ذلك أن يشهد العالم أجمع تلك الانتصارات الأسطورية التي حققها الطالبان، وفاقت - بفضل الله وحده - في ميادين السياسة والنزال كلّ خيال، وذكّرتنا ببطولات الأجداد في بدرٍ وخيبر وحطين وعين جالوت.

لقد جعل الله الطالبان حجّة على أولئك الذين يعطون الدنيّة في دينهم بحجّة الاستضعاف. فما هي قوة طالبان مقابل قوة أمريكا وحلفائها الخمسين؟ لقد خاض الطالبان هذه المعركة متوكّلين على الله حقّ التوكّل، فهم موقنون بأن النصر من عند الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمر لله من قبل ومن بعد. وأن الله لا يضيع من لجأ إليه، وأن الدين أسمى وأعز وأغلى من كل شيء، وأن الملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه عمّن يشاء.

لكن في المقابل، لما أصبح الرضا والتسليم بالأمر الواقع - المفروض من قبل سلطة قائمة، أو قوى خارجية - عند كثيرٍ من رموز ومفكّري وفلاسفة الحركة الإسلامية هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه، خالفت الحركة الإسلامية مبادئها وثوابتها ونتج عن ذلك — كما يقول الشيخ أبو مصعب - فشلًا ولّد اتجاهات شاذة، وطروحات منحرفة، وظواهر غريبة، وأوضاعًا طاغوتية مريرة، وانشقاقات كثيرة.

وبطبيعة الحال كانت النتيجة الحتمية لهذا الفشل هي التراجعات والتنازلات تلو التنازلات، وتقديم الرأي على النص، والغاية تبرر الوسيلة، حتى أضاعت الحركة الإسلامية الدين والدنيا، ولم تحقق شيئًا من شعارها الجامع، فما أقامت للإسلام دولة، ولم تحقق نصرًا على أعداء الله ورسوله، ولم تُعِد ما تستطيع من قوة وعدّة ترهب بها عدو الله وعدوّها، وعوضًا عن ذلك أفتى شيخهم

القرضاوي في بعض النوازل التي ألمت بالأمّة بفتاوى تكاد السماوات يتفطرن منها، مثل فتواه[265] – بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر – التي أجاز فيها قتال المسلم الأمريكي تحت راية دولته ضد المسلمين المجاهدين في أفغانستان! وحث المسلمين أن يتبرعوا بالدم للأبرياء في أمريكا الذين سقطوا ضحية هجمات الحادي عشر.

بعد كل ذلك، حري بالحركة الإسلامية أن تتساءل، كيف أقحمت نفسها في هذا النفق المظلم وهي تتلو كل يوم قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾، وتتلو قول رسوله عليه الصلاة والسلام: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ..).

ولعل خير ما يعبّر عن هذا الواقع الأليم الذي وصلت إليه الحركة الإسلامية قصيدة[266] – نشرتها مجلة المجتمع الكويتية في عددها 883 الصادر بتاريخ 20 سبتمبر 1988م – كتبتها أمينة قطب، في ذكرى استشهاد شقيقها الشيخ الشهيد سيّد قطب – رحمهم الله جميعًا:

أخي إنه لحديث يطول ... وفيه الأسى وعميق الشجون

رأيت تبدل خط الحداة ... بما نالهم من عناء السنين

فمالوا إلى هدنة المستكين ... ومدوا الجسور مع المجرمين

---

(265) **كانت الخارجية الأمريكية قد أشادت بالفتوى في بيانها الصادر بتاريخ 19/ 2001/10م بعنوان "علماء مسلمون يرفضون دعوة بن لادن إلى الجهاد ضد الأميركيين"، وكانت الفتوى التي شارك فيها الشيخ يوسف القرضاوي قد نشرت كاملة في جريدة " الشرق الأوسط " بتاريخ 8/ 2001/10م، ومما جاء فيها: (... فاننا نرى ضرورة البحث عن الفاعلين الحقيقيين لهذه الجرائم، وعن المشاركين فيها بالتحريض والتمويل والمساعدة، وتقديمهم لمحاكمة منصفة تنزل بهم العقاب المناسب الرادع لهم ولأمثالهم من المستهينين بحياة الابرياء وأموالهم والمروعين لأمنهم ... وهذا كله من واجب المسلمين المشاركة فيه بكل سبل ممكنة ... والخلاصة انه لا بأس ان شاء الله على العسكريين المسلمين من المشاركة في القتال في المعارك المتوقعة ضد من يُظَنُّ انهم يمارسون الإرهاب، أو يؤوون الممارسين له ويتيحون لهم فرص التدريب والانطلاق من بلادهم، مع استصحاب النية الصحيحة!! على النحو الذي أوضحناه، دفعًا لأي شبهة قد تلحق بهم في ولائهم لأوطانهم ...) اهـ.**

(266) من كتاب الحصاد المر للشيخ أيمن الظواهري,

رأوا أن ذلــك عــين الصــواب وما دونــه عقبــات الطريــق
بتلــك المشــورة مــال الســفين تأرجــح في ســيره كــالغريق
وفي لجــة الــيم تيــه يطــول وظلمــة ليــل طويــل عميــق

حزنــت لمــا قــد أصــاب المســير ومــا يملــك القلــب غــير الــدعاء
بأن ينقــذ الله تلــك الســفين ويحمــي ربانهــا مــن بــلاء
وأن يحــذروا مــن ضــلال المســير وممــا يــدبر طــي الخفــاء

تــرى هــل يعــودون أم أنهــم يظنــون ذلــك خــط النجــاح
وفي وهمهــم أن مــد الجســور سيمضــي بآمــالهم للفــلاح
وينســون أن طريــق الكفــاح بــه الصــدق والفــوز رغــم الجــراح

ولكنــني رغــم هــذي الهمــوم ورغــم التــأرجح وســط العبــاب
ورغــم الطغــاة ومــا يمكــرون ومــا عنــدهم مــن صنوف العــذاب
فــإن المعــالم تبــدي الطريــق وتكشــف مــا حولــه مــن ضــباب

وألمــح أضــواء فجــر جديــد يزلــزل أركــان جمــع الضــلال
وتــوقظ أضــواؤه النــائمين وتنقــذ أرواحهــم مــن كــلال
وتــورق أغصــان نبــت جديــد يعــم البطــاح نــدي الظــلال

فــنم هانئًــا يا شــقيقي الحبيــب فلــن يملــك الظلــم وقــف المســير
فــرغم العنــاء سيمضــي الجميــع بــدرب الكفــاح الطويــل العســير
فعــزم الاباة يــزيح الطغــاة بعــون الإلــه العلــي القــدير

ومع كل ذلك نقول: نحن لا ننكر فضل الحركة الإسلامية وجهودها في أنه كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في رجوع العشرات من الآلاف من أبناء المسلمين إلى الله عزّ وجل، ولا ننكر

أنه قد خرج من رحمها رجالٌ - كسيّد قطب وأخيه مُحَمَّد وغيرهم - رحمهم الله — ممن صدقوا وثبتوا على مبادئها الأولى التي قامت على أُسسها، لكننا ننكر عليها تنكرها وانسلاخها وانحرافها بعد ذلك لمنهجها ومبادئها التي اختصرها شعارها الجامع لمقومات العقيدة الجهادية، وثوابت هذا الدين (الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا). ننكر عليها عدم الصبر على الجهاد، والتقائها مع الطواغيت في منتصف الطريق، والاعتراف بولايتهم، ومبايعتهم، ومسايرتهم، والرضى بالعيش في ظلّهم، بل والتشريع لهم، والدعاء لهم بالبقاء حرصًا على بعض المكاسب الدعويّة والاجتماعية. ولعل في كتاب الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله " الحصاد المر الأخوان المسلمين في ستين عامًا"، وغيره من المقالات والكتب ما يغني عن الخوض في تفاصيل هذا الانحراف.

يقول الشيخ الشهيد سيِّد قطب في تفسير الآية ﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾:

"فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة. وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير! فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها لأن الصغير منها كالكبير، بل ليس في العقيدة صغير وكبير. إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء، لا يطيع فيها صاحبها أحدًا، ولا يتخلى عن شيء منها أبدًا.

وما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق، وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان. جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها سواء. إن الهوة بينها وبين الإسلام لا تعبر، ولا تقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة، وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق! ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون للنبي - ﷺ - ليدهن لهم ويلين ويترك سب آلهتهم وتسفيه عبادتهم، أو يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه، وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول - ﷺ - كان حاسمًا في موقفه من دينه، لا يدهن فيه ولا يلين. وهو فيما عدا الدين ألين الخلق جانبًا وأحسنهم معاملةً وأبرهم بعشيرةٍ وأحرصهم على اليسر والتيسير. فأما الدين فهو الدين! وهو فيه عند توجيه ربه: (فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ) ولم يساوم - ﷺ - في دينه وهو في أحرج المواقف العصيبة في مكة، وهو محاصر

بدعوتـه، وأصحابه القلائل يتخطفون ويعذبون ويؤذون في الله أشد الإيذاء وهم صابرون. ولم يسكت عن كلمة واحدة ينبغي أن تقال في وجوه الأقوياء المتجبرين، تأليفًا لقلوبهم، أو دفعًا لأذاهم. ولم يسكت كذلك عن إيضاح حقيقة تمس العقيدة من قريب أو من بعيد" ا. هـ

كذلك يقول الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

"هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائمًا. محاولة إغرائهم لينحرفوا – ولو قليلًا – عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها مقابل مغانم كثيرة. ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هينًا، فأصحاب السلطان لا يطلبون منه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق. وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيل، لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة، لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء!... وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سلموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلها!" ا. هـ

وفي موضع آخر من كتابه الظلال يقول الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله، محذّرًا أصحاب الدعوات من الانحراف عن المبادئ والثوابت:

"ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات – بعد الرسل – والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها، تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه ليس أصيلًا فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها! ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة، ولا مع منهج الدعوة المستقيم. وذلك حرصًا على سرعة انتصار الدعوة

وانتشارها. واجتهادًا في تحقيق «مصلحة الدعوة» ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير. أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله.

فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج إنما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق، وأن يدعوا نتائج هذه الاستقامة لله. ولن تكون إلا خيرًا في نهاية المطاف... إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها ويتحروا هذا النهج دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوح لهم أن فيها خطرًا على الدعوة وأصحابها! فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن النهج لسبب من الأسباب، سواء كان هذا الانحراف كثيرا أو قليلا. والله أعرف منهم بالمصلحة وهم ليسوا بها مكلفين. إنما هم مكلفون بأمر واحد. ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق..." ا. هـ

نعم هناك فقه قائم على المصالح والمفاسد والموازنات والتنازلات لكن ليس على حساب أصل الدين مهما كانت النتائج. فهذه قصّة أصحاب الأخدود، أنزل الله في شأنهم سورةً كاملةً تتلى إلى يوم الدين، لم يتنازلوا عن دينهم قيد شعرة، فقتلوا جميعًا عن بكرة أبيهم بأشد أنواع القتل ألما، ووصف الله تعالى فعلهم وثباتهم على دينهم بأنه الفوز الكبير. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلّم لما خاف على المسلمين في غزوة الأحزاب عرض على عيينة بن حصن الفزاري، والحارث بن عوف المري رئيس غطفان الصلح على ثلث ثمار المدينة، وأن ينصرفا بقومهما ويدعا قريشًا وحدها. وكانت هذه المقالة من رسول الله – ﷺ – لهما مراوضة ولم تكن عقدًا. فلما رأى رسول الله – ﷺ– منهما أنهما قد رضيا، استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا: يا رسول الله، هذا أمر تحبه فنصنعه لك؟ أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع؟ أو أمر تصنعه لنا؟ فقال: "بل أمر أصنعه لكم، فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة " فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، والله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، ولا نعبد الله ولا نعرفه، وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة، إلا شراء أو قِرىً. فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا! والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فسر بذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال: "أنتم وذاك"، وقال لعيينة والحارث: "انصرفا، فليس لكما عندنا إلا السيف".

لقد مكّن الله للحركة الإسلامية في السودان حكم البلاد ثلاثين عامًا كاملة، ولا ينكر أحدٌ فضلها وإنجازاتها في بداية عهدها، ومن بينها إيوائها للمجاهدين، لكنها شيئًا فشيئًا بحجّة

الضغوط والمصلحة أضاعت الدين والدنيا، وتنكّرت لكل مبادئها وثوابتها التي ملأت بها الدنيا ضجيجًا ونعيقًا. وها هي أحزاب الحركة الإسلامية في أفغانستان بعد أن مكّن الله لهم بدخول كابل عام 1992م، استبشر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بقيام دولة الشريعة، لكنهم لم يقدموا للشعب الأفغاني سوى الخراب والدمار بسبب الاحتراب فيما بينهم صراعًا على السلطة، وها هو العالم اليوم يشهد قتالهم لمجاهدي حركة طالبان تحت راية الصليب، بعد أن كانوا بالأمس يقاتلون الروس الملاحدة تحت راية الإسلام، نسأل الله العافية والثبات. وها هو أردوغان الذي أصبح نموذجًا تحتذى به الحركة الإسلامية، وقدوةً على النجاحِ والتفوقِ في تركيا، يتحدّث عن علمانية حكومته بكل صراحة، ويقيم علاقات دبلوماسية مع الصهاينة اليهود، ويسمح بحرية المثليين، ويقاتل عدّة آلاف من جنوده بجانب قوات التحالف الصليبية في أفغانستان، وتنطلق من قاعدة انجرليك طائرات أمريكا لتقصف المسلمين في العراق وأفغانستان، وشرّ البلية ما يضحك.

يقول راشد الغنّوشي أحد رموز الحركة الإسلامية متحدّثًا لمجلة المجتمع في عددها 531 الصادر في 11/ 8/ 1981م: "أن هناك خطأً سياسيًا شنيعًا ارتكبته حركة البنّا ولا يزال متواصلًا، وهو أن الحركة الإسلامية تقدم نفسها وصيًا على المجتمع وليس طرفًا سياسيًا أو فكريًا يستمد مشروعيته من قوة إقناع الجماهير ببرامجه. إن الحركة الإسلامية ما زالت تستنكف بشدة أن تعتبر نفسها كغيرها من بقية الأطراف السياسية شيوعية كانت أو ديموقراطية أو اشتراكية. يجب أن نحترم إرادة الجماهير إذا اختار مجتمعنا في يوم من الأيام أن يكون ملحدًا أو شيوعيًا فماذا نملك له؟"[267].

فالقضية إذن ليست قضيّة استضعاف بقدر ما هي قضية منهجٍ ورجال. منهج قويمٍ، ومحجّةٍ بيضاء، واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، تركنا[268] عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلم ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك، ولا يتنكّبها إلا ضال. القضيّة هي قضية رجال يعرفون طبيعة هذا المنهج. رجال لا تهزها المحن، ولا تزعزعها الزعازع. رجال لا تبيع دينها بعرضٍ من الدنيا قليل، رجالٌ قدوتهم رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، يقولون كما قال سعد بن معاذ - رضي الله عنه - لرسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام: "إنا قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق،

---

(267) القول السديد في معالم التوحيد للشيخ عمر بن مسعود الحدوشي.

(268) **في كلمةٍ له في عزاء الرئيس التونسي السابق الهالك السبسي، يقول رمز الحركة الإسلامية في تونس راشد الغنّوشي: "ولا يعزّينا في فقد هذا الرجل الوطني الغيور الحكيم إلّا أنه ترك البلاد على المحجّة البيضاء، تركها على السراط المستقيم ..."**

فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة. فامض يا نبي الله لما أردت. فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل. وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت".

فيا إخواننا في الحركة الإسلامية، تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم، بأن يكون بحق الله هو غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

يقول الشيخ أسامة في توجيهاته المنهجية موجهًا رسالةً إلى شباب الصحوة فقال لهم:

" وهنا ينبغي أن نؤكد على شباب الصحوة أن فيهم من الطاقات ما يكفي وزيادة لإقامة الحق، ولإقامة دولة الإسلام ودولة الخلافة، ولكن ينبغي أن يتحرروا ويحرروا عقولهم من التقليد الأعمى، فقد صح عن نبينا عليه السلام أنه قال: (لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا) رواه الترمذي وحسنه.

وسأذكر لكم قصة ذات مغزى كبير، أن أُولي الألباب والنهى إذا قلدوا مَن أمامهم دون أن يتدبروا، فقد يضيع منهم خير عظيم، بل قد تضيع عليهم الآخرة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فهذا خالد بن الوليد ﷺ وعمر بن العاص، وعمرو بن العاص من دهاة العرب المعدودين، وخالد بن الوليد عبقري في الحروب، ومع ذلك تأخر إسلامهما لأكثر من عشرين سنه تقريبًا، والنور بين يديهم، ورسول الله ﷺ ثلاثة عشرة سنة بين أظهرهم في مكة ولا يرون هذا النور مع شدة ذكائهم ونباهتهم، فما هو السبب؟!

السبب؛ التقليد الأعمى، كانوا ينظرون إلى أولئك الرجال العظام في قريش - أهل الندوة - ويقتدون بهم، وعطّلوا عقولهم، فلما أسلم خالد وعمرو بن العاص قبل الفتح بشيء يسير - أي قريبًا من عشرين سنة منذ بِعثت مُحَمَّد ﷺ - فقال له بعض أصدقائه: "أين كان عقلك يا خالد ولم تر هذا النور لعشرين سنة؟"، فقال كلمة ينبغي التوقف عندها كثيرًا للمقلدين، قال: "**كنا نرى أمامنا رجالًا كنّا نرى أحلامهم كالجبال**" - الوليد بن المغيرة وعمرو بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والعاص بن وائل السهمي، وأمية بن خلف - قوم عبّأوا على الناس عقولهم أنهم هم الذين يعرفون الصواب، وكانوا يقودونهم إلى المهلكة في الدنيا والآخرة.

فلما حرر خالد عقله نفع الله به وتفجرت طاقات، فكان سيفًا من سيوف الله فتح الله به أرضًا عظيمة في بلاد فارس وفي بلاد الروم.

فأقول: كثيرٌ من الناس عندهم من الطاقات الهائلة، ولكن يعطلها باتباع قاعد، باتباع من رضي بأن يكون مع الخوالف، فلا نجاة لهذه الأمة إلا بإتباع المنهج كاملًا، فكما ذكرت الخطر ملازم بصفة دائمة لهذه الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها " ا. هـ

فهل فهمت الحركة الإسلامية ومن على شاكلتها الدرس، أم أن حالهم كحال بني قريظة حينما كانوا يُساقون أرسالًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم للقتل، فسألوا سيدهم كعب بن أسد: "يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ " قال: "**أفي كل موطن لا تعقلون!** ألا ترون أن الداعي لا ينزع وأن من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل".

مسك الختام:

وختامًا لهذه السيرة العطرة من تاريخ جماعة القاعدة، كان لزامًا علينا أن نذكر بجانبها نبذة يسيرة في رثاء قائدها وإمامها الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، وفي رثاء جبلين وعلمين من أعلامها، كان لهم الفضل - بعد الله تعالى - بجانب الشيخ الإمام أسامة في نصرة هذا الدين، ونصرة الجهاد بقيام هذا الصرح العظيم - القاعدة - وهما الشيخان الجليلان المصريان أبو عبيدة البنشيري، وأبو حفص الكمندان، رحمهما الله جميعًا.

رثاء أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله:

قبل أن نسترسل في رثاء أولئك الكرام، آثرت أن أقدّم عليهم رثاء رجل أعزّ الله به هذا الدّين، وأذل به الشرك والمشركين، رجل لولا فضل الله ثم مواقفه لما قامت تلك الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ، رجل ضرب أروع الأمثلة في فنّ التضحية بأغلى ما يملك لأجل رجلٍ واحد من أجله قامت في وجهه الدنيا ولم تقعد، وعندما هددوه بأن أمريكا ستتدخل عسكريًا للإطاحة بحكمه وإمارته إذا لم يقم بتسليم أسامة، قال قولته المشهورة: "**والله لو تشتعل أفغانستان حجرًا حجرًا لما أسلمت أسامة للكفار**".

فأي طراز من الرجال كنت يا أمير المؤمنين. لقد كان بإمكانك مواجهة إصرار الشيخ أسامة على برنامجه في مواجهة أمريكا بمنعه بالقوة أو المواجهة. كان بإمكانك على أسوأ الفروض أن تطلب منه مغادرة البلاد لكنك لم تفعل، ولم تصل ردة فعلك إلى ذلك الحد، بل رفعت القضية برمتها أمام العلماء، لما كنت تحمله بين جوانحك من مشاعر الوفاء والاحترام لما قدمه الشيخ أسامة، الذي ترك الدنيا وهي تحت قدميه، وجاء إلى جبال وصحاري أفغانستان مجاهدًا بنفسه وماله.

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد فقهت منذ اليوم الأول - الذي قمت فيه لتنصر دين الله - حقيقة الصراع بين الحق والباطل، فقلت في إحدى خطبك: "**لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامه بن لادن. إن إخراج المجاهدين العرب من أفغانستان، استجابة لمطالب مجلس الأمن الذي يحاصرنا لأجلهم، لن ينهي صراعنا معهم، هم لا يستهدفون أشخاصًا كما يزعمون، بل إنهم يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية، فلو أننا استجبنا**

لمطالبهم وأخرجنا من يريدون، فإن مطالبهم لن تقف عند هذا الحد، بل إنهم سيطالبوننا بتغيير أنظمتنا الشرعية تجاه المرأة وتجاه المخالفين، وأن نشكّل حكومة موسعة، ولا نحكم بالشريعة. وهذه هي السودان عندما استجابت لمطالبهم وأخرجت المجاهدين، لم تنته معاناتها حتى الآن".

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد فقهت أن أسباب الصمود وأسباب الثبات، وأسباب النصر والتمكين تكمن في بذل التضحية والفداء، وإرخاص النفس والنفيس لنصرة هذا الدين، ونصرة المستضعفين من المؤمنين. لقد فقهت يا أمير المؤمنين منذ اليوم الأول أن إقامة دولة الإسلام، ونصرة دين الله والمستضعفين من المؤمنين، ليس بالأمر السهل، فهو أمر بخلت وضنّت به جميع قبائل العرب – باستثناء الأنصار – عندما طاف عليهم رسول الله ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب قبيلة قبيلة، يطلب منهم شيئًا واحدًا فقط هو: أن يؤوه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم، حتى يبلغ دين الله ولهم الجنّة. ورغم أن قبائل العرب في ذلك الزمان، كانت قبائل مشهود لها بالنخوة والنصرة وحبها للقتال، إلا أنها ضنّت بنفسها عن قبول عرض رسول الله عليه السلام لها ذلك الأمر، لماذا؟ لأنها كانت تعرف جيدًا ثمن هذه البيعة. كانت قبائل العرب – وهي آنذاك على الشرك – تعرف جيدًا ماذا تعني نصرة دين الله. فثمنها غال جدًا، وتكاليفها باهظة، وتبعاتها جسيمة. كانت قبائل العرب تعرف أن ذلك الأمر، أمر تكرهه الملوك، دونه بحارٌ من الدماء، وجبالٌ من الأشلاء، دونه هلكة الأموال، وقتل الأشراف، دونه مناوأة العرب والعجم كافة، وأن تعضّهم السيوف.

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد استعصيت أن تلين أو تنكسر أمام أقوى وأعتى طغاة العصر الجبابرة من الأكاسرة والقياصرة، فسطّرت للبشرية، وخاصّة لفقهاء الانبطاح وأئمة الضلال والتراجعات، ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول والسلمية والانهزامية دروسًا غالية في فن العزّة والصمود، والاستعلاء والثبات على الثوابت والمبادئ.

ربح البيع يا أمير المؤمنين وأنت تقول في أحد خطاباتك: "لأن يكتب التاريخ ويشهد لنا المسلمون بأننا قتلنا في سبيل الله على مبادئنا الإسلامية وعقيدتنا الخالدة، خير لنا عند الله من أن يكتب التاريخ ويشهد علينا المسلمون بأننا عشنا في صحة ونعمة بعد أن غيرنا مبادئنا وتنازلنا عن راية الجهاد، ومن كان يظن أن الدولة الإسلامية ستنعم بالسيادة من غير ابتلاء وتمحيص فهو جاهل لا يعرف سيرة النبي (ﷺ)".

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد تصدّعت أمام مواقفك وثباتك وصمودك الجبال، لأنك فقهت منذ اليوم الأول معاني بيعة العقبة، ومعاني قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وسيرة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فرحمك الله يا أمير المؤمنين، وأسكنك الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.



ربح البيع يا أمير المؤمنين

ولعله من المفيد هنا أن نضيف إلى رثاء أمير المؤمنين – رحمه الله – رسالة النصرة والتأييد لمواقفه المشرّفة، والتي كان قد بعثها إليه – مع بداية الغزو الصليبي على أفغانستان – نفر من العلماء الربانيين الأجلّاء وهم المشايخ: حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله، وعلي الخضير وسليمان العلوان فكّ الله أسرهما.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب من المشايخ الفضلاء حمود بن عقلاء الشعيبي وعلي الخضير وسليمان العلوان، لأمير المؤمنين الملا مُحَمَّد عمر والمجاهدين معه نصرهم الله:

أمير المؤمنين المجاهد الملا / مُحَمَّد عمر حفظه الله ورعاه وسدد على الحق خطاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نسأل الله تعالى أن تصلكم رسالتنا هذه وأنتم في أتم الصحة والعافية.

أمير المؤمنين: نحن معشر العلماء نتشرف أن ينسب إلى أمتنا أمثالكم، فلقد أثبتم حقًا عزة المؤمن، لم تكتفوا بالقول بأنكم أنتم الأعلون حتى أكدتم هذا المعنى العظيم بأفعالكم المشرفة، فالعلو في الأرض ليس العلو المادي فحسب، بل أهمها وأعظمها هو علو الدين والمبدأ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهذه الآية نزلت على رسول الله وأصحابه ﷺ يوم أن هزموا في أحد، فالعلو الحقيقي هو علو المبدأ والدين، قال ابن عباس رضي الله عنهما (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) علقه البخاري في صحيحه ورواه الطحاوي بسند صحيح. فالإسلام وأهل الإسلام في علو حتى ولو هزموا في المعركة، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالعزة ملازمة لله ولرسوله ولكل مؤمن متمسك بدينه حقًا، فهو عزيز بعزة الله وبإيمانه فمن تمسك بالمبدأ الحق فهو عزيز بنص الكتاب والسنة.

أمير المؤمنين: إن جهل كثير المسلمين بحقكم لا ينقص من قدركم شيئًا، فلقد أصبحتم علمًا من أعلام هذه الأمة، وسوف نكتب نحن تاريخ المرحلة بأيدينا، ونثبت للأجيال القادمة أنكم أنتم سادة الدنيا، ولو قتلتم دون ذلك فسوف تسطر سيركم بماء الذهب، وسنشهد جميعًا لكم أمام الله تعالى بأنكم أنصح وأصدق العباد للأمة، نحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، وسنشهد أنكم أنتم وحدكم الذين رفعتم رؤوسكم في زمن طأطأ الكثير من المسلمين رؤوسهم لدولة الكفر والصليب أمريكا، فلم يتشرف المسلمون برجل قال (لا ثم لا) لما تطلبه أمريكا في هذا العصر إلا بكم، فيا سعادة المسلمين بأمثالكم.

أمير المؤمنين: لقد تجلت في أفعالكم معاني العدل والمساواة و العزة والكرامة، والنصرة والحماية والولاء والبراء، لقد أعطيتم للأمة درسًا عمليًا في هذه المعاني عندما كللتم قدومكم المبارك لأفغانستان، وقطفتم للأمة ثمرة الجهاد ضد السوفييت والتي كادت أن تضيع بأيدي العلمانيين والشيوعيين والرافضة، فبعد أن كاد أملنا ينقطع بثمرة الجهاد، أحييتم أمل الأمة بأفغانستان وأصبحت اليوم هي محط أنظار المسلمين جميعًا، والكل يرقب العزة والنصر من أرضكم، فلقد وليتم أمر أفغانستان وطبقتم الشريعة فقلنا الحمد لله، لقد نصر الله الجهاد بكم يوم أن أقمتم على أنقاض بلد مدمر ممزق و متناحر دولة إسلامية قولًا وعملًا، فساد العدل والدين الحق، وحاربتم الشرك

والأضرحة، وقسمتم بالسوية، وعدلتم في القضية، حتى لو قال قائل إن الذئب في إمارتكم يرعى مع الغنم لما كان ذلك مستبعدًا، ثم تحديتم العالم أجمع وهدمتم الأصنام عملًا بشريعة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم التي بعث من أجلها، فقلنا لقد رزق الله الأمة من يجدد فيها ميراث إبراهيم عليه السلام هادم الأصنام ومتحدي الوثنية، وفرحنا بفعلكم حينما جددتم معاني التوحيد التي كانت غائبة عن الأمة منذ قرون، فالأصنام بأشكالها وأنواعها وأحجامها تملأ بلاد المسلمين، ولكن أمير المؤمنين لم يرض أن يعيش في أرض تجاوره فيها آلهة تعبد من دون الله تعالى، حتى هدمتم تلك المعبودات وأذللتم من عبدها فكادت قلوبنا تطير من الفرح بتجديد التوحيد في هذا الباب، ثم ألزمتم أهل الذمة الصغار والذلة عملًا بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة رسوله ﷺ، كما كانوا في صدر الإسلام أذلاء يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فقلنا عمر عصره في أفغانستان يلزم الكفار الذل والصغار في أرضه.

وجاء المحك الحقيقي الذي أثبت معدنكم الخالص الأصيل عندما تكالبت دول العالم للنيل من المهاجرين إلى أرضكم من غير ذنب اقترفوه إلا أن يقولوا ربنا الله، فتنادى الشرق والغرب من كل ملل الكفر منهم النصراني واليهودي والوثني والشيوعي والقومي والمرتد والمنافق، ليشكلوا حلفًا من دول العالم أجمع ضد عزتكم وعلوكم، فصمدتم صمود الجبال، لم تخفكم تلك الحشود، ولم ترعبكم أسلحة الدمار الشامل، فصبرتم وقررتم المضي في العزة يوم أن تخاذل الجميع، وتبدلت العقائد، وظهرت نواقض الإسلام في كثير ممن ينتسبون إليه، إلا أنكم بقيتم أعلامًا بشموخ الجبال، يعتز كل مسلم بأن في أمته أمثالكم، تكالبت عليكم الدول وجاءتكم الأحلاف من كل حدب وصوب بعدتها وعتادها بشكل لم يشهد التاريخ أبدًا حلفًا مثله ضد طائفة مؤمنة صادقة قليلة، فضحيتم بالملك وبالأنفس والأموال، فكان بفضل الله تعالى إيمانكم وصدقكم نحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، كان إيمانكم وتوكلكم على الله القوي العزيز أعظم من ذلك الحلف وما جمع.

أمير المؤمنين: إن الحرب اليوم لم تضع أوزارها ولكننا نهنئكم بالنصر الحسي مقدمًا بإذن الله تعالى فقد ظهرت بوادره، ونهنئكم أيضًا بالنصر الحقيقي الذي حققتموه، فلقد انتصر مبدأكم وقولكم على مبادئ أعدائكم، إن أعداءكم يكذبون في كل محفل بأنهم أهل العدل وحقوق الإنسان، وأهل الحرية والمساواة، وفي هذه المعركة سقطت تلك الأقنعة عن وجوههم ليظهر للخاص والعام حقيقة الوجه الصليبي اليهودي الحاقد، فظهر حقًا من الذي يقتل الأبرياء، وعرفنا من الذي

لا يراعي لأي كائن حي أي حقوق، وشاهدنا كيف تكون الحرية وسيادة القانون الذي شرعوه لأنفسهم، وعرفنا ما معنى تعايش الحضارات ووحدة الأديان التي يدعون إليها، إنهم يريدون حضارة الغاب الأمريكية، ويريدون وحدة معتقدهم الصليبي فقط، فهنيئًا لكم هذا النصر لقد ميزتم العالم إلى خندقين، وجليتم الحقائق لكل مغفّل يوم أن أسقطتم بصمودكم وإيمانكم وتوكلكم على الله كل معاني الزيف والخداع الصليبي.

أمير المؤمنين: وكما فضح صمودكم كذب الكفار في دعواهم، فقد وضّح للمسلمين أيضًا معاني كانت غائبة أو كادت تندرس. صمودكم علمنا ما هو ميزان القوة لدى المسلمين، صمودكم جدد الولاء والبراء، صمودكم جدد مفهوم الجهاد ومفهوم النصر والهزيمة، صمودكم علمنا معنى التضحية والبذل لله تعالى، لقد بلغنا أنكم أغريتم بملك عظيم مقابل التنازل عن حماية المؤمنين، وأجلب عليكم المنافقون بالترغيب تارة والترهيب أخرى لتبدوا شيئًا من التنازل عن مبادئكم، وتأكدنا حقًا لو أنكم أردتم الدنيا من الآخرة لأمكنكم بالتنازل عن بعض مبادئكم، وحينها تكونون أغنى أهل الأرض، ولكن القلوب التي خالطها الإيمان تأبى ذلك أشد الإباء، ويوم أن افتخرت العرب بالسموءل ابن عاديا اليهودي الذي حفظ الأمانة وأصابه البلاء وقتل ابنه أمام عينيه على أيدي الحارث بن جبلة الغسانى ملك الشام الذي جاء يطلب المال منه فأبى أن يدفع المال إلا لأولياء امرؤ القيس الذي أودع الأمانة عنده فأصبح صموده مثلًا للعرب، فلأن نفتخر نحن بصمودكم الذي فاق صمود السموءل بآلاف المرات من باب أولى، وحق لكل مسلم اليوم إذا أراد أن يضرب المثل بالصمود أن يذكر صمودكم.

أمير المؤمنين إن إعجابنا بأفعالكم ومناصرتنا لها لا ينقطع ولن ينقطع أبدًا بإذن الله تعالى ما لم تبدلوا وتهِنوا أو تتراجعوا نسأل الله لنا ولكم الثبات حتى الممات، وإننا نطمئنكم بأننا وشريحة عظيمة من العلماء والدعاة وطلبة العلم معكم ونؤيدكم، ونقول لكم لا يسوئكم ولا يفت من قوتكم وإصراركم قول بعض المتخاذلين والمرجفين الذين ذموا صمودكم ولاموا أفعالكم، وزعموا بأنكم قتلتم أنفسكم وشعبكم ومزقتم دولتكم بفعلكم، إن فعلكم هذا هو عين الصواب وهو ما دلت عليه الأدلة الشرعية وأمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، وكل ما أصابكم أو أصاب شعبكم هو بقدر من الله تعالى، وهو الذي أمركم بالتوكل عليه، واتباع أمره، وموالاة المؤمنين، والبراءة من الكافرين وجهادهم بكل السبل، ووعدكم بعد ذلك بالنصر والتمكين، وإن حصلت لكم الأخرى

فهو الفوز الكبير الذي وصف الله به أصحاب الأخدود بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، وبأي شيء نال أصحاب الأخدود وسام الفوز الكبير؟ لقد نالوه بتوكلهم على الله، وصمودهم على دينهم، وعدم تراجعهم عن مبدئهم، فنالوا هذا الوسام الذي لم يعط في القرآن لأحد غيرهم، رغم أنهم قتلوا عن أخرهم.

أمير المؤمنين: إننا نناشدكم ونناشد قادة الإمارة الإسلامية من أمثال نائبكم الملا مُحَمَّد حسن، وأمثال المولوي جلال الدين حقاني، والمولوي عبد الحنان، والملا برادر، والملا داد الله، والملا ريس عبد الله، والملا خسكار قائد لواء الدبابات، وغيرهم كثير من قيادات الإمارة الإسلامية، كما نناشد المجاهدين الأنصار وقادتهم، أن تواصلوا جهادكم وصمودكم، فقد قرت بكم عيون الموحدين، ورضيت بكم عساكر الرحمن، فنحن من ورائكم نناصركم بكل ما نستطيع، ونحرض المؤمنين على القتال في صفوفكم، فلا تبدلوا ولا تخافوا ولا تلينوا { وأنتم الأعلون } و اثبتوا على مبادئكم وأفعالكم المشرفة، ارفعوا رأس الأمة بجهادكم، وبإذن الله تعالى فإن فرحتنا ستكون قريبة بعودة الإمارة الإسلامية غالبة ممكنة منتصرة بأمر من الله الذي أمركم بالعمل وتكفل بالنصر.

وختامًا فإننا نوصي جميع المسلمين في كل مكان بمناصرة الإمارة الإسلامية في جهادها هذا ضد ملل الكفر جميعًا، كما نوصي الأفغان خاصة بأن يبذلوا أنفسهم لله تعالى ويناصروا الإمارة الإسلامية ويقفوا تحت لواء أمير المؤمنين، ونوصي المجاهدين وعلى رأسهم أمير المؤمنين بأن يحققوا شروط النصر والتمكين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وذكرها رسوله ﷺ في سنته.

وإليكم بعضًا مما ورد في كتاب الله من شروط التمكين كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فالإيمان والعمل الصالح والبراءة من الشرك من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فالاستعانة بالله والصبر على أقداره وأحكامه وتقواه في السر والعلن من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ فالتوكل على الله حق التوكل من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ فالصلاح في الظاهر والباطن وتحقيق معنى

العبودية من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ فالإقرار بربوبية الله وإلهيته مع الاستقامة على شريعته من شروط النصر والتمكين، والآيات التي ذكر الله فيها شروط النصر والتمكين أكثر من ذلك بكثير.

ومن الوصايا الجامعة للنبي ﷺ وقد جاء فيها شروط النصر والتمكين ما رواه الترمذي وأحمد واللفظ له، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟ " فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: "احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، (2) لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) وفي لفظ الترمذي: (احْفَظِ اللَّهَ تجدْه تُجَاهَكَ).

واعلموا أنكم إذا بذلتم وسعكم بتحقيق شروط النصر والتمكين فإن الله ناصركم ومخزٍ عدوكم وعد منه لا يتخلف أبدًا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ وقال واصفًا حال المسلمين يوم بدر: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وقد بشر النبي ﷺ بالنصر وانتصار الدين وغلبته فقال ﷺ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ) رواه أحمد من حديث تميم الداري بسند صحيح.

وقد أحسن الشاعر حيث قال:

كـن كالسـموءل إذ سـار الهمـام لـه	بجحفـل كسـواد الليـل جـرار
جـار ابـن حيـا لمـن نالتـه ذمتـه	أوفى وأمنـع مـن جـار ابـن عمـار
بالأبلـق الفـرد مـن تيمـاء منزلـه	حصـن حصـين وجـار غـير غـدار
إذ سـامه خطـتي خسـف فقـال لـه	مهمـا تقلـه فـإني سـامع جـار
فقـال غـدر وثكـل أنـت بينهمـا	فـاختر فمـا منهمـا حـظ بمختـار
فشـك غـير قليـل ثم قـال لـه	اذبـح هـديك إني مـانع جـارى

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.

إخوانكم:

حمود بن عقلاء الشعيبي

علي بن خضير الخضير

سليمان بن ناصر العلوان

10/16 / 1422هـ"

يقـول الشـيخ هـاني السـباعي حفظـه الله، في كتابـه "التجليـة في الـردّ علـى التعريـة" متحـدّثًا عـن وفاء أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله:

"أكـاد أجـزم أن المـلا عمـر رجـل المسـلمين الأول في القـرن الهجـري الحـالي! فـالملا عمـر جامعـة مـن الزهـد والـورع والصـبر والـبلاء والشـجاعة والمـروءة وعلـى رأس ذلـك ذروة سـنام الإسـلام في الجهـاد! **إن سـيرة هـذا الحـاكم البطـل المجاهـد الـوفي، ينبغـي أن تـدرس للشـبيبة في المـدارس والجامعـات رمـزًا للجهاد والصمود والوفاء!**

قـديمًا كنـا نـدرس في كتـب الأدب خصـلة واحـد مـن الوفـاء للسـموأل الـذي ذُبـح ابنـه أمـام عينيـه، وهـو محاصـر في قلعتـه علـى أن يسـلم الأمانـة الـتي لديـه لخصـوم امـرئ القـيس بـن حجـر الكنـدي! فرفض وضحى بابنه وأعطى الدروع لورثة امرؤ القيس وأنشد مفتخرًا يقول:

[[وفيتُ بأدرع الكندي إني... إذا ما خان أقوام وفيتُ]]

أقول: هذا الذي فعله السموأل في الجاهلية! فما بالك بوفاء الإسلام! **لا أكون مبالغًا إذا قلتُ لو كنا منصفين لكان وفاء الملا مُحَمَّد عمر مع الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري وقادة الجهاد من أعظم دروس الوفاء في تاريخ الإسلام والبشرية جمعاء**[269]!

ولعل من روائع المرثيات التي قيلت في رثاء أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله هي هذه المرثية من شعر الشيخ حامد بن عبد الله العلي:

كففتُ الدمعَ عن عيني فراحتْ	تكفُّ الكفَّ عن عيني بكفّي
وقالت: دعْ دموعَ العينِ سحًّا	فلو سحّتْ بحارٌ لا توفِّي
وزادت: كيفَ لا أبكي عظيمًا	به الأمجادُ نيشانٌ بكِتْفِ
به كلّ المكارم مثل تاجٍ	على قِرْمٍ كريمٍ مستعِفِّ
جسورٌ بالمعارك لا يُجارى	كليثِ بالفوارس مسْتخِفِّ
على الأعداء بالهيجا شديدٌ	وبالأفغانِ معروفٌ بعطْفِ
به الأفغانُ قد عزّت فصارت	تدكُّ معاقل الأعداء بخسْف
تجلّت عزّة الإسلام فيهِ	كعزِّ الأولينَ بكلّ حرْفِ
ولما خطّ بالأفغان دربًا	إلى العلياء مقرونًا بسيْفِ
ترجّل شامخًا فالموت حقٌّ	وآجال البريّة مثل قطْفِ
يحينُ كما يحينُ حصادُ زرعٍ	بإذن الله لا يأتي بحيفِ
وألقى بالخلود زمامَ رحْلٍ	وبالتاريخ خُطّ بخير وصفِ
وكان مجاهدًا فيهم حكيمًا	وينهي عن مقاتلةٍ بعسْفِ
وعن طيشِ الجهول، وعن غُلوّ	تدثّر بالجهاد بلبْس زيْفِ
عدمتُ الشعر لا يختارُ ما	يكيل له المديح بكلّ صنفِ
أغيظ عدوّنا وأنال أجرًا	وأرمي الكافرين بمثل قصفِ

(269) " التجلية في الردّ على التعرية " للشيخ هاني السباعي.

استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله:

وبعد ما رأيت... وبعد ما عرفت... الموت حينما دنت مخالبه... والليل حينما اعتدى على الصباح ضاريًا يغالبه... الموت كان أُمنية... والموت كان للجراح أُغنية... واختار من صفوفنا أحبَ من رأت عيوننا... واختار من صفوفنا الكبار... واختار من صفوفنا الرجال صانعي النهار... واختار للذرى أحبَة كرام... تحية لهم سلام... تحية لهم سلام... تحية لهم سلام(270).



لعل أبلغ ما كُتب في استشهاد الشيخ أسامة رحمه الله، هو مقال بعنوان على "خطى الشيخ أسامة"، كتبه الشيخ أبو المنذر الشنقيطي حفظه الله، يوم الجمعة 3 جمادى الثاني 1432هـ، بعد أربعة أيام من استشهاد الشيخ أسامة، قال فيه:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(270) مطلع أُنشودة بعنوان ملحمة الدعوة للمنشد أبي مازن السوري، رحمه الله.

كـان الشـيخ أسـامة هـو صـوت الأمـة المعبر عـن آلامهـا. كنـا نسـمع في نبرتـه الحزينـة أنـين كـل جـريح، وبكـاء كـل ثكلـى، وصـرخة كـل رضـيع. ونلمـح في مآقيـه دمـوع أمـة مقهـورة، أذلهـا الضـيم، وحطمهـا الطغيـان. كانـت مواقفـه وأفعالـه مـرآة لنـبض الأمـة وإحساسـها، وأصـدق ترجمـة لمرادهـا. وكانت كلماته تعبيرًا عما يجيش في صدور الملايين من أبناء المسلمين.

منـذ ثلاثـين عامًـا، والشـيخ أسـامة حامـل لـواء الجهـاد، يـذود عـن دينـه وأمتـه. وقـد وضـع الله لـه القبـول في الأرض، وألقـى عليـه محبـة في قلـوب المسـلمين، وهيبـة في عيـون الكـافرين. فكـان لكلماتـه الهادئـة صـدىً يـتردد في الآفـاق، ويسـكن في النفـوس والأعمـاق، فيحـرض الأوليـاء، ويلقـي الرعـب في قلـوب الأعـداء. وكـان جهـاده تجسيدًا لقولـه تعـالى: ﴿أَذِلَّـةٍ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ أَعِـزَّةٍ عَلَـى الْكَـافِرِينَ﴾. فكـم مـن قلـوب مؤمنـة، باتـت قريـرة بعـد سمـاع توجيهاتـه ونداءاتـه. وكـم مـن جمـوع كـافرة، باتـت علـى شـر حال بعد سماع وعيده وتهديداته.

[[فبأس يذوب الصخر من حر ناره... ولُطفٌ له بالماءِ ينبجسُ الصَّخرُ]]

لقـد أعطـى كـل مـا يملـك، وفـارق كـل مـا يحـب في سـبيل نصـرة دينـه وأمتـه. أعطـي الـنفس والمـال، وفـارق الأهـل والولـد والـوطن. لقـد أعطـى ولم يطلـب، وضـحى ولم يأخـذ، كمـا هـو شـأن الصـادقين المحتسـبين. ومـع أنـه أعطـى كـل هـذا العطـاء، وضـحى كـل هـذه التضـحيات، إلا أن أصـحاب النفـوس المريضة ما فتئوا يحطون من قدره. فواعجبًا، كيف يتجاسر القاعدون الآثمون على كبار المجاهدين؟

لقد جمعوا بين خطيئة القعود عن الجهاد، وخطيئة الوقوع في أعراض المجاهدين.

هـو البطـل الشـهم الأغـر السـميدع الـ	همـامُ السـريُّ الأكـرمُ المتكـرِّمُ
وقـد جحـدت قـومٌ عظـيم مقامـه	وقـالوا بمـا قـالوا ضَـلالًا وأبهمـوا
ومـا أنكـرت أعـداؤه عـن جهالـة	مناقبَـه العُظمـى ولكـنَّهم عَمُـوا

وقـف شـيخنا أسـامة بعـزة وكـبرياء، وتصـدى لأعـداء الأمـة في زمـن الانحنـاء، وضـرب لنـا مـثلًا في الشـجاعة والإباء. تحـدى جيـوش الكفـر المجتمعـين، وجبابرتـه المتغطرسـين، فـأجلبوا عليـه بكيـدهم المتسارع، ومكرهم المتتابع، فما طرق الجبن له بابًا، ولا رضي بالهوان دون الموت حجابًا:

قالـت فَـلا كَـذبَتْ شَـجاعَتُه	أَقْـدِمْ فنَفْسُـكَ مَـا لهَـا أجَـلُ
فَهُـوَ النّهَايَـةُ إنْ جَـرَى مَثَـلٌ	أوْ قيـلَ يَـوْمَ وَغـىً مـنِ البَطَـلُ

أشهد الله يا أبا عبد الله:

لقد أحييت فينا بطولات الأجداد، وذكرتنا بزمن العزة والانتصارات والأمجاد. فرفعنا رؤوسنا، وحملنا سلاحنا، وامتطينا صهوات الجياد. واقتفينا آثار أبطالنا كخالد وسعد والمثنى والمقداد.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أن الله نصر بك الدين، ونشر بك الجهاد بين المسلمين، وأذل بك الكافرين، فنكّستَ رؤوس الأمريكان المتغطرسين، وغزوتهم في عقر دارهم بعد أن كانوا من الغزو في حصن مكين، ودونت في التاريخ خزيهم وعارهم إلى أبد الآبدين.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

لئن كان أجر في الصدع بالدين وقول الحق.. لقد فعلت.

ولئن كان أجر في مراغمة الأعداء.. لقد راغمت.

ولئن كان أجر في إغاظة الكفر.. لقد أغظت.

ولئن كان أجر في الهجرة لقد.. هاجرت.

ولئن كان أجر في الجهاد لقد.. جاهدت.

ولئن كان أجر في الإنفاق.. لقد أنفقت.

[[ألست الذي ما زال كهلًا ويافعًا... له المكرمات الغر والنائل الغمر]]

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أنك قمت فينا مقام ابن المبارك بين طلبة العلم والمجاهدين، ومقام ابن حنبل أمام الحكام الجبارين، ومقام ابن تيمية أمام التتار المحاربين، ومقام صلاح الدين أمام جحافل الصليبيين.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أن المادحين لن يعطوك قدرك، مهما نظموا من قصائد ونثروا من بديع وبيان.

وأن الآخذين بثأرك، لن يشفوا غليلهم من الأمريكان، مهما قتلوا من العلوج وعبيد الصلبان.

وان الباكين لن يوفوك حقك، مهما طال البكاء وعمت الأحزان.

فلا لوم على أهل رباطة الجأش إن سحت دموعهم، حزنًا على فراقك ورحيلك:

فيـــا قلـــبي وشـــيمتك التأســـي نهيتــك عــن نهــاك فكــن جزوعــا
عـــذرتك أن تـــراع فبعـــد هـــذا يشـــق علـــى الحـــوادث أن تروعــا

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أنك أبليت فأحسنت البلاء، وأن الدنيا ليست لك عند الله بجزاء.

فتقبلك الله في المنازل العالية، مع النبيين والصديقين والشهداء.

لست أدري هل أبكي لرحيلك يا شيخنا، أم أبكي لحال الأمة التي ضحيت بنفسك وكل ما تملك من أجلها.

لست أدري هل أبكي لرحيلك، أم أبكي لحال نخبة الأمة وقياداتها وكبارها. نخبة لا هم لها إلا الشهادات والمناصب والوظائف والألقاب، والسمر على شرب الأنخاب.

نخبة تركتك تعيش مطاردًا لمدة عشر سنين، فخذلتك وأسلمتك للعدو بمناهجها التخذيلية، وهروبها من مواجهة العدو، وتبنيها لأطروحات سلمية أمام هذه الهجمة الصليبية.

خذلوك وأنت الذي نصرت الدين، ورفعت لواءه بين المسلمين.

[[وأنَّ لَهُ فِي حَوطَةِ الدِّينِ هِمَّةً... بِها يستحِقُّ النَّصْرَ مِنْ كلِّ ناصِرِ]]

لكنهم يا شيخنا لم يخذلوك وحدك، بل خذلوا كل ملهوف من الأمة.

خذلوا كل أم ثكلى.

وخذلوا كل أرملة كلمى.

وخذلوا كل يتيم مشرد.

وخذلوا كل جريح يئن.

وخذلوا كل شهيد مضرج بدمائه.

وخذلوا شرعة الله التي تهان وتداس في كل بقعة من بقاعهم.

بل إن بعض النخب والشيوخ والمنظمات والهيئات، تباكت وترحمت على زعيم الكفر بابا الفاتيكان، ولم تنبس ببنت شفة، عندما بلغها نبأ استشهادك.

لست أدري هل أبكي لرحيلك، أم أبكي لحال العلماء الذين اختاروا التصدي لجهادك، والوقوف إلى جانب أعدائك من الأمريكان وأتباعهم من الحكام العملاء.

لست أدري هل أبكي لرحيلك، أم ابكي لحال أمة لا تميز في معظمها بين صديقها وعدوها، فنراها تعلي من شأن المارق الزنديق، وتحط من رتبة الناصح الشفيق. ونراها ترفع منزلة من يوالي عدوها، وتحط منزلة من يقاتل عنها ويحمي بيضتها. حتى تحقق فيها قول النبي ﷺ:

(سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ). رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة.

ونحن وإن كنا حزنّا لفراق شيخنا، إلا أنا فرحنا لانتصاراته. ومقاييس النصر عندنا ليست هي مقاييس النصر عند أعدائنا. لقد انتصر شيخنا عندما عزفت نفسه عن الدنيا واختار طريق الهجرة والجهاد. وانتصر عندما وفقه الله لإشعال جذوة الجهاد ضد الصليبيين وأعوانهم، وتركها مشتعلة وستبقى كذلك بإذن الله.

[[قد قدحت العزّ زندًا غير كاب... وَلَبِسْتَ المجدَ بُرْدًا غَيرَ بَالي]]

وانتصر عندما اصطفاه الله إليه ومات شهيدًا كما كان يتمنى. وانتصر لأنه مات ميتة الأبطال من الرجال، عزيزًا غير ذليل مقبلًا غير مدبر:

[[وأمَّا القائِلونَ قَتيلُ طَعْنٍ... فذلك مصرع البطل الجليد]]

وانتصر لأنه صار قدوة في مماته، كما كان قدوة في حياته. ومن تمام انتصاره، أن الله تعالى مد له في العمر حتى قرت عينه بانتصارات المجاهدين، وهزائم الصليبيين، وسقوط الطواغيت، وانتشار الجماعات الجهادية. فكأن هذه الانتصارات كانت نعيًا له، لأن المهمة أنجزت، فانتهى وقت العمل والمشقة والعناء، وحان وقت الراحة والمثوبة والجزاء.

يظن أعداء الأمة، أنهم بمقتلهم لقادة الجهاد ورموزه سوف يقضون على الجهاد.

هيهات وكلا.

إنهم يغفلون عن حقيقة هامة، وهي أن موت الرجال في سبيل معتقداتهم، سبب من أسباب انتشارها واقتناع الناس بها. نعم ستكون دماء قادتنا وقودًا يشعل النار من تحت أقدام العدو.

أيها الصليبيون لقد ظفرتم منا بظفر عظيم:

يا عصبة الشرك ما أعلى جدودكُمُ	لقد ظفرتم برب النصر والظفر
لقد ظفرتم بمن ما هزّ مُنصلَهُ	إلا تَحكَّم في الهامات والقَصَر

لكن ذلك لن يفت في عضدنا، ولن يضعف جهادنا بإذن الله. ألا فاعلموا أنكم إن قتلتم اليوم أسامة، جاءكم غدا مليون أسامة. ألا فاعلموا أن أسامة هو الأمة، وان الأمة هي أسامة. ألا فاعلموا أنكم لا تقاتلون رجلًا واحدًا، وإنما تقاتلون أمة من الرجال:

[[إذا مات منا سيد قام بعدهُ... نظير له يغني غناه ويخلفُ]]

ألا فاعلموا أن المجاهدين يقاتلون في سبيل الله، لا في سبيل الشيخ أسامة، وأن جهادهم ماض إلى يوم القيامة. فاستعدوا للنزال وملاقاة الرجال ومكابدة الأهوال.

أيها المسلمون:

نحن أمة جريحة يتخطّفها الأعداء، فلا وقت لدينا للبكاء، ولا مكان للعزاء. عزاؤنا الوحيد في قتال الأعداء، فعاهدوا الله تعالى ألا ترفع بعد اليوم للأمريكان راية في بلاد الإسلام. وسيروا على خطى شيخنا الهمام، واثأروا له بحمل راية الجهاد، ونبذ الخنوع والاستسلام. واحملوا على الأعداء حملة بأس وشدة، تنسيهم الأفراح وتجلب لهم الهموم والأتراح. وضاعفوا الجهود، يضاعف الله لكم الأجور.

من كان خارجًا للغزو فليخرج اليوم ولا يؤخر لحين. ومن كان مجهزًا عشرة فليجهز عشرين. ومن كان قاتلًا مائة من العلوج فليقتل مئتين. واعلموا أن الحرب سجال، والأيام دول كما قال تعالى:

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. [آل عمران: 140].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. [النساء: 104].

والمنتصر هو أشد الفريقين صبرًا، وأمضاهم عزيمةً كما قال الشاعر:

[[سَقَيْنَاهُمُ كَأسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا... وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا]]

ومعاذ الله أن يكون أعداء الدين أشد منا صبرًا، وأمضى عزيمة وأقوى شكيمة. فاصبروا على جهادكم، وصابروا لقتال أعدائكم، ورابطوا في ساحات الثغور. واعلموا أن الأعداء إنما يريدون من استهداف القادة تفريق الكلمة، وبث الاختلاف، فاحرصوا على الاجتماع والسمع والطاعة للأمراء، وأبشروا بنصر الله الذي وعدكم به.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾. [الصافات: 173].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾. [المائدة: 56].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾. [غافر: 51].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. [محمد: 7].

فهو وعد من الله أكيد، فاستبشروا وأيقنوا به، وسيروا على درب الجهاد.

اللهم تقبل شهيد الأمة، واخلفه في أهله وأمته بخير.

واجعل استشهاده نارًا على أعداء الله، ونورًا ينير الطريق للمجاهدين في سبيل الله.

والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

ولعل أبلغ قصيدة قِيلت في رثاء الشيخ أسامة، هي قصيدة بعنوان الرجولة[(271)]، يقول ناظمها:

ماذا فعلت بنا يا أسامة ... فالكل يرمي علينا سهامه

وصرنا نُلامُ ومهما فعلنا ... فبأي عذرٍ نرد الملامه

فأنتَ تُقاتِلُ جيشَ الصليبِ ... ونحنُ نُهرولُ خلف الحمامة

ولما ارتضينا بسلمٍ مذلٍ ... بغوا واستباحوا لديني حرامه

وأنت تقودُ أسود الوغى ... ونحنُ نقلِدُ فعل النعامة

قعدنا لنبكيَ مثلَ النساءِ ... على ما يدورُ بأرضِ الشهامة

وبالأمسِ كنا نُعَدّ رجالًا ... وكدنا نصدقُ تلك العلامة

فنزهو بطول الشوارب منا ... وصوتٌ غليظٌ وعَرضٌ وقامة

(271) قصيدة بعنوان الرجولة من أرشيف الجبهة الإسلامية العالمية 1.

حتى أتيت فصُغت المعاني	فبدّل كلُ دعي كلامه
لأن الرجولة قول وفعلٌ	وأن الرجولة تعني الكرامة
وأن الرجولة توحيد ربٍ	بكل العبادةِ ثم استقامة
وأن الرجولة حبٌ لدين	يكون الجهاد بأعلى سنامه
وأن الرجولة زُهد وتركٌ	لدُنيا وجاهٍ رفيع مقامه
وأن الرجولة عزمٌ وصبرٌ	على النازلاتِ وعسر الإقامة
وأن الرجولة كر وفرٌ	ونصرٌ منَ اللهِ يُرجَى تمامه
وأن الرجولة ثوب ولحية	ونور يفوقُ بياض العمامة
فهل بعد تلك الفعال فعالٌ	ومن ذا يطالك قدرًا وهامة
أعيدوا كتابة كل المعاجم	فإن الرجولة تعني أسامة

جوانب من زهد الشيخ أسامة رحمه الله:

رغم أنه كان من فضل الله عليّ، مرافقة وملازمة الشيخ أسامة رحمه الله عن قرب لتسع سنوات كاملة، إلا أني أجد نفسي عاجزًا عن الكتابة عن مناقب ومكارم أخلاق ذلك الشيخ الجليل، وحسبي في ذلك أن الكثيرين من محبّي الشيخ أسامة، قد طرقوا هذا الباب، وأشبعوه بما فيه الكفاية عن إعادته. فقط أريد أن أذكر هنا بعض المواقف العظيمة للشيخ أسامة التي شهدتها بنفسي، والتي تبين وتدلل على مدى عظمة ونُبل هذا الرجل، وزهده في هذه الدنيا.

فكما هو معلوم للجميع، أنّ الشيخ أسامة بن لادن كان من عائلة ثرية، تقدّر ثروتها بمئات الملايين من الدولارات. وبعضهم كان يقدّر ثروة الشيخ أسامة فقط، بثلاث مائة مليون دولار، ومع ذلك، كل هذه الملايين، كانت بالنسبة للشيخ أسامة صفرًا على الشمال، ولم تعن له شيئًا غير تسخيرها كلها للجهاد والإنفاق في سبيل الله.

فذات يوم، كنت والأخ طلحة السوداني رحمه الله، جلوسًا مع الشيخ أسامة في بيته في السودان. وكان الحديث يدور حول الترف والزهد في الدنيا. فحكى لنا الشيخ أسامة، أنه في ثمانينات القرن الماضي، كان يسكن مع زوجاته الأربعة وأبنائه في بيت شعبي - سقفه من خشب - في حيّ شعبي من أحياء جدّة. وكأن أخوه الكبير عميد العائلة - بكْرُ بن لادن حفظه الله — لم تطب نفسه أن يرى أخاه يعيش في ذلك البيت الشعبي، وكأنه أحب أن يراه ساكنًا في مكان يليق

بوضعهم ومكانتهم الاجتماعية، فبنى قصرًا فخمًا على نفقته الخاصة، وأراد أن يقدّمه هدية للشيخ أسامة ليسكن فيه. فسألنا الشيخ أسامة قائلًا: كم تقدّرون قيمة القصر؟ فابتدرت مجيبًا حسب تصوّري المتواضع لما أرى من بيوت الأغنياء في السودان، فقلت: مليون ريال. فتبسم الشيخ أسامة وكاد أن يضحك وقال زد. قلت مليونين، قال زد. قلت خمس ملايين، قال زد. قلت عشرة ملايين، قال زد. قلت عشرون مليون، قال زد. قلت أمعقول هذا يا شيخ؟ فقال: ثمانون مليون ريال. وأضاف أن هذا القصر بهذه القيمة، يعتبر قصرًا متواضعًا مقارنة مع قصور كبار التجّار في بلاد الحرمين.



الأخ الأكبر للشيخ أسامة، الشيخ بكر بن لادن حفظه الله

أصاب كلانا هذا الكلام بصدمة بالغة جعلت كل منّا فاغرًا فاه من الدهشة. وظللت أتمتم بيني وبين نفسي وأقول، أمعقول هذا؟ ثمانون مليون ريال، تعني أكثر من عشرين مليون دولار. لا أظن أنه حتى البيت الأبيض، من الممكن أن يكلّف بناؤه وتأسيسه هذا المبلغ اليوم. ولك أن تتخيل معي أيها القارئ العزيز، كم تعادل قيمة هذه الثمانون مليون ريال اليوم، بعد أكثر من ثلاثين سنة. ولك أن تتخيل قصرًا بقيمة ثمانين مليون ريال سعودي في ثمانينات القرن الماضي، ماذا يمكن أن يكون فيها من نعيم الدنيا وزينتها وزخرفها. أترك ذلك لخيالك الواسع، ولكن إياك أن تتخيل أيها القارئ العزيز، أن الشيخ أسامة رحمه الله، قد تسلل إلى فكره لحظة ولو قيد أنملة، السكن في ذلك القصر. فما كان منه إلا الاعتذار لأخيه بصورة لطيفة، عن عدم رغبته وأبنائه السكن في ذلك القصر.

كـذلك عنـدما جـاء الشـيخ أسـامة إلى السـودان قادمًـا مـن باكسـتان في منتصـف عـام 1991م، كـان الإخـوة المتواجـدين في السـودان قـد اسـتأجروا لـه بيتًـا في حـي الـرياض بالخرطـوم، عبـارة عـن عمـارة صـغيرة متواضـعة مـن ثلاثـة طوابـق، وكـانوا قـد أسسـوا البيـت تأسيسًـا فـاخرًا – يليـق بمكانـة الشـيخ أسـامة –كالأسـرّة والكتـب وكراسـي الجلـوس الفخمـة وإلى غـير ذلـك. وعنـدما جـاء الشـيخ أسـامة إلى السـودان، أمـر بأن يُؤخـذ كـل ذلـك الأسـاس الفـاخر إلى المسـتودع، ولم يُبـق في البيـت إلا أساسًا في غاية التواضع.

وكـان الشـيخ أسـامة قـد اشـترى قطعـة أرض في حـي سـوبا – جنـوب شـرق الخرطـوم – بـنى فيهـا أربعـة بيـوت مـن الطـين ليسـكن فيهـا، وكـان كـل بيـت عبـارة عـن غـرفتين 4 مـترx 4 مـتر، بينهمـا ردهـة صـغيرة بطـول الغرفـة وعـرض ثلاثـة أمتـار، ومطـبخ وحمـام وحـوش صـغير في الخـارج. وكانـت هـذه البيـوت مسـقوفة بألـواح الزنـك، وسُمّـرت عليهـا مـن الأسـفل ألواحًـا رقيقـة مـن خشـب الموسـنايط لتفـادي الحـرارة. وكـان الشـيخ أسـامة علـى وشـك الانتقـال للسـكن في هـذه البيـوت، غـير أن الله عـزّ وجل أراد له أمراً آخر، فساقه سوقًا إلى أفغانستان كما تقدّم ذكره.

وعـن زهـد الشـيخ أسـامة بـن لادن وترفّعـه عـن كـل أسـباب الـترف، يقـول شـيخ المجاهـدين الإمـام عبد الله عزام رحمهم الله جميعًا:

"وفي هـذه المناسـبة نرجـو الله عـز وجـل أن يحفـظ أخـانا أبا عبـد الله أسـامة بـن لادن، فهـذا الرجـل مـا تفتّحـت عينـاي علـى رجـل مثلـه في الأرض أبـدًا، يعـيش في بيتـه عـيش الفقـراء. كنـت أنـزل في جـدة في بيتـه عنـدما أذهـب للحـج أو للعمـرة، لـيس في بيتـه كرسـي ولا طاولـة أبـدًا. كـل بيـت، متـزوج مـن أربعـة ولـيس في أي بيـت مـن البيـوت كرسـي ولا طاولـة، أي عامـل مـن الأردن أو مصـر بيتـه أحسـن مـن بيـت أسـامة، فيـه أثاث أو مثلـه، ومـع ذلـك في لحظـات تطلـب منـه مليون ريال يكتب لك شيكًا بمليون ريال للمجاهدين"[(272)].

وكانـت وثائـق أبـوت أباد الدفعـة الرابعـة، قـد كشـفت عـن وثيقـةٍ عبـارة عـن وصـيةٍ للشـيخ أسـامة، يطلـب فيهـا رحمـه الله مـن إخوتـه وأخواتـه وخالاتـه وذريّتـه أن يجيـزوا وصـيّته تلـك، وذلـك بأن تصـرف جميـع أموالـه الـتي في السـودان علـى الجهـاد في سـبيل الله. وجـدير بالـذكر أن الشـيخ أسـامة رحمـه الله

---

(272) أسامة بن لادن، مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. لفارس آل شويل.

كان قد أوقف قبل ذلك كل ثروته على الجهاد في سبيل الله، وكان مما سمعته من بعض المقربين منه أنه أنفق على الجهاد في سوريا مطلع الثمانينات أضعاف ما أنفق على الجهاد في أفغانستان، وعندما قام الجهاد في أفغانستان كان الشيخ أسامة هو رائد هذا الباب بلا منازع، وأشهد الله أني قد عملت مع الشيخ سعيد المحاسب (مصطفى أبو اليزيد) رحمه الله في مكتب المحاسبة في بيشاور لمدة ثلاث أو أربعة أشهر كنا نصرف فيها من أموال الشيخ أسامة على مصارف الجهاد أكثر من مأتي ألف دولار شهريًا، وكانت هناك مصارف أخرى أضعاف أضعاف هذا المبلغ على الذخيرة والسلاح وغيرها كان غيرنا يتولّى صرفها. كذلك أنفق الشيخ أسامة أموالًا طائلة على جهاد الشيوعيين في اليمن، وعلى الجهاد في مصر والصومال والجزائر وأماكن أخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
أنا الموقع أدناه أسامة بن محمد بن عوض بن عبود بن لادن
بالنسبة للأموال التي في السودان فتصل تقريبا إلى تسعة وعشرين
مليون دولار استلمت منها مليون ومئة ألف في السودان
ثم ثمانمئة ألف في جلال أباد ثم مليون وربع المليون في قندهار
تقريباً والقول قول الوسيط
منها اثنا عشر مليون دولار من طرف أخي بكر بن محمد بن لادن
نيابة عن شركة بن لادن لاستثمارها في السودان
وإني أرجو إخواني وأخواتي وخالاتي وذريتي أن يجيزوا وصيتي
وهي أن تصرف جميع الأموال النقدية في السودان على القتال في سبيل
الله تعالى ...

مقطع من وصيةٍ للشيخ أسامة بأن تصرف كل أمواله التي في السودان على القتال في سبيل الله[273]

(273) وثائق أبوت أباد، الدفعة الرابعة.

ومن مفارقات أقدار الله العجيبة بعد كل ذلك، أن الأحوال والظروف المادية للجماعة كانت قد ضاقت كثيرًا بعد عمليات نيروبي ودار السلام، وذلك بعد أن أوقفت الحكومة السودانية النزر اليسير من مستحقّات الشيخ أسامة[274] التي كانت تأتي من السودان. وعلى إثر ذلك أعلنت الجماعة حالة التقشّف، وربط الأحزمة على البطون، فُقلّصت ميزانيات اللجان إلى الحد الأدنى الذي يسمح فقط بقيام الأعمال الضرورية. كذلك خُفّضت كفالات الإخوة المتزوجين إلى النصف تقريبًا، حتى أن بعضهم كان عندما يستبدل كفالته بالعملة المحلية، يستبدلها بالعملات ذات الفئة الورقية الصغيرة، طمعًا في كسب شيء يسير من الروبيات، زيادة على الاستبدال بالفئات الورقية الكبيرة.

وذات يوم بعد أن أدينا صلاة الظهر في مسجد القرية الصغير بمجمع المطار في قندهار، وقف الشيخ أسامة رحمه الله ليتكلم، وبعد أن حمد الله كثيرًا وأثنى عليه قال:

"لم أكن أتوقع أنه سيأتي عليّ يومٌ في حياتي أفرح فيه بخمسة آلاف دولار. فبالأمس القريب جاءتنا خمسة آلاف دولار من أحد المحسنين في إحدى الدول، ويعلم الله كم كان فرحي بها عظيمًا جدًا".

كانت كلمات قلائل، دقائق معدودات على أصابع اليد الواحدة، لكنها كانت كافية لتترك أثرًا عميقًا في نفوسنا جميعًا، فتمتمت الشفاه بالحمد والشكر والثناء لله عزّ وجل، وفاضت العيون بالدموع، غير أنها لم تكن دموع فرحٍ بسبب قدوم المال - قلّ أو كثر – طمعًا في تحسين ظروفنا وأحوالنا. كلّا وألف كلّا، لم يدُر ذلك بخلد أحدنا قط. فقد كنّا ولله الحمد مع هذه الضائقة العابرة، نأكل وجبتين في اليوم بدل ثلاثة، بينما كان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ومن معه في شِعب أبي طالب، يُسمع صراخ أطفالهم من الجوع خارج الشِعب. لكنها كانت دموع إجلال وإكبار لذلك الجبل الأشم. ذلك الشيخ الجليل، الذي كما يقولون ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، يملك من متاع الدنيا المئات من الملايين من الدولارات، التي تمكنه إن أراد أن يخوض في متاعها، أن يكون من أكثر أهل الأرض ترفًا ومتعةً ورفاهيةً، لكنه آثر ما عند الله فهو خير وأبقى. فها هو ذا بيننا يعيش كما نعيش في مجمّع المطار قرب قندهار، ذلك المجمّع الذي كان ملاذًا آمنًا

(274) بعد عمليتي نيروبي ودار السلام جمّدت حكومة البشير كل أعمال الشيخ أسامة، وحصرت كل أصول شركاته وتمّ تقييمها بما يقارب الثلاثين مليون دولار.

لأغنام البدو. لقد كان مجمّعًا كما يقولون خارج التغطية، فليس فيه شيء من عالم الشبكات، حيث لا شبكة مياه جارية، ولا شبكة كهرباء سارية، ولا شبكة مجاري وصرف صحّي سوى حفرة بعمق متر في الأرض ابتدعها الإخوة خلف الحمّام، مغطاة بسقف من حصير القش، عليه طبقة من الطين. لقد كان ذلك المجمّع زاخرًا وعامرًا بجميع أنواع الشِّباك العنكبوتية على السقوف والحيطان، إضافة إلى جحور الحيات والفئران.

أما إذا تجوّلت أيها القارئ العزيز في فناء قصر الشيخ في ذلك المجمّع، فلن تجد في قاموسك كلمات مناسبة، تعبّر بها عن وصف ما ترى سوى دموعًا تكحّل بها عيناك، وكلمات إجلال وإكبار لهذا الشيخ الجليل تتمتم بها شفتاك فتقول: "أتعبت من بعدك يا شيخ". لقد كان قصر الشيخ أسامة رحمه الله مكونًا من أربعة بيوت، أحدها كان شبه مدمّر، جعلوه مربطًا للخيل، وثلاثة منها كانت لزوجاته وبناته، وأمام مدخل كل بيت كانت هناك عريشة من حصير القش للمقيل تحتها. وجعل الشيخ أسامة من فناء بيته مركزًا للبحوث الزراعية، يجرب فيه زراعة بعض المحاصيل والخضروات بطرق مثاليّة محسّنة، حتى أن بعضها بلغت أحجامًا قياسية، أظن أنها فاقت الأحجام المذكورة في موسوعة "جينيس" العالمية. وبالطبع لن تجد تفسيرًا لذلك سوى أن تقول: بوركت يداك يا شيخ.

ولما كان كل بيت من بيوت الشيخ أسامة عبارة عن غرفتين ومطبخ وحمام، فسوف يلفت انتباهك أيها القارئ العزيز وجود خيمة منصوبة أمام أحد البيوت، فحسبك أن تعلم أنها كانت لفلذات أكباده الذكور يسكنون فيها، لأنه لم يكن هناك متّسع لهم من غرف البيت، فإحدى الغرف كانت للشيخ وأهله، وكانت الغرفة الأخرى لبناته.

والغريب، رغم أنّنا جاورنا الشيخ أسامة سنوات في ذلك المجمّع، إلّا أن أي منّا لم يكن يعلم أو يتصوّر أن فلذات أكباده كانوا يعيشون في خيمة، فلم نسمع بذلك أبدًا لا من الشيخ أسامة ولا من أي أحد من أبنائه. وكان بإمكان الشيخ أسامة أن يبني لهم غرفة في فناء البيت، لكنه لم يفعل، وبدون شكّ، كان يهدف من ذلك إلى تربية أبنائه وتنشئتهم على معاني الصبر والخشونة والرجولة والقوة، والزهد وذم الترف والتنعّم، لأن ذلك مما يعين على الجهاد في سبيل الله.



الشيخ أسامة في فناء بيته، ويبدو في الصورة بيت الخيل، كما تبدو أحواض الزراعة

وهذه قصيدة من كلمات حمزة بن الشيخ أسامة رحمهم الله جميعًا، يصوّر فيها حالهم:

أبتاه أين هو المفر ومتى يكون لنا مقر؟

آه أبي كيف ما أبصرت دائرة الخطر؟

أكثرت ترحالي أبي بين البوادي والحضر

أكثرت من سفري أبي بين وادٍ ومنحدر

حتى نسيت عشيرتي وبنى العمومة والبشر

ما بال منزلنا اختفى عنى فليس له اثر؟

ما بال أمي لم تعد عجبًا هل طاب لها السفر؟

وأخي الحبيب فديته مر الزمان وما حضر

لم لا نرى في دربنا إلا الحواجز والحفر

ألا إن أمريكا أتت في الخرج تعبث والخبر

فهاجرت مغتربًا إلى أرضٍ بها النيل انحدر

خرطوم بعد أن فتحت أبوابها أبت لي أن أقر

ثم ارتحلت مشرقًا حيث الرجال أولي الغرر

ثم ارتحلت مشرقًا حيث الرجال أولي الغرر

كابول ترفع رأسها رغم الخصاصة والخطر

كابول يبسُم ثغرها تؤوي وتنصر من حضر

الشيخ يونس خالص قد بدا ليث يُهاب إذا زأر

وأخو الرجولة والإباء أميرنا الملا عمر

أبي لماذا أرسلوا وابل من القذائف كالمطر

لم يرحموا طفلًا ولا شيخًا يحطمه الكبر

أبتاه ماذا قد جرى حتى يلاحقنا الخطر

أفداؤك البيت العتيق جريمة لا تغتفر

أثبت أبي لا تبتغى عرض الحياة من البشر

الخلد موعدنا إذا شاء الإله لنا الظفر

قل لي أبي فيما أرى قول مفيد ومختصر

فكان ردّ الشيخ أسامة عليه كما يلي:

أبني يكفى أبي شبعًا بالآهات والحسر

عقد اللسان فمقلتي نبع ووجداني سقر

ماذا أقول ونحن في دنيا التكاسل والبطر

ماذا أقول لعالم أعمى البصيرة والبصر

أمم تباع وتشترى بيع السنابك بالغرر

عفوًا بني فلا أرى بالدرب غير شديد منحدر

عقد مرت سنواته بين التشرد والسفر

عما تسائلني؟ عن قوم أصابهم الخدر

ها نحن في مأساتنا ذهب الأمان وبقى الخطر

دنيا الجرائم بني الطفل يذبح فيها كالبقر

صهيون تقتل أخوتي والعرب تعقد مؤتمر

أذناب أمريكـــا غـــدوا عميًـــا فلـــيس لهـــم نظـــر

حـــبر علـــى ورق فـــلا صـــدقوا ولا ظهـــر الأثـــر

لم لم يســـوقوا قـــوة تحمـــى الصـــغير مـــن الضـــرر

هـــذه وربـــك وصـــمة كـــبرى يســـاق لهـــا الخـــبر

غـــدرٌ يُجمّـــع أمـــره أيـــذود عنـــا أم غـــدر

خـــانوا الرســـول وربنـــا وخـــانوا الرعيـــة في ســـحر

إلى مـــتى نقـــص الرجـــال والخوالـــف في غـــرر

يجـــب التحـــرك كيفمـــا أتـــى لـــدفع الضـــرر

أقســـمت بالله العظـــيم بأن أقاتـــل مـــن كفـــر



حمزة بن الشيخ أسامة – رحمهم الله – متسائلًا في قصيدته: صهيون تقتل أختي والعربُ تعقد مؤتمر

سيرة القائدين أبي عبيدة البنشيري وأبي حفص الكمندان رحمهما الله[275]:

أبو عبيدة البنشيري:

[[سيذكرني قومي إذا جد جدهم... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر]]

أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، اسمه علي الرشيدي، رجل بأمة وأمة في رجل، رجل يشبه الرعيل الأول. فارسٌ من فرسان النهار، وراهبٌ من رهبان الليل، ورمزٌ بارز من قيادات العمل الإسلامي في أمتنا، وأحد أعمدة العمل الجهادي الذين يشار لهم بالبنان.

سيرته حافلة بالأعمال الجهادية الخيِّرة، حيث كان يتميز برجولة فريدة، وبشكل فريد من الأخلاق العالية، من التواضع والبشاشة والتسامح والهدوء واحترام الناس وبالصبر والحلم. وكان يتميز بقوة الشخصية، وبالرأي السديد وحسن الإدارة، وكان الرجل الخفي في زمام الأمور التنظيمية والعسكرية إلى حد كبير. وكان يتميز بشخصية محبوبة بدرجة رائعة، ويتميز باللين والبساطة وحلاوة المعشر، لم يتصرف بغلظة أو يناقش بوقاحة أي إنسان، وكان وقافًا عند الحق.

رحلت عن الحياة فما جزعنا	برغم الحزن والدمع الصبيبِ
رضينا بالقضاء رضىً يقينًا	وتسليمًا لغفار الذنوب

كان من أبناء الحركة الإسلامية الجهادية الأوائل في مصر، واعتقل بعد أحداث السادات في عام 1981م، حيث أن أحد قاتلي السادات، وهو عبد الحميد عبد السلام، كان عديله، فقد كانا متزوجان من أختين. وكان الشهيد أبا عبيدة رحمه الله، قد عمل في جهاز الشرطة فترة من الزمن، ثم بعد أن خرج من المعتقل، قرر المغادرة إلى أرض الجهاد في أفغانستان. كان يعتبر من أوائل الإخوة العرب الذين توافدوا إلى أرض الجهاد، وذلك في عام 1983م. أسكن أهله في بشاور، وكان يتواصى بهم أثناء غيابه أخ عربي يعمل في مؤسسة إغاثية، كان جاره وشريكه في المسكن. ثم انتقل إلى أرض أفغانستان، والتحق بقافلة إلى الشمال، وكان معه صديقه أبو سهل المصري (أبو سهل الكبير)، ومجموعة من الإخوة العرب والأفغان. وكانت الرحلة إلى شمال أفغانستان وقتها تقدر بمسيرة شهر، حيث بعد المسافة ووعورة الطريق والثلج، وغيرُ ذلك من تربُّصُ العدو بهم وتجنُّبُ الكمائن.

---

(275) نشرة معسكر البتار العدد 12 مقال بعنوان: أبطال الإسلام في هذا الزمان. بتصرف.

حفظ رحمه الله القرآن في الطريق إلى الشمال، واستوطن وادي بنشير (الوادي المعروف بصعوبة تضاريسه وكثرة العمليات فيه، لرغبة الروس تأمين طرق الإمدادات من وإلى أفغانستان). شارك في عمليات كثيرة، وأبلى بلاء حسنًا، وتمرس في الجهاد، فأصبح مرجعًا عسكريًا في التخطيط للعمليات الجهادية لدى الإخوة العرب، وشهد له الجميع بذلك. ثم عاد مرة أخرى من بنشير، وأصبح يلقب (بأبي عبيدة البنشيري). ثم شارك مع الشيخ جلال الدين حقاني – رحمه الله – في معارك في قرديز وخوست.

تعرف على الشيخ أسامة في بيشاور عام 1986م، وشارك في معارك مأسدة الأنصار في منطقة جاجي الاستراتيجية، حيث أنها كانت طريق الإمداد الرئيسي للجبهات المهمة في كابل ولوقر وغيرها. ولما جاءت عملية شعبان ورمضان الشهيرة 1407هـ، كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، نائبًا للشيخ أسامة في قيادة المعركة. وفي هذه المعركة أثبت الشيخ أبو عبيدة حنكته العسكرية، وأسلوبه البارز في القيادة، فكان ينوب عن الشيخ أسامة في جميع أمور الجبهات والتدريب، ويعتبر الرجل الثاني. وكان الجميع يرغب في مجالسته والنهل من علومه، فقد كان له اطلاع في المسائل الشرعية، وإن عرجت على العلوم العسكرية وجدته علمًا، وإن أتيته لطلب المشورة والنصيحة لن تجد صدوقًا مثله ومثل صواب رأيه.

شارك في تأسيس القاعدة منذ أيامها الأولى، وأصبح اليد اليمنى للشيخ أسامة – رحمه الله – وأشرف على معسكرات التدريب والإعداد. ولم يكتف بساحة أفغانستان، فبعد انتهاء الجهاد هناك، وسّع من نشاطه لقارات أخرى، فزار بلادًا عديدة بآسيا وأفريقيا. وكان رحمه الله، يشغله توفير الدعم للجهاد في سبيل الله، وكان أكثر وقته مرتحلًا لهذا الأمر، حتى وافته المنية. ولعل من أهم أنشطته مشاركاته في إنعاش الجهاد في شرق أفريقيا عامة والصومال خاصة.

علاقته بالشيخ أسامة بن لادن:

كان الشيخ أسامة – رحمه الله – لا يجلس مجلسًا إلا وطلب الشيخ أبا عبيدة، وإن غاب ذكر الشيخ أبا عبيدة بالخير، وإن أراد مشورة اهتم برأي الشيخ أبي عبيدة. وكان الشيخ أسامة بن لادن في بيشاور يقول: "من نعم الله علي، أن أتيت للجهاد الأفغاني حتى أتعرف على الشيخ أبي عبيدة". وفي معركة جلال آباد في عملية الانحياز عام 1409/9/2هـ، تقدم العدو بأكثر من 36 دبابة، وقذف أكثر من 11 صاروخ سكود على موقع سراقة، وكان هناك قصف بالطائرات لقنابل

الغـازات السـامة صـرفها الله. وبعـد مقتـل شـفيق المـدني ومـا شـاهده الشـيخ أسـامة مـن تـدفق العـدو ومحاصـرة المجاهـدين، رأى الانحيـاز إلى مركـز الزهـراني خلـف جبـل ثمـر خيـل، وكـان ذلـك فتحًـا عسـكريًا مـن الشـيخ أسـامة. وكـان آخـر المنحـازين هـو الشـيخ أبـو عبيـدة، حـتى يخـرج الشـباب مـن المنطقـة حـتى لا يقعـوا في الأسـر. ورجـع الشـيخ أسـامة إلى طـورخم، وكـان مشـغولًا بسـلامة الشـيخ أبي عبيـدة، وكـان يسـأل كـل مـن يأتي هـل انحـاز الشـيخ أبـو عبيـدة؟ هـل رجـع إلى مركـز الزهـراني؟ ومـن فضـل الله نجـح الشـيخ أبـو عبيـدة في الانحيـاز، حيـث تأخـر رحمـه الله مـع أحـد المصـابين مـن الإخـوة الليبيـين، فكـان من آخر المنحازين. وتم إبلاغ الشيخ أسامة بالخبر، فما كان منه إلا أن سجد لله شكرًا.

زهد الشيخ أبي عبيدة وأهله:

وعنـدما كـان الشـيخ أبـو عبيـدة في السـودان، كـان متاعـه متـاع عـابر سـبيل. ويـروى أن زوجتـه احتاجـت في وقـت حملهـا بابنهـا أحمـد إلى خادمـة، فـأتى بخادمـة تسـاعدها بضـع سـاعات في اليـوم. فأتـت الخادمـة لكـي تعمـل، فلـم تجـد في الشـقة إلا سـرير أبي عبيـدة، وسـريرين لأولاده مـع أمهـم أربعـة، وفرشـة حصـير في الصـالة، والثلاجـة والبوتوغـاز فقـط لا أكثـر، وإذا بهـا تسـأل أيـن العفـش؟ أيـن التلفزيون؟

غرقه في بحيرة فكتوريا:

في شـهر ذي القعـدة مـن عـام 1416هـ، كـان الشـيخ أبـو عبيـدة في تنزانيـا مسـافرًا بالبـاخرة علـى بحـيرة فكتـوريا، وقـدر الله ركـوب أعـداد كبـيرة في نفـس القـارب يفـوق العـدد المسـموح بـه، وكـان هـذا الأمـر بعـد صـلاة الفجـر، وفي وسـط البحـيرة ومـع شـدة التيـارات المائيـة وكثـرة أعـداد الـراكبين، مالـت السـفينة وغـرق مـن في داخلهـا ولم ينـج إلا القليـل. وكـان مـن النـاجين أحـد أصـهار الشـيخ أبـو عبيـدة. واستمرت جهود انتشال جثث المغرقين، ولكن الشيخ أبا عبيدة قدر الله ألّا يكون له قبر.

حـزن عليـه الشـيخ أسـامة[276] وجميـع الإخـوة حـزنًا شـديدًا، وتـرك عـدة أبنـاء مـنهم (مـريم – وعـلاء – وعبـد الـرحمن – وأحمـد) نسـأل الله أن يرعـاهم بعنايتـه. وكانـت الحكومـة المصـرية إلى وقـت طويـل، تشـكك في وفاتـه، بـل مـن المضـحك أنهـا حكمـت عليـه بالسـجن المؤبـد، مـع أنـه ميـت ولـديها

(276) كان الشيخ سيف العدل هو الذي أخبر الشيخين أسامة وأبي حفص رحمهما الله عن وفاة الشيخ أبي عبيدة رحمه الله، فدخل الشيخ أبو حفص في حالة بكاء شديدة جدًا. واغتم الشيخ أسامة وقال للشيخ سيف: "لن تجد الجماعات الجهادية شخصًا مثل أبي عبيدة رحمه الله".

معلومات أنه قد مات، وخاصة بعد رجوع زوجته إلى مصر بأبنائها، نسأل الله أن يحفظهم بحفظه. كان من آماله توحيد جماعة الجهاد والقاعدة، وقد سعى في ذلك حثيثًا، ولذلك ذكره الشيخ الدكتور أيمن الظواهري في كلمته يوم الوحدة بين جماعة القاعدة والجهاد، فقال ما معناه:

"وفي هذا الحفل، فإني لأذكر إخوة كرامًا، كان يسرهم أن يكونوا بيننا اليوم، ليشهدوا هذا الحدث الكبير، وأحسب منهم أخانا الكبير الشهيد - ولا نزكيه على الله - الشيخ أبا عبيدة البنشيري. فنم قرير العين يا أبا عبيدة، فقد تحققت الوحدة التي كنت تأملها".

رحل الجندي المجهول بصمت، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ووالله إن كثيرًا من فضل نصرة الجهاد في هذا الزمن بعد الله سبحانه وتعالى، ليصب في ميزان هذا الرجل، وبعض القلة من الأخيار، منهم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، والشيخ أسامة بن لادن، والشيخ أبو حفص (الكمندان) صبحي عبد العزيز أبو ستة رحمهم الله جميعًا. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ»، وفي رواية وصَاحبُ الهَدمِ شَهِيدٌ).

نسأل الله أن يجعلنا من جلساء القوم الذين لا يشقى بهم جليس.

يا طائرًا ما يستكين ولا يني	ويرى الجهاد عقيدة وتفان
قد نلت ما ترجوه شهمًا ماجدًا	ما كنت يوما في الدنا بجبان

الشيخ أبو حفص المصري (الكمندان)[277] رحمه الله:



أبـو حفـص الكمنـدان، كمـا كـان الإخـوة ينادونـه، اسمـه: صـبحي عبـد العزيـز أبـو سـتة الجـوهري، مـن قبيلـة أبـو سـتة، وهـي قبيلـة عدنانيـة هـاجرت مـن فلسـطين لمصـر. ولـد وترعـرع في أرض الكنانـة في 17 ينـاير عـام 1958م، عمـل مهنـدس زراعـي في مدينـة كفـر الـدوار بمحافظـة البحـيرة. عمـل كضابط احتياط بالجيش المصري برتبة ملازم أول.

كـان مـن فضـل الله عليـه أنـه كـان مـن السـابقين الأوائـل الـذين نفـروا لنصـرة للجهـاد في أفغانسـتان، وكـان ذلـك عـام 1402هـ، الموافـق لعـام 1981م، ولمـا كـان الشـيخ أبـو حفـص يريـد مـن هجرتـه وجهـاده أن يعيـد لهـذه الأمـة مجـدها وعزّهـا ويرفـع رأسـها عاليًـا، ادّخـر الله لـه مـن الفضـل بأن رفـع ذكـره، وجعلـه مـن الـذين يزرعـون الرعـب في قلـوب أعـداء الإسـلام فتطـير قلـوبهم خوفًـا مـن مجـرد ذكـر اسمـه، فقـد كـان رحمـه الله – بحكـم خبرتـه في الجـيش المصـري – شـعلةً مـن شـعل المجـال العسـكري الـذي كـان متخصصًـا فيـه، وبجانـب التـدريب الـذي عكـف عليـه، كانـت بصـماته لا تخفـى في كثـيرٍ من العمليات العسكرية التي شارك فيها بالتخطيط والتنفيذ.

---

(277) نشرة معسكر البتار العدد 13 مقال بعنوان: أبطال الإسلام في هذا الزمان. بتصرف كبير.

كـان رحمـه الله أحـد المؤسسـين البـارزين لتنظـيم القاعـدة. وبعـد استشـهاد الشـيخ أبي عبيـدة البنشـيري، تـولى الشـيخ أبـو حفـص نيابـة الشـيخ أسـامة، وكـان مثـالًا للخلـق والأدب الرفيـع، والسـماحة والكـرم والزهـد، وكـان نافـرًا مـن الخلافـات والمشـاحنات، مقـبلًا علـى العمـل والعطـاء والحرص على مشاعر إخوانه، فعكف على تدريب الشباب وتعليمهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

وفي جـاجي شـارك الشـيخ أبـو حفـص - رحمـه الله - في معـارك مأسـدة الأنصـار الـتي نصـر الله فيهـا المجاهـدين نصـرًا عزيـزًا مـؤزرًا علـى أعـتى وأقـوى قـوة علـى وجـه الأرض في ذلـك الزمـان. ولقـد أبلـى بطلنـا في المعركـة بـلاءً حسـنًا كمـا يخبر عنـه مـن عاشـروه في تلـك المعركـة. ثم شـارك في معـارك جـلال أباد القويـة، وأصـيب فيهـا بجـرح نافـذ في الصـدر ممـاس للحجـاب الحـاجز - لكـن لم يخـترق الـبطن - من قذيفة كسرت ذراعه وضلوعه، فلله دره من مجاهد صنديد، بطل شجاع غير هيّاب للعدو.

وبعـد أن انتهـى الجهـاد في أفغانسـتان، وانقلابـه إلى قتـال بـين الأحـزاب علـى الكرسـي، لم يشـارك الشـيخ أبـو حفـص في هـذه الفتنـة، بـل ذهـب مـع رفيـق دربـه وحبيبـه الشـيخ أسـامة بـن لادن رحمـه الله إلى السـودان، ليعـد العـدة لتحريـر الأمـة الإسـلامية مـن الـذل والهـوان الـذي تعيشـه، وليجهـز لقهـر العـدو الـذي جثـا علـى صـدر أرض النبـوة والرسـالات، أرض محمد ﷺ، واسـتباح بيضـتها وقدسـيتها. وفي أول خطـوة لهـذه المعركـة الحاسمـة، قـاد الشـباب إلى أرض الصـومال وأوجـادين الـتي نـزل بهـا الأمريكـان ليسـتبيحوها كمـا اسـتباحوا جزيـرة العـرب مـن قبلهـا. وفي أول مواجهـة مـع الأمريكـان، لم تـدم المعركـة طـويلًا حيـث قتـل فيهـا عـدد قليـل مـن الجنـود الأمريكـان، فـروا بعـدها في ليـل أظلـم لا يلـوون علـى شـيء، وخرجـوا مـن أرض الصـومال يجـرون أذيال الهزيمـة، ليثبتـوا للعـالم كمـا وصـفهم الشـيخ أسامة رحمه الله، أنهم ما هم إلا نمر من ورق.

وبعـد ذلـك تأكـد لقـادة تنظـيم القاعـدة المبـارك أنـه بإمكـانهم قهـر وهزيمـة أمريكـا وبإمكانيـات بسيطة، فهـي ضـعيفة وأضـعف ممـا كـانوا يتوقعونـه؛ إذًا لابـد مـن إعـداد الشـباب للمعركـة الفاصـلة مـع أمريكـا، وإنشـاء معسـكرات تـدريب لهـم. وهيـأ الله لهـذا الأمـر أسـبابه، فمالـت الحكومـة السـودانية بقيـادة البشـير مـع عواصـف الضـغوط الأمريكيـة، واسـتجابت - بعـد كـل الـذي قدمـه لهـم مـن خـدمات راقيـة وإصـلاحات واسـعة - بابعـاد الشـيخ أسـامة ومـن معـه مـن السـودان إلى أرض الهجـرة والجهـاد؛ أرض أفغانسـتان الأبيـة، لتبـدأ بعـد ذلـك المرحلـة الـتي طالمـا انتظرهـا الشـيخ أسـامة ورفاقـه الميامين.

ولما علم الشباب المؤمن الصادق برجوع الشيخ أسامة ومن معه مرّة أخرى إلى أفغانستان، بدءوا يتوافدون ذرافاتٍ ووحداناً من كل حدب وصوب، فاستعادت المعسكرات نشاطها، ودبّت فيها الحياة من جديد.

وكان الشيخ أبو حفص رحمه الله كالنحلة التي لا تهدأ ولا تكل ولا تمل من العمل، فهو المسؤول عن كل النشاط العسكري لتنظيم القاعدة، بدءًا بالمعسكرات، مرورًا بجبهات القتال مع الطالبان، وانتهاءً بكل العمليات الخارجية المباركة، حيث شارك في كل خطوة من خطوات التخطيط والمتابعة لها. وكان رحمه الله يعد لإنشاء جيش إسلامي نظامي لتحرير بلاد المسلمين، وكان ينصح الشباب المدرّبين أن يتخصص كل منهم في تخصص عسكري، سواء في المدفعية والإسناد، أو في الهندسة العسكرية والألغام، أو في الاقتحام والتقدم، أوفي الأسلحة المضادة للطائرات؛ ليكونوا نواة لهذا الجيش المبارك ولكنه رحمه الله، استشهد قبل أن يرى ذلك الجيش.

ولما اكتملت خطوات العمل الخارجي، وجهت القاعدة أولى ضرباتها المباركة لهبل العصر في عملية هزت العالم أجمع، أطارت عقل أمريكا وجعلها توقن بأنها أمام عدوٍ يصدّق قوله بفعله، خبط كل أوراقها وموازينها وحساباتها، حيث جاءتها الضربات في مكان خاب كل توقعاتها، حيث ضُرب مركز استخباراتها في أفريقي، ولا عجب بعد ذلك إذا علمنا أن مخطط العملية هو الأسد الهصور الشيخ أبو حفص الكومندان رحمه الله، ولا عجب بعد ذلك أيضًا أن يكون ترتيبه الثاني في قائمة أكثر المطلوبين لأمريكا، وأن تضع أمريكا أكبر مكافأة في تاريخها، وهي خمسة وعشرون مليون دولار، لمن يدلي بمعلومات تؤدي للنيل من شخصه.

وبفضل الله تواصلت الضربات بتفجير المدمرة كول في عدن، ومن بعدها الغزوات المباركات في نيويورك وواشنطن، وكان للشيخ أبي حفص رحمه الله نصيب كبير في التخطيط والترتيب لهذه العمليات، وكان شديد الإعجاب بالإخوة المنفذين لها، وخاصة القائد البطل الشهيد -كما نحسبه - مُحَمَّد عطا عندما سأله: "وماذا يمكن أن نعمل من أجل فلسطين؟ " ظل أبو حفص رحمه الله متذكرًا لذلك السؤال، ومتأثرًا به.

لقد فعلت الكثير يا مُحَمَّد عطا، وحسبكم من الشرف والفضل أنكم قد نكّستم رأس أمريكا، فعلا بفعلكم التكبير في أفغانستان وجميع الدول الإسلامية على هذا النصر التاريخي المشهود، وعمت الفرحة، وابتهجت النفوس، ووزعت الحلوى، وبكى الفلسطينيون فرحًا على أن هيأ الله لهم

من ينصرهم، ويأخذ بثأرهم، ويدافع عن حقوقهم المسلوبة، ويغضب لبكاء عجائزهم وأطفالهم وشيوخهم. فالحمد لله على النصر المؤزر، والشكر لله أولًا ثم للرجال المخلصين الأخفياء الأنقياء الأطهار، العاملين بكل جدٍ خلف الأستار، ومنهم شهيدنا البطل الشيخ أبو حفص الكومندان رحمه الله.

وعندما بدأت الحملة الصليبية على أرض أفغانستان تركز البحث على أمير المؤمنين الملا عمر، وعلى الشيخ أسامة والشيخ أبو حفص، وعلى قيادات الإمارة الإسلامية الذين آووا ونصروا، كان الأمريكان يريدون القضاء عليهم بأي شكل من الأشكال، فاستعانوا بالجواسيس والعيون لترصد حركتهم، وألقوا المنشورات التي تعِدُ بالملايين لمن يدل بمعلومات تدل على مكانهم.

ولم تهن عزيمة الشيخ أبي حفص رحمه الله بعد أن اشتد عليه الطلب، بل ظل يخطط ويُعد الشباب ويجهزهم لعمليات موجعة على الأمريكان، رغم ما كان يعانيه في أواخر أيامه من آلام مبرحة في فقرات عموده الفقري. وكان ينصح الشباب بعدم التعرض للبرد الشديد فقد أصيب بآلام في عظامه أيام معارك جاجي، حيث كان شابًا ولا يبالي بالبرد، فأثر عليه ذلك في الكبر رحمه الله، وأكثر من الدعاء لله عز وجل بأن يرزقه الشهادة في سبيله التي طالما حلم بها وتمناها؛ فقد رق عظمه، وضعفت نفسه، وكبرت سنه، وقد رأى جزءًا من النصر الذي عمل له دهورًا بأم عينيه، واستجاب الله دعاءه بعد أن أعذر أمام الله عز وجل (نحسبه كذلك والله حسيبه).

وكان عدد المقيمين معه في مأواه الأخير عددًا كبيرًا يصل إلى العشرين أحيانًا، وكان رحمه الله إذا اعترض عليه أحد الإخوة بأن ذلك العدد قد يكشف المكان للطائرات المغيرة أو للجواسيس، كان يجيب مبتسمًا "الموت مع الجماعة رحمة". وبالفعل، في ليلة من ليالي رمضان المباركة، في بداية الغزو الصليبي أغارت الطائرات على مأوى الشيخ أبي حفص الكمندان، واستشهد معه في موكب محبة مهيب ستة عشر من الإخوة دفعة واحدة، عليهم رحمة الله جميعًا. ونجا أخوان بمعجزة حقيقية، أحدهما كان أسد ابن الشيخ عمر عبد الرحمن رحمه الله.

وفي اليوم الثاني بحث الشباب تحت الأنقاض عن جسد الشيخ أبي حفص، فوجدوه كأنه نائم وعلى وجهه نور وابتسامة، ولم يخدش بخدشة واحدة، وقد خرجت منه رائحة المسك، وشمّها جميع من حضر.

وقد دفنه الشباب وهم يبكون ألمًا ولوعةً على فراق أستاذهم وشيخهم، وفي نفس الوقت سعيدون لنيله الشهادة في سبيل الله التي طالما تمناها بعد عمر طويل في الجهاد في سبيل الله؛ أكثر من 25 سنة قضاها في نصرة دين الله، وإقامة دولته، وقهر أعداء الله من الصليبيين واليهود وأذنابهم، واستطاع أن يوجعهم مرارًا وتكرارًا فرحمه الله، ورضي عنه وبلغه منازل الشهداء.

وفرح أعداء الله بمقتله ولم يتأكدوا من ذلك إلا بعد فترة طويلة، وكان قد دلّهم على قبره أحد الإخوة الذين دفنوه، وكان هذا الأخ قد وقع أسيرًا في أيدي القوات الأمريكية، وعندما سألوه عن الشيخ أبي حفص أكّد لهم مقتله، وأنه قد دفنه بيده رحمه الله، ولم يصدّق الأمريكان وطلبوا من الأخ أن يدلّهم على قبره فدلّهم، فنبشوا القبر وأخرجوا الشيخ أبا حفص، وأخذوا بصمات أصابعه، وعينات من شعره، ليتأكدوا عن طريق الحمض النووي من شخصيته.

أمّا الإخوة فقد حزنوا عليه حزنًا شديدًا، وبكوا لفراق شيخهم وأبيهم وعمهم وأخيهم الكبير، فلقد كان رحمه الله يحب الشباب المجاهدين حبًا شديدًا، وكان أيضًا يحب العمال الأفغان المساكين وكانوا يحبونه، الكل يحبه بل إنك تحبه من جلسة واحدة تجلسها معه، يوجه هذا وينصح هذا، ويربت على كتف هذا، ويبتسم في وجه ذاك، يقتدي بالنبي ﷺ في كل شؤونه حتى في تبسمه. ومن حبه للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، أن زوّج ابنته لمحمد بن الشيخ أسامة، رحمهما الله رحمةً واسعه، وجعل منزلتهم الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.



الشيخ أبو محمّد المصري (عبد الله أحمد عبد الله الألفي) تقبّله الله:



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد.

ما أعظمه مفقودًا، وأكرمه ملحودًا، إني لأنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه مع النجوم الثواقب، وأبكيه مع البكاء المعالي والمحاسن، قد رزئنا في أبي مُحَمَّد عالماً في شخصٍ، وأمةً في نفسٍ، مضى والمعالي تبكيه، والمحاسن تعزى فيه، فقدناه في وقت نحن والأمة بأمسِّ الحاجة له، في زمن قلَّ فيه النصير، واشرأبت فيه أعناق كل حقير، لقد كان بدرًا ينير لنا ظلمة الليل البهيم، ونجمًا يدلنا على درب الحق القويم، هميم لا يعرف التراخي، شجاع لا يأبه بالأعادي، يصدق فيه قول القائل:

همام له شيمة كالشمول	تميت الهموم وتحيي الهمم
تنسمت نعمته بالثناء	ونشر الثناء نسيم النعم
يد تقع الهام تحت الحسام	بها والأقاليم تحت القلم

الشيخ أبو مُحَمَّد المصري عبد الله بن أحمد بن عبد الله الألفي تقبله الله، ولد في مصر سنة 1963م، نشأ فيها وترعرع، خرج للأردن لدراسة العلم الشرعي على يد العلامة الشيخ المحدث مُحَمَّد ناصر الدين الألباني رحمه الله، وفي سنة 1988م نفر للجهاد في أفغانستان بعد تأثره بالأحداث التي كان يمر بها الشعب الأفغاني المسلم على يد الروس الملاحدة، ومكث حتى خرج الروس من أفغانستان مهزومون مدحورون، واستمر رحمه الله في طريق الجهاد مع رفقاء دربه وعلى رأسهم الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله، وكان من أعوان الشيخ أسامة في السودان، وممن كان لهم دور كبير في ترتيب صفوف المجاهدين في الصومال، وتدريبهم إبان دخول القوات الأمريكية سنة 1993م، وعندما عاد الشيخ أسامة رحمه الله لأفغانستان مرة أخرى، كان الشيخ أبو مُحَمَّد من طلائع العائدين معه، وهناك كان رحمه الله من العاملين المقدمين لنصرة الدين، وكان يعتبر الرجل الثالث في قاعدة الجهاد قبل بيعة الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله للشيخ أسامة، وانضمام جماعة الجهاد لتنظيم القاعدة، وفي العام 1998م كان الشيخ أبو مُحَمَّد المصري تقبله الله، هو القائم على عمليتي تفجير سفارتي أمريكا في كل من نيروبي العاصمة الكينية، ودار السلام العاصمة التنزانية، وبعد عودته إلى أفغانستان كان مسؤولًا على تدريب شباب المسلمين في معسكر الفاروق، وكان رحمه الله مع ما له من مكانة بين إخوانه، وعند قيادة المجاهدين، إلا أنه

متواضع لا تفرق بينه وبين أي مجاهد نفر حديثًا، وكان رحمه الله حييًا، كريمًا، صاحب خلق رفيع، وأنا عن نفسي أقول: لقد غير عندي أمورًا خاطئة بخلقه الجم، وتعامله الراقي.

وبعد أحداث عمليات نيويورك وواشنطن المباركة – المعروفة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر – عام 2001م، خرج من أفغانستان منحازًا، وحط رحاله في إيران، ليؤسر فيها هو وجمع من إخوانه من قيادات وأفراد تنظيم القاعدة، ليمكث دهرًا من الزمن أسيرًا في سجون الرافضة في إيران، حتى منَّ الله عليه وعلى جمع من الإخوة بالخروج من السجن على إثر صفقة تبادل بينهم وبين دبلوماسي إيراني أسره المجاهدون في جزيرة العرب، ليعيش بعد ذلك في إيران في إقامة جبرية، حتى أتاه أمر ربه شهيدًا كريمًا بأيد الغدر والحقد، لتمتد إليه فتقتله غيلة، ليترجل عن جواده بعد أن شد لجامه ردحًا من الزمان مهاجرًا، مجاهدًا، صابرًا على شدة الطريق، ولأوائه، لم نسمع منه أنينًا مع كل ما مر به، ولم نره متوجعًا مع كثرة الآلام، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا.

رحلت أبا مُحَمَّد عن دنيانا الدنيّة، وتركتنا بعدك في مشاقها المضنية، ولكنَّ عزاؤنا فيك أيها الحبيب أنك رحلت عنا شهيدًا كريمًا ماجدًا، ثابتًا على دينك، متمسكًا بمنهجك، ما غيرت ولا بدلت، فرحمك الله رحمة الأبرار، وتقبلك في زمرة الشهداء، ورفع درجتك في الفردوس الأعلى، وألحقنا بك شهداءً في سبيله، غير خزايا ولا ندامى ولا مفتونين[278].

(278) كتبه أمير قاعدة الجهاد في جزيرة العرب الشيخ خالد با طرفي حفظه الله.

وخير ما نختم به هذه الصفحات المختصرة من تاريخ القاعدة، كلمات مباركات للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، خصّ بها إخوانه المجاهدين قائلا لهم:

"وقفتم لنصرة الدين يوم قَلَّ الواقفون، وجاهدتم يوم قعد الخطباء والمحَدِّثون، وصدعتم بالحق يوم سكت الخائفون والطامعون، غيركم قال كما قال السحرة قبل أن يؤمنوا قالوا: ﴿أإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ فقال لهم الطاغية: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

وأما أنتم فالأجر والقرب من الرحمن ترجون، ذقتم حلاوة الإيمان فلم تغركم حلاوة الدنيا - أحسبكم كذلك والله حسيبكم ولا أزكي على الله أحدًا - وجزاكم الله خير الجزاء.

وقفتم وما في الموتِ شكٌ لواقفِ
تخوضون بحر الموتِ لا ترهبونه
وحطمتم الأوهام والوهم يُكسرُ
ومن لا يهاب الموت لا شيء يَحذرُ

حطَّمتم الهالات الملقاة على الطغاة منذ عقود كذبًا وزورًا، فهنيئًا لكم أن أَنَرْتُمُ السبيل بدمائكم للملايين من الأجيال الناشئة لتستقم على الصراط المستقيم، ولتجتنب سبيل الطغاة المجرمين، ففي الحديث: (فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ) رواه البخاري.

فواصلوا المسير، ولا تهابوا العسير، وطَهِّروا جزيرة العرب من المشركين والزنادقة والملحدين، ولا تهنوا. قال الله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. ولا يغرَّنكم كثرة المخذّلين والمخالفين، فقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام، كما في صحيح مسلم: (لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ). فنقول للطاغية كما قال المؤمنون من قبل: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى ما جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ ما أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

فيـا أيهـا المجاهـدون، اصـبروا وصـابروا واحتسـبوا، فهـذا طريـق الأنبيـاء، هجـرةٌ ودمـاءٌ، وقتـالٌ وأشـلاءٌ، تخيفـون العـدو ويخيفكم، ولا يخفـى عليكم أن أكثـر قضـايا الأمـة اليـوم سـخونة؛ الجهـاد في فلسطين والعراق فاحرصوا كل الحرص على نصرتهم"[279].

وأخيرًا، خير الكلام ما قل ودل:

في رسالته الثالثة إلى الشعب الأمريكي، أوضح الشيخ أسامة السبيل لإنهاء الحرب فقال:

" إن الحـرب إمّـا لنـا وإمـا لكـم، فـإن كانـت الأولي فهـي خسـارتكم وخـزيكم أبـد الـدهر، وفي هـذا الاتجـاه بفضـل الله تجـري الـريح، وإن كانـت الأخـرى فـأقرؤوا التـاريخ، فإننـا قـوم لا ننـام علـى الضـيم، ونطلـب الثـأر مـدى العمـر، **ولـن تـذهب الأيام والليـالي حـتى نثـأر كيـوم الحـادي عشـر مـن سـبتمبر بإذن الله**، و بـذا يظـل ذهـنكم مكـدودًا، وعيشـكم منكـودًا، ويصـير الأمـر إلى مـا تكرهـون، وأمـا نحـن فلـيس عنـدنا مـا نخسـره، والسـابح في البحـر لا يخشـى المطـر، فقـد احتللـتم أرضـنا، واعتـديتم علـى أعراضــنا وكرامتنــا، وســفكتم دمــاءنا، ونهبــتم أموالنــا، وهــدمتم دورنا وشــردّتمونا، وعبثــتم بأمننــا، وسنعاملكم بالمثل.

لقـد حـاولتم أن تمنعـونا الحيـاة الكريمـة ولكـن لـن تسـتطيعوا أن تمنعـونا مـن المـوت الكـريم، فـالقعود عـن الجهـاد المتعـين في ديننـا إثم مخـوف، وخـير القتـل عنـدنا مـا كـان تحـت ظـلال السـيوف، ولا تغـرنّكم قـوتكم وأسـلحتكم الحديثـة، فهـي تكسـب بعـض المعـارك ولكنهـا تخسـر الحـرب، والصـبر والثبـات خـير منها، والعبرة بالخواتيم.

ولقـد صـبرنا في قتـال الاتحـاد السـوفياتي بأسـلحة بسـيطة عشـر سـنين، فاسـتنزفنا اقتصـادهم فصـاروا بفضـل الله أثـرًا بعـد عـين، ولكـم في ذلـك عـبرة، ولنصـبرن في قتـالكم بإذن الله حـتى يمـوت الأعجـل منـا ولن نفرّ من الكفاح حتى يفرّ السلاح.

أقسمت لا أموت إلا حرًا...

وإن وجدت الموت طعمًا مرّا...

أخاف أن أُذلّ أو أُغرا...

---

(279) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

والسلام على من اتبع الهدى.



والله لن تسوى الدنيا بأسرها ظفرًا من أظفاركم

فهرس المحتويات

إهداء 4

تهنئة 6

مقدّمة 8

تمهيد 12

المرحلة الأولى: حضور الشيخ أسامة رحمه الله إلى باكستان، ونشاطه قبل تأسيس القاعدة 14

الجهاد الأفغاني الفرصة الذهبية: 16

الفريضة الغائبة: 18

دخول الشيخ أسامة أفغانستان أول مرة: 19

فكرة تأسيس مكتب الخدمات: 20

تأسيس بيت الأنصار في بيشاور عام 1985م: 25

قرار الشيخ أسامة الإقامة في ساحة أفغانستان: 28

قصة مأسدة الأنصار: 29

الدروس المستفادة من معارك مأسدة الأنصار في جاجي: 44

- التدريب ومعسكرات التدريب: 44

- ما كل حقٍ يُقال في كل وقت ولكل أحد: 46

- تتابع معسكرات التدريب: 49

بعض من نخبة مدرّبي القاعدة: 54

المرحلة الثانية: مرحلة تأسيس القاعدة حتى انتقال الجماعة إلى السودان 56

البداية الفعلية للقاعدة: 57

البيعات والعهود: 58

فكرة القاعدة: 59

لجان القاعدة الإدارية: 60

قصة أبو إبراهيم المصري: 61

معارك جلال أباد: 62

فتح مدينة خوست: 70
بداية وأسباب تحول المسار الفكري والمنهجي في تاريخ الصراع للشيخ أسامة رحمه الله: 71
مكاسب التيار الجهادي في أفغانستان: 75
سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا: 76
شبهات حول دعم أمريكا للجهاد والمجاهدين في أفغانستان: 78
دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني: 78
شبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا وارتباطهم ب (CIA) خلال الجهاد الأفغاني: 79
المكر الدولي على الجهاد والمجاهدين: 81
سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلًا: 82
المقارنة الأولى من بلاد الشام: 82
المقارنة الثانية: أمّا كيف تكون الصورة في حالة الوحدة والاعتصام 84
الخطة الدولية لمحاربة التيار الجهادي أو ما يسمى بمكافحة الإرهاب: 85
1- **تجفيف المنابع المالية:** 86
2- استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر: 86
3- اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة: 87
4- **إلغاء الملاذات الآمنة:** 88
5- **نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي:** 88
6- **التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب:** 88
7- **الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين وعزلهم:** 88
أتواصَوْا به (تعليقًا على الخطة الدولية لمكافحة الإرهاب): 89
أحوال المجاهدين بعد تنفيذ توصيات ما يسمى بمكافحة الإرهاب: 91
1-أوربا والدول الغربية: 91
2-بلاد أخرى: 91
3-**البوسنة والشيشان وغيرهما:** 91
4-السودان: 92
قصة الإقامة الجبرية للشيخ أسامة في بلاد الحرمين ومنعه من السفر ما بين عامي 1989 -1991م: 93

محاولة اغتيال الشيخ أسامة في بيشاور:... 98

المرحلة الثالثة: مرحلة السودان وما تخللتها من أحداث حتى خروج الشيخ أسامة من السودان في مايو 1996م:... 99

الأحوال في السودان بعد وصول حكومة البشير للسلطة:.. 99

وصول الشيخ إلى السودان:.. 101

محاولة اغتيال الشيخ أسامة في السودان:... 106

الأعمال التي قامت بها القاعدة انطلاقًا من السودان:.................................... 108

1-أحداث الصومال:.. 108

2-أحداث الجزائر:.. 125

3-حرب الفاكسات:.. 127

4- الأحداث في اليمن:.. 131

5-أحداث الشيشان:.. 137

6-عملية اغتيال مبارك في أديس أبابا بأثيوبيا في يونيو 1995م:.................................. 138

خروج الشيخ أسامة من السودان وقصة جمال الفضل:....................................... 140

عظات وعبر من قصة السودان، وقصّة تسليم جمال الفضل نفسه لأمريكا:...................... 146

نصيحة الشيخ أسامة لحكومة البشير بعولمة قضية الجنوب:................................... 149

المرحلة الرابعة: مرحلة أفغانستان الثانية، وتبدأ من خروج الشيخ أسامة من السودان في 18 مايو 1996 حتى أحداث 9/11:.. 151

على نفسها جنت براقش:... 151

الشيخ أسامة في ضيافة الشيخ يونس خالص:... 152

مجمّع نجم الجهاد:.. 153

الشيخ أسامة في جبال تورا بورا:.. 157

التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه:.................................... 158

فكرة قوات التدخل السريع وتطوراتها:... 159

نقطة التحوّل الرئيسية في تاريخ الصراع:.. 160

البيان الأول: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب:.. 162

حملة الشيخ أسامة التوعوية لما يدعو له: 163

خلاصة دعوة الشيخ أسامة رحمه الله: 167

التواصل مع الصحفيين ووسائل الإعلام: 168

محاولات أمريكا مع القادة الأفغان لتسليم الشيخ أسامة رحمه الله: 172

مقتل القادة ودخول الطالبان جلال أباد: 174

اللقاء الأول مع أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله: 176

سقوط كابل في أيدي الطالبان: 178

مغادرة جلال أباد إلى قندهار: 179

العظات والعبر من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة بعدم إثارة الفوارق المذهبية: 181

التحرك إلى قندهار: 182

نبذة قصيرة عن كيفية نشوء حركة طالبان: 183

الدروس المستفادة من قصة أمير المؤمنين: 185

طالبان في عدّة نقاط: 187

الوصول إلى قندهار: 193

قدوم الإخوة الجدد: 194

مشاركة القاعدة القتال مع الطالبان: 195

قصة إنشاء خط ثان للدفاع عن كابول: 196

هجوم طالبان وتأمين كابول: 200

محاولات النظام السعودي مع أمير المؤمنين لتسليم الشيخ أسامة: 201

تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين في 23 فبراير 1998م: 205

فتوى شرعية: 206

موقف الجماعة الإسلامية المصرية من بيان الجبهة: 209

الحرب الجديدة [الحرب اللا متوازية]: 212

طائرة بدون طيّار: 213

عمليات نيروبي ودار السلام: 215

الخلاف بين الشيخ أسامة وأمير المؤمنين الملا عمر: 225

نص الفتوى التي أفتى بها المولوي عبد الله الذاكري، رئيس اتحاد علماء أفغانستان بشأن إخراج الشيخ أسامة بن لادن: 227

رد أمير المؤمنين على رسالة اتحاد علماء أفغانستان: 229

الدروس المستفادة من قضية تسليم الشيخ أسامة: 230

استهداف المدمرة الأمريكية يو أس أس كُول: 232

مؤسسة السحاب الإعلامية: 238

قصّة منظّمة الوفاء: 239

تدمير أصنام بوذا في ولاية باميان مارس 2001م: 242

إعلان الوحدة بين تنظيم القاعدة وجماعة الجهاد المصرية: 245

تعليق الشيخ أيمن الظواهري على اللبس الذي حدث في مشروع الوحدة: 246

عملية اغتيال أحمد شاه مسعود: 248

فشل التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة: 252

سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلًا: 253

المرحلة الخامسة: الحدث الذي غيّر وجه التاريخ؛ غزوات الحادي عشر من سبتمبر المباركة: 254

الهدوء الذي يسبق العاصفة: 254

إذن أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله: 257

غزوات الحادي عشر من سبتمبر، هل يفهم التمساح حوارًا بغير سلاح؟: 259

لماذا يكرهوننا؟ 259

أفلحت الوجوه 266

عصايتين بعدهما شَرطة، كحكاية منها عصاية مدّلاية، يعني أيه؟: 269

نتائج التحقيقات الأمريكية حول العمليات: 283

رسائل أحداث الحادي عشر من سبتمبر: 284

آثار وتداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا: 286

تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمّة الإسلامية: 287

شبهات حول أحداث الحادي عشر من سبتمبر: 288

دروسٌ عملية من دروس التوحيد: 303
حجر الأساس لبداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية: 317
مفارقات عجيبة: 320
من أقوالهم عن مفاوضات الدوحة: هذا هو الدرس يا عرب! 324
هل هي ضرب من الجنون؟: 326
ملحمة تورا بورا: 330
معادن الرجال: 340
ملحمة قلعة جنكي: 342
عمليات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر: 353
عملية الحذاء المفخخ في الطائرة الأمريكية في 2001/12/22م: 354
عملية جربة في تونس 11 أبريل 2002م: 356
ضرب ناقلة النفط الفرنسية العملاقة (لمبورج) في المكلا باليمن في 2002/10/6م. 356
عملية على الجنود المارينز في جزيرة فيلكا بالكويت 8 أكتوبر 2002: 361
تدمير الملهى الليلي في بالي بأندونيسيا في 2002/10/12م. 363
ضربات اليهود في شرق افريقيا؛ إطلاق صاروخين على طائرة إسرائيلية وتدمير فندق إسرائيلي في 23 رمضان 1422هـ الموافق 2002/11/28م: 366
الحرب الفكرية: 375
عندما تُذبح الحقيقة، ويُزوّر التاريخ: 380
رسالة الشيخ أحمد حسن أبو الخير المصري رحمه الله، للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله: 381
رسالة القاعدة: 400
لماذا نقاتل أمريكا؟ 402
ما هو السبيل إذن؟: 411
الخيار الصحيح في أسلوب المواجهة: 417
إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر الحق فيم أقامك؟: 423
ما هو منهج القاعدة؟: 426

إنّ في حركة طالبان لعبرةً لأُلي الأفهام: **428**

مسك الختام:.. **441**

رثاء أمير المؤمنين الملّا عمر رحمه الله:.. **441**

خطاب من المشايخ الفضلاء حمود بن عقلاء الشعيبي وعلي الخضير وسليمان العلوان، لأمير المؤمنين الملا مُحَمَّد عمر والمجاهدين معه نصرهم الله: 443

استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله:.. **451**

جوانب من زهد الشيخ أسامة رحمه الله: 458

سيرة القائدين أبي عبيدة البنشيري وأبي حفص الكمندان رحمهما الله:.. **467**

أبو عبيدة البنشيري:.. 467

علاقته بالشيخ أسامة بن لادن:.. 468

زهد الشيخ أبي عبيدة وأهله: 469

غرقه في بحيرة فكتوريا: 469

الشيخ أبو حفص المصري (الكمندان) رحمه الله:.. **471**

الشيخ أبو محمّد المصري (عبد الله أحمد عبد الله الألفي) تقبّله الله:.. **475**

وخير ما نختم به هذه الصفحات المختصرة من تاريخ القاعدة، كلمات مباركات للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، خصّ بها إخوانه المجاهدين قائلا لهم: **478**

